دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم

مصر - العراق - ايران

دكتور
أحمد أمين سليم
أستاذ التاريخ القديم المساعد
بكلية الآداب - جامعة الإسكندرية وبيروت العربية

دار النهضة العربية
للطباعة والنشر
بيروت . ص.ب ٧٤٩-١١

دراسات

في

تاريخ الشرق الأدنى القديم

مصر - العراق - ايران

دار النهضة العربية
للطباعة والنشر
بيروت . ص ب ٧٤٩ ١١

* الإدارة بيروت، شارع مدحت باشا، بناية كريدية، تلفون ٣٠٣٨١٦/ ٣٠٩٨٣٠/ ٣١٢٢١٣
برقياً دانهضة، ص ب ٧٤٩-١١
تلكس NAHDA 40290 LE
29354 LE

* المكتبة شارع البستاني، بناية اسكندراني رقم ٣، غربي الجامعة العربية، تلفون ٣١٦٢٠٢

* المستودع بئر حسن، تلفون ٨٣٣١٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

يسرت ظروف الحياة في منطقة الشرق الأدنى القديم للإنسان إمكانية التحول من مرحلة التنقل والترحال والجمع والالتقاط إلى مرحلة الزراعة وإنتاج الطعام والاستقرار، وذلك في أزمنة بعيدة من تاريخ الإنسانية، وساعد على هذه النقلة الهامة والحاسمة في تاريخ الإنسان توفر مصادر المياه في أكثر بلدان الشرق القديم، فكانت هناك الأنهار دائمة الجريان مثل نهر النيل في مصر، ونهرا دجلة والفرات في العراق، وذلك بالإضافة إلى بعض الروافد النهرية والأنهار الصغيرة الموجودة في مناطقه الأخرى والتي ساعدت على قيام الإنتاج الزراعي في هذه المناطق، وكان لذلك أثره في تطور الإنتاج الحضاري للإنسان وظهور المجتمعات المنظمة التي تطورت سياسياً مما أدى إلى دخول بعض مناطق الشرق الأدنى القديم ـ مثل مصر والعراق ـ إلى مرحلة العصور التاريخية مع بداية الألف الثالث قبل الميلاد أو قبله بقليل.

ولقد حاولت في هذا المؤلف تتبع المعالم السياسية الأساسية لتاريخ بعض بلدان الشرق الأدنى القديم، وهي مصر والعراق وإيران. وذلك نظراً للدور التاريخي البارز الذي قامت به هذه البلدان في التاريخ القديم، فلقد تمكنت هذه الدول من فرض نفوذها وسيطرتها في وقت من الأوقات على معظم مناطق الشرق القديم، كما كان لهم اليد العليا في إدارة شئون الشرق ومقدراته.

ويتكون موضوع الكتاب من ثلاثة أبواب رئيسية، خصص الباب الأول منها لدراسة تاريخ مصر القديم، وهو يتكون من ثمانية فصول رئيسية. تناولت في

الفصل الأول ، المصادر التي يعتمد عليها الباحث فى دراسته لتاريخ مصر القديم سواء كانت مصادر أثرية أو ما كتبه المؤرخون والرحالة اليونان والرومان وكذلك المصادر الأجنبية المعاصرة وما ورد في الكتب المقدسة ويتصل بتاريخ مصر القديم. وخصصت الفصل الثانى لعصر الأسرتين الأولى والثانية. أما الفصل الثالث فقد تناولت فيه عصر الدولة القديمة، وتناولت في الفصل الرابع عصر الثورة الاجتماعية الأولى، وفي الفصل الخامس عصر الدولة الوسطى، وفي الفصل السادس عصر الانتقال الثاني، وفى الفصل السابع عصر الدولة الحديثة. أما الفصل الثامن والأخير، فقد اشتمل على عصر الانتقال الثالث.

ويتصل الباب الثانى بتاريخ العراق القديم ، وهو يتكون من سبعة فصول رئيسية ، قمت في الفصل الأول منها بدراسة عامة تمهيدية لعصور ما قبل التاريخ فى العراق القديم، ثم تناولت في الفصل الثاني تاريخ السومريين، وفي الفصل الثالث العصر الأكدي ، وفي الفصل الرابع العصر السومري الحديث ، وفي الفصل الخامس العصر البابلي القديم ، وتناولت في الفصل السادس تاريخ أشور منذ أقدم عهودهم وحتى نهاية دولتهم . أما الفصل السابع والأخير فلقد تناولت فيه العهد البابلى الأخير أو المملكة الكلدانية .

ويتناول الباب الثالث تاريخ إيران القديم، وهو يتكون من ستة فصول رئيسية ، تناولت في الفصل الأول منها بداية الاستقرار البشري على الهضبة الإيرانية وهو ما يعرف باسم «المرحلة الحضارية الأولى» ، ويتصل الفصل الثاني بالمرحلة الحضارية الثانية، أما الفصل الثالث فهو عن المرحلة الحضارية الثالثة، ويتصل الفصل الرابع بتاريخ إيران أثناء الألف الثالث قبل الميلاد، والفصل الخامس بتاريخ إيران في الألف الثاني قبل الميلاد، وأخيراً فلقد تناولت في الفصل السادس تاريخ إيران منذ بداية الألف الأول قبل الميلاد وحتى مجيء الإسكندر الأكبر. ولقد أوردت في نهاية الكتاب قائمة بأهم المصادر والمراجع الخاصة بموضوع الكتاب .

وإنني لأرجو أن أكون قد وفقت فيما هدفت إليه من هذا الكتاب ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به، واعفو عنا، واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾ .

صدق الله العظيم

(سورة البقره «آية ٢٨٦»)

بيروت في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٩ .

الفصل الأول

مصادر التاريخ المصري القديم

تعتمد الدراسة في ناريخ مصر الفراعنة على مصادر أربعة أساسية هى الآثار المصرية وما كتبه الرحالة والمؤرخين من الإغريق الذين زاروا مصر وكتبوا عنها كتباً كاملة أو فصولاً من كتب ثم المصادر المعاصرة فى منطقة الشرق الأدنى القديم ، وأخيراً ما جاء في الكتب المقدسة عن مصر وأحوالها.

أولاً ـ الآثار المصرية :

لا ريب في أن الآثار التي تركها المصريون القدامى وما تمد به الباحث في تاريخ الكنانة من معرفة سطرت على جدران المعابد والمقابر والإهرامات والتماثيل ولوحات القبور والتوابيت وقراطيس البردى وغيرها إنما هى المصدر الأول لتاريخ مصر القديمة فهي تتحدث عن الكثير من أخبار القوم وتروي معلومات عن عقائدهم وفنونهم.

على أنه يلاحظ على هذا المصدر عدة نقاط ضعف نذكر منها: أن كثيرا من الآثار إنما هو صادر عن المقابر والمعابد، ومن هنا كان المظهر السائد لمعظم ما يعثر عليه فيها ديني. ومنها أن كثيراً من هذه الآثار إنما قد كتب بأمر من الملوك، أو بوحي منهم، ومن ثم فلا بد أن نكون على حذر فيما ترويه هذه المصادر. ومنها كذلك أن جل ما عثر عليه إنما هو صادر عن الصعيد، ومنها أيضاً أن تسعة أعشار الحفائر إنما تمت فى الصحراء حيث شاد القوم مقابرهم حيث يحفظ الرمل الجاف أكثر الأشياء عرضة للتلف. أما أماكن الأحياء فكانت تبنى في وسط الأراضي الزراعية. وقد أدى هذا إلى ندرة الآثار المتعلقة بالحياة اليومية. ويضاف إلى ذلك ندرة الآثار التى ترجع إلى بعض العصور المظلمة مثل العصر الوسيط الأول والثانى. مما يجعل تسلسل

الأحداث فى التاريخ الفرعونى غير مطرد وأخبراً، فإن النصوص فى غالبيتها صعبة الترجمة عسيرة التأويل بالإضافة إلى أن المصريين لم يعرفوا التواريخ المطلقة شأنهم شأن غيرهم من الشعوب القديمة[1].

ومع ذلك فإن الاثار هى مصدرنا الأول لأنها تمتاز عن غيرها من المصادر الأخرى بأنها المصدر الوحيد الذى عاصر الأحداث والذى أشركه المصريون عن قصد أو غير قصد فى الكشف عن تاريخهم وتخليد حضارتهم. هذا ولعل أهم ما عثر عليه من بين تلك الاثار ما عرف بقوائم الملوك وهى كشوف أرخت لبعض الفراعين ولما سبقهم من عصور، وأهم هذه القوائم الملكية حجر بالرمو وقوائم الكرنك وأبيدوس وسقارة وبردية تورين ثم تاريخ ماينتون.

١ - حجر بالرمو:

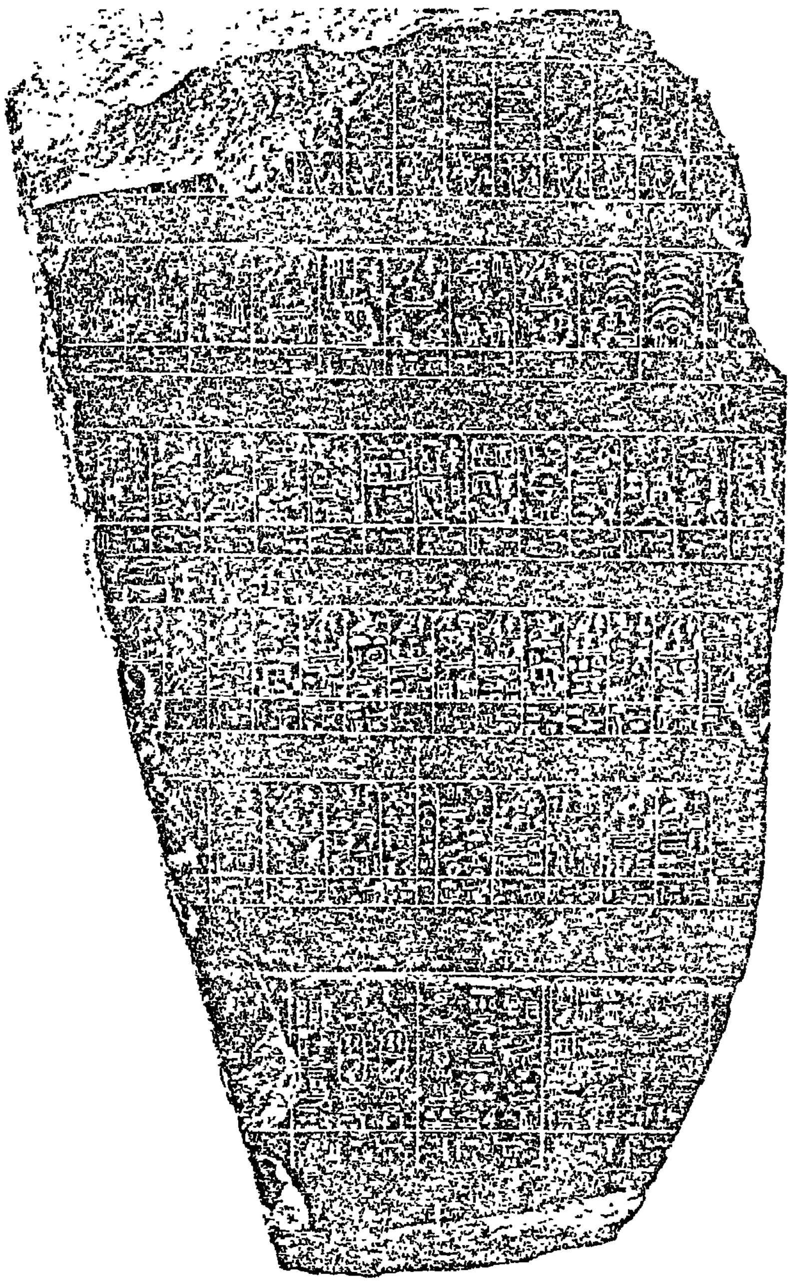
عثر عليه فى منف وقد دون على الحجر حوليات الملوك منذ أقدم العصور وحتى نفرابر كارع ثالث ملوك الأسرة الخامسة كما يشير كذلك إلى إسلاف منى ممن كانوا يحكمون في الدلتا والصعيد وأطلق عليهم إسم «أتباع الإله حور». ورغم ما فى هذه المدونة من عيوب فإنها كانت أول محاولة معروفة لجمع أخبار الملوك وترتيبها في العالم القديم. وقد التزم فيها المؤرخ بثلاثة مبادىء، فقد راعى شرط الوضوح فى كتابته بأن فصل بين أحداث كل حول والآخر بخط رأسي يرمز إلى كلمة الحول في الكتابة المصرية وفصل بين حوليات كل ملك وآخر بخط أفقي وراعى الترتيب الزمني في تدوين أسماء الملوك وحوادثهم من الأقدم إلى الأحدث، وراعى ثالثاً أمانة النقل في رواياته[2]. (شكل ١).

---

(١) Gardiner, A. H., Egypt of the Phareohs, Oxford, 1964, PP. 52 - 56

(٢) Breasted, J. H., Ancient Records of Egypt, vol I, 1927, parag. 76 - 167.

وكذلك عبد العزيز صالح حضارة مصر القديمة وآثارها، الجزء الأول، القاهرة، ١٩٦٢، ص ٢٣.



(شكل ١) حجر بالرمو.

٢ ـ قائمة الكرنك :

نقش هذه القائمة كاتب فى عهد تحوتمس الثالث على جانب من معبده بأقصى مجموعة الكرنك وقد صور في هذه القائمة الملك تحوتمس الثالث وهو يتجه بدعواته إلى واحد وستين من أسماء أسلافه وقد تحطمت بداية القائمة ، وأول ملك محفوظ إسمه هو «سنفرو» مؤسس الأسرة الرابعة ثم يليه بعض ملوك هذه الأسرة ثم ملوك الأسرتين الخامسة والسادسة ، ثم يتلوها بعض ملوك الأسرات من الحاديه عشرة إلى السابعة عشرة . وهكذا ينصح لنا أن تحوتمس الثالث إنما قد سجل من الملوك من اعتقد في شرعينهم وأغفل كثيراً من الملوك الأخرين وبخاصة ملوك عصر الانتقال الأول فضلاً عن الملوك من الغزاة الهكسوس[١] .

٣ ـ قائمة أبيدوس :

نقشت فى عهد ستى الأول على جدران معبده في أبيدوس والمنظر يمثل الملك مصحوباً بولده رعمسيس الثاني وهو يقدم القرابين إلى ستة وسبعين ملكاً من أسلافهم . هذا ويتصدر القائمة الملك (منى) ثم تغفل القائمة أسماء بعض الملوك غير الشرعيين من وجهة نظر كاتبيها ومنهم ملوك الأسرتين التاسعة والعاشرة وملوك عصر الانتقال الثاني والملكة حتشسوت وأخناتون وسمنخ كارع وتوت عنخ آمون[٢] .

٤ ـ قائمة سقارة :

عثر على قائمة سقارة بمنف لأحد رؤساء الأشعال ويدعى «ثونري» من عهد رعمسيس الثانى وكانت تحوي أصلاً خراطيش سبعة وخمسين ملكاً يمجدهم «رعمسيس الثاني» وهى تبدأ بسادس ملوك الأسرة الأولى (عدج

(١) Sethe. K.. Helk. W..Urkundender 18 Dynastie, Leipzig, 1907, Berlin, 1955 - 61, IV, PP. 608 - 610.

(٢) Gardiner, A H.. op. cit..P. 48., Budge. E. A W..The Book of the kings, I. London, 1908.

إيب) وتنتهي برعمسيس الثاني، ويلاحظ أنها لم تراعي الترتيب الزمني، وقد أغفلت القائمة أسماء ملوك عصر الانتقال الأول والثانى وحتشبسوت واخناتون ومن تلاه من عائلته [1].

٥ ـ بردية تورين :

ترجع هذه البردية إلى عهد رعمسيس الثاني وتختلف عن بقية القوائم في أنها كتبت على ورق البردي وبالخط الهيراطيقي وتمتاز كذلك بأنها قد أوردت بعض الأسماء الملكية التي لم تذكرها القوائم الأخرى. وتبدأ البردية بالآلهة وأنصاف الآلهة يليهم بعد ذلك (منى) كمؤسس للملكية المصرية، وإما بقية البردية فمجرد قائمة من الأسماء التي تلي الإسم إشارة بطول مدة الحكم والعمر، وتعد بردية تورين من أكثر المصادر التاريخية قيمة ويرجع ذلك لأن جامع هذه الوثيقة كانت لديه مصادر لمعلومات خالية من الفجوات ودقيقة، ولم يفسد على كاتب البردية ملكته التاريخية إلا إيمانه بأساطير قومه التي جعلت للأرباب نصيباً فى حكم البلاد [2].

٦ ـ تاريخ مانيتون :

كان آخر المؤرخين المصريين القدامى المعروفين إنما هو مؤرخ مصري عظيم يعد من أعظم المؤرخين الذين أنجبتهم مصر القديمة وهو (مانيتون) أو مانيتو كما دعاه المتأغرقون، وكان ملماً باللغة المصرية القديمة وعلى معرفة باللغة اليونانية، ثم هو متمكن من تاريخ وديانة بلده مما ساعده على كتابة تاريخه حوالى عام ٢٨٠ ق. م على أيام بطلميوس الثانى بصورة أفضل مما سبقوه. وقد قام مانيتون بكتابة تاريخ بلاده في ثلاثة أجزاء باليونانية، ويقسم مانيتون مؤلفه بعد حكم الآلهة إلى إحدى وثلاثين أسرة من العائلات الملكية تبدأ بالملك منى وتنتهي بغزو الإسكندر المقدوني عام ٣٣٢ ق. م. ورغم عيوب هذا التقسيم إلى أسرات فإنه اتخذ جذور ثابتة فى دراسة

---

(١) Gardiner, A. H., op. cit., p. 50

(٢) Gardiner, A. The Royal Canon of Turin, Oxford 1959

«علم المصريات» . هذا وقد اعتمد مانيتو ن فى تاريخه هذا على معلومات صحيحة وصلت إليه من مصادر قديمة لها قيمتها ، وفوق ذلك فإن تاريخ مانيتو ن إنما يمتاز بأنه يمدنا بأسماء الملوك الذين حكموا مصر في عصورها الفرعونية مدونة بنطقها اليوناني ولم يقتصر في تاريخه على الحياة السياسية وإنما أرخ كذلك للحياة الاجتماعية . ولا يزال كتاب مانيتو ن يسيطر على دراستنا ولا يمكن الاستغناء عنه[١] .

ثانياً ـ كتابات المؤرخين اليونان والرومان :

تميزت الفترة ما بين القرنين السادس قبل الميلاد والثاني بعد الميلاد بزيارة عدد كبير من الأغارقة مؤرخين كانوا أم رحالة ، وقد كتب هؤلاء عن مصر كتباً كاملة أو فصولاً من كتب . على أن الباحثين إنما يلاحظون على كتابات هؤلاء المؤرخين عدة نقاط منها (أولاً) إن كثيراً منهم قد أساءوا فهم ما رأوه أو ذهب بهم خيالهم في تفسير أو تعليل ما سمعوه . ومنها (ثانياً) إن أصحاب هذه الكتابات قد زاروا مصر في أيام ضعفها وفي عصور تأخرها ، ولو أتيحت لهم الفرصة وزاروها في أيام نهضتها لتغير الكثير من آرائهم . ومنها (ثالثاً) إن إقامة هؤلاء الكتاب كانت في أغلب الأحيان في مدن الدلتا ومن ثم فلم يتبينوا أوجه الحياة المصرية الصادقة كما كانت في الصعيد ، ومن ثم فقد أخطأوا في الكثير مما صوروه من مظاهر الحضارة المصرية القديمة ، ومنها (رابعاً) أن هؤلاء الكتاب قد اعتمدوا في الكثير من معلوماتهم على الأحاديث الشفوية مع صغار الكهنة والتراجمة الوطنيين الذين كانوا يفسرون لهم النصوص الهيروغليفية تفسيراً لا يتفق والحقيقة في الكثير منها . (خامساً) إن كثير منهم قد كتب ما كتبه من وجهة النظر اليونانية ، وكثيراً ما كانت كتابتهم في وقت اختلفت فيه مصالح بلادهم مع مصر. هذا بالإضافة إلى روح التعصب التي عرفت عن الغربيين لحضارتهم[٢] .

---

(١) Gardiner, A. H., Egypt of the pharaohs, P. 47.

وكذا عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ٢٣٦ ـ ٢٣٧ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ٢٤٠ .

ومن أشهر هؤلاء المؤرخين هيكاته الميليتي وهيرودوت وهيكاتـه الأبـدري وديودور الصقلى وسترابو وبلوتارك الخيروبي وغيرهم .

١ ـ هيكاته الميليتي : Hekataios of Miletos

ينسب إلى مدينةميليتوس الإغـريقبة من آسيا الصغـرى وقـد زار مصـر حوالي عام ٥١٠ ق . م ، وكتب كتابه «تخطيط الأرض» ونافش فيه فيصان النيل وتكوين الدلتا ومزرعات البلاد[١] .

٢ ـ هيرودت (٤٨٤ ـ ٤٣٠ ق . م) : Herodotus

ولد هيردوت عام ٤٨٤ ق . م حسبمـا يرى معظـم المؤرخـون . وكان مولده في مدينـة هاليكارناسـوس وهـى مديـنة دورية فى إقليم كاريا تدعـى الآن Budrnn فى الركن الجنوبى الغربي من آسيا الصغرى[٢] .

زار هيرودوت مصر إبان الحكم الفارسى لها وسجل كل ما رآه وسمعه فى مصر في الجزء الثاني من كتابه المشهـور ، فتحـدث عن جغـرافية مصـر ومدنها والحوادث التاريخية التى مرت بها وأعمال ملوكها ومظاهر الحياة فيها دونما تدقيق أو تمحيص . ومن هنا جاء كتابه جامعاً الغث والثمين حاوياً الكثير من الحقائق والمفتريات . ومن هنا فقد اختلف المؤرخون فى الحكم علـى هيرودوت وعلى كتبه وإن كان هيرودوت قـد بذل الـكثير من الجهد فى إخراج كتابه عن مصر ، ويمكن القول إن كتاب هيرودوت فى جزئه الأول الذى ينتهى عند مطلع العصر الصاوى ، يكاد يخلو من الحقيقة التـاريخية . أمـا الشطـر الثاني الذي افتتحـه بعصـر بسمـاتيك (٦٦٤ ـ ٦١٠ ق . م) فقـد حالفـه فيه التوفيق ، ذلك لأن رواته كانوا من الإغريق وكانوا على صلة بالفرعون ، فضلاً عن أن هناك روايات كانت متداولة يمكن الاعتماد عليها[٣] .

(١) Bury, F B. The Ancient Greek Historians New York 1958, PP 11 - 18

(٢) أحمد أمين سليم . دراسه في تاريخ إيران القديمه وحضارتها . حـ ١ . إيران منذ أقدم العصور حتى أواسط الألف الثالث قبل الميلاد ، بيروت ، ١٩٨٨ ، ص ٥٢

(٣) أحمد بدوي : هيرودوت يتحدث عن مصر ، القاهره ، ١٩٦٦ ، ص ٢٩ ـ ٣٧

٣ ـ **هيكاته الأبدري**:

زار مصر حوالي عام ٣٢٠ ق. م وقام بوضع كتاب عن مصر تحدث فيه بصفة عامة عن العقائد والأساطير الدينية المصرية بصفة خاصه واتسمت كتاباته بروح التعصب والتحيز لوطنه.

٤ ـ **ديوردور الصقلي** : Didorus siculus

قام ديودور بزيارة لمصر فى عام ٥٩ ق. م وقد كتب مؤلفات فى التاريخ العام، أو تاريخ العالم بعنوان «المكتبة التاريخية "Bibliotheke" وتناول فيه تاريخ العالم منذ فجر التاريخ حتى حملة يوليوس قيصر على بلاد الغال. وقد أفرد الجزء الأول منه لتاريخ مصر. أما مصادره فكانت الكتاب الذين سبقوه ولم يستطع أن يتجنب الاستعانة بهيرودوت على نطاق واسع، وإن انساق وراء جمهور نقاده. وقد تناول ديودور أوضاع مصر السياسية والاجتماعية والدينية، وكان أكثر من هيرودوت إنصافاً للمصريين وأكثر فطنة فى تفسير عقائدهم وأساطيرهم. وقد سلم بأن (منى) هو أول الملوك، وتحدث عن طيبة، وإن كان يؤخذ عليه إنه جعل تأسيس منف تالياً لتأسيس طيبة، ومع ذلك فإن ماكتبه، عن القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد يجعل كتابه بالغ الأهمية. أما عن العصور القديمة فإن مايرويه لا يمكن التحقق منه عن طريق مصدر آخر. ولما كان مؤلفه يعد تجميعاً فإنه يصبح ذات قيمة لا تبارى وأياً ما كان الأمر فإن ديودور يمتاز على الكثير من المصادر بحسن عرضه لآراء من سبقوه وبدقته ونزوعه إلى البحث عن الحقيقة(١).

٥ ـ **سترابو** : Strabo

ولد سترابو فى أماسيا في بونتوس وذلك حوالي عام ٦٤ أو ٦٣ ق. م، وتتمير كتاباته بأنها نوع من الجغرافيه التاريخية ولقد زار الإسكندرية حوالي

(١) عبد العزيز صالح. المرجع السابق، ص ٢٤٣، وكذا: وهيب كامل ديودور فى مصر، القاهرة ١٩٤٧.

عام ٢٥ ق . م وأقام بها خمس سنوات . وقد تحدث عن مصر في الجزء السابع عشر من مؤلفه «الجغرافية» وقد وصف النيل ومصر، وإن اهتم كثيرا بالدلتا . كما قدم لنا تفصيلات عن المباني والعبادات . أما ملاحظاته على التاريخ والعادات الدينية فخاضعة للنقد[1] .

٦ - بلوتارك . Plutarch (حوالي ٤٦ - ١٢٠ م)

ولد في بلدة خيروينا في شمال إقليم بويوتيا في بلاد اليونان . ويعد بلوتارك من أصدق المؤرخين القدامى وأكثرهم أمانة في النقل . وقد اهتم بلوتارك في كتاباته بالعقائد المصرية . واهتم بصفة خاصة بقصة (اوزير وايزة)[2] .

ثالثا - المصادر الأجنبية المعاصرة :

وأما ثالث المصادر الرئيسية في تاريخ مصر القديمة . فهو المصادر المعاصرة في منطقة الشرق الأدنى القديم ذلك لأن مصر إنما كانت على علاقة ببلدان هذه المنطقة في فترات من تاريخها وخاصة في عصر الدولة الحديثة . فتبادل حكامها مع الفراعين رسائل كثيرة - اختلفت في فترات السلام عن عصور الحرب . ففي الأولى نجد الود والاحترام المبالغ فيه إن لم يكن الخضوع والذلل . وفي الثانية نجد ادعاءات مبالغ فيها . وواجب الباحث إزاء هذه الكتابات مقارنتها بما يعاصرها في مصر . ومن المقارنة بينها جميعاً يستطيع الباحث أن يتبين ولو بقدر الحقائق التاريخية . هذا إلى أنها إنما تعين الباحث في تتبع عهود الفراعنة بالنسبة إلى من عاصرهم من ملوك الشرق وأمرائه ، كما أن الرسائل المتبادلة إنما تعطي فكرة عن العلاقات الدولية والحالة

---

(١) انظر محمد بيومي مهران: دراسة في تاريخ الشرق الأدنى، جـ ١، مصر، الكتاب الأول، الإسكندرية ١٩٨٢، ص ٧٣ - ٧٤.

(٢) بلوتارخوس: إيزيس وأوزيريس، ترجمة حسن صبحي البكري ومراجعة محمد صقر خفاجة، القاهرة ١٩٥٨.

الحضارية لهذه المنطقة الهامة من العالم إبان كتابتها .

رابعاً ـ الكتب المقدسة :

لا ريب في أنه يمكن للمؤرخ ـ وبخاصة حين يكتب عن العصور التي تلت عصر الدولة الوسطى ـ أن يعتمد على ما جاء في الكتب المقدسة وبخاصة التوراة والقرآن الكريم والتي روت الكثير من القصص الدينية التي تتصل بطريقة أو بأخرى بالتاريخ الفرعونى ، كما أنها تحدثت كثيراً وبسطت طرفاً من نواحي الحياة المصرية . هذا وقد تحدثت التوراة في كثير من أسفارها عن المصريين وعلاقتهم ببنى إسرائيل فضلاً عن الحديث عن أنبياء بنى إسرائيل ذوي الصلة بمصر. إلا أنه تجب الإشارة إلى إننا حين نتعامل مع التوراة كمصدر تاريخي أن ننظر إليها كما إلى غيرها من المصادر التاريخية ، نتقبل ما تقوله إن كان يتفق مع الحقائق التاريخية ، ونرفض ما تقوله حين تذهب بعيداً عن ذلك . أما القرآن الكريم فإنه يقدم لنا عن طريق القصص القرآني معلومات هامة وصحيحة تماماً عن عصور ما قبل الإسلام وأخبار دولها وعن طريق سيدنا يوسف وموسى يقدم لنا القرآن الكثير من المعلومات عن الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في مصر الفراعنة[1] .

---

(١) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٧٨ ـ ٩٠ .

الفصل الثاني

عصر الأسرتين الأولى والثانية

يطلق المؤرخون على عصر الأسرتين الأولى والثانية أسماء عديدة منها: «عصر بداية الأسرات» لكونه أول عصر حكمت مصر الموحدة خلاله أسرات ترتبط ببعضها بصلة الدم. ويطلق عليه بعض العلماء إسم «العصر العتيق» إذ به يبدأ التاريخ الفرعونى هذا إلى أنه يسبق عصر الدولة القديمة مباشرة ويسمى أيضاً «العصر الثيني» نسبة إلى مدينة ثنى (طينة). وذلك اعتماداً على ما رواه مانيتون من أن ملوك هذا العصر قد نشأوا في مدينة ثنى (طينة). ويتجه الباحث إلى الاحتفاظ بتسمية الأسرتين بإسم (عصر الأسرتين الأولى والثانية الفرعونيتين) وذلك لأن عصر هاتين الأسرتين يعتبر مرحلة التكوين والتشكيل الحضاري السياسى للتاريخ والحضارة الفرعونية زهاء ثلاثة آلاف سنة، وتم خلال هذا العصر تدعيم الوحده السياسية بين الشمال والجنوب وتوطدت دعائم الأمن والنظام فى أرجاء البلاد ووضعت تقاليد الملكية ونظمت الإدارات، كما أن عصر هاتين الأسرتين كان فترة تدعيم للحضارة المصرية التي وضحت في عصر الأسرتين الثالثة والرابعة وأصبح لها طابعها الخاص الجديد المسمى «المصري»[١].

الكيان السياسي الداخلي في عصر الأسرتين الأولى والثانية:

يتضمن هذا الكيان السياسي الداخلى في مصر القديمة في عصر الأسرتين الأولى والثانية دراسة ثلاثة موضوعات رئيسية، وهي عملية توحيد البلاد وبداية استقرار الكيان السياسي الداخلي والوسائل التى اتبعها ملوك

(١) أحمد أمين سليم. دراسه تاريخيه للحضارة المصرية القديمة أثناء عصر الأسرتين الأولى والثانية (رسالة ماجستر) الإسكندريه، ١٩٧٧، ص ٧ - ١٢.

العصر لتدعيم الوحدة بين الشمال والجنوب .

وفيما يتصل بالموضوع الأول وهو توحيد البلاد ، فيمكن أن ترجع بدايته إلى مرحلة عصور ما قبل الأسرات حيث شهد هذا العصر ظهور المقاطعات المستقلة والتى تطورت إلى إدماج هذه المقاطعات فى مملكتين إحداهما فى الشمال والأخرى فى الجنوب . ثم بدأت محاولات توحيد المملكتين في مملكة واحدة وهو الأمر الذى يبدو أنه تحقق بزعامة الجنوب . ويستدل من الآثار التى عثر عليها فى هيراكونبوليس وغيرها على جهود ملكين بذلا كل جهدهما فى سبيل هذا الهدف الوطنى ، وهذان الملكان أولاً ما اصطلح على تسميته بالملك عقرب والثانى هو الملك نعرمر.

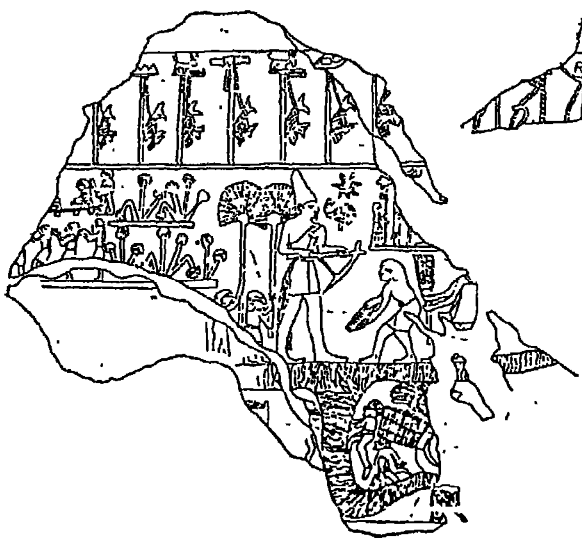
وفيما يتعلق بالملك الأول فقد عثر على العديد من الآثار التي تحمل إسمه (**عقرب**) وبجوارها العلامة (كا) التى فسرها بعض الباحثون بأنها الإسم الحورى للملك «عقرب» . أما الآثار المكتشفة للملك عقرب والتى تشير إلى جهوده فى عملية القيام بتوحيد البلاد فيمكن الإشارة إليها فيما يلي :

أ ـ رأس المقمعة التي عثر عليها فى هيراكونبوليس :

صنع رأس هذا الصولج من الحجر الجيرى وغطى بنقوش موزعة على ثلاثة مناظر: المنظر الأول يشير إلى هزيمة الملك عقرب لسكان الدلتا وانتصاره كذلك على القبائل الأخرى الموجودة على حدودها ، ويعبر المنظر الأوسط عن حفل افتتاح مشروع للرى أو للزراعة ، أما نقوش المنظر السفلى فيمثل جزيرة يحيطها النهر ويعمل فيها عدد من الأشخاص ويتضح من نقوش هذه المقمعة قيام الملك عقرب بحروب فى الدلتا والصحراوات المحيطة بها بمساعدة الأقاليم الجنوبية وبخاصة في هذا العمل ، واتصح أيضاً اهتمامه بالأعمال السلمية التي تهدف إلى رخاء البلاد . ولم ينسى الفنان أن يعبر عن تقوى ملكه واهتمامه بتشييد المعابد[١] (شكل ٢) .

---

(١) Quibell, J. E., and Green, F. W., Hierakonpolis, vol. II, London, 1902, P. 41.,
Arkell, J., "Was King scorpion Menes" in Antiquity, 37, P. 35, FF.



(شكل ٢) رأس مقمعة الملك عقرب .

ب ـ ويوجد بالإضافة إلى رأس هذا الصولج رأسي صولجانين يوضحان انتصار الملك عقرب على الشعب ذا الضفيرة الطويلة ، وهما يوضحان الملك مرتدياً تاج الشمال ، مما يدل على أن الملك عقرب وليس نعرمر هو أول ملك وحد مصر العليا والسفلى[1] . كذلك فقد عثر على العديد من نقوش الأواني التي توضح انتصار الملك عقرب على الدلتا وإحيائه لذكرى هذا الانتصار[2] .

وهناك مجموعة من الآثار توضح الجهد الذي بذله الملك **نعرمر في** سبيل توحيد البلاد ، وتتمثل هذه الأثار في :

أولاً ـ نقوش الصلاية الإردوازية[3] (شكل ٣ ، ٤) التي تهدف إلى تخليد ذكرى بعض الحروب التي خاضها الملك نعرمر والتي أدت في النهاية إلى ذلك الحدث التاريخي الهام في حياة البلاد وهو اتحاد القطرين تحت لواء حاكم واحد ، وقد صور الملك على أحد وجهي الصلاية وهو يرتدي تاج الجنوب الأبيض ، وعلى الوجه الآخر وهو يرتدي تاج الشمال الأحمر ويرجح أن هذه اللوحة توضح أن الملك نعرمر قد أكمل أعمال سلفه الملك عقرب في الذود عن حدود البلاد وتخليصها من البدو والمغيرين عليها في الشرق والغرب .

ثانياً ـ نقوش رأس مقمعة الملك نعرمر[4] يرى الباحث أنها سجل لأهم الأعمال التي تمت في عهد نعرمر وهي زواجه من الأميرة الشمالية نيت حتب التي عثر على مقبرتها في نقادة ، وتعتبر تلك لفتة ذكية من الملك لإرضاء

---

(١) Ibid.

(٢) أحمد أمين سليم : المرجع السابق ، ص ٧٠ وما بعدها .

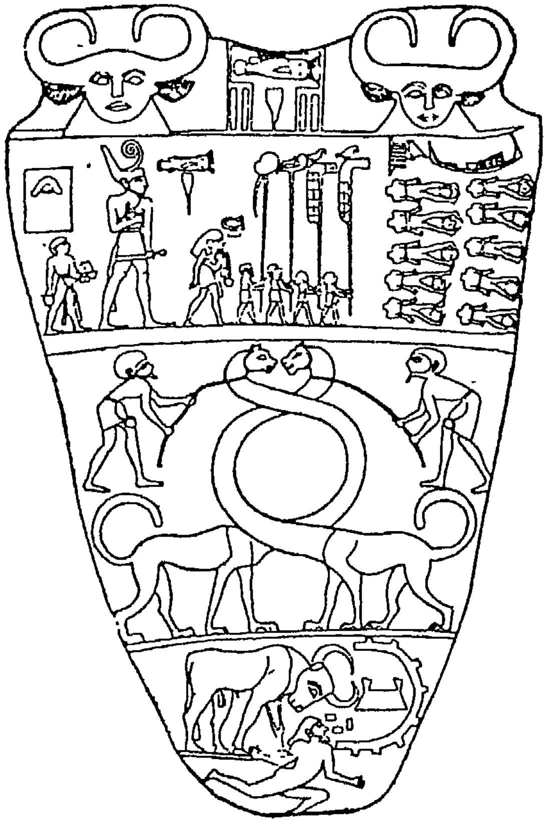
(٣) Quibell, J. E., Hierakonpolis, vol. I, London, 1900, pl. XXIX, p . 10.

(٤) Ibid., pl. XXVI B.

والترب . امري : مصر فى العصر العتيق (الأسرتان الأولى والثانية) ترجمة راشد محمد نوير ، ومحمد على كمال الدين ، مراجعة الدكتور عبد المنعم أبو بكر ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ٣٥ ـ ٣٦ .

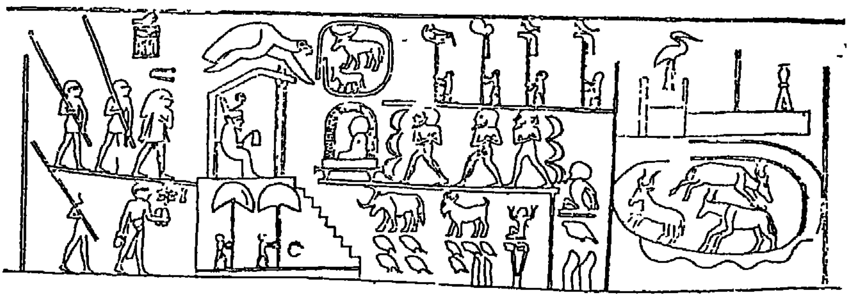


(شكل ٣) لوحة الملك نعرمر (من الوجه).



(شكل ٤) لوحة الملك نعرمر (من الخلف)

أهل الدلتا. أما عن الأعداد الضخمة من الماشية والماعز والأشخاص التى تسجلها رأس المقمعة فربما تشير إلى الغنائم التي حصل عليها الملك في حروبه المختلفة التي خاضها في الشمال لاتمام وتدعيم وحدة البلاد في الشرق والغرب لتطهير أرض الكنانة من البدو والمغيرين عليها (شكل ٥).



(شكل ٥) نقوش رأس مقمعة الملك نعرمر.

أما بالنسبة للموضوع الثاني فهو بداية استقرار الكيان السياسى الداخلي وسنبدأ أولاً بالآراء التي أبديت حول «مؤسس الأسرة الأولى» وهى مشكلة اختلفت بشأنها آراء المؤرخين اختلافاً بيناً وارتبط ذلك بأربعة ملوك هم: عقرب ونعرمر وعحا ومنى. وبالنسبة للملك عقرب فقد عثر على إسمه مكتوباً على العديد من الآثار من أهمها تلك التي تشير إلى جهوده في عملية توحيد البلاد وهي رؤوس المقامع وعثر على مقبرة له في أبيدوس وجد فيها آثار تحمل إسمه الحوري (كا) كما عثر على إسمه فى مقبرة حور عحا بسقارة. أما الملك نعرمر فقد ظهر إسمه على عديد من الأثار من أهمها لوحته الإردوازية ورأس مقمعته وظهر إسمه على ختم مع العلامة «من»[1]. ونسبت إليه مقبرة فى أبيدوس.

وبالنسبة للملك حور عحا الذي يعني إسمه المحارب، فقد عثر على هذا الإسم على بعض الآثار في مقبرة صغيرة بأبيدوس نسبها أحد الباحثين

(١) Petrie. W. M. F., The Royal Tombs, london, 1902, pl. XIII. 93.

إليه ، وعثر كذلك على عديد من الآثار له فى مقبرة نيت حتب بنقادة من أهمها بطاقة عاجية[1] تحمل الإسم الحورى للملك عحا وعلامة هيروغليفية مفردة تعني «من» والتى اعتبرها معظم الكتاب أنها تمثل إسم منى (شكل ٦) ، وعثر إسمه على عديد من الآثار فى مقبرة ضخمة بسقارة نسبت إليه[2] .

أما الملك «منى» فلم يرد إسمه فى القوائم الملكية إلا ابتداء من عصر الدولة الحديثة ووضعه المؤرخ المصرى مانيتون على رأس أسرته الأولى وارتبط إسم منى فى أذهان المصريين أنفسهم ببداية العصر التاريخى . وعثر كذلك على أختام تحمل إسمه في أبيدوس مع إسم الملك نعرمر .

هذا وقد اختلفت آراء المؤرخين حول ترتيب هؤلاء الملوك وبيان تتابعهم على العرش ، ومن مجمل هذه الآراء يمكن أن نرجح اعتماداً على المادة الأثرية أن الملك عقرب قد خطا خطوات كبيرة في سبيل تحقيق الوحدة السياسية للبلاد وإن النصر العسكري الحاسم على مملكة الشمال كان من نصيب الملك نعرمر الذى حاول إكساب حكمه للدلتا صبغة شرعية فتزوج من الأميرة الشمالية نيت حتب ولكنه لم يتمكن من تنظيم نصره والتمتع بنتائج حروبه فخلفه على العرش ابنه حور عحا الذي وضع اللبنة الأخيرة للتوحيد النهائى وبنى مدينة منف العاصمة المصرية الأولى ، وعلى ذلك يرجح أن يكون الملك «حور عحا» هو «منى» وأول ملك في الأسرة الأولى وفى مصر الموحدة . وإن كانت هناك آراء ترى أن «نعرمر» هو «منى» واتخذ أيضاً التسمية «عحا» (المقاتل) بعد انتصاره على الشمال ويرى البعض الآخر أنه من الصعب الأخذ بهذا الرأى ويرجحون فى النهاية أن يكون «عحا» هو «منى»[3] .

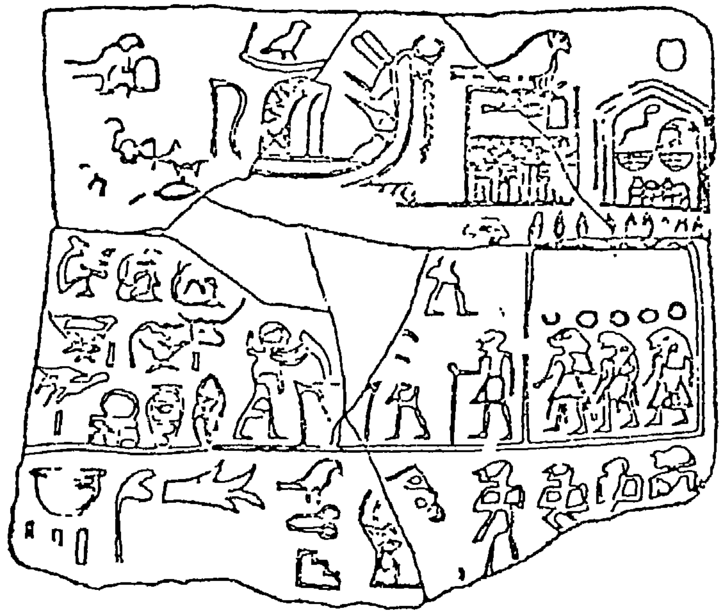
ويمكن ترتيب ملوك الأسرة الأولى حسب المادة الأثرية التي عثر عليها

---

(١) De Mogian J., Ethnographic Prehistorique et Tombeau Royal de Negada. Paris. 1897. Fig. 518.

(٢) Emery, W. B., Hor Aha, Cairo, 1939.

(٣)- أحمد أمين سليم . المرجع السابق ، ص ٧٥ وما يليها .



(شكل ٦) بطاقة حور عحا العاجية من نقادة .

على النحو الآتي : عحا ، جر ، جت ، دن ، عج ايب ، سمرخت ، قع .

أما ملوك الأسرة الثانية فإنه يمكن ترتيبهم حسب الآثار المعاصرة التي عثر عليها على النحو الآتي : حتب سخموى ، رع نب ، ني نثر ، ونج ، سند ، سخم ايب (برايب سن) ، خع سخم ، خع سخموى .

وننتقل الآن لدراسة الوسائل التي اتبعها ملوك العصر لتدعيم الوحدة بين الجنوب والشمال ، فقد عمل ملوك هذا العصر على تدعيم هذه الوحدة بعديد من الطرق والوسائل ، وتتضح الوسيلة الأولى في ظاهرة اتخاذ الألقاب الملكية وعلى رأس تلك الألقاب لقب حور الذي كان يتكون من صقر جاثم فوق بناء يكتب على واجهته الإسم الخاص بالملك ، واللقب النبتي الذي سمي كذلك بسبب قراءة اللقب (السيدتان) الممثلتان في صورة رخمة التي تشير إلى الآلهة نخبت الجنوبية ، وحية ترمز للآلهة واجيت الشمالية . ويدل ذلك

على رغبة الملك في التمتع بحماية الإلهتان الشمالية والجنوبية، كما تشير إلى كونه ممثلاً لقطري الوادي، هذا بالإضافة إلى ما في ذلك من إرضاء لأهل الدلتا. أما الإسم الثالث فهو يطلق عليه «اللقب النسوبيتي» الذي يدل على انتساب الملك لنبات البوص شعار مملكة الصعيد والنحلة شعار الدلتا والغرض منه إظهار الفرعون بمظهر الوارث الشرعي لكل من المملكتين القديمتين صاحبتي الشعارين (شكل ٧).

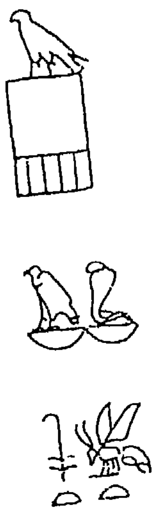
أما الوسيلة الثانية التى قام بها الملوك في هذا العصر فكانت الزواج من أميرات شماليات وذلك حتى يدعموا أواصر النسب بين الشمال والجنوب، بالإضافة إلى ما فى ذلك من إرضاء للشماليين. وقد بدأ الملك نعرمر سنة الزواج من أميرات الشمال فتزوج من الأميرة الشمالية نيت حتب[١]، وتبع نعرمر في هذا التقليد الملك جر الذي تزوج من الملكة الشمالية مرنيت[٢]... وكان يصحب الملكات الشماليات عدد من الوصيفات، مما كان له أثره الكبير في انتشار التزاوج بين الشماليات والجنوبيين، وبالتالى تدعيم الروابط الأسرية والحضارية بين شطري البلاد.

أما الوسيلة الثالثة فكانت السماح للوجه البحري بشخصية متميزة في إدارته تحت ظل التاجين، فقد اعتبر الملك في هذا العصر حاكماً مطلقاً له صفة إلهية وسلطته كاملة على كل الشؤون الدينية والدنيوية، وكان يعاون الملك مستشاران أحدهما لشؤون الوجه القبلي والآخر للوجه البحري.

وربما كانت أعلى وظيفة إدارية في هذا العصر وظيفة «حامل الختم» التي تدل على الختام والخازن والأمين. وكان أكبر حملة الأختام في أوائل هذا العصر هم حملة أختام الوجه البحرى ومصالحه، وظهرت الشخصية المتميزة للشمال في تكوين الإدارة المالية في هذا العصر، إذ تكونت من بيتين للمال أحدهما للشمال والآخر للجنوب.

(١) Emery, W. B., Archaic Egypt, 1963, P. 33.

(٢) Emery, W. B., Great Tombs of the Earliest Dynasties, vol. II, London, 1901, P. 142.



«اللقب الحوري»

«اللقب النبتي»

«اللقب النسوبيتي»

(شكل ١) الألقاب الملكية العظيمة فى عصر الأسرتين الأولى والثانية

وأوضح نظام الإدارة الإقليمية في هذا العصر اهتمام الملوك بالشمال وعملهم على تدعيم الاقتصاد القومي للبلاد مما كان له أثره على مظاهر الإنتاج الحضاري فقد كان من أهم مهام حكام الأقاليم الإشراف على القنوات والمحافظة عليها وتطويرها والحصول على الأرض التى من شأنها زيادة الثروة العامة كذلك القيام بعمل إحصاء عام وتجهيز الجيوش وقت الحاجة إليها.

أما الوسيلة الرابعة التي اتبعها ملوك عصر الأسرتين الأولى والثانية فكانت الاهتمام بإقامة المعابد لآلهة الشمال وزيارة الأماكن المقدسة الشمالية والاهتمام بالاحتفال بالأعياد الدينية والدنيوية، وذلك كمحاولة منهم لتهدئة الشماليين وكسب رضاهم ومحبتهم، فتوضح نقوش بطاقة أبتوسية عثر عليها في أبيدوس وتحمل إسم حور عحا قيامه بتأسيس معبد للآلهة نيت

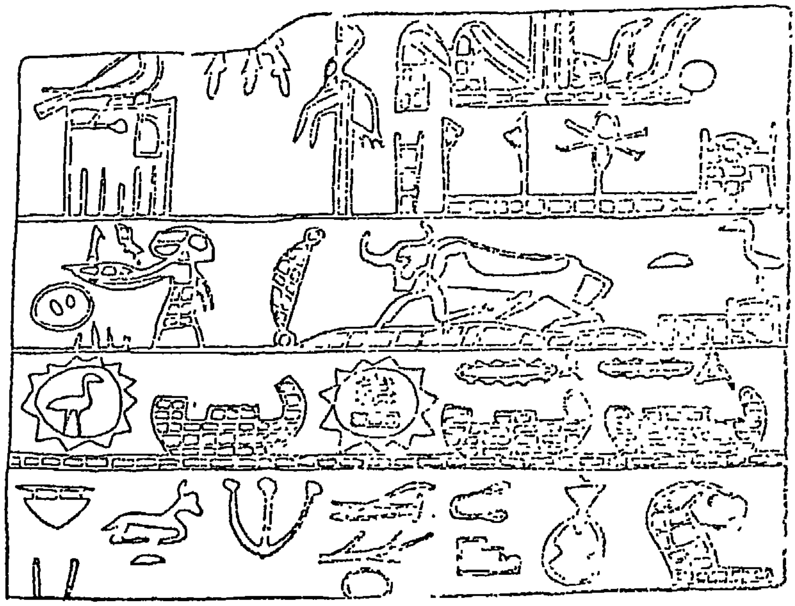
الشمالية[1] (شكل ٨) ، كذلك توضح نقوش بطاقة عاجية أخرى قيام الملك جر بزيارة مدينتي بوتو وسايس المقدستان في الوجه البحري.

ويلاحظ أن الأحداث التي سجلها حجر بالرمو لعصر الأسرتين الأولى والثانية، هي في معظمها احتفالات بأعياد دينية قام بها الملوك تجاه معظم الآلهة المعروفة في ذلك العصر والتي تمثل معظم مناطق البلاد حتى يكسبوا رضاها ويظهروا ورعهم وتقواهم أمام شعبهم فيكسبوا محبتهم وولاءهم.

وبالإضافة إلى تلك الوسائل السابقة فإنه يستدل من الأحداث التي قامت في أواخر الأسرة ميل نحو الشماليين وهو الأمر الذي أكدته الآثار المعاصرة، وكذلك اللاحقة. وتتمثل هذه الأحداث في قيام الملك سمرخت بمحو إسم سلفه الملك عدج ايب عن بعض الآثار، وقيام الملك قع خليفة سمرخت بمحو إسم الأخير عن بعض الآثار الخاصة به. ويضاف إلى ذلك أن قائمة الملوك بسقارة قد بدأت بالملك عدج ايب واغفلت إسم خليفته سمرخت، كما يلاحظ أن مقبرة عدج ايب بسقارة هي أقل المقابر الخاصة بالأسرة الأولى في بنائها ومحتوياتها.

ويلاحظ كذلك أن الملك عدج ايب قد اتخذ لقباً جديداً عبارة عن صقرين فوق محطين يدلان على حور وست ويرى أحد الباحثين أنهما يرمزان لحور الدلتا وحور الصعيد، وربما يشيران إلى سيادة الإله حور على كل من الشمال والجنوب مما يعني الحد من نفوذ ست ولو بطريق غير مباشر. إذ كان الصقر رمزاً لأحد أقاليم الجنوب. وتفسر هذه الأحداث على أساس أنها تدل على ميل الملك عدج ايب للشماليين ميلاً شديداً جعلهم يعتبرونه كأول ملك شرعي في نظرهم، وعلى ذلك فقد بدأوا به قائمتهم ولم ترضى هذ السياسة خليفته سمرخت الذي شن عليها غارة هوجاء، مما أثار حفيظة الشماليين نحوه فلم يذكروه في قائمتهم ولكن خليفته الملك قع أعاد الأمور إلى ما كانت عليه

(١) والترب. امرى: المرجع السابق، ص ٤٠ ـ ٤١.



(شكل ٨) بطاقة ابنوسية للملك حور عحا.

من ود نحو الشماليين وأظهر سخطه بمحو إسم سلفه عن الآثار(١).

يتضح مما سبق أن فراعنة مصر الأوائل لم يتركوا فرصة من الفرص لإرضاء الشماليين إلا وانتهزوها، ويمكن القول أن محاولة إرضاء أهل الشمال يساعد المؤرخ على القول بأن هذه المرحلة الهامة من تكوين الحضارة المصرية القديمة كانت تجمع فعلاً بين حضارتي الشمال والجنوب مما يعطيها وحدة حضارية محلية، إلا أنه يلاحظ من ناحية أخرى أن الفراعنة قد اضطروا في بعض الأحيان إلى القيام بعمليات قمع عسكرية ضد الشماليين وذلك عندما يستدعي الأمر ذلك حتى يستتب الأمن في ربوع البلاد. ومن ذلك قيام الملك خع سخم بحملة حربية في الشمال وذلك استناداً على ما ورد من

(١) أحمد أمين سليم: المرجع السابق، ص ١٤٧ - ١٤٨.

نقوش على بعض أواني الملك والتي فسرت بعام محاربة الشماليين.

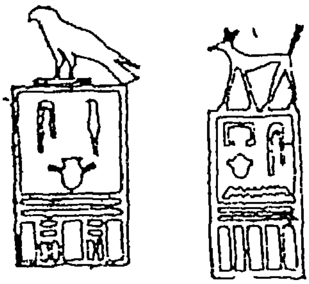
وفي نهاية الحديث عن السياسة الداخلية في عصر الأسرتين الأولى والثانية، تتناول مسألة تصوير الملك برايب سن الحيوان ست فوق سرخه بدلاً من الصقر حور (شكل ٩)، فلقد أثار هذا الأمر جدلاً كبيراً بين علماء المصريات الذين رأى بعضهم أنه يمثل ثورة دينية قام بها برايب سن ضد حور أو أنه يمثل نوعاً من الصراع السياسي والديني بين الشمال والجنوب.

ويمكن القول اعتماداً على الأدلة الأثرية إنه لم يكن هناك في الغالب خصومات سياسية أو دينية، ويقترح الباحث ترتيب الأحداث في هذه الفترة المضطربة على النحو الآتي:

لقد هاجم الليبيون الدلتا في عهد الملك نى نثر واحتلوها، وحاول الملك ني نثر استرداد الدلتا ولكنه لم يتمكن من استردادها ودحر الغزاة. ولما اعتلى برايب سن العرش اتخذ الإسم الحوري «سخم ايب» الذي يعني قوى القلب، وتلقب بلقب «برن ماعت» الذي يعني الذي خرج للعدالة. ويدل هذان الإسمان على أن الملك كان شجاعاً وأن حروبه لم يكن الغرض منها هو مجرد الحرب وسفك الدماء بل كان يبغي تحقيق العدالة المتمثلة في تطهير البلاد من المعتدى الأثيم، وانتسب الملك لإله آخر هو الإله رع الذي ظهر على بعض أختام الملك مع إسمه المنتسب لست.

ويتضح من ذلك أن الملك سخم ايب قد أراد خوض غمار هذه الحروب تحت رعاية بعض آلهة مصر الكبار حتى تمنحه تلك الآلهة النصر المؤزر على أعدائه، ولم تؤد جهوده إلى تطهير البلاد من الغزاة، فكان على خليفته خع سخم مواصلة الجهاد لتحرير البلاد وقد نجح في تحقيق ذلك.

أما عن الأدلة التي يعتمد عليها في عدم حدوث ثورة دينية أو صراع سياسي بين الشمال والجنوب فتمثل في حقيقة العثور على الأختام الخاصة بالملك والتي تحمل إسمه الحوري في المقبرة التي تنسب إليه بأبيدوس جنباً إلى جنب مع الأختام التي تحمل إسمه منتسباً لست، فلو كانت هناك ثورة دينية ضد



(شكل ٩) الإسم الحوري واسم ست للملك بر إيب سن.

حور لما احتفظ الملك بأختامه التي يظهر فيها منتسباً إليه. ويستدل من الألقاب التي ظهرت في هذا العصر أن الملوك كانوا مرتبطين دائماً مع حور وست فكان من بين الألقاب التي اتخذتها الملكات في هذا العصر لقب «التي ترى حور وست» كما ظهر على بعض الآثار لقب آخر يجمع بين حور وست وهو لقب «ساق حور وزراع ست» مما يوضح أنه لم توجد عداوة بين الشمال الجنوب في ذلك العهد، ولم يوجد عداء ديني بين الجانبين، بل استمرت شعائر برايب سن تقام في سقارة أكبر جبانات الوجه البحري حتى عصر الأسرة الرابعة. وصور زوسرا الإله ست في أحد معابده، ذلك الإله الذى افترض أن الملك برايب سن قد انحاز له ضد معبود الشمال حور، واعترف أحد رجال الأسرة الثالثة الكبار بالكهانة له[١].

سياسة مصر الخارجية في عصر الأسرتين الأولى والثانية:

يرى كثير من الباحثين أن وجود علاقات وثيقة منتظمة بين مصر والأقطار المجاورة لها فى الفترة السابقة أو التالية لتوحيد البلاد مباشرة هو أمر بعيد الاحتمال. وتوضح الأدلة الأثرية وجود معاملات تجارية غير ثابتة وحملات مصرية للدفاع عن حدود البلاد ولتأمين الحصول على السلع غير المتوفرة في وادي النيل، ومن ثم فقد كانت علاقة مصر بالشعوب المحيطة بها يسودها

(١) نفس المرجع السابق، ص ١٥٤ - ١٥٨.

السلام طالما لم تحاول تلك الشعوب تهديد أمن وسلامة وادى النيل . وعلى ذلك فقد كانت سياسة ملوك هذا العصر لا تقوم على أساس الغزو الخارجي بل على أساس التبادل الاقتصادى مع جيرانهم وتأمين حدود البلاد من أى معتد قد تسول له نفسه انتهاكها . ولقد أثبتت الأدلة الأثرية وجود علاقات بين مصر والنوبة وفلسطين والساحل السورى وجزر البحر المتوسط، وكذلك جنوب العراق القديم خلال هذا العصر.

أولاً ـ علاقة مصر بالجنوب :

فيما يتعلق بعلاقة مصر بالنوبة خلال هذا العصر فقد كانت في أساسها علاقات سلمية تعتمد على التبادل التجاري بينهما فاستورد المصريون من هناك الأبنوس والعاج وربما حجر الأبسيدان ، وذلك في مقابل بعض المنتجات المصرية مثل الأوانى الفخارية والحجرية ، وبالإضافة إلى ذلك قام ملوك مصر الأوائل ببعض العمليات العسكرية في بلاد النوبة وصلت حتى الجندل الثانى.

ولقد بدأ الملك حور عحا سياسة تأمين حدود مصر الجنوبية فقام بحملة عسكرية على النوبة أحضر فيها العديد من الأسرى ، وتمكن من مد حدود مصر الجنوبية حتى الجندل الأول. وتوضح الأدلة الأثرية مواصلة خليفته الملك جر لسياسته نحو الجنوب فوصل بجيوشه حتى الجندل الثاني حيث سجل عند النهاية الجنوبية لقمة جبل الشيخ قرب وادي حلفاً نصاً صخرياً سجل قيامه بحملة عسكرية في النوبة[1] ، ولا يمكن إبداء رأي حاسم فيما إذا كان هذا النقش يسجل انتصاراً فعلياً للملك جر في النوبة أم أنها كانت مجرد حملة تأديبية كان الهدف منها حماية التبادل التجاري مع بلاد النوبة أو السودان وحماية بعثات التعدين التي تعمل في مناجم الذهب في وادي حلفا. ويلاحظ أن المصريين قد أطلقوا على النوبة إسم «تاستي» وإسم «تابجست» (أرض القوس) وذلك لكون القوس السلاح الرئيسي لسكانها.

(١) Arkell, A. J., "Varia Sudanica", in Journal of Egyptian Archaeology, vol. 36, 1950, PP 27-30.

ثانياً ـ علاقة مصر بالغرب :

توضح الأدلة الأثرية قيام الفراعنة بالعديد من الحملات التأديبية ضد سكان المنطقة التي تسمى «التحنو» ، ويلاحظ أن هذا هو الشعب الليبي الوحيد الذي ذكر على الآثار المصرية حتى نهاية «الأسرة الثانية» . ويبدو من مناظرهم المصورة على الآثار المصرية أنهم كانوا ذوي قرابة شديدة للمصريين ، وتوضح العديد من الأدلة الأثرية التى عثر عليها الملك نعرمر قيامه بحملات تأديبية في هذه البلاد وقد عاد منها بالعديد من الغنائم . كما توضح الأدلة الأثرية كذلك قيام كل من الملك جر والملك قع بحملات التأديب ضد الليبيين . ورغم تلك الحملات التأديبية فقد تمكن الليبيو ن من احتلال الدلتا في عهد الملك برايب سن لفترة من الوقت إلى أن تمكن الملك خع سخم من طردهم منها(١) .

وتجدر الإشارة إلى أن العلاقات بين مصر وليبيا خلال هذا العصر لم تكن كلها علاقات عسكرية ، إذ يبدو مرجحاً من الأدلة الأثرية أن الملك دن قد أحضر زيت الزيتون من أرض التحنو بالطرق الودية ـ إذ لا تشير الآثار التي عثر عليها لهذا الملك قيامه بالحرب في أرض التحنو.

ثالثاً ـ علاقة مصر بالشمال الشرقي :

أما عن طبيعة العلاقات بين مصر وسوريا وفلسطين خلال هذا العصر ، فقد كانت علاقة سلمية أساسها التبادل التجاري بين الطرفين ، فلقد كان الدافع الاقتصادي هو الدافع الرئيسي المباشر في تلك الصلات أثناء هذا العصر.

وتؤيد الأدلة الأثرية المختلفة وجود صلات بين مصر وسوريا منذ عصور ما قبل الأسرات وتتمثل تلك الأدلة في العثور في أرضية معبد في جبيل

(١) عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ، ص ٨٠ ـ ٨١. وكذلك:
Gardiner. A. H., Op. cit . P 417.

يؤرخ بعصر الدولة الوسطى على العديد من الأشياء المصرية الطابع مثل السكاكين المصنوعة من الظران وبعض اللوحات والتمائم الحيوانية الصغيرة، وكذلك بعض الأوانى الحجرية التي من أهمها قطعة من آنية حجرية مصقولة عليها إسم الملك خع سخموي آخر ملوك الأسرة الثانية، وقد أحضرت هذه الآثار مع عمليات النشاط الاقتصادى وعثر عليها أما فى ودائع الأساس أو فى الطبقات المعاصرة.

وكان الهدف الرئيسي من هذه الصلات هو الحصول على أخشاب الأرز من هذه المنطقة، وقد عثر على بعض قطع منه في مقابر البدارى، كما استخدم هذا الخشب كذلك في تشييد المصاطب فى أبيدوس وسقارة وغيرها وأحضر المصريون من هذه البلاد كذلك الزيت والراتينج الذى جلب فى أوان فخارية عثر عليها فى مصر، وهى توضح الملامح السورية في زينتها وشكلها[١].

وفيما يتعلق بالعلاقات بين مصر وفلسطين فتوضح بعض الأدلة الأثرية وجود علاقات اقتصادية بينهما منذ عصر ما قبل الأسرات الأخير، ويتمثل ذلك في العثور على عدد من الأواني الفخارية ذات الأيدي المموجة في المعادي وجرزة ونقادة والذي يرجع في أصوله إلى فلسطين. كما عثر كذلك في تل الشيخ جنوب فلسطين على شقفة من الفخار تحمل إسم الملك نعرمر مما قد يدل على وجود صلات اقتصادية وحضارية بين البلدين[٢].

ويتضح من ذلك أن علاقة مصر مع سوريا وفلسطين في عصر الأسرتين الأولى والثانية كانت علاقات سلمية أساسها التبادل التجاري، وإن نشاط الفراعنة العسكري في شرقي البلاد كان قاصراً على تأمين طرق القوافل التجارية والبعثات الاقتصادية التي تعمل في المحاجر والمناجم في الصحراء الشرقية وسيناء.

---

(١) رشيد الناضوري: أقدم صلات حضارية بين مصر ولبنان، الإسكندرية، ١٩٦٨.

(٢) Petrie, W. M. F., The Royal Tombs of the First Dynasty, I. London, 1900, PP 161 - 18.

رابعاً ـ العلاقة بين مصر وجزر البحر المتوسط:

توضح الأدلة الأثرية احتمالية وجود علاقات تجارية معينة بين مصر وجزر البحر المتوسط خاصة جزيرة كريت منذ عصر ما قبل الأسرات، إذ عثر في البداري على بعض الأواني ذات النمط الإيجي وهي تتميز برقبتها الضيقة وبأن لها أربع أياد عمودية حول الوسط، ولقد عثر في أبيدوس على عدد من هذه الأواني التي نسبت إلى أصل إيجي في المقابر التي تنسب لكل من الملكين جروسمرخت، كما عثر في المقبرة التي تنسب للملك جت في سقارة على آنيتين من هذه الأواني ويتجه البعض إلى الاعتقاد بأن مصر كانت تصدر لكريت معدن النحاس في مقابل النبيذ والزيت الذي ربما يكون قد جلب في هذه الأواني التي عثر على نماذج منها في مصر[1].

ومن ناحية أخرى فقد عثر في أنقاض المنازل التي ترجع إلى العصر الحجري الحديث الأخير أسفل البهو الرئيسي لقصر مينوس في كريت على قطع لأوان حجرية تشبه في صناعتها الأواني المصرية التي ترجع إلى هذا العصر ويحتمل أن المصريين هم الذين قاموا بهذه الرحلات خاصة وأنهم قد وصلوا إلى سواحل فينيقية من قبل. أو أن يكون أهل كريت هم الذين قاموا بها خاصة وأنهم قد اعتادوا الملاحة بين جزر بحر إيجه أو أن يكون كلاً من الطرفين قدتقابلا على الساحل في ميناء جبيل[2].

خامساً ـ العلاقة بين مصر والعراق:

يتجه بعض المؤرخين إلى الاعتقاد بأنه قد وجدت صلات تجارية وحضارية بين مصر وجنوب العراق القديم في الفترة المبكرة لهذا العصر، والفترة السابقة له. وتوضح تلك الصلات حقيقة العثور على بعض نماذج الصناعة العراقية في بعض المواقع المصرية ويتمثل ذلك في مجموعة من الأواني الفخارية ذات الصنابير المائلة والأواني ذات الآذان المثلثة عثر عليها

---

(١) Emery, W. B., Archaic Egypt, P. 18.

(٢) جان فركوتيه: قدماء المصريين والإغريق، ص ٢٠ ـ ٢١ وكذلك سيد الناصري: الإغريق، تاريخهم وحضارتهم، القاهرة، ١٩٨١، ص ٣٣.

في موقعي مستجدة والبداري فى مصر وتنتمي تلك الأواني إلى عصر حضارة جمدة نصر فى العراق القديم .

وتتمثل نماذج الصناعة العراقية كذلك في حقيقة العثور على أربعة أختام إسطوانية فى كل من جرزة ونجع الدير وهى تنتمى إلى عصر حضارة الوركاء وعصر حضارة جمدة نصر فى العراق القديم[١] . إلا أنه يلاحظ أن المصريين قد استخدموا الاسطوانات لأغراض لا شبيه لها فى بلاد ما بين النهرين فقد استخدمها المصريون كأختام تكتب عليها أسماء الموظفين وألقابهم ، وكذلك بعض أسماء الملوك ، بينما كانت الأختام العراقية تحمل رسوماً لا نقوشاً ، كما أن الأختام المصرية كانت تصنع عاده من الأخشاب وهو المادة التي لم تستعمل في بلاد النهرين[٢] .

ويوضح تلك الصلات كذلك بعض نماذج التشابه الفنى بين مصر والعراق فى هذه الفترة المبكرة ويتضح من وجود بعض الأشكال الزخرفية والأساليب الفنية العراقية على بعض الآثار المصرية ، ويظهر ذلك واضحاً على سبيل المثال فى نقوش يد سكين عثر عليها فى جبل العركى بالقرب من نجع حمادى ، ويظهر في هذه النقوش رجل يفصل بين أسدين ، ومثل هذا المنظر مألوف في العراق ولكنه نادر في الآثار المصرية . كما يظهر ذلك أيضاً في نقوش لوحة الملك نعرمر الاردوازية التى نقش فيها حيوانان خرافيان مركبان ، فقد يكون الجسد جسد أسد ولبؤة والرقبة رقبة ثعبان والرأس رأس فهد[٣] . ومما هو جدير بالذكر أن تأثر مصر بهذا الأسلوب الفنى كان تأثراً مؤقتاً ومحدوداً إذ اختفى من مصر لحد كبير بعد بداية الأسرة الأولى بينما استمرت هذه المظاهر فى العراق القديم حتى آخر أيامه .

ويرى بعض العلماء كذلك أن مصر قد اقتبست من العراق القديم ظاهرة

---

(١) Edwards. I. E. S.. In Cambridge Ancient History. Vol.I. Part II. 1971. PP. 42 - 43.

(٢) Frankfort. H.. The Brith of Civilization in the Near East. London. 1951. P. 101.

(٣) Edwards. I. E. S.. Op. Cit.. P. 41.

الفجوات المنتظمة في العمارة وهي الظاهرة التي ظهرت أول أمرها في مصطبة نيت حتب بنقادة. ويبنون رأيهم على أساس أنه يمكن تتبع أصل هذه الظاهرة المعمارية في العراق بينما لا يمكن تتبعها في مصر[١].

ويتجه بعض العلماء كذلك إلى القول بأن فضل اختراع الكتابة الهيروغليفية المصرية يرجع إلى تأثير سومري وذلك على اعتبار أن مصر قد أخذت عن العراق القديم فكرة الكتابة، إلا أنه يمكن تتبع الكتابة الهيروغليفية المبكرة منذ عصر ما قبل الأسرات الأول في نقادة وذلك قبل ظهور التأثيرات السومرية. كما يتفق العلماء على أن الكتابة اليهروغليفية المصرية في مرحلتها التصويرية قد عبرت عن مظاهر البيئة المصرية الصميمة ولم يظهر فيها أي أثر أو دليل يوضح أن فكرتها ترجع إلى أصل سومري.

ويرجح أن تكون تلك المؤثرات قد وصلت إلى مصر إما بواسطة الطريق البحري عن طريق البحر الأحمر ثم أحد الأودية التي تربط بين البحر الأحمر ووادي النيل مثل وادى الحمامات الموصل بين القصير وقفط أو وادى الطميلات الموصل بين جنوب شرقي الدلتا والبحر الأحمر أو أن الإتصال كان يتم في أحد موانيء البحر الأحمر مثل السويس أو القصير وأن تكون تلك المؤثرات قد وصلت عن طريق سوريا خلال الهلال الخصيب[٢] أو أن يكون الاتصال بين الطرفين قد تم فى المناطق التي يجلب منها البخور فى جنوب الجزيرة العربية أو الشاطىء قد تم في المناطق التي يجلب فيها البخور في جنوب الجزيرة العربية أو الشاطىء الصومالي[٣]. ولا يمكن إبداء رأى حاسم في هذا الموضوع قبل عمل مسح أثرى لمنطقة سواحل الجزيرة العربية حتى يمكن معرفة المحطات التى اتبعت فى وصول هذه المؤثرات.

(١) Wilson, J. A., The Cultures of Ancient Egypt, P. 37.

(٢) Engelbach, R., " The Advent of the Dynastic Race", in ASAE, vol. XLII, 1943 P. 208

(٣) Frankfort, H., op. cit., PP. 110 - 111

الفَصْلُ الثَّالِث

الدَولة القديمة

الدولة القديمة

(عصر بناة الأهرام)

٢٧٨٠ ق. م - ٢٢٣٠ ق. م

تعرف عصور الدولة القديمة عادة بتعريفين إصطلاحيين وهما: «العصور المنفية» للدلالة على استقرار فراعنتها وحكوماتهم المركزية في مدينة منف، وبلغت وحدة البلاد أتمها خلال هذا العصر، ولم يعد هناك نزاع بين الصعيد والدلتا، مما أدى إلى تركيز السلطة فى أيدى الملوك، الأمر الذي ساعدهم على النهوض بالبلاد من النواحي الداخلية والخارجية، وبلغت الحضارة المصرية مراحل متقدمة من النضج والتحضر.

ويطلق على هذا العصر كذلك، «عصر بناة الأهرام» نظراً لما تميز به هذا العصر من تشييد أهرامات فخمة، فقد اعتاد الملوك أن يشيدوا لأنفسهم أهراماً يدفنون فيها على حافة الصحراء الغربية في الجيزة وسقارة وميدوم ودهشور وأبي صير ودهشور. وتعتبر هذه الأهرامات مفخرة لعصر الدولة القديمة ودليلاً على ما وصلوا إليه من تقدم وكفاية.

وتتكون الدولة القديمة من الأسرات الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة. ونبدأ بالأسرة الثالثة.

الأسرة الثالثة

تبدأ عصور الدولة القديمة بعصر الأسرة الثالثة. وتجابه المؤرخ في دراسة عصر هذه الأسرة عدة أمور رئيسية تتصل بنشأتها وترتيب ملوكها وسياستهم الداخلية والخارجية **وسنحاول دراسة هذه الموضوعات فيما يلي :**

أولاً - نشأة الأسرة الثالثة :

يرتبط تأسيس الأسرة الثالثة بثلاثة ملوك: هم: سانخت ونب كا ونثررخت، وهناك العديد من الأدلة الأثرية التي تحمل أسماء هؤلاء الملوك الثلاثة. وقد اختلفت آراء المؤرخين حول ترتيب هؤلاء الملوك وبيان تتابعهم على العرش ومن منهم ينسب إليه فصل تأسيس الأسرة الثالثة. ويمكن تحديد تلك الآراء في اتجاهين: يرى أصحاب الاتجاه الأول أن الملك نثررخت هو أول ملوك هذه الأسرة بينما يرى أصحاب الاتجاه الثاني أن الملك سانخت هو الذي قام بتأسيس الأسرة الثالثة ويوحد أصحاب الرأي الملك سانخت مع الملك نب كا[1].

يعتمد أصحاب الاتجاه الأول في تأييد رأيهم على بعض الأدلة الأثرية ومنها طبعات الأختام التي عثر عليها في كل من أبيدوس وبيت خلاف والتي توضح الصلة المباشرة بين الملك نثررخت والملك خع سخموي آخر ملوك الأسرة الثانية عن طريق الملكة ني ماعت حب. فقد عثر على انطباع ختم طيني في مقبرة الملك خع سخموي بأبيدوس كتب عليه إسم الملكة مرتبطاً بعبارة «أم

(١) انظر عن هذه الاراء أحمد أمين سليم. دراسة تاريخية لنشأه الأسرة الثالثة وتطورها السياسى والحضارى، ر سالة دكتوراه، الإسكندرية، ١٩٨١.

أبناء الملك»[١] وعثر كذلك على انطباع ختم طيني في المقبرة التي تنسب إلى الملك نثررخت في بيت خلاف - والتى عثر فيها على طبعات أختام خاصة به كتب عليها إسم الملكة ثلاث مرات وفي كل مرة كان يذكر بعد إسمها لقب من ألقابها. وأولى هذه الألقاب التي ذكرت «أم ملك مصر العيا والسفلى» وهو الأمر الذي يرجح كون الملكة ني ماعت حب زوج خع سخموى وأم نثررخت.

ومن بين الأدلة التي يسوقها أصحاب هذا الرأى كذلك ما ذكره كورت زيته من وجود وجه شبه قوي بين طبعات أختام الملك خع سخموى التى عثر عليها في أبيدوس و بين طبعات أختام الملك نثررخت التى عثر عليها فى بيت خلاف، مما يرجح وجهة نظره في كون عهود هذين الملكين متقاربة وان أحدهما قد خلف الآخر. ويرى أصحاب الرأي أيضاً أن تسجيل بردية تورين لإسم جسر بالمداد الأحمر دليل على أهميته كمؤسس لعصر جديد[٢].

أما أصحاب الاتجاه الآخر الذي يذهب بأن الملك سانخت هو مؤسس الأسرة الثالثة فيرون أن الملك سانخت هو الأخ الأكبر للملك نثررخت، وأنه لم يقدر له الجلوس على عرش البلاد لفترة طويلة وعند وفاته لم يكن قد أنجب سوى بنت كانت عند وفاة والدها في سن صغيرة فخلفه على العرش أخوه نثررخت.

وبناء على الأدلة الأثرية والنصية فإنني أرجح الرأي الأخير، وهو كون الملك سانخت أول ملوك الأسرة الثالثة وذلك على اعتبار أن الملك خع سخموي قد تزوج من ثلاث سيدات أنجب من زوجته الرئيسية التي لم تعرف إسمها ابنته الأميرة حتب حرنبتي ومن زوجه الثانية التي لم يعرف إسمها أيضاً ابنه سانخت ومن زوجه الثالثة ني ماعت حب ابنه نثررخت. واكتسب «سانخت» الإبن الأكبر للملك خع سخموي الشرعية في حكم البلاد نتيجة

(١) Petrie. W. M. F. The Royal Tombs of the Earliest Dynasties. vol. II, P. 210.

(٢) Garstang. J., Sethe. K., Mahsna and Bet Kallaf. London, 1903, PP. 7, 22 - 23.

زواجه من الأميرة حتب حرنبتي الوارثة الشرعية للعرش وأثمر زواجهما عن إنجاب الأميرة إنت كا ا س وعندما وافى الأجل الملك سانخت خلفه على العرش أخوه نثررخت الذي اعترف في بداية عهده بمكانة هاتين السيدتين زوج أخيه وابنتها ـ وعلو قدرهما ـ فنقش إسميهما مع إسمه على العديد من القطع الأثرية التي عثر عليها في بقايا معبده في مدينة أونو. ومن الأدلة الأثرية النصية التي ترجح هذا الرأي حقيقة العثور على طبعة الختم الخاص بالملكة ني ماعت حب في المقبرة التي تنسب إلى الملك نثررخت في بيت خلاف مع طبعات الأختام الخاصة بالملك نثررخت مما يشير إلى العلاقة الوثيقة بينهما. بينما لا توجد أدلة أثرية أو نصية تشير إلى وجود أية صلة بين الملك سانخت وبين ني ماعت حب مما يدل على أنه كان ابناً للملك خع سخموى من زوجة أخرى.

ويضاف إلى تلك الأدلة السابقة دليل أثري آخر يتصل بالتطور المعماري للمقابر التي تنسب إلى الأسرة الثالثة في بيت خلاف. فالجزء المتبقي من البناء العلوي للمقبرة التى تنسب إلى سانخت يوضح أنه قد بني أصلاً في هيئة درجات تشبه شكل الهرم المدرج ويمكن أن يستدل على طراز مقبرة سانخت لهذا الشكل من البناء الذين أخذ نثررخت فكرته وعدلها في بناء هرمه، مما يشير إلى أسبقية سانخت لأخيه الملك نثررخت في حكم البلاد. ويلاحظ من ناحية أخرى أن تطور مستوى بناء المقابر الملكية في عصر الأسرة الثالثة على هيئة أهرام مدرجة قد أدى إلى وجود خط متواصل يمكن إثباته للترتيب الزمني لتشييداتهم بدءاً من الملك نثررخت. ونظراً لعدم العثور حتى الآن على بناء هرمي يمكن نسبته إلى الملك سانخت غير المقبرة التي تنسب إليه في بيت خلاف فإن وضعه على رأس الأسرة قبل نثررخت يصبح أمراً مرجحاً.

ويتجه العديد من المؤرخين إلى توحيد الملك سانخت بالملك نب كا، ولقد كان كورت زيتة هو أول من اقترح امكانية توحيد الملك سانخت بالملك نب كا وذلك من واقع فحصه لطبعات الأختام التي عثر عليها في المقبرة التي تنسب إلى سانخت في بيت خلاف. ويعتمد أصحاب هذا الرأي كذلك على ما ذكرته قائمة ملوك أبيدوس وبردية تورين من أن الملك نب كا قد سبق

الملك نثرخت في الجلوس على العرش، ونظراً لأن الملك سانخت قد سبق الملك نثرخت في الجلوس على عرش البلاد ـ وهو الرأي الذي نرجحه ونأخذ به ـ فعلى ذلك يصبح توحيد الملك الذي ذكرته آثار عصره بالإسم الحوري سانخت بالملك الذي ذكرته القوائم بإسم «نب كا» أمراً مرجحاً.

ترتيب ملوك الأسرة الثالثة:

يمكن محاولة ترتيب ملوك هذه الأسرة بالاعتماد إلى حد كبير على الأسس الأثرية التي من أهمها تتبع خط التطور المعماري الذي تم خلال عصر هذه الأسرة، وتمثل في تشييد المقابر الملكية على هيئة إهرامات مدرجة ويمكن ترتيبهم على أساس ذلك على النحو الآتي:

١ ـ سانخت (نب كا).
٢ ـ نثررخت.
٣ ـ سخم خت.
٤ ـ خع با.
٥ ـ نب كارع.
٦ ـ حو (حوني).

وأوضحنا من قبل الأدلة التي تؤيد أسبقية سانخت كمؤسس للأسرة جاء بعده الملك نثرخت. وفيما يتصل بالملك الثالث وهو سخم خت فإن اسمه يفيد معنى «قوي الجسد» وقد بدأ تشييد هرم مدرج له إلى الجنوب الغربي من هرم نثررخت إلا أنه لم يتمكن من إتمام بنائه[١]، كما ترك نقشاً في وادي مغارة بسيناء. ويعتمد ترتيب الملك سخم خت بعد نثررخت على أساس أن هرمه قد شيد على هيئة بناء مربع له صفة الإهرامات المدرجة، وقد اتخذ هذه الهيئة منذ أول مرة بعكس هرم الملك نثررخت الذي تعدل تصميمه أكثر من مرة أثناء بنائه.

---

(١) Mohamad Zakaria Ghoneim ,The Buried Phyramid , London, 1956.

ومن هذه الأدلة كذلك العثور على قطعة من إحدى لوحات الحدود الخاصة بالملك نثرخت والتي تحمل اسمه الحوري في جدار هرم سخم خت، وقد أعيد استخدامها كمادة بناء مما يؤكد أسبقية عهد الملك نثرخت لعهد الملك سخم خت.

وفيما يتصل بالملك خع با فقد عثر على اسمه منقوشاً على ثمانية أوان مصنوعة من المرمر في إحدى المصاطب المشيدة من اللبن بجوار الهرم الذي ينسب إليه في زاوية العريان[1]، ويتشابه هرم هذا الملك مع هرم سخم خت بشكل كبير مما دعا إلى القول بأنه شيد بعد هرم سخم خت مباشرة. ونظراً لعدم الكشف حتى الآن عن أي آثار ملكية أخرى يمكن نسبتها إلى الأسرة الثالثة وتوضع بين هذين الملكين، فإن خع با يكون هو خليفة الملك سخم خت مباشرة. ومن ناحية أخرى فإنه يلاحظ وجود شبه بين هؤلاء الملوك الأربعة (سانخت - نثرخت - سخم خت - خع با) يتمثل في التشابه في نقوش أختام الأواني التي تحمل الأسماء الحورية لهؤلاء الملوك مما قد يشير بطريقة غير مباشرة إلى تتابع هؤلاء الملوك على العرش وعدم وجود فترات زمنية متباعدة تفصل بينهم.

أما خامس ملوك الأسرة وهو نب كارع فينسب إليه هرم إلى الشمال من هرم خع با في زاوية العريان[2] ويستدل من تخطيطه وأبعاده وقطاعاته أنه أكثر تطوراً من أهرام أسلافه.

أما آخر الأسرة وهو الملك حوني فقد ورد اسمه في كل من قائمتي تورين وسقارة كآخر ملوك الأسرة الثالثة، وقد شيد لنفسه هرماً في ميدوم[3]

---

(١) Barsanti, A., "Ouverture de la Pyramide de Zaouiet - el - Aryan", in ASAE, vol II, 1901, PP. 92 - 94.

(٢) Barsanti, A., "Foilles de Zaouiet - el - Aryan" in ASAE, tom - 7 (1906), PP. 260 - 286., Tom. 8 (1907) PP. 201 - 210, Tom. 12 (1912), PP. 57 - 63.

(٣) محمد أنور شكري. العمارة فى مصر القديمة، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٢٩٦ - ٢٩٧

ويعتبر تصميمه المعماري مرحلة انتقال بين الهرم المدرج والهرم الحقيقي والذي ظهر في عصر الأسرة الرابعة، ويكون الجزء الواقع فوق سطح الأرض نواة البناء أضيفت إليها ثماني طبقات من المباني في كل من الجهات الأربع جعلت منه هرماً مدرجاً ذا ثماني درجات من طراز الهرم ذي الطبقات وكسيت كل درجة بكساء من الحجر المنحوت ثم مليء ما بين المدرجات ثم كسيت بالحجر الجيري الناعم ليصبح شكله كهرم حقيقي ويحيط به أقدم مجموعة هرمية كاملة تم الكشف عنها حتى الآن، ومن ثم فإن هذا الهرم يمثل المرحلة النهائية في تطور الهرم المدرج وأنه يكاد يكون من المؤكد أنه يسبق أهرام سنفرو أول ملوك الأسرة الرابعة مباشرة، وتقدر مدة حكم الملك حوني بحوالي أربعة وعشرين عاماً.

السياسة الداخلية في عصر الأسرة الثالثة:

توضح المادة الأثرية المتبقية من هذا العصر والمتمثلة في مقابر الملوك المشيدة على هيئة إهرامات مدرجة مبنية بكتل الحجر الجيري المحلي والمكسوة بالأحجار الجيرية وجود تنظيم إداري قوي ومنظم تمكن من تشييد هذه العمائر الضخمة لأول مرة في تاريخ البشرية.

وكان الملك على رأس الجهاز الإداري الذي اتخذ من العاصمة منف مقراً له، واتخذت الملكية في هذا العصر ألقاباً جديدة تتمشى مع تطور النظام الملكي، وترتبط بالعقائد الفكرية المصرية ارتباطاً وثيقاً. ويتمثل ذلك في اتخاذ اللقب «رع نب» الذي يفيد معنى «الشمس الذهبية» ويشير من ناحية أخرى إلى انتساب الملك إلى رب الشمس وهو الإله رع، وأول من اتخذ هذا اللقب الملك نثرخت.

وبالإضافة لهذا اللقب فإنه يستدل من بعض الأدلة الأثرية على احتمال اتخاذ الملك نثرخت للقب «حور نب» الذي يفيد معنى «حور الذهبي» ويشير إلى ارتباط الفرعون بهذا الإله. ويذكر هنري فرانكفورت أن استخدام علامة الذهب في الألقاب الملكية في عصر الأسرات الثلاث يشير إلى أن

هذا اللقب يعبر عن ألوهية الملك بتجسيده لحوز الذي لا يفقد لمعانه وتلك خاصية من خصائص الذهب وكذلك الشمس.

وتوضح الشواهد الأثرية والنصية التي ترجع إلى هذا العصر أن طريقة تركيز السلطة في يد الملك وأسرته ممن يرتبطون به برابطة الدم كما ظهرت فيما بعد في بلاط الملك خوفو لم تكن قد اكتملت بعد في عصر الأسرة الثالثة.

وأظهرت الأدلة الأثرية وجود عدد كبير من رجال الدولة الأكفاء المرتبطين بالحرف والأعمال العامة، وكان الطريق ممهداً أمامهم لتولي الوظائف الكبرى في الدولة[1]، فقد كانت الحاجة ماسة إلى هذه النوعية من الرجال الذين يتولون المناصب حسب كفاءتهم ومهارتهم وإمكانياتهم، وكان لهذه السياسة أثرها الكبير في تحقيق هذه الطفرة الكبيرة من التطور التي شهدها هذا العصر.

وفيما يتصل بمنصب الوزير فإنه يلاحظ من الأدلة الأثرية التي عثر عليها حتى الآن أنه لم يتلقب أحد من كبار رجال الدولة في هذا العصر بلقب «ثاتي» أي «وزير» وإن كان قد تقلد بعضهم من الوظائف والمهام ما يصل به إلى هذه الدرجة. ولا يعني ذلك أن هذه الوظيفة لم تكن قد عرفت بعد، إذ يبدو أنها قد وجدت على الأقل منذ عصر الأسرة الثانية.

وحفظت الأدلة الأثرية أسماء العديد من كبار رجال الدولة والوظائف التي كانوا يتقلدونها ومن أشهرهم ايمحوتب مهندس الملك نثرخت المعماري الذي وصل إلى درجة رفيعة في البلاط الملكي، فسجل اسمه وألقابه على قاعدة تمثال للملك نثرخت وحمل ايمحوتب العديد من الألقاب ومنها: حامل ختم ملك مصر السفلى، الأول بعد الملك في مصر العليا، مدير البيت الكبير، الأمير الوراثي. وسجلت المصادر المتأخرة بعض الألقاب الأخرى الخاصة به ومنها: المشرف على أعمال المباني في مصر

---

(١) Smith, W. S., in CAH., vol. I, part II, Cambridge, 1971, P. 160.

العليا والسفلى، المشرف على مدينة الهرم، الوزير، المشرف على الكهنة المرتلين لملك مصر العليا والسفلى.

ونعم ايمحوتب بسمعة طيبة كواحد من كبار الحكماء المصريين، وأعطت شهرته كحكيم انطباعاً عميقاً حتى أنها أصبحت تقليداً وطنياً لقرون عديدة، وتناولت الأجيال حكمته المتضمنة فلسفة الحياة التي علمته إياها التجارب التي عاشها وجعله المتعلمون في عصر الدولة الحديثة على رأس الحكمة والتعاليم واعتبروه من رعاة المثقفين، واعتبر في العصور المتأخرة كابن للإله بتاح.

ومنذ عصر الأسرة الرابعة اعتبر كطبيب نصف مؤله ثم عبد في العصر الفارسي كإله للطب. ويذكر مانيتون أن اليونان قد اعتبروه كاسكلبيوس نظراً لمهارته في الطب وبالإضافة إلى ذلك كله فقد ارتبط إسم ايمحوتب بعدد من المعابد التي شيدها البطالمة في مصر مثل معبد فيله ودير المدينة[1].

سياسة الأسرة الثالثة الخارجية :

لا تعطي المادة الأثرية التي كشف عنها لملوك هذا العصر حتى الآن صورة واضحة عن طبيعة علاقات مصر الخارجية، وربما يوحي عدم العثور على أدلة مباشرة تشير إلى قيام فراعنة هذه الأسرة بحملات عسكرية للدفاع عن حدود البلاد إلى أن مصر قد نعمت في هذا العصر بأمن خارجي ناجم عن استقرار حكومتها وقوتها في الداخل فلم يتجرأ أحد على انتهاك حرمتها وتدنيس ثراها المقدس. .

وقد يستدل من نص متأخر يرجع إلى العصر البطلمي على أن حدود مصر الجغرافية في عهد الملك نثرخت قد امتدت في الجنوب إلى ما بعد الجندل الأول وحتى جزيرة ضرار أو جزيرة قرنة التي تقع أمام بلدة المحرقة جنوب الدكة.

---

(١) انظر:

Hurry, J. B., Imhothep, the Vizier and physician of king zoser, Oxford, 1928.

ويمكننا أن نرى في هذا النص إشارة إلى ضم بلاد النوبة بالفعل إلى مصر، وقد سجل هذا النص في العهد البطلمي حوالي نهاية القرن الثاني ق. م على صخرة عالية بجزيرة سهيل جنوبي أسوان. ويشير هذا النص إلى حدوث مجاعة في مصر في عهد نثررخت نتيجة انخفاض مياة النيل لمدة سبع سنوات.

واختلفت آراء المؤرخين حول هذا النص، فرأي بعضهم أنه كتب في عهد بطليموس الخامس حوالي عام ١٨٧ ق. م وأنه يعكس الأحوال السيئة التي مرت بها البلاد في هذه الفترة، وعن عودة الأقاليم إلى سيادته بعد أن استقلت مؤقتاً في عهد سلفه وبداية عهده.

ويتجه بعض المؤرخين إلى القول بأن للقصة أصلاً قديماً وأن الأسلوب الذي كتب به لا يخلو من تعبيرات ترجع إلى عصر الدولة القديمة، وأنه يحتمل أنه كان للقصة أصل قديم تعرض للتلف فلما زار أحد الملوك البطالمة المنطقة أمر بنقشه من جديد(١).

وبالإضافة إلى تلك الإشارة المتأخرة والمتصلة بحدود مصر الجنوبية، فإنه لا توجد لدينا من هذا العصر أية أدلة أثرية معاصرة سوى قطعة من الجرانيت الأحمر نقش عليها خرطوشان للملك حوني عثر عليها في الفنتين، وقد سجل عليها تأسيس بناء يرجح أن يكون إشارة إلى الاستحكام الذي شيده الملك حوني في هذه المنطقة لتأمين حدود مصر الجنوبية.

وتوضح نقوش وادي مغارة بسيناء قيام فراعنة الأسرة الثالثة الأوائل بحملات تأديبية في هذه المنطقة لتأمين طرق القوافل التي تتجه إلى هذه المناطق لاستخراج الأحجار الكريمة الموجودة محاجرها بها. وتشير هذه النقوش إلى اهتمام فراعنة الأسرة الثالثة بهذه المنطقة واستغلالها لحماية مرور القوافل بها.

---

(١) انظر:

Barguet, P., la Stele de la Famıne a Sahel, Cairo, 1953., Wilson, J., "The Tradition of Seven Lean Year ın Egypt", in ANET, 1966, PP. 31 - 32.

فترك أول فراعنة الأسرة سانخت في وادي مغارة بسيناء نقشين يوجد أحدهما في المتحف المصري بالقاهرة والآخر في المتحف البريطاني، وهما يمثلان الملك وهو يقوم بتأديب البدو.

وحذا الملك نثررخت حذو سلفه في تأمين هذه المنطقة من غارات البدو، وتوضح نقوشه التي تركها بجوار نقوش سلفه قيامه بتأديب أحد سكان هذه المنطقة، ونهج الملك سخم خت نفس المنهج فقام بحملات التأديب في سيناء التي سجلها في نقوشه التي تركها بجوار نقوش سلفيه. وقد مثل الملك مرتين وهو يرتدي تاج الجنوب، ومرة وهو يرتدي تاج الشمال. وظهر في نقشين منهما وهو يحمل في إحدى يديه مقمعة والأخرى عصا. وظهر في النقش الثالث وهو يقبض بناصية أسير راكع أمامه ويهم بضربه بالمقمعة.

الأسرة الرابعة
(من حوالي ٢٦١٣ إلى ٢٤٩٤ ق . م)

يلاحظ أنه ابتداء من الأسرة الرابعة يصبح الإسم الحوري أقل أهمية من الإسم الشخصي للملك الذي أصبح يكتب حينئذ بانتظام داخل خرطوش. وابتداء من عصر هذه الأسرة أيضاً يتطور تصميم المقبرة الملكية إلى الشكل الهرمي الكامل، كما تلحق بها (بانتظام) مجموعة جنزية تتمثل في المعبد الجنزي الذي يقع عند الجانب الشرقي من الهرم ومعبد الوادي وهو على امتداد المعبد الجنزي في اتجاه الشرق وعند حافة الوادي، والطريق الضيق الذي يصل بين المعبدين والذي يطلق عليه إسم الممر الصاعد. وأول ملوك هذه الأسرة هو الملك سنفرو.

سنفرو:

ارتقى سنفرو العرش بعد موت حوني وتنسب إليه بردية نورين مدة حكم قدرها ٢٤عاماً وبدأ مانيتون الأسرة الرابعة بملك أطلق عليه «سوريس» وهو سنفرو (نب ماعت)[١] ولقد أسس«سنفرو» أسرة ملكية، وأصبح مركزه شرعياً لاعتلاء عرش البلاد بزواجه من الأميرة «حتب حرس» التي كانت تحمل لقب «إبنة الإله» وكان لها حق وراثة العرش، على أساس أنها الوريثة المباشرة لخط الدم الملكي.

وقد اتخذ سنفرو من العدالة شعاراً له، فاتخذ لقباً معناه (سيد أورب العدالة) «نب ماعت». وظلت ذكراه طيبة لعدة قرون بعد وفاته، فكان يشار إليه بعدة صفات توضح هذه الذكرى الطيبة، ومنها «الملك المحسن» و «الملك الرحيم» و «الملك المحبوب» و «الملك الفاضل»، كما صورته

---

(١) Gardiner, A. H., Egypt of thePharaohs, P. 77.

الوثائق متواضعاً يميل إلى المعرفة، ويكرم العلماء، ويحسن الاستماع، ويكتب بنفسه، ولا يبالي أن يسأل عما لا يعرفه. كما اختار بعض ملوك الأسرة الثانية عشرة - بعد وفاته بحوالي سبعة قرون - نفس المنطقة التي دفن فيها، لتكون مثواهم الأخير، تيمناً به، وتقديساً له[1]. ولسنفرو هرمان من الحجر في دهشور، يشتهر الهرم الجنوبي منهما بإسم الهرم المنحني أو المنكسر إذ ينكسر بعد منتصف ارتفاعه تقريباً بميل أكثر نحو القمة. ويعلل بعض الباحثين هذا الانكسار بالرغبة في الإسراع في إنجاز البناء بتقليل الارتفاع، أو أن يكون هذا الانكسار لتخفيف ضغط ثقل بناء الهرم فوق الحجرات الداخلية. وقد أقيم هذا الهرم على قاعدة مربعة يبلغ طول ضلعها حوالي ٦٢٠ قدم ويصل ارتفاعه إلى ٣٢٠ قدم، وللهرم مدخلان يقع أحدهما في جانبه الشمالي، ويقع الآخر في جانبه الغربي. وكشف حديثاً عن المعبد الجنزي ومعبد الوادي لهذا الهرم والممر الواصل بينهما. أما الهرم الشمالي ويشتهر بالهرم الأحمر فيقدم أول مثال للشكل الهرمي الكامل للمقبرة الملكية دون أية أخطاء[2].

هذا وتسجل حوليات سنفرو على حجر بالرمو إرسال حملات ضد النوبيين ويمكن القول أنها بلغت الجندل الثاني وكذلك إلى التحنو الليبيين أسفرت عن غنائم كثيرة من الماشية والأسرى، كما يرد في هذه الحوليات أيضاً ذكر سفن محملة بخشب الأرز خاصة، ووصول أربعين سفينة من بيبلوس محملة بخشب الأرز[3]. كذلك قام سنفرو باستخراج النحاس من منطقة سيناء. كما اهتم أيضاً بإقامة الحصون للدفاع عن الحدود الشرقية للدلتا مما يرجح أن هذه المنطقة لم تكن آمنة تماماً، وربما كانت مصدر خطر نتيجة تسرب بعض العناصر البلدوية. وقد خلدت التشييدات البنائية اسمه مدة ألف وخمسمائة سنة تقريباً بعد وفاته. فظلت بعض نقط الحراسة تعرف باسمه «ساق حور - نب ماعت» حتى أيام الدولة الوسطى[4].

---

(١) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ٢٩١ - ٢٩٢.

(٢) أحمد فخري. الاهرامات المصرية، القاهرة، ١٩٦٣، ص ١٤٢ - ١٤٣.

(٣) Breasted, J. H, Ancient Records of Egypt, Vol. I, Chicago, 1905, Parag., 146.

(٤) Ibid., Parag. 168.

خوفو: (خنوم خو إف وي)

ارتقى العرش بعد موت أبيه سنفرو، وتزوج من أخته «مريت إيتس» (الزوجة الرئيسية)، وقد أطلق على نفسه بعد اعتلائه العرش لقباً صعبت قراءته قراءة سليمة، وربما قرىء «حور مجرو»، والذي قد يعني «حور سيد المرمى» أو «حور الدرء» (الحصين) » وبعد ذلك انتسب إلى الربتين «نخبت» إلهة الصعيد و«وادجيت» إلهة الدلتا بنفس كلمة «مجرو». وبالإضافة إلى ذلك فقد تلقب بلقب آخر يمكن أن يقرأ «حوري نب رخو» بمعنى الملك الحوري رب المعرفة أو «حوروى نب رخو» بمعنى رب العلماء، المنتسب إلى الصقرين (حور وست) أو «حورى نب رخيتيو» بمعنى رب الشعب، المنتسب إلى الصقرين[2].

ويشتهر الملك خوفو في التاريخ ببنائه الهرم الأكبر بالجيزة وهذا الهرم يغطي مساحة تزيد على الثلاثة عشر فدانا (٥٤ ألف متر مربع)، وكان ارتفاعه حوالي ١٤٦م، لم يستطع الزمن أن يزيل منها سوى التسعة أمتار العلوية واستخدم في بناء الهرم حوالي مليونين وثلاثمائة ألف حجر، ومتوسط وزن الحجر الواحد طنان ونصف. ولقد قيل أنه إذا صنع من الأحجار مكعبات طول كل ضلع منها قدم ثم وضعت جنباً إلى جنب فإن طولها يغطي ثلثي محيط الكرة الأرضية. ويقل ارتفاع الأحجار كلما ارتفعت في البناء، فارتفاع أحجار المدماك الأول متر ونصف، وارتفاع أحجار المدماك الثاني متر وربع، ويتراوح ارتفاع معظم الأحجار بعد ذلك بين تسعين وخمسة وسبعين سنتيمتراً، وارتفاعها بالقرب من القمة نحو خمسة وخمسين سنتيمتراً[3]. وتواجه الجوانب الأربعة لهذا الهرم الجهات الأصلية الأربع.. ويبلغ طول

---

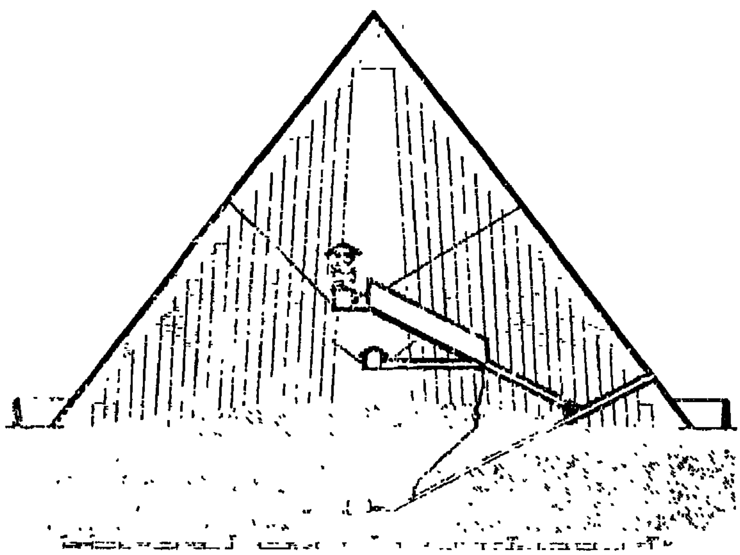
(١) Ibid., parag. 168.

(٢) عبد العزيز صالح: المرحع السابق، ص ٣٤٤.

(٣) محمد أنور شكري: المرجع السابق، ص ٣٠٧-٣٠٨.

كل جانب من قاعدة الهرم ٢٣ متراً تقريباً.

ويقع مدخل الهرم في الجانب الشمالي، ويبدأ من هذا المدخل ممشى نازل إلى باطن الأرض ويؤدي إلى حجرة ربما أعدت أصلاً لتكون حجرة الدفن، ثم عدل ذلك بتصميم حجرة الدفن في قلب الهرم الذي يعلو سطح الأرض. والوصول إلى حجرة الدفن يتم عن طريق تفرع الممشى النازل بعد حوالي ٦٠ قدماً من المدخل ويطلق عليه الممشى الصاعد وينتهي إلى قاعة كبيرة تؤدي إلى حجرة الدفن التي تتضمن التابوت، وسقف هذه الحجرة مسطح ويتكون من تسع كتل من الجرانيت تبلغ حوالي ٤٠٠ طن، ويعلوها خمسة أقسام منفصلة لكل منها سقف مسطح عدا القسم العلوي سقفه مدبب إلى أعلى والغرض من هذه الأقسام تحمل ضغط بناء الهرم وتخفيفه عن حجرة الدفن، وأسفل حجرة الدفن حجرة أخرى يطلق عليها أسم حجرة الملكة ويعتبرها بعض الباحثين مشروعاً آخر لحجرة الدفن، وعدل عنه بينما البعض الآخر يرى إنها صممت لتتضمن تمثالاً للملك لم يقدر له أن يوضع فيها. (شكل ١٠).



(شكل ١٠) هرم الملك خوفو

وعند الجانب الشرقي للهرم توجد حفرتان كبيرتان محفورتان في الصخر للسفن التي يطلق عليها إسم قوارب الشمس (ترجع التسمية إلى الاعتقاد بأن الملك يجتاز في هذا القارب المحيط المائي للسماء في ركب إله الشمس رع). وإلى الشرق من الهرم الأكبر يقع المعبد الجنزي للملك وهو متهدم تماماً. أما معبد الوادي فلم يكشف عنه بعد.

وبمقربة من المعبد الجنزي بنيت ثلاثة إهرامات صغيرة كمقابر للملكات، زوجات خوفو، وعند كل جانب من الجوانب الشرقية والغربية والجنوبية من الهرم توجد عدة صفوف من المصاطب تكون جبانات ضخمة دفن فيها أفراد أسرة خوفو والنبلاء والكهنة الذين كرسوا حياتهم للقيام بالخدمة اليومية في المعبد الجنزي.

وفي ضوء هذه الإنجازات الضخمة تحدثت الأساطير المتأخرة عن خوفو كطاغية مستبد، والواقع أن الأمر لم يتطلب استعباد ويمكن القول بأن السلطة المطلقة التي كانت لخوفو كفرعون إله يؤمن المصريين بقداسته مكنته من الاستخدام الكامل لموارد الثروة والطاقات البشرية في إقامة مبانيه.

وفيما يتعلق بسياسته الخارجية فهناك ما يشير إلى ازدهار التجارة بين مصر وفينيقيا على أيام خوفو، ويلاحظ أنه قد شيد في جبيل بلبنان معبد مصري، أضاف إليه من جاء بعده، كما تشهد ذلك أحجار هذا المعبد، التي تحمل إسم «خوفو» بل وأسماء من سبقوه على العرش، وممن لحقوا به فراعين الدولة القديمة. وليس هناك ما يعرف حتى الآن عن الصورة الأولى التي نشأ عليها هذا المعبد، فقد يكون معبداً أموري الأصل، أراد الملوك المصريون أن يجاملوا أصحابه، وأهدوهم هدايا قيمة تحمل أسماءهم، ولم يمنعهم دينهم المصري من أن يتسامحوا مع معبودات جيرانهم، ويعملوا على إثراء معابدها. وقد يكون معبداً مصري الأصل شادته جالية مصرية تجارية أقامت في جبيل، وعكفت على عبادة أربابها المصريين، وسجلت أسماء ملوكها على مقتنياته. وقد يكون معبداً مصرياً أقامه أمراء جبيل أنفسهم مجاملة للمصريين وتقبلوا فيه بعض العقائد المصرية، كما تقبلوا له هدايا الفراعنة المصريين[1].

ومن ناحية الجنوب ، فيلاحظ أن خوفو قد استعمل محاجر الديوريت التي تقع إلى الشمال الغربي من «توشكي» . أما من ناحية الغرب ، فلا تشير الأدلة الأثرية والنصية إلى قيامه بحملات عسكرية في هذه الناحية .

وقد أنجب خوفو الكثير من الأبناء أكبرهم كاوعب الذي يبدو أنه مات في عهد أبيه ، ومن أبناء خوفو أيضاً حورددف ، ورع دف ، خع اف رع . ولقد ظهر صراع بين فرعين رئيسيين من أبناء خوفو، بين «جدف رع» وبين «خع اف رع» وربما امتد هذا الصراع إلى صفوف الكهنة والشعب . وقد أدى ذلك إلى اضطراب ترتيب ملوك الأسرة الرابعة بعد خوفو . وسنتناول فيما يلي المعالم الرئيسية لسياسة مصر الداخلية والخارجية في عهد خلفاء خوفو .

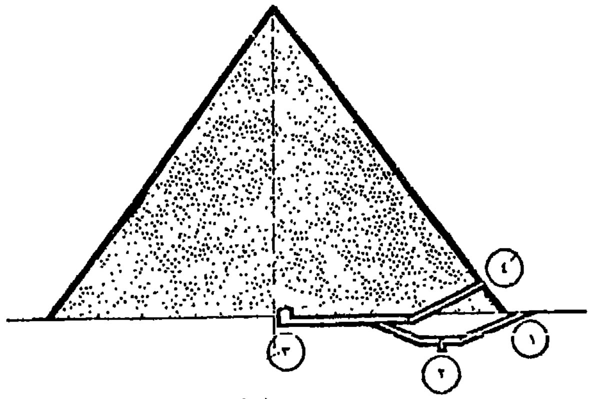
خع اف رع :

يبدو أن حزباً من الأمراء أنهى حكم حوردد ف الذي اعتبر مغتصباً وأقام «خع اف رع» . على العرش ، وقد اتخذ بعد اعتلائه العرش لقب «حور سخم إيب» بمعنى «الجسور» و«حور سخم نب» بمعنى «حور الذهبي الشديد» و«حور نفر» بمعنى «حور الخير» و«نثر نفر» بمعنى «الإله الطيب»[٢] .

وقد شيد خع اف رع الهرم الثاني من إهرامات الجيزة والذي يصغر قليلاً عن هرم خوفو (شكل ١١) ، وهذا الهرم يبدو أعلى من الهرم الأكبر لإقامته على أرض أكثر ارتفاعاً نسبياً ، لكن ارتفاعه الحالي هو ١٣٦ م ، أي أقل من الارتفاع الحالي لهرم خوفو ويقدر الارتفاع الأصلي لهرم خع اف رغ بـ ١٤٣,٥ م ، كما يقدر طول كل جانب من جوانبه عند القاعدة بحوالي ٢٦٥ م .

(١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٠٦ ، وكذا : محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٤٦٥ - ٤٦٦ .

(٢) Gardiner, A., op. cit., PP. 87 - 89.



(شكل ١١) هرم الملك خع اف رع

ويتميز هرم خع اف رع بأن له مدخلان أحدهما في جانبه الشمالي والآخر أسفل المدخل السابق مباشرة، وكلا المدخلين يؤديان إلى حجرة الدفن المنحوتة في صخر أرضية الهرم. وكشف في هذه الحجرة عن تابوت لم يعثر على جثمان الملك فيه.

وعند القاعدة الشرقية لهرم خع اف رع يوجد معبده الجنزي المتهدم والذي عثر بالقرب من الحائط الشمالي والجنوبي له على خمس حفر لقوارب الشمس لم يعثر فيها على أي أثر لهذه القوارب، هذا بالإضافة إلى حفرة أخرى في الصخر كذلك، تقع شمال شرق المعبد، وربما كان الهدف منها أن تكون مكاناً لمركب سادسة[1].

أما معبد الوادي الخاص بخع اف رع فهو من أحسن الأمثلة الباقية لهذا النوع من المعابد، وللمعبد بابان في جانبه الشرقي وقد عثر في حفرتين به على تمثالين من الديوريت لخع اف رع يعدان من أحسن الأمثلة للنحت في عصر الدولة القديمة.

وقرب معبد الوادي لخع اف رع يوجد تمثال أبي الهول الشهير بجسم أسد رابض ورأس بشرية هي رأس الملك خع اف رع على الأرجح. ومفهوم

(١) محمد أنور شكري: المرجع السابق، ص ٣٢٥ - ٣٣٦.

الأسد الرابض في شكل أبي الهول يعني وفقاً للمعتقد المصري القديم حمايته للأماكن المقدسة التي يوجد عند مداخلها وهي عادة المعابد والجبانات، ولذلك يعني تمثيل خع اف رع في شكل أبي الهـول حمايته للجبانة خلفه، واعتبر المصريون أبو الهول إلهاً أطلقوا عليه «حور ـ إم ـ آخت» أو «حور الأفق». وأما تسمية أبو الهول، فربما جاءت من المقارنة بين إسم «حور ـ إم ـ آخت» وبين إسم إله الحيثيين الذين أقطعهـم الملك آي (١٣٣٩ ـ ١٣٣٥ ق. م) ضيعة في هذه المنطقة، وهو الإله «حورون» فأطلقوا عليه «بر حول» أي «بيت حول» التي حورت فيما بعد إلى «أبو الهول»[١]. ويرى بعض الباحثين أن كلمة Sphinx في اللغات الأوروبية مشتقة من «شسب عنخ» أي الصورة الحية وهي فقرة ربما تتطلب أن يضاف إليها «لرب العالم» أو «الإله أتوم» التي نلتقي بها أحياناً[٢]. ولا يتسنى تحديد مدة حكم خع اف رع بالضبط، لكن يبدو أن هذه المدة لم تقل عن ٢٥ عاماً.

من كاورع:

ارتقى العرش بعد خع اف رع، ويشتهر ببناء الهرم الثالث من اهرامات الجيزة ويقع هذا الهرم في الركن الجنوبي الغربي من الهضبة ويصغر عن هرمي سلفيه بكثير إذ يبلغ ارتفاعه الحالي ٦٦,٥ متراً، وكان أصلاً يزيد عن ذلك بأربعة عشر قدم، كما يشغل مساحة تقل عن نصف مساحة الهرم الأكبر، ويبدو أن خلفه شبس كا اف هو الذي أتم بناء المعبد الجنزي، ومعبد الوادي الخاصين به.

ولهرم من كاورع مدخلان أحدهما منحوت في الصخر عند أرضية الهرم ويؤدي إلى حجرة الدفن في باطن الأرض أسفل بناء الهرم. والمدخل الثاني

(١) نجيب ميخائيل إبراهيم: مصر والشرق الأدنى القديم، حـ ١، الإسكندرية، ١٩٦٥، ص ١٧٤.

(٢) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص ٤٠٩.

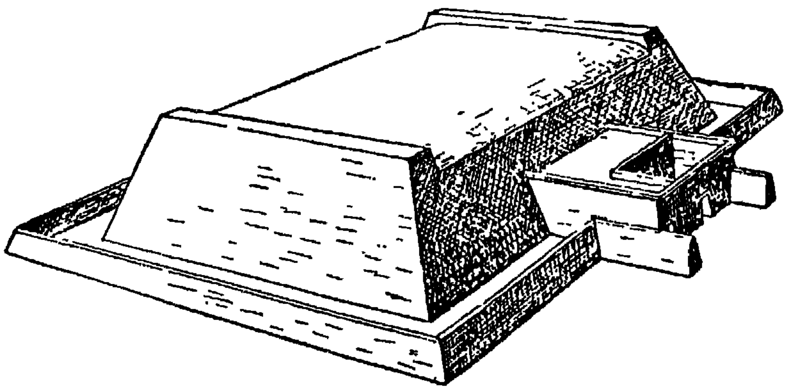
في الجانب الشمالي للهرم وممره أسفل ممر المدخل الأول ويؤدي إلى نفس الحجرة. وأسفل حجرة الدفن توجد حجرتان إحداهما مخزن للأشياء التي أراد الملك المتوفي أن تكون بقربه. والأخرى حجرة دفن ثانية يمكن الوصول إليها عن طريق منحدر يصلها بحجرة الدفن الأولى التي تعلوها. وفي حجرة الدفن السفلية عثر على تابوت من البازلت ربما كان يحوي جثمان من كاورع، وعثر في حجرة الدفن العلوية على بعض العظام البشرية وغطاء تابوت من الخشب، ومن الصعوبة إثبات أن هذه الأشياء خاصة بالملك من كاورع» ويمتاز هرم الملك من كاورع بذلك الكساء الفخم من الجرانيت الذي كان يغطي جزءاً من الهرم لا يقل عن المداميك الستة عشرة الأولى، بدلاً من الحجر الجيري الأبيض.

وإلى الشرق من الهرم شيد المعبد الجنازي. ويتميز بتصميمه المعقد، وقد بديء في بنائه بأحجار ضخمة هائلة، ولكن لم يتم بنائه في عهد منكاورع، فقام خليفته الملك شبسس كا اف بإتمام بنائه بالطوب اللبن. ويصل المعبد الجنازي بمعبد الوادي طريق صاعد رصفت أرضيته بالحجر، ولكنه لم يتم فأكمل فيما بعد باللبن. أما معبد الوادي فقد بني من اللبن على مقربة من جبانة نزلة السمان الحالية. وإن بنيت قواعد الأعمدة وبعض أجزاء من الأرضية وعتبات الأبواب من الحجر الجيري. وبالقرب من هرم من كاورع توجد ثلاثة أهرامات صغيرة في صف. ويرجح أن يكون أكبر هذه الأهرامات الثلاثة خاص بالزوجة الملكية العظمى.

شبسس كا اف:

يبدو أنه كان ابناً لـ (من كاورع) من زوجة ثانوية وتنسب إليه بردية تورين أربع سنوات من الحكم وخلال هذه المدة أتم أبنية أبيه من كاورع، ولم يحاول أن يبني لنفسه هرماً كأسلافه، وإنما بنى مقبرة في جنوب سقارة، في منتصف المسافة بين سقارة ودهشور، وهي تعرف الآن بإسم «مصطبة فرعون». ويختلف شكلها عن أشكال مقابر أسلافه، فما هي بالهرم ولا هي

بالمصطبة ، ولكنها على هيئة تابوت مستطيل مائل الجوانب ، ويبلغ طولها ١٠٠م وعرضها ٧٢م وارتفاعها ١٨م ، وترتفع جوانبها فوق مستوى السقف ، وأحيطت قاعدته بإزار من الجرانيت ، وكسيت جوانبه بأحجار جيرية بيضاء (شكل ١٢) . وشيد بجوار المقبرة معبدين صغيرين يربط بينهما طريقاً صاعداً[1] . وقد أمكن التعرف على نسبة هذه المقبرة إلى شبسس كا اف عن طريق كسرة من تمثال عثر عليها بها ، تحمل خرطوشاً للملك .



(شكل ١٢) مصطبة الملك شبسس كا اف (مصطبة فرعون)

(١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٥٧.

الأسرة الخامسة

اختلف آراء المؤرخين حول نشأة الأسرة الخامسة، وتدور هذه الآراء حول «خنت كاو إس» الملكة التي تجري في عروقها الدماء الملكية سليلة ملوك الأسرة الرابعة. فيرى البعض أن «خنت كاو إس» كانت زوجة لـ «وسررع» ولما لم يكن ملكاً شرعياً من دم ملكي صار ابنهما «وسركااف» هو الملك الشرعي[1]. بينما يذهب البعض الآخر إلى أن «خنت كاواس» قد تزوجت من «وسركااف» مؤسس الأسرة الخامسة. وأصبحت أماً لولديه اللذين حكما من بعده الواحد تلو الآخر.

وعلى ذلك فإن وراثة العرش، في آخر الأسرة الرابعة قد انتهت إلى «خنت كاو إس» وأنها تزوجت من وسركااف الذي يرى فيه بعض المؤرخين حفيداً للملك جدف رع ابن الملك خوفو. وهكذا جمعت الأسرة الخامسة بين فرعي الأسرة الرابعة المتنافسين، فرع خع اف رع الذي مثلته خنت كاوإس، وفرع جدف رع الذي مثله وسركاف[2].

ويصعب التوفيق بين الحقائق التاريخية المستمدة من النصوص المعاصرة وبين ما تعبر عنه الأساطير، فتتحدث بردية (وستكار) عن قيام الأسرة الخامسة فتقول أن الإله رع اتصل بزوجة أحد كهنة رع وتدعى «رددت» وانجب منها ثلاثة أبناء هن وسركا اف، وساحورع ونفرا ير كارع وأنه قدر لهؤلاء الأبناء الملكية مند ولادتهم[3] ويمكن تفسير الأسطورة بأنها تعبير عن تفوق وسيادة إله الشمس في الأسرة الخامسة.

١ ـ وسركااف:

اتخذ وسركااف لقب «ايرماعت» الذي يفيد معنى «واضع النظام» أو

---

(١) نجيب ميخائيل إبراهيم: المرجع السابق، ص ١٨٦.

(٢) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص ٤١٥.

(٣) انظر: Blackman, A. M., In J. E. A, vol. 22 (1936) P. 42 FF.

«محق الحق» وهو لقب يتناسب مع صاحبه كمؤسس أسرة جديدة. ويشير حجر بالرمو إلى تشييده للعديد من المعابد في مختلف أنحاء البلاد.

ولقد شيد هرمه إلى الشمال الشرقي من هرم نثررخت بسقارة، وعلى الجانب الشرقي من هذا الهرم كان يوجد هيكل صغير تقدم فيه القرابين للملك المتوفي، وإلى الجنوب من الهرم وجد بناء ضخم يبدو أنه جزء من المعبد الجنزي الذي كانت تقام فيه عبادة الملك كما كشف عن أطلال معبد الشمس الذي شيده هذا الملك في أبي صير، وهو في حالة متهدمة للغاية لا تسمح بتقديم وصف له. ويعبر بناء هذا النوع من المعابد عن سيادة عبادة الشمس، وتفوق نفوذ كهنتها.

ولا نعرف الكثير عن عهد وسركااف الذي دام سبع سنوات طبقاً لبردية تورين، ولقد عثر على إناء عليه إسم هرمه في جزيرة عند طرف البلوبونيز. ويمكن أن نتبين من هذا وجود صلات تجارية على الأرجح بين مصر وجزر شرقي البحر المتوسط[1].

٢ ـ ساحورع :

خلف ساحورع (نب خاعو) وسركااف على العرش، وتذكر بردية تورين أنه حكم مدة اثنتي عشر عاماً وقد بدأ ساحورع تشييد الجبانة الملكية للأسرة الخامسة في أبي صير شمال سقارة بقليل، والأهرامات من عهد ساحورع وما يليه لم تكن بنفس صلابة البناء، والخامات الثقيلة التي كانت تستخدم في الأهرأمات السابقة.

وأهم آثار ساحورع النقوش المسجلة على حيطان القاعة الكبرى أمام معبده الجنزي. فعلى الحائط الغربي لهذه القاعدة تصور إلهة الكتابة سشات وهي تسجل أعداد الغنم والماعز والماشية التي غنمها الملك من غارة على القبائل الليبية في الصحراء الغربية، ويرد على الحائط الشمالي لهذه القاعة منظر آخر يماثل نقوش سيناء التي يظهر فيها الملك ممسكاً بأحد زعماء البدو ويشار في هذا المنظر إلى أن العدو هم جيران مصر الآسيويين في الشمال

(١) Smith, W. S., In CAH., vol. I, part II, P. 181.

الشرقي ويرجح أن هذا المنظر لا يشير إلى حملة أو حملات حربية ضد آسيا، بل البدو المتسربين إلى سيناء من المنطقة الآسيوية المجاورة. إذ نجد منظراً آخر على الحائط الشرقي تصور فيه سفن في البحر مجهزة بالمصريين وفى هذه السفن جماعة من الآسيويين يمثلون كزعماء يرفعون أذرعهم في مديح الملك. ويتبين من هذا أن الموضوع خاص ببعثه تجارية عائدة إلى مصر ربما من جبيل بعد أن أحضرت منتجات سوريا وأهمها خشب الأرز.

هذا وقد ترك ساحورع في وادي مغارة بسيناء أثراً تذكارياً عن بعثة أرسلها هناك لضرب البدو كما عثر على لوح حجري يحمل إسمه فى محاجر الديوريت في الصحراء غربي توشكي[١].

وخلف ساحورع نفرا يركارع ثم شبسكارع الذي تلاه، نفراف رع، ولا تتميز عهودهم بأحداث هامة. ولقد خلفهم على العرش ني وسررع.

ني وسررع:

خلف ني وسررع (ست إيب تاوي) نفراف رع. ويشتهر ببناء الهرم الثالث بأبي صير، وهو يقع بين هرمى «ساحورع» و«نفر إير كارع». وقد عثر في معبده الجنزي على تمثال لاسير مقيد مما يشير إلى نشاط حربي له ولو أنه غير محدد ويتأكد هذا أيضاً من تمثيله بشكل أبي الهول يطأ أعداءه. وقد ترك الملك نقشاً على الصخر في وادي مغارة بسيناء يسجل زيارته لهذه المنطقة ويمثل فيها في الوضع الظافر بقرب أحد زعماء البدو[٢].

وأهم آثار ني أو سررع معبده الشمسي في أبو غراب شمالي سقارة الذي أقامه بمناسبة احتفاله بيوبيله الثلاثيني. وقد ألق عليه التسمية «بهجة رع» (شكل ١٣) ويظن أن هذا المعبد يشبه في مخططه معبد الشمس في هليوبوليس والمعبد من طراز خاص يتفق وعبادة الشمس التي تؤدي في وضح النهار ويهدف تصميمه إلى إبراز الطاقة الكاملة لإله الشمس يغمر بالضياء مكان العبادة. ويبدأ المعبد بمبنى على حافة الوادي، ويؤدي المبنى إلى ممر صاعد

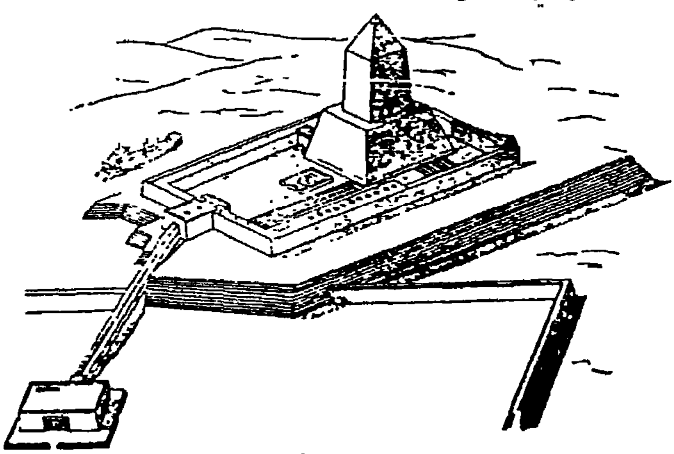
(١) Ibid., PP 182 - 183.

(٢) Breasted, J. H., op. cit., parag. 350.

يزيد طوله على مائة متر وهو مسقوف يدخل إليه الضوء من فتحات فى السقف على أبعاد منتظمة يصل هذا الممر الصاعد إلى مدخل المعبد المقام على ربوة مرتفعة ويؤدي هذا المدخل إلى فناء مكشوف تقوم في مؤخرته قاعدة ضخمة يبلغ ارتفاعها حوالي ٢٠ م. وتعلوها مسلة كبيرة يبلغ ارتفاعها حوالي ٣٦ متراً، وقمة هذه المسلة ذات شكل هرمي، ويرجح أنها كانت مغطاة بالالكترום (خليط من الذهب والفضة) وأمام قاعدة المسلة توجد مائدة قرابين ضخمة كما يوجد على يمين الفناء مذبح ترتفع أرضه عن أرض الفناء قليلاً ويتصل بعشرة أوان كبيرة كانت تجري إليها دماء ما يضحى به من الحيوانات. وقد حفرت فى الصخر خارج المعبد في جهته الجنوبية حفرة كبيرة بنيت فيها باللبن مركب طولها نحو ثلاثين متراً يرجح أنها تمثل أحد قوارب الشمس [١].

ومن الوصف السابق لتصميم معبد الشمس يتبين أن هذا التصميم هدف إلى إبراز الطاقة القادرة لإله الشمس بكل قوتها إذ أن الداخل إلى المعبد كان يمر بمراحل من الظلام التدريجي ثم يفاجأ بالنور الساطع فى الفناء المكشوف وتألق إله الشمس على قمة المسلة رمزه المقدس.

وخلف ني أو سررع الملك من كاوحور ثم الملك جد كارع، ولا تتجاوز أحداث عهدي هذين الملكين عن إرسال بعض بعثات التعدين إلى



(شكل ١٣) **معبد الشمس**

(١) محمد أنور سكرى: المرجع السابق، ص ١٧١ - ١٧٥.

منطقة سيناء وتسجيل ذلك في نقوش صخرية بوادي مغارة. وشيد جد كارع اسس هرم يعرف بإسم «الهرم الشواف» وهو يقع إلى الجنوب قليلاً من سقارة.

ونيس:

كان ونيس (واج تاوي) آخر ملوك الأسرة الخامسة وتنسب إليه بردية تورين ٣٠ عاماً من الحكم. وللملك ونيس هرم شيده في الركن الجنوبي الغربي من هرم نثررخت في سقارة، وقد كشفت الحفائر الحديثة عن حفظ جزء كبير من الممر الواصل بين المعبد الجنزي ومعبد الوادي لهذا الهرم أكثر من أية بقايا أخرى لمثل هذا الممر. وعلى الحيطان الداخلية لهذا الممر نقشت مجموعة من المناظر بعضها يوضح نقل الجرانيت من أسوان بالسفن لبناء الأعمدة في المعبد الجنزى كما تتناول مناظر أخرى بعض الصناع وهم يقومون بصنع وصقل أواني من الذهب والنحاس والحجر وهناك مناظر أخرى للصيد تتضمن العديد من الحيوانات المعروفة مثل الأسد والنمر والذئب كما تتضمن بعض الحيوانات النادرة مثل الزرافة. وأبرز هذه المناظر وأكثرها تعبيراً هو منظر المجاعة التي تصور أجساد ضحاياها بما لا يزيد على هياكل عظيمة يكسوها الجلد، ومن سؤ الحظ أن هذا المنظر ليس كاملاً[١].

وأهم ما يتميز به هرم ونيس النقوش الهيروغليفية التي تغطي حيطان الروهة وحيطان حجرة الدفن وهي التي يطلق عليها إسم «متون الأهرام»، وترد متون الأهرام أيضاً في أهرامات بعض ملوك الأسرة السادسة وتهدف متون الأهرام إلى تحقيق حياة سعيدة للملك أو الملكة في العالم الآخر عن طريق القوة السحرية للكلمات المكتوبة في نطقات هذه المتون وعددها سبعمائة نطقة والتي ظن أن لها القدرة على تحقيق المعنى الذي تعبر عنه. وتقدم متون الأهرام صورة واضحة للفكر الديني القديم خاصة معتقدات المصريين في العالم الآخر كما تتضمن العديد من أسماء الآلهة والأناشيد الدينية. ومتون الأهرام ليست من استحداث الأسرتين الخامسة والسادسة بل هى تجميع لمعتقدات المصريين منذ أقدم العصور[٢].

(١) vercouter, J.,In The Neat East The Early Civilizations, London, 1967, P. 297.

(٢) Ibid -, P. 297.

الأسرة السادسة
(من حوالي ٢٣٤٥ إلى ٢١٨١ ق . م)

تتي :

يصعب التعريف بوضوح عن الأسباب التي أدت إلى الانتقال من الأسرة الخامسة إلى الأسرة السادسة وإلى ارتقاء تتي العرش، ونظراً لعدم دخول إسم رع في تركيب إسمي ونيس آخر ملوك الأسرة الخامسة وتتي أول ملوك الأسرة السادسة ، تنادي إحدى النظريات بأن الانتقال إلى الأسرة السادسة كان للتخلص من نفوذ كهنة رع الذي ظهرت بوادره من أواخر عصر الأسرة الخامسة . ولكن هذه النظرية تفتقر إلى ما يدعمها .

وتشير ألقاب الملكة «ايبوت» زوجة تتي وأم ببي الأول إنها كانت من الدم الملكي الخالص ، بما يفيد أن تتي تزوج بها ليكتسب شرعية في الحكم . وربما كانت هذه الملكة ابنة لاوناس آخر ملوك الأسرة الخامسة . ولو أن هذا ليس مؤكداً .

ولا يتبين من الأدلة الأثرية أن الأسرة السادسة استحدثت أسلوباً جديداً في الحكم ، بل استمرت في تكريم الموظفين من الأسرة السابقة وخاصة كاجمني الذي كان موظفاً في عهد وناس وأصبح وزيراً في عهد تتي ، ولعل أشهر موظفي تتي هو «مرروكا» الذي كان حاكماً للعاصمة وزوجاً لابنة الملك وهو صاحب أجمل وأضخم مقبرة في سقارة . وقد بنى «تتي» هرماً في سقارة إلى الشمال الشرقي من هرم «وسركااف» بقليل ، وبالقرب من هرمه شيد تتي هرمين أحدهما لزوجته الملكية العظمى «ايبوت» والآخر لزوجة ثانوية اسمها «خويت» .

ويرد إسم تتي في كسرات آنية حجرية عثر عليها في بيبلوس على الساحل السوري[1]، كما يوجد تسجيل لإحدى بعثاته إلى النوبة على صخور توماس على الشاطىء الغربي للنيل. وله أيضاً نقش على الصخر في محاجر المرمر بـ «حتنوب» يسجل فيه العام التالي للإحصاء السادس للماشية، ويستدل منه ما يفيد أنه حكم ما لا يقل عن اثني عشر عاماً.

وأشار المؤرخ المصري مانيتو إلى أن «تتي» لم يمت ميتة طبيعية، وإنما قتل بيد حراسه. وليس هناك ما يدحض هذا الرأي. نظراً لتعرض مؤسسي الحكم الجديد لانتقام الأسر السابقة التي أبعدوها عن الحكم. ومما يؤيد ذلك أن خليفة «تتي» على العرش وهو الملك «وسركارع» لم يبق في الحكم إلا سنوات معدودة، ولم يخلف وراءه آثاراً تذكر، والأكثر من ذلك. أن نقوش خلفائه لم تشر إليه. وربما كان ذلك راجعاً إلى أنه من البيت الحاكم القديم[2].

ويذهب بعض المؤرخين إلى القول بأن المصير الذي آل إليه «تتي» كان راجعاً إلى الصراع بين كهنة رع في أيون (هليوبوليس) وكهنة بتاح في منف، وأن هذا الصراع يمتد إلى أواخر الأسرة الخامسة، حتى حسمه كهنة رع، وتولى، وسركارع العرش بعد التخلص من تتي[3].

وسر كارع:

خلف تتي طبقاً لما ورد في قائمة أبيدوس حيث اعتبرته قائمة سقارة ومانيتون مغتصباً للعرش، وليس لهذا الملك أية أدلة أثرية معاصرة مما يشك في وضعه ما عد بعض النقوش في وادي الحمامات. ويفترض بعض الباحثين أن ببي الأول كان طفلاً عندما مات أبوه تتي. وإن وسر كارع ارتقى العرش لفترة

---

(١) Dunand, M., Fouilles de Byblos (1933 - 1938), II. Paris, 1954, P. 258.

(٢) أحمد فخري: مصر الفرعونية، القاهرة، ١٩٧١، ص ١٤٦ - ١٤٧.

(٣) نجيب ميخائيل إبراهيم: المرجع السابق، ص ٣٠٥.

وجيزة عندما كانت ايبوت تحكم نيابة عن ابنها الطفل.

ويرى بعض الباحثين إلى أنه كان ابناً للملك «تتي» من زوجته خوبت» وأنه لم يستطع أن يلي الحكم غير فترة قصيرة لا تتجاوز أربع سنوات، دب النزاع بعدها بينه وبين أخيه غير الشقيق «ببي»، والذي انتهى آخر الأمر باستيلاء «ببي» على العرش، ربما لأنه ابن الملكة «ايبوت» ابنة «ونيس» التي نقلت شرعية الحكم إلى أبيه عن أبيها(١).

مري رع، ببي (الأول):

هو ابن تتي مؤسس الأسرة من الزوجة الملكية ايبوت. وقد اتخذ في بداية عهده التسمية «نفر ساحور» ثم اتخذ اسماً انتسب فيه إلى رع وهو «مرى رع» تقرباً منه إلى كهنة إله الشمس رع، كما تلقب بلقب «مري تاوى» أي «حبيب الأرضين».

وقد سميت «منف» باسم هرمه «من نفر» عندما شيد «ببي الأول» حياً اطلقوا اسمه عليه، فأصبح إسم ذلك الحي منذ الأسرة السادسة يطلق على المدينة بأكملها، وإن كان هناك من يرى أن ذلك قد تم في عهد الأسرة الثامنة(٢) وحرف الإغريق الإسم إلى «ممفيس» ثم كتبها العرب «منف» وهي تقع الآن تحت وبجوار قرية «ميت رهينة» بمركز البدرشين بمحافظة الجيزة(٣). وتمتع ببي الأول بحكم طويل بلغ قرابة الخمسين عاماً وفقاً لما سجلته نقوشه. وقد عثر في ابيدوس على لوح حجري ظهر فيه زوجتان لببي الأول تحمل كل منهما الإسم «مري رع عنخ إن إس» وأخ لهما يدعى «جعو» كان وزيراً في عهد ببي. ويحدثنا النص بأن إحدى هاتين الملكتين كانت أم الملك «مران رع» خلف ببي، وإن الأخرى كانت أماً للملك «ببي الثاني». كما يرد ذكر هاتين الملكتين أيضاً وصفتهما كأمين للملكين السابقين في مرسوم مسجل

(١) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص ٣٨١ - ٣٨٢.
(٢) أحمد بدوى: في موكب الشمس، جـ ٢، ص ٦٣٢.
(٣) محمد بيومى مهران: المرجع السابق، ص ٤٣٩.

في معبد أبيدوس ويختص بإقامة تماثيل لهما وأخيهما جعو في هذا المعبد.

ويتبين من ألقاب هاتين الملكتين أنهما لم يكونا من دم ملكي خالص بل من نبلاء طينة، ولذلك يرجح أن زواج ببي من هاتين الملكتين كان زواجاً سياسياً يهدف إلى ضمان ولاء هذه العائلة الإقليمية القوية.

ويذكر أحد الموظفين المعاصرين ويدعى «أوني» في نقوش مقبرته بأبيدوس أنه كان حدثاً في عهد تتي وتقلد وظائف بسيطة، ثم أصبح قاضياً في عهد ببي الأول، ويتباهى بأن الملك كلفه وحده بإجراء تحقيق ضد ملكة لم يذكر اسمها ولكن يشار إليها باللقب «ورت حتس» بما يفيد أنها كانت الزوجة الملكية العظمى. ويمكن من ذلك استنتاج أن إبعاد هذه الزوجة الملكية العظمى تبعه زواج ببي من «مري رع عنخ ان اس» أم «مران رع» التي لم تكن من الدم الملكي. ويرجح أن زواج ببي من «مري رع عنخ ان اس»، الشقيقة الثانية وأم ببي الثاني، حدث في أواخر عهد ببي الأول، إذ يظهر ببي الثاني شاباً صغيراً عند اعتلائه العرش.

ويحدثنا «أوني» في نقوش مقبرته أيضاً، إنه في عهد ببي نظم أكثر من حملة ضد البدو في الشمال الشرقي، وإنه جمع جيشاً من كل أنحاء مصر ومن قبائل النوبة في الجنوب. وتبع ذلك القيام بحملة في فلسطين تطلبت نقل القوات بالسفن إلى مكان يدعى «أنف الرئم» يظن بأنه عند جبل الكرمل[١].

ويرجح أنه في أواخر عهد ببي الأول أشرك معه ابنه مران رع في الحكم، ويشير إلى ذلك دليلان أثريان بالمتحف المصري أحدهما قطعة ذهبية تحمل أسماء وألقاب الملكين معاً، والآخر تمثال من النحاس لببي الأول كشف عنه في نخن وكان بداخله تمثال صغير لطفل في حوالي السابعة يرجح أنه يمثل مران رع[٢]. والتمثالان معروضان منفصلين ومتجاورين بالمتحف المصري.

---

(١) Gardiner, A. H., op. cit., PP. 95 - 96.

(٢) Smith, W. S., The Art and Architecture of Ancient Egypt, Harmondsurorth, 1965, P. 80.

مران رع، عنتي أم سا اف (الأول) :

خلف أباه الأول في الحكم. ويبدو أنه كان صغيراً عند ارتقائه العرش، إذ أن مومياءه التي عثر عليها داخل تابوت في هرمه بجوار ببي الأول إلى الجنوب قليلاً من سقارة كانت لشاب في مقتبل العمر له خصلة شعر جانبية تشير إلى الصبا.

ويشار في نقش له في محاجر حتنوب إلى العام التالي للإحصاء الخامس للماشية في عهده (أي العام العاشر)، كما يشار في نقش آخر له عند الجندل الأول، بمناسبة استقباله زعماء النوبة عند الحدود الجنوبية، إلى الإحصاء الخامس من عهده [1]. وسبق أن رجحنا أن مران رع اشترك مع أبيه ببي الأول في الحكم وهو لا يزال طفلاً في السابعة من عمره. فإذا ما أضفنا إلى ذلك عشرة أعوام يرجح أنها مدة حكمه (التي ربما يدخل فيها أيضاً فترة اشتراكه في الحكم مع أبيه، لتبين لنا أنه مات في ريعان الشباب بما يتفق وحالة مومياه.

هذا وقد استمر «أوني» في الخدمة الوظيفية في عهد مران رع، ويحدثنا في نصوص مقبرته بأبيدوس أنه في عهد مران رع أصبح حاكماً للجنوب، وقام ببعثتين إلى الجندل الأول لإحضار التابوت وأحجار الجرانيت لهرم الملك. وفي أول هذه البعثات أمضى عاماً في شق خمس قنوات في منطقة الجندل الصعبة للملاحة، وفي بناء سفن لنقل أحجار الجرانيت.

ومن كبار الموظفين من عهد مران رع «حرخوف» الذي كان حاكماً على إقليم اليفانتين وله مقبرة منحوتة في الصخر في أسوان. وفي نقوش هذه المقبرة [2] يصف حرخوف البعثات التجارية إلى الجنوب التي كان بعضها يتم عن طريق النيل وبعضها الآخر بقوافل الحمير، لإحضار منتجات هذه البلاد من البخور والعاج والأبنوس وجلد الفهد وهي من المنتجات التي لها تقدير كبير في مصر، ولا يشار بالتحديد إلى أي مدى استطاعت هذه البعثات

(١) Smith, W. S., In CAH., vol. I, part II, P. 193.

(٢) Breasted, J. H. op. cit., parag. 333 - 336.

التجارية التوغل جنوباً وأين تقع بلاد «يام» التي وصل إليها حرخوف ، ولكن يرجح بعض الباحثين أنه كان هناك مركز تجاري مصري في كرما عند الجندل الثالث ، في ضؤ العثور على بعض قطع آنية من المرمر هناك تحمل أسماء ببي الأول ومران رع وببي الثاني .

نفر كارع ، ببي الثاني :

سبق أن أشرنا إلى أنه ابن ببي الأول من الشقيقة الثانية «مري رع عنخ ان اس» ، التي تزوج بها ببي الأول في آواخر عهده . ويخبرنا مانيتون أن ببي الثاني ارتقى العرش في حوالي السادسة من عمره وعاش حتى بلغ المائة أي أنه حكم ٩٤ عاماً. وقد بدأ حكمه تحت وصاية أمه ، حيث أسند منصب الوزارة إلى خاله «زعو» ولا شك في أن ببي الثاني تمتع بحكم طويل لم يقل عن اثنين وستين عاماً وفقاً لما أفادت به نقوشه ، ويتبين من نص خطاب أرسله الملك إلى حرخوف نقشه الأخير في مقبرته بأسوان ، مدى غبطة الملك كطفل ، من قزم يرقص رقصاً مقدساً أحضره له حرخوف بعد عودته من بعثته التجارية إلى الجنوب .

والواقع أن مدة الحكم الطويلة لببي الثاني أدت إلى نهاية عصر الدولة القديمة ، إذ نشعر بمدى الضعف الذي آلت إليه السلطة الملكية في نهاية عهده ، ومما لا شك فيه أن هذا كان راجعاً إلى إنهاك موارد الثروة الملكية التي أثقلتها المصروفات الباهظة في تشييد الأبنية والهبات الجنزية التي لا تحصى والمعفاة من الضرائب. فضلاً عن أراضي التاج التي منحت لحكام الأقاليم تقديراً لخدمتهم كملك خاص لهم يورث إلى أبنائهم ، مما أدى إلى تفتيت هذه الأراضي إلى وحدات أصغر فأصغر. إن كان ما سبق يعبر عن ضعف الملكية ، فإنه يفيد من ناحية أخرى زيادة نفوذ حكام الأقاليم على حساب ذلك .

وقد استمر ببي الثاني في إرسال البعثات التجارية كما فعل أسلافه كما أرسل مثلهم البعثات إلى مناجم سيناء ومحاجر حتنوب . ويرجح أن النوبيين

وبدو الصحراء الشرقية كانوا مصدر اضطرابات فى هذا العهد، في ضؤ ما تشير أليه بعض فقرات النصوص التى ترجع إلى عهده.

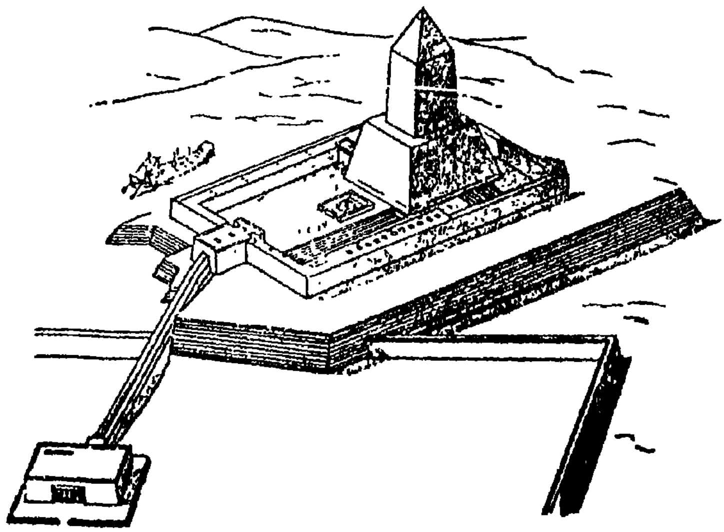
فيحدثنا حقاً ايب في نقوش مقبرته بأسوان بأنه كان عليه أن يقوم بحملة من أسوان ليخضع قبيلة نوبية في الجنوب كانت مصدر قلق لحرخوف في بعثته التجارية الثالثة كما كان عليه أن يقوم بحملة أخرى إلى البحر الأحمر لإعادة جثمان أحد الصباط هاجم بدو الصحراء الشرقية فرقته عندما كانت تقوم ببناء سفن إلى بونت[1].

هذا وقد شيد ببي الثاني هرمه في جنوب سقارة، إلى الجنوب فليلاً من هرمي سلفيه ببي الأول ومران رع، وإلى جوار هذا الهرم توجد ثلاثة إهرامات صغيرة دفنت فيها ثلاث من زوجاته.

مران رع، عنتي أم سا اف (الثاني):

خلف ببي الثاني على العرش أكبر أبنائه الأحياء مران رع الثاني، الذي لم تتجاوز مدة حكمه عاماً واحداً وفقاً لما ورد في بردية تورين. وبانتهاء عهد هذا الملك نصل في الواقع إلى نهاية الأسرة السادسة وبداية العصر الذي يطلق عليه إسم «عصر الثورة الاجتماعية الأولى» أو «عصر الانتقال الأول» ولكن معظم القوائم المتأخرة تشير إلى سيدة بإسم «نيتوكريس» حكمت كآخر ملوك الأسرة السادسة، ويرى بعض الباحثين أن نيتوكريس هي الملكة «نايت» زوجة ببي الثاني ولكن هذا الرأي يفتقر إلى الأدلة التي تدعمه.

(١) Gardiner, A. H., op. cit., P P. 99 - 101.



(شكل ١٢ / معبد الشمس

الفصل الرابع

عصر الثورة الاجتماعية الأولى

يطلق المؤرخون على عصر الثورة الاجتماعية الأولى أسماء عديدة منها: «عصر الانتقال الأول» وذلك على أساس أنه مرحلة انتقالية بين عصرين عظيمين وهما عصر الدولة القديمة وعصر الدولة الوسطى، ويطلق عليه كذلك «عصر الفوضى الأولى» أو «عصر المرض الأول» وذلك للفوضى السياسية التي عمت البلاد خلاله وعدم وجود حكومة مركزية قوية قادرة على تصريف شؤون البلاد. ومن الناحية الفكرية والاجتماعية فإنه يعتبر وكما أطلق عليه جيمس هنري برستد «عصر في الضمير».

ويتكون عصر الثورة الاجتماعية الأولى من الأسرات السابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة، وينتهي في عهد «منتوحتب الأول»(نب حبت رع) الذي تمكن من القضاء على الفوضى السياسية وأعاد توحيد البلاد مرة ثانية بعد توحيدها الأولى في بداية التاريخ المصري عند بداية الألف الثالث قبل الميلاد.

وفيما يتصل بالأسرة السابعة فيلاحظ أن راوية مانيتون حول هذه الأسرة قد ورد بها أن ملوكها كانوا سبعين ملكاً حكموا لمدة سبعين يوماً في منف، وحاول بعض المؤرخون الذين اعتقدوا فيما أورده مانيتون أن يجدوا تبريراً لذلك، فذهب بعضهم إلى أن هذه الحكومة كانت حكومة طارئة شكلت من الصفوة الممتازة من الحكام الذين تبقوا من سلاله ملوك الأسرة السادسة أو من كبار الموظفين وحكام الأقاليم الذين كونوا من أنفسهم هيئة حاكمة أدارت شؤون البلاد محل الملكية المنهارة في أخريات الدولة القديمة.

ولم يوافق البعض الآخر على ما أورده مانيتون وأعطوا سنوات حكم

متباينة لهذه الأسرة تراوحت ما بين شهور عدة إلى خمس وسبعين سنة ، ومهما كان الأمر فإن هذا الاختلاف البين يوضح مدى الضعف والانهيار الذي عانت منه مصر خلال هذه المرحلة .

أما عن الأسرة الثامنة فيرى معظم الباحثين أنها قامت في منف ، وأن رأى قلة منهم أنها قامت في قفط بمحافظة قنا ، وأسس هذه الأسرة الملك نفر كارع ، واتخذ معظم ملوك هذه الأسرة أسماء بعض ملوك الأسرة السادسة وهو الأمر الذي رجح معه بعض الباحثين وجود صلة قرابة بين الأسرتين وأنهم هم الورثة الشرعيون لهم . وفي عهد هذه الأسرة ازدادت أحوال البلاد سوءاً وتوقفت البعثات إلى المحاجر والمناجم ، وبنهاية عهد هذه الأسرة تنقسم البلاد إلى ثلاثة أقسام : في الشمال الأسيويون وفي مصر الوسطى ظهر بيت جديد للحكم في أهناسيا حكم البلاد في الأسرتين التاسعة والعاشرة وعرف بإسم «العصر الأهناسي» ، وفي الجنوب ظهرت قوة حكام طيبة .

ولقد أسس «خيتي الأول» (مري ايب رع) الأسرة التاسعةالأهناسية ، وهناك شك في أن حكمه قد امتد إلى الدلتا التي يرجح أنها بقيت في أيدي الأسيويين . أما في الجنوب فقد امتد نفوذه حتى ثنى ، وأن وجد اسمه في نقوش عند الجندل الأول . ويصفه مانيتون بأن كان أبعث للرعب من كل من سبقوه من الملوك وأنه كان يفعل الشر في مصر كلها ، وربما كان ذلك راجعاً إلى شدة هذا الملك ومحاولته الدفاع عن حدود مملكته وتأييد ملكه في هذه الفترة المضطربة .

وبعد زوال حكم الأسرة التاسعة جاءت الأسرة العاشرة التي أسسها «مرى حاتحور» . ومن ملوك هذه الأسرة الملك «واح كارع» (اختوى الثالث» صاحب التوجيهات التي وجهت إلى ابنه الملك «مرى كارع» وهي ذات دلالات سياسية عظيمة وأشار فيها إلى الحرب الأهلية بين طيبة وأهناسيا والتي كان ميدانها في أبيدوس .

ولم يدم الحال بالملك «مرى كارع» طويلا إذ لم يحكم سوى سنوات قلائل مات بعدها ودفن في منف ، وفي تلك الفترة تمكن حكام طيبة من القضاء على

البيت الأهناسى ثم تمكنت من إخضاع مصر لها وبدأت الأسرة الحادية عشرة بتوحيد مصر، حيث دخلت البلاد مرحلة جديدة تتميز بالازدهار والتقدم السياسي والحضاري وهو ما يعرف باسم «عصر الدولة الوسطى».

وسنقوم فيما يلي بدراسة الأسباب والعوامل التي أدت إلى قيام الثورة الاجتماعية الأولى. وبعد ذلك نستعرض في إيجاز بعض القطع الأدبية التي وصلتنا خلال هذه المرحلة ووصفت الأحوال التي عاشتها مصر إبان هذه المرحلة. وبعد ذلك نورد أهم النتائج التي ترتبت على قيام الثورة الاجتماعية الأولى.

ويختلف المؤرخون في الوقت الذي قامت فيه الثورة الاجتماعية الأولى في مصر الفراعنة. فبينما يرى فريق منهم أنها تقع في نهاية عهد «ببي الثاني» يرى فريق آخر أنها تقع في عهد خليفتيه الضعيفين. ويرجح أن عهد «ببي الثاني» قد مهد لقيام الثورة، وأعطاها مبرراتها. ولكنها لم تقم في عهده. وإنما في عهد آخر خط الملوك المنفيين. فربما قامت في عهد «مرى أن رع» وإنه دفع حياته ثمناً لها. وربما قامت الثورة في عهد «نيتوكريس» نفسها. وربما كان انتقامها لأخيها. حين احتالت على قتلته حيث حبستهم في قصرها، ثم أطلقت عليهم ماء النهر فجأة، ثم انتحرت بعد ذلك. وربما أدى ذلك إلى أن ينتهز الشعب فرصة خلو العرش من شاغليه. وانتقاماً للكثيرين الذين قتلوا من المصريين. فكان ذلك سبباً مباشراً للقيام بالثورة بجانب أسبابها الأخرى الأصلية. ومع ذلك فهذه كلها افتراضات. إذ أنه من المستحيل أن نقرر في أية لحظة حدث الاضطراب الخطير. وأما حدوثه فأمر ليس فيه شك[1].

أسباب الثورة الاجتماعية الأولى

ويمكن إيجاز الأسباب التي أدت إلى قيام هذه الثورة إلى أسباب

(١) محمد بيومى مهران الثورة الاجتماعية الأولى. (رسالة ماجيستر). الإسكندرية. ١٩٦٦ ص ١١٨ - ١١٩.

اقتصادية وأسباب اجتماعية وأخرى سياسية وخارجية.

وفيما يتصل بالأسباب الاقتصادية فهي كثيرة. فلقد أدت التراكمات المتعددة إلى انحدار الاقتصاد القومي بالتدريج، حتى وصل إلى ذروة الانحطاط عند نهاية الأسرة السادسة، وتعددت هذه الأسباب ومنها تشييد مبان تهدد الاقتصاد القومي، وتشييد أهرام لكل ملك جديد. ولقد كان بناء الإهرامات وغيرها من المباني الدينية، نتيجة سطوة الدين على المصريين وأثره في حياتهم وتفكيرهم. فالدين كان ولا يزال وسيظل أكبر قوة في حياة الإنسان، وهو الذي أوحى إلى المصري القديم بفكرة الخلود، أو الحياة بعد الموت، وكان من نتائج ذلك أن ترك لنا المصريون القدامى عدداً هائلاً من المقابر والأهرامات والمعابد لا يمكن حصرها. غير أن هذه العقيدة وما نتج عنها من مبان ضخمة هائلة أرهقت الاقتصاد القومي، وألقت عبئاً ثقيلاً على خزائن الدولة، وحملها ما لا تطيق، خاصة في أخريات الدولة القديمة عندما وصلت مواردها إلى حد أن أصبحت حكومتها شبه عاجزة عن تنفيذ أوامرها، وممارسة حقوقها، وتحمل تبعاتها. ومع ذلك لم ينسى الفراعين أن يقيموا لأنفسهم أهراماً يدفنون فيها، مما أرهق الشعب أيما إرهاق، وجعل بوادر السخط تتجمع ضدهم. وهكذا يمكن أن يقال إن ما أنفق من أموال على هذه الجبانات الضخمة إنما كان واحداً من عوامل الثورة[١].

وأدى إلى سوء الأحوال الاقتصادية، العبء الناتج عن تخصيص هبات دائمة للصرف منهل على العناية بمقابر الملوك والملكات، فضلاً عن الأمراء والنبلاء، ومن ثم فقد كان الملوك يبعدون تدريجياً جزءاً من الأراضي التي أعفيت أيضاً من الضرائب عن أراضي الدولة، وتبع ذلك إلقاء تبعات ثقيلة على الأراضي الأخرى[٢]، وأدى ذلك بالتدريج إلى إرهاق الاقتصاد القومي وتقلص موارده، وفي نفس الوقت زادت المعاناة على أفراد الشعب.

(١) محمد بيومي مهران: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم. حـ ١ مصر. الكتاب الأول، ص ٤٩٦ - ٤٩٩.

(٢) Wilson. J.A.. The Culture of Ancient Egypt. Chicago 1963. P. 98.

وسار حكام الأقاليم على سنة ملوكهم ، فقاموا بخت فبورهم في صخور أقاليمهم وخاصة في مصر العليا والوسطى ، وكان ذلك عبئاً جديداً على الخزينة ، كلف الكثير من المال .

ومما زاد من سوء الأوضاع الأقتصادية عبء مشترى الولاء من حكام الأقاليم المصرية البعيدة عن العاصمة ، ،وذلك حين بدأ هؤلاء الحكام يتباعدون عن الملوك ، ويشيدون مقابرهم في عواصم أقاليمهم ، وبذا تولدت لديهم نزعة فردية دفعتهم إلى أن يتباهوا بما فعلوه . وكلما مر الزمن ، ونتيجة لضعف الملوك ، زاد حكام الأقاليم في تباهيهم بما نجحوا فيه ، مما اضطر الملوك آخر الأمر إلى أن يعملوا على اكتساب رضاهم ، وإقطاعهم الأراضى لربط دخلها على مقابرهم التى كانوا يقومون ببنائها من خزائن الدولة . ولم يقتصر الأمر على ذلك بل سمح الملوك بأن يرث الأبناء آباءهم في إقطاعياتهم ، وعلى ذلك فقد توزعت ثروة البلاد بين الأسر القوية ، في الوقت الذي تناقصت فيه ثروة الملوك تدريجياً ، ولجأ الفراعنة إلى وسائل عدة لاسترداد سلطانهم ، إلا أن ذلك كله لم يغير من الوضع شيئاً ، ولم ينجح الملوك في كسب الحكام الذين أخذوا يستقلون عن الفراعين بأقاليمهم ، مما أدى آخر الأمر إلى قيام حكومة متنافسة أحياناً ، ومتعاونة أحياناً أخرى . وحين تأزم الموقف للغاية ، عمت الفوضى البلاد ، وبالتالي قامت الثورة الاجتماعية الأولى .

وأخيراً فقد كان لانقطاع أو احتمال انقطاع الموارد التى كانت تأتى من التجارة الخارجية ، والتي كانت حكراً ملكياً ، فقد كانت مصر على علاقات تجارية مع بلاد غربي آسيا ، ومع جزر البحر المتوسط ومع النوبة وليبيا ، وتدلنا نصوص أواخر الدولة القديمة على وجود اضطرابات في تلك البلاد الأجنبية التي كانت تتجر معها مصر ، مما استدعى بعض إجراءات حربية في النوبة والسودان[1] .

أما عن الأسباب الاجتماعية التي ساعدت على قيام الثورة ، فيلاحظ أن

(١) محمد بيومى مهران ، المرجع السابق ، ص ٥٠١ - ٥٠٢ .

الفرعون قد تمتع في المجتمع المصري القديم بوضع خاص بين طبقات المجتمع ، فقد اعتقد المصريون أنه ليس واحداً من البشر وإنما هو إله ، ورغم تلك الألوهية التي أصبغها على نفسه وآمن بها رعاياه ، فهناك بعض النصوص التي تكشف عن وجود الكثير من المشاعر الإنسانية الطيبة لدى بعض هؤلاء الملوك ، ومن هذه النصوص ما يعرف باسم «بنوءة نفرتي» والتي تتحدث عن «سنفرو» على أنه كان ملكاً محسناً ، وأنه كان حين يخاطب أحد رعاياه ، إنما يقول : (يا صاحبي) ، وحين يوجه حديثه إلى رجال بلاطه إنما يخاطبهم بقوله : (يا إخواني)[١] .

وارتبطت الطبقة الحاكمة بالملك بروابط كثيرة ، ويمكن تتبع ذلك منذ النصف الأول في الدولة القديمة حيث كان أمراء الأسرة المالكة يعينون في منصب الوزارة ، كما كانت هناك مصاهرات بين أفراد البيت المالك وآخرين من الشعب . وكان وجود أبناء الملك وأقاربه إنما يجعل الخط الفاصل بين الملك والطبقات الأخرى غير واضح المعالم ولكن من ناحية أخرى ، فإن هذه الطبقة إنما كانت بمثابة همزة الوصل بين الملك ورعيته ، وأنها تمتعت بالمناصب الكبيرة ، ثم الحصول على امتيازات كانت من قبل وقفاً على الملوك دون سواهم[٢] .

وفيما يتصل بطبقة العامة فقد تضمنت التجار والصناع والعمال والفنانين والفلاحين . ويلاحظ أن التجار هم أصحاب التجارة الداخلية ، والتي كانت محدودة لدرجة كبيرة ، ومن ثم فإن النصوص لا تتحدث عن التجار ، مما يدل على أن التجارة الداخلية إبان تلك الفترة لم تلعب دوراً هاماً ومن ثم فإن التجار لم يقوموا بدور هام في الثورة أو في دوافعها .

وفي مقابل قلة عدد التجار وضآلة دورهم وأهميتهم ، فقد كان الصناع

---

(١) Erman, A., The Literature of the Ancient Egyptians, London, 1927, P. 112.

(٢) Wilson, J. A., op. cit , p. 76.

وكذا : محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص ٥٠٤ .

والفنانون أكثر عدداً ، وأشد خطراً من التجار ، وذلك يرجع إلى حرفتهم نفسها وأهميتها بالنسبة إلى الحضارة المصرية القديمة ، ومع ذلك فليس هناك دليل على أن الصناع والفنانين كانوا يحيون في بحبوحة من العيش إن لم يكونوا فقراء كبقية الطبقة العاملة. وقد أطلق عليهم البعض تسمية «الطبقة الوسطى» ، وهي الطبقة التي تقوم على أكتافها في معظم الأحوال مهمة إيقاظ الشعوب من غفواتها والقيام بالثورات.

أما طبقة العمال ، وهم الذين كانوا يعملون في المناجم والمحاجر ، وفي بناء الإهرامات والمقابر والمعابد. وكانت الدولة هي التي تشرف على العمال ، بطريقة تضمن العناية بهم ، ولقد أسهمت طبقة العمال بنصيب وافر في تشييد العمائر المصرية الضخمة من أهرامات ومعابد ومقابر. ومع ذلك فيبدو أنها لم تعش حياة تتفق والجهد الذي كانت تقوم به ، ومع ذلك فقد كان النظام الدقيق الذي اتبع معهم ، قد أعطاهم بعض حقهم ، وضمن لهم مأكلاً وملبساً وربما كانوا أحسن حالاً من الفلاحين. أما دور هذه الطبقة في الثورة فربما كان أكثر أهمية من دور الفلاحين. وأقل خطراً من دور الصناع والفنانين.

وكانت طبقة الفلاحين تؤلف الغالبية العظمى من الشعب ، وكانت تتكون من فريقين الواحد يملك أرضه وحقله ، والآخر أجير عند الفرعون أو عند الأمراء أو حكام الأقاليم. ويبدو أن دور هذه الطبقة في الثورة كان أقل من غيرها.

وتجب الإشارة في هذا المجال إلى أنه لم يكن هناك نظام صريح ، يظل فيه النبلاء والصناع والفلاحون مرتبطين بطبقة معينة جيلاً بعد جيل ، فهناك أمثلة كثيرة انتقل فيها بعض المواطنين من أشخاص عاديين إلى موظفين كبار في الدولة ، ومن أشهر الأمثلة على ذلك «وني» الذي يفهم من نصه الذي سجله على جدران مقبرته أنه كان رجل من أسرة بسيطة استطاع أن يرتفع إلى كثير من الوظائف المرموقة في البلاد. ومن ثم فقد كانت الفرصة متاحة لكل من

تتوافر فيه الصفات اللازمة لشغل هذه الوظائف العليا. وهكذا كانت هناك أسباب اجتماعية للثورة، ربما نتيجة تسلط طبقة خاصة على كل الوظائف الهامة في البلاد وربما استغلال هذه الوظائف الهامة استغلالاً سيئاً، ووجود فواصل كبيرة بين الطبقات وبعضها.

ولقد كان لضعف الملكية وتخاذلها أمام حكام الأقاليم، أثره في قيام الثورة ولقد بدأ هذا الضعف منذ منتصف الأسرة الخامسة، وبلغ ذورته على أيام ببي الثاني الطويلة، مما دفعه إلى أن يعين وزيرين، الواحد للصعيد، والآخر للدلتا، ورغم ذلك فقد استمر حكام الأقاليم في فرض الضرائب الفادحة واحتفظوا بها لأنفسهم وامتنعوا عن توريدها إلى بيت المال، حتى أصبحت الحكومة في منف شبه عاجزة عن تنفيذ أوامرها وممارسة حقوقها، فتوقف إرسال البعثات إلى المناجم، وتجدد خطر الهجرات الآسيوية وهو الأمر الذي ساهم وساعد على قيام الثورة فلقد استدعت الطبيعة الجغرافية لمصر وجود سلطة قوية قادرة على فرض إرادتها، وقوة السلطة تستمد من وحدانيتها من ناحية ومن مركزيتها من ناحية أخرى، وكل هذا بدوره اقتضى توافر حد أدنى من الاستقرار والاستمرار.

ونظراً للضعف الذي أصاب الملكية، وعدم قدرة الملوك على كبح جماح حكام الأقاليم الذين سخروا كل ما على اقطاعيتهم من بشر وأراض وموارد لمصالحهم الشخصية ومساهمة الكهنة في هذا الاستغلال أيضاً. أن شعر الناس بالظلم وأن عليهم تغيير هذه الأوضاع جميعها بدءاً من الملكية ذاتها، ويعبر هذا الأمر في نفس الوقت على بلوغ المجتمع المصري درجة من الوعي والإدراك جعلته يقرر رفع هذا الغبن الواقع عليه، وكان لهذا العامل أثره الفعال في دفع الناس للقيام بالثورة.

ونتيجة للانهيار الداخل الذي أصاب البلاد، فقدأصبحت الدولة عاجزة عن صد موجات التسلل الأجنبي من دخول البلاد، حتى أخذ هؤلاء الأجانب يعيثون الفساد في الدلتا، وعبر عن هذه الحالة الحكيم «ايبو - ور» بقوله «لقد

أصبح الأجانب أناساً في كل مكان . . . لقد أصبح الأجانب مهرة في حرف الدلتا»[1] .

وعبر المفكرون خلال عصر الثورة الاجتماعية عن الأحوال السيئة التي مرت بها البلاد وذلك في أسلوب أدبي بليغ . ومن هؤلاء المفكريت الحكيم «ايبو - ور» الذي عبر عن هذه الأحوال السيئة وذلك في سياق تقديمه النصح لملك الجالس على العرش طالباً منه العمل على انتشال البلاد مما هي فيه ، ومما جاء فيها :

« . . . انظر الآن ، لقد حدث شيء لم يحدث منذ وقت طويل . لقد سرق عامة الناس الملك وأخذوه . . . وأصبح الهرم خالياً مما فيه» (يشير بذلك إلى مهاجمة أهرام الملوك السابقين وسرقة موميائهم وما كان معها) .

« . . . انظر الآن ، لقد وصل الأمر إلى أقصى درجات السوء ، وحرمت البلاد من الملكية على يد فئة لا تعرف كيف تسير الأمور . . .

«انظر ، لقد أصبحت النبيلات يعملن بأيديهن ، ويعمل النبلاء في حوانيت الحرف ، وصبح كل من ينام على حصير مالكاً لسرير .

«إنظر ، إن من كان يرفل في الحلل أصبح يرتدي الأسمال ، ومن لم ينسج شيئاً لنفسه أصبح الآن مالكاً لأغلى ملابس الكتان .

«انظر ، إنه لم يعد هناك وجود للدواوين ، وصار الناس أشبه بقطيع لا راعي له .

«انظر لقد ألقى بقوانين قاعة العدل ظهرياً ، فصارت تدوسها الناس

---

(١) توجد بردية ايبو - ور حالياً فى متحف لبدن بهولندا ، وأول من أشار إليها من العلماء ، العالم الهولندي لانجا وذلك في عام ١٩٠٣ ، وفي عام ١٩٠٩ قام سيرالن جاردنز بترجمتها ترجمة دقيقة ، وقدم دراسة وافية لها وذلك فى مؤلفه . وناقش جيمس هنرى برستد أهميتها وأحسن تحليلها في مؤلفه :

Gardiner, A. H The Admontions of an Egyptian Sage, Leipzig, [1909, PP. 37 - 38.

Breasted, J. H., The Dawnot Conscience, New York, 1933, PP. 193 - 200.

بالأقدام في المحال العامة ، والفقراء يفضونها على قارعة الطريق[1] .

«انظر ، فالرجل يضرب أخاه من أمه ، فما العمل في ذلك؟

إن الرجل يذبح وهو بجانب أخيه . في حين يتركه أخاه لينجو بنفسه ، والرجل ينظر إلى ابنه نظرته إلى عدوه ، ويذهب الرجل إلى حقله وهو مسلح بدرعه .

«انظر ، إن الماشية قد تركت ضالة في الطريق ، ولا يوجد أحد يجمعها ويلم شتاتها . . .

«انظر ، إن المتحلى بالفضائل يسير وهو محزون لما حدث في البلاد ، ويقول آخرون : لو كنت أعلم أين يوجد الإله لقدمت له قرباناً ، وفي الحق إن [العدالة] موجودة في البلاد باسمها فقط ، وما يلقاه الناس حينما يلتجؤن إليها هو العسف . . .

وفي الحق ، إن السرور قد مات ، ولم نعد نتذوقه بعد ، ولا يوجد في الأرض إلا الأنين الممزوج بالحسرات . . .

وفي الحق ، إن كلا من العظيم والحقير صار يقول : ليتني كنت ميتاً ، ويقول الأطفال الصغار : ليتنا لم يعلنا أحد ومتنا قبل هذا . . .

وفي الحق ، إن قلوب كل القطعان صارت تبكي ، والماشية تئن بسبب الحالة التي وصلت إليها البلاد» .

ويبلغ التأثر بالحكيم ايبو - ور مبلغه حتى نجده يطلب من الله أن يقضي على كل شيء حتى يستريح من هذه الحالة الشاذة في تاريخ مصر القديم ، وفي ذلك يقول :

«ليت الناس يفنون ، فلا يحدث حمل ولا ولادة ، وليت البلاد تخلو من الغوغاء حتى يقضى على الشجار» .

(١) لقد كانت هذه فعلة شنعاء في نظر النظام المصرى ، إذ كان طلب الكتابات والوثائق من المصالح العامة للاستشهاد بها أو للإطلاع عليها من الأمور المنظمة تنظيماً دقيقاً .

وبعد هذه المقدمة التي أشار فيها ايبو - ور إلى الأحوال المتردية التي عاشتها البلاد، فإنه أخذ يقدم نصحه للملك الجالس على العرش بلباقة وجرأة، فعبر عن رأيه في مواصفات الحاكم المثالي وحدود سلطاته ومسؤولياته فقال:

إنه هو الذي «يطفىء لهيب (الحريق الاجتماعي)، ويقال عنه، إنه راعي كل الناس، ولا يحمل في قلبه شراً، وحينما تكون قطعانه قليلة العدد فإنه يصرف يومه في جمع بعضها إلى بعض وقلوبها مجموعة (من الحزن)».

وهناك بردية أخرى، تصف لنا كذلك الأحداث المريرة التي مرت بها مصر في هذه المرحلة نتيجة انعدام السلطة المركزية، وهي ما تعرف بإسم بردية «نفر - رهو»[١]، وقد سجلت هذه البردية في أوائل عصر الأسرة الثانية عشرة بعد انتهاء هذه الأحداث، ولكن كاتبها نسبها إلى فترة بعيدة ترجع إلى أيام الملك سنفرو مؤسس الأسرة الرابعة، ومما جاء فيها:

«. . . سأريك البلاد وقد أصبحت رأساً على عقب، وحدث فيها ما لم يحدث من قبل، سيمسك الناس بأسلحة القتال، وتعيش البلاد في فزع، وسيصنع الناس سهاماً من النحاس، وسيسعى الناس للحصول على الخبز بإراقة الدماء. . .

«يضحك الناس ضحكة الألم، ولن يكون هناك من يبكي على ميت، أو يقضي الليل صائماً حزناً على من توافيه المنية، ولن يهتم رجل إلا بنفسه. .

«لن يعنى أحد بشعره، ويجلس الإنسان في مكانه لا يحرك ساكناً، بينما يرى الناس يقتلون بعضهم البعض، لقد أصبح الإبن ضد أبيه، وصار الأخ عدواً لأخيه، وصار الرجل يقتل أباه. . .

---

(١) توجد هذه البردية حالياً فى متحف لينينجراد في الإتحاد السوفيتي تحت رقم ١١١٦ ب، وأول من قام بنشرها العالم الأثرى الروس جولينيشف W. Golenischeff عام ١٩١٣، وتلاه في ذلك العديد من العلماء ومنهم سيرالن جاردز وأدولف إرمان.

«لقد انتهى كل شيء جميل ، وصار الناس يفعلون ما لم يفعلوه من قبل ، إنهم يأخذون أملاك الرجل ويعطونها للغريب . . .

« . . . أصبح للكلام في قلوب الناس وقع مثل وقع النار ، ولم يعد أحد يصبر على سماع النصيحة ، لقد قلت مساحة الأراضي ، ولكن عدد ملاكها تضاعف ، ومن كان يمتلك الكثير أصبح لا يملك شيئاً . . . . »

نتائج الثورة الاجتماعية الأولى

ولقد ترتب على قيام الثورة الاجتماعية الأولى نتائج هامة في المجالات السياسية والاجتماعية والدينية.

من الناحية السياسية، كان للثورة نتائج هامة من ناحية تغير مركز الفرعون فلم يصبح هو الملك الإله سليل الآلهة الذي تكرم فأقام على أرض مصر، بل أصبح الملوك عرضة للنقد، وأصبحوا معرضين مثلهم كبقية الناس للوقوع في الخطأ، فلقد كان لسوء الأحوال التي عاشتها مصر إبان هذه المرحلة أثرها في التقليل من قدسية الفرعون، فأصبح إنساناً أكثر منه إله.

ونادى المفكرون خلال هذه الفترة بتطبيق العدالة الاجتماعية بين الناس جميعاً، ومن هنا فقد احتلت العدالة [ماعت] مكانة كبرى في النفوس، وأخذ الملوك يضعونها في ألقابهم للإشارة إلى تمسكهم بالعدالة التي أصبحت الضمير الخلقي الذي يحاسب عليه الإنسان في العالم الآخر وفي ذلك يشير الملك الأهناسي اختوى في نصائحه التي وجهها إلى ابنه الملك مرى كارع[1] محذراً إياه من مغبة مخالفة القانون وعدم الالتزام بالعدالة، حيث يحاسب الإنسان في العالم الآخر على ما قدمت يداه. وفي ذلك يقول:

«إنك تعلم أن محكمة القضاة الذين يحاسبون المذنب لا يرحمون الشقي يوم مقاضاته ولا ساعة تنفيذ القانون . . . ولا تتحدث عن طول العمر،

---

(١) كتب النص المحفوظ لهذه البردية في الأسرة الثامنة عشرة، وهو موجود حالياً في متحف لينجراد بالاتحاد السوفيتي، وهناك ترجمات كثيرة لها، منها ترجمة جاردنر انظر:

Gardiner, A. H., In Journal of Egyptian Archaeology, vol. I, (1914), PP. 20 - 36.

لأن القضاة ينظرون إلى مدة الحياة كلها كأنها ساعة ، فإن الإنسان يبعث ثانية بعد الموت وتوضع أعماله بجانبه كالجبال. إن الخلود مثواه هناك (يعني في الآخرة) والغبي لا يكترث لذلك ، أما الإنسان الذي يصل إلى الآخرة دون أن يرتكب خطيئة ، فإنه سيثوى هناك ويمشي مرحاً مثل الأبرار الخالدين. . . ».

وحدد المفكرون الصفات الواجب توافرها في الحاكم الذي يجلس على العرش ، وهي أن يكرس جهده في خدمة مصالح الدولة ، والعمل من أجل مصلحة رعاياه ، وأن يمتلأ قلبه بحبهم والعطف عليهم. ولقد ورد في شكاوى القروي الفصيح[1] ما يشير إلى مسؤوليات الحاكم تجاه شعبه ، فهو نصير المحتاجين والضعفاء ، وفي ذلك يقول: إن الحاكم هو: «أبو اليتيم ، وزوج الأرملة ، وأخ من هجره أهله ، ودثار من لا أم له» وفي الصفات التي يجب أن يتصف بها الحاكم يقول موجهاً كلامه للحاكم : «لاتنطق كذباً لأنك عظيم ، وأنت بذلك مسؤول ، ولا تكن خفيفاً لأنك ذو وزن ، ولا تتكلمن بهتاناً لأنك الموازين ، ولا تحيدن لأنك الإستقامة. إنك والموازين سيان ، فإذا مالت فإنك تميل كذباً ، إن لسانك هو المؤشر العمودي للميزان ، وقلبك هو المثقال ، وشفتاك هما ذراعاه ، فإذا سترت وجهك أمام الشر فمن ذا الذي سيكبحه».

وحدد ايبو - ور صفات الحاكم ومسؤولياته ، في أنه هو الذي «يطفىء لهيب (الحريق الاجتماعي) ، ويقال عنه أنه راعى كل الناس ، ولا يحمل في قلبه شراً».

ورأى المفكرون أنه حتى يثمر الإصلاح الثمرة المرجوة منه ، فلا بد من أن يساعد الحاكم الذي حددوا صفاته ومسؤولياته حكومة صالحة ، وتعددت

---

(١) لاقت هذه الشكاوى إقبالاً كبيراً أيام الدولة الوسطى ، إذ عثر على أربع نسخ لها ، عدا المقتطفات الأخرى ، وأهم هذه النسخ يوجد في متحف برلين ، وقد ترجمت عدة ترجمات ، منها ترجمة جاردنر ، انظر

Gardiner, A. H., In Journal of Egyptian Archacology, vol, G (1923).

آراء المفكرين حول هذه الحكومة وتكمل هذه الآراء بعضها بعضاً، ويمكن إيجازها في أن تلك الحكومة يجب أن تتكون من جيل جديد من الموظفين الأكفاء الأمناء العدول، الذين يتولون وظائفهم حسب كفاءتهم الشخصية وليس على أساس الحسب والنسب.

ومن الناحية الاجتماعية، فقد كان للثورة نتائج هامة، لعل من أبرزها الدعوة إلى تكافؤ الفرص بين جميع المواطنين، لا فرق بين مواطن وآخر إلا بعمله وجده وإخلاصه، وفي ذلك يقول الملك اختوى لابنه: «إياك أن ترفع من شأن ابن العظيم على ابن الوضيع، بل اتخذ لنفسك الرجل من أجل كفايته».

ومن هذه النتائج كذلك في المجال الاجتماعي، الدعوة إلى المساواة التامة بين المواطنين في الحقوق والواجبات، فقد أدى الوعي القومي في هذه المرحلة المبكرة من حياة الإنسانية إلى ظهور العديد من الأفكار التي تدعوا إلى المساواة، وكانت حججها في هذه المساواة قائمة على أساس خلقي مثالي نابع من الفكر المصري القديم، فالله قد خلق كل إنسان مثل الآخر تماماً في كل شيء فهم متساوون جميعاً في الخلق، كما جعل الأمور التي تتحكم في حياة الناس ملكاً جميعاً وهي المياه والهواء. وسجلت هذه الأفكار على متون التوابيت وجاء فيها: «إن الله خلق أربعة أشياء لمنفعة الناس، وساوى بينهم فيها، أولها، صنع الرياح ليتنفس منها كل إنسان مثل أخيه أثناء حياته. وثانيها صنع مياه الفيضان العظيمة وجعل فيها للفقير ما للعظيم من حق، وثالثها، خلق كل إنسان مثل أخيه ولم يأمرهم بفعل الشر ألا أن قلوبهم قد انتهكت ما أمر به، ورابعها، أنه خلق قلوبهم بحيث تفكر في الغرب (الآخرة) لكي تقدم القرابين للآلهة»(1).

أما من الناحية الدينية فقد كان لأحداث الثورة وما مر به المصريون خلالها من مرارة أثارها الكبيرة في عقائدهم الدينية، فظهر تيار يدعوا إلى

---

(1) Wilson, J. A., In ANET, PP 7 - 8.

تعديل المعتقدات الفكرية السائدة في مقابل تيار آخر انتقد هذه العقائد بعنف، وفي نفس الوقت فقد بقى هناك من حافظ على عقائد السلف.

ومن أهم الأفكار التي ظهرت أن السعادة في العالم الآخر مرتبطة بالعمل الصالح، وفي ذلك يقول الملك «اختوى» لابنه: «أن فضيلة الرجل المستقيم أحب عند الله من ثور الرجل الشرير».

كما اعتقد في هذه المرحلة في وجود محكمة بعد الموت يحاسب أمامها الناس جميعاً عن أعمالهم التي اقترفتها أيديهم في الحياة الدنيا، ولن تشفع الثروة أو الجاه أو المقابر الفخمة أمام هذه المحكمة، بل الشفاعة لعمل الإنسان الصالح وحده، فكل شخص أعماله موضوعة بجواره، وستقرر المحكمة مصير الموتى أجمعين.

واقترب المصريون في ذلك إلى حد ما من المبدأ الذي قررته الكتب السماوية وهو أن الآخرة إنما هي نتيجة عمل الدنيا فقال سبحانه وتعالى في سورة فصلت (الآية ٤٦) «من عمل صالحاً فلنفسه، ومن أساء فعليها، وما ربك بظلام للعبيد».

ورغم وجود هذه الأفكار السامية فقد قلل منها استمرار اعتقاد المصريين في أن إقامة المقابر الفخمة والانفاق عليها إنما يضمن سعادة المتوفي في العالم الآخر، ومنها كذلك انتشار السحر وزيادة الاعتماد عليه في عالم الآخرة، ومن ثم فقد لجأوا إلى التعاويذ التي رأوا فيها حماية للمتوفي من الأخطار التي تحف به في الآخرة، ومنها أيضاً اعتقادهم بأن المتوفي يمتزج في العالم الآخر بالإله أوزير، وكان ذلك من شأنه أن يقضي على الهدف من المحاكمة إذا أصبح مجرد هذا الاقتراح كفيلاً بأن يحقق براءة الميت، وأصبح كل ميت يلقب بالمبرأ، ولم يكن هناك مجالاً للاعتراف بأي ذنب اقترفه في حياته، إذ كان عليه أن يعلن براءته من كل ذنب وأن ينسب لنفسه مجموعة من الأعمال الطيبة[1].

---

(١) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص ٥٧٢ - ٥٧٣ وكذا نجيب ميخائيل إبراهيم: المرجع السابق، ص ٣٨١.

الفَصْلُ الخَامِسُ

عَصرالدَولة الوسطىَ

الأسرة الحادية عشرة الطيبية

(من حوالي ٢١٣٣ إلى ١٩٩١ ق . م)

إن كانت سيمة عصر الانتقال الأول هي الانقسام والتفتت الذي كانت عليه البلاد بعد انهيار السلطة المركزية بنهاية مركزية عصر الدولة القديمة ، فإن النصف الأول من عصر الأسرة الحادية عشرة الطيبية يدخل في نطاق عصر الانتقال الأول ، إذ تتحدد بداية عصر الدولة الوسطى بحدث معين هو إعادة توحيد البلاد على يد نب حبت رع منتو حتب الأول ، هذا ويلاحظ أن الملوك الأربعة الأوائل من الأسرة الحادية عشرة كانوا معاصرين للأسرة العاشرة في أهناسيا التي استمر حكمها من حوالي ٢١٣٠ إلى ٢٠٤٠ ق . م .

ولن نقدم دراسة تفصيلية عن كل ملك من الملوك السابقين للملك منتوحتب الأول ولكننا سنكتفي بعرض موضوع الصراع بين طيبة وأهناسيا حتى انتهى إلى إعادة توحيد البلاد .

وقد بدأ هذا الصراع في عهد الملك واح عنخ ، أنتف الثاني (من الأسرة الحادية عشرة) الذي خاض حرباً ضد الملك الأهناسي واح كارع ، خيتي الثالث ، ولا نتف الثاني لوح حجري[1] يصف فيه استيلائه على إقليم ثني وتوسع طيبة شمالاً حتى إقليم أفروديتو بوليس (كوم أشقاو الحالية ، بمركز طهطا محافظة سوهاج) وهناك أدلة أثرية أخرى[2] تشير إلى أن أنفراد طيبة في عهد هذا الملك شمل المنطقة من الفنتين جنوباً حتى القيس وافروديتوبوليس شمالاً ، هذا وقد أعقب حرب واح عنخ مع الإهناسيين سلام بين البيتين

(١) Hayes, W. C..In CAH., vol I, Part II, P. 477.

(٢) Gardiner, A. H., Egypt of The Pharaohs., p. 119.

المالكين سمح فيما يبدو باستئناف العلاقات التجارية بين الجنوب والشمال .

نب حبت رع (منتوحتب الأول) وإعادة توحيد مصر:

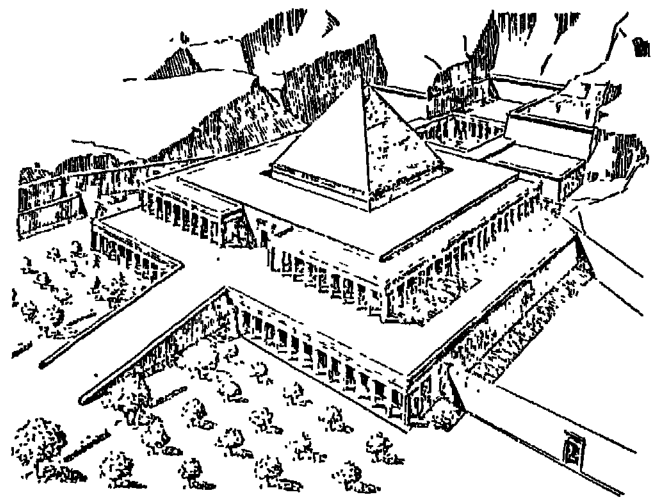
عندما ارتقى العرش ، اتخذ (منتوحتب الأول) الإسم الحوريسي سعنخ ايب تاوى» (مجدد حياة قلب الأرضين) واحتفظ به حتى العام الرابع عشر من حكمه على الأقل ، وفي هذا العام الرابع عشر حاول حزب مؤيدي البيت المالك في أهناسيا استعادة مدينة ثنى مما أدى إلى استئناف العداء بين طيبة وأهناسيا وبداية هجوم طيبي ضخم تحت زعامة هذا الملك أسفر عن سقوط أهناسيا نفسها وإعادة توحيد مصر. وفي نقش هيكل من الجبلين يرجح أنه يؤرخ بالفترة التي تسبق مباشرة سقوط أهناسيا يمثل منتوحتب الأول يطرح أميراً مصريا والنص المرافق لهذا النص يصف الملك بالظافر الذي على رأس الأرضين الذي أقام النظام في مصر العليا والدلتا. . . بما يفيد تغلبه على الإهناسيين ومؤيديهم وجعله أمراء مصر الوسطى والسفلى أتباعاً للحكومة المركزية في طيبة ، وفي نقش آخر من معبد الملك بالدير البحري يظهر اثنان من الأمراء يلقبان «حاكمي الأرض الشمالية» يقومان بالخضوع أمام الملك .

وعلى ذلك ، فلقد كان منتوحتب الأول أول ملوك الأسرة الحادية عشرة الذي أصبح ملكاً حقيقياً على مصر كلها ، وعندما تم له ذلك اتخذ لقباً حورياً جديداً يعبر عن هذا الواقع ، وهو لقل «سام تاوى» الذي يفيد معنى موحد الأرضين.

ولقد ظهر إسمه في بردية تورين وقائمة سقارة وقائمة أبيدوس ، ووصفته قائمة الكرنك بأنه «الإله الطيب ، رب الأرضين ، ملك مصر العليا والسفلى ، سيد القربان ، نب حبت رع ، المبرأ» ، وتظهر مكانته البارزة بين فراعين مصر كمؤسس لعصر جديد وموحد للبلاد بين أقرانه العظام الملك «منى» موحد مصر ومؤسس أول ملكية بدأ بها عصر الأسرات ، والملك أحمس الأول مؤسس الدولة الحديثة ، وذلك في الرمسيوم ، حيث ظهر الملوك الثلاثة «منى» و «منتوحتب الأول» و «أحمس الأول» بوصفهم المؤسسين للدولة

القديمة والدولة الوسطى والدولة الحديثة(١).

وقام منتوحتب الأول بالتخلص من العناصر غير الموالية لحكمه ، فعزل أمراء أسيوط المشاغبين من وظائفهم ، بينما أبقى على الأمراء الموالين له ، وقد عمل الملك على تركيز السلطة المركزية في طيبة وذلك بتعيين موظفيه الطيبيين في المواقع الهامة في الحكومة ، وشغل أحد هؤلاء الموظفين وظيفة حاكم مصر السفلى ، وهي وظيفة جديدة استلزمتها ظروف وجود العاصمة طيبة في الجنوب .



(شكل ١٤) منظور المعبد الجنزى للملك نب حبت رع منتوحتب

وانعكس أثر هذه الوحدة القومية في رخاء البلاد وتقدمها الحضاري ، فاستؤنف تشييد الأبنية و بخاصة معابد الآلهة ومقاصيرها ، فلقد عثر على تماثيل له في معبد الآلهة ساتت في اليفانتين وكذلك في أساسات معبد الآلهة نخبت في

(١) Hayes, W. C., op. cit., P 181.

الكاب ، وفي الجبلين ، كما أعاد بناء معبد الإله مونتو في طود ، وأقام عدة مقاصير في دندرة وأبيدوس .

ومن أهم تشييدات منتوحتب الأول المعمارية ، معبده الهرمي في منطقة الدير البحري في طيبة الغربية والذي يعد طرازاً فريداً في تصميمه ، والجديد هنا ، هو الجمع بين هرم الفرعون ومعبده في وحدة معمارية واحدة ، وتخير الفرعون لمشروعه حضن جبل مرتفع من جبال طيبة الغربية ، وصمم تحت الهرم مسطحين كبيرين يلي أحدهما الآخر ويعلوه ، ويشغل المسطح الأول فناء فسيح في مؤخرته صفتان عريضتان ، في كل صفه صفان من أعمدة مربعة ، وبين الصفتين ممر صاعد يؤدي إلى المسطح الثاني ، وكان يكتنف الممر صفان من شجر الجميز ، في كل صف أربعة أشجار ، وتحت كل شجرة جالس للملك . وتتوسط المسطح الثاني قاعدة مرتفعة كان يقوم فوقها هرم مسمط ، ويحيط بها بهو يتخلله ١٤٠ عموداً ذات شكل ثماني ، وكان يقوم أمام البهو وفي كل من جانبيه رواق يحتوي على صفين من أعمدة مربعة ، ويوجد في مؤخرة البهو ست مقصورات تعلو مقابر بعض نساء البيت المالك ، ويوجد وراء المقصورات فناء ثان يليه بهو يشتمل على ثمانين عموداً في عشرة صفوف ، ويوجد في جداره الخلفي قدس الأقداس محفور في الصخر[1] (شكل ١٤) .

وفيما يتصل بالسياسة الخارجية للملك نب حبت رع منتوحتب الأول ، فنجده بعد أن تمكن من إعادة توحيد البلاد ، عمل على إعادة نشاط مصر في الصحراء الشرقية فأرسل حملة إلى وادي الحمامات ، قضت على مصادر الشغب في هذه المنطقة ، كما أعاد فتح الطريق إلى مناجم الفيروز في سيناء .

وبالنسبة لحدود مصر الغربية فقد أرسل حملة إلى قبائل التحنو الليبية تمكنت من قتل قائد هذه القبيلة ، واتخذ الخطوات الكفيلة بالسيطرة على

---

(١) محمد أنور شكري : المرجع السابق ، ص ٣٧٤ - ٣٧٩ .

الصحراء الجنوبية الغربية والجنوبية الشرقية[1] وفيما يتصل بالجنوب، فهناك نقش يسجل قيام الملك منتوحتب الأول بالسفر إلى بوهن مقابل وادي حلف عبر النهر، وأنه قد عبر البلاد جميعاً أثناء رحلته البرية هذه، وقد عاد منها محملاً بمعادن وأحجار كثيرة[2].

وأدت حالة الأمن والاستقرار التي شهدتها مصر إلى استئناف إرسال القوافل التجارية إلى النوبة السفلى وشواطىء سوريا، وربما إلى بونت كذلك. هذا وقد دام حكم منتوحتب الأول ٥١ عاماً وتوفي حوالي عام ٢٠٠٩ ق. م.

---

(1) Vercoultter, J., The Near East; the Early Civilizations, London, 1967, P. 350.

(٢) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص ٦٣٩.

سعنخ كارع ـ منتوحتب الثاني :

ارتقى العرش بعد وفاة أبيه ودام حكمه اثنا عشر عاماً اتسمت بالسلام والرخاء، ورغم أنه يمثل في شبابه كمحارب في نقوش المعبد الجنزي لنب حبت رع بالدير البحري إلا أنه يبدو أنه كرس عهده في تشييد الأبنية، فقد ترك نقوشاً له في العديد من المعابد من الفنتين جنوباً حتى ابيدوس شمالاً، كما بدأ بناء معبده الجنزي ومقبرته على مسافة نصف ميل إلى الجنوب الغربي من معبد أبيه ولكن هذا البناء لم يكتمل.

ولعل خير شاهد على هدوء الأحوال في هذا العهد هو ما تمدنا به مجموعة خطابات عثر عليها في طيبة لشخص يدعى «حقا نخت» كان يعمل كاهناً جنزياً في مقبرة الوزير «ايبي» في عهد منتوحتب الثاني ثم استدعي في العام الثامن من حكم هذا الملك في عمل بالجنوب وكلف ابنه بالإشراف على المقبرة وعلى مزرعة يمتلكها في شمال طيبة وكانت تقيم فيها عائلته، والواقع أن حقا نخت لم يترك مجالاً في التوجيه إلا وطرقه سواء في توجيه ابنه لكيفية معاملة العمال أو في معاملة عائلته والخدم وتخصيص أعمالهم. ولا شك في أن هذه الحياة الزراعية الهادئة التي تقدم الخطابات صورة عنها إنما هي ثمرة الأمن والسلام الذي تمتعت به البلاد في هذا العصر.

وفي العام الثامن من عهد منتوحتب الثاني غادرت حملة وادي النيل قرب مدينة قفط على النيل واتجهت شرقاً عن طريق وادي الحمامات إلى البحر الأحمر وكان الهدف من هذه الحملة استئناف البعثات التجارية البحرية مع بونت، وتمكنت الحملة من التخلص من قبائل بدو الصحراء الشرقية كما قامت بحفر ما يقرب من خمسة عشر بئر ماء على طول الطريق لضمان تزويد البعثات التي تمر بهذا الطريق بالمياه وكانت هذه البعثة بقيادة «حنو»[1].

ولقد أشار «حنو» إلى وجود علاقات مع «الحاونبو» سكان جزر البحر

---

(١) Vercoutter, J., op. cit., pp. 351 - 352.

المتوسط وعلى الأخص جزيرة كريت، وتميزت هذه العلاقات على الأرجح بطابع الود[1].

نب تاوى رع منتوحتب الثالث:

لم يخلف هذا الملك من الآثار إلا القليل، وربما كان ذلك لقصر عهده، إذ تشير بردية تورين إلى فترة سبع سنوات فيما بين نهاية حكم منتوحتب الثاني وقيام الأسرة الثانية عشرة دون أن تحدد لها ملكاً معيناً، وربما يرجع ذلك إلى نقص الوثائق المتصلة بهذا الملك لدى كتبة هذه القائمة وكذلك قوائم الرعامسة[2].

ومن الأدلة الأثرية المتبقية من عهده، أو حفظت لنا اسمه، إناء حجري عثر عليه في اللشت على مقربة من هرم الملك أمنمحات الأول، وقد كتب إسمه على الإناء من الخارج وذلك على النحو التالي: «حور نب تاوى ابن رع منتوحتب» بينما كتب الاسم الحوري للملك امنمحات في داخل الإناء[3].

كما حفظت لنا الآثار إرساله البعثات في أعوام حكمه الأول والثاني لاحضار الأحجار من جنوبي أسوان وكذلك وادي الحمامات لقطع كتل حجرية للتابوت الملكي فضلاً عن تشييد معابد في الصعيد، وقد كانت هذه البعثة التي تكونت من عشرة آلاف رجل جمعوا من مصر العليا والسفلى تحت قيادة الوزير امنمحات الذي يذكر أنه كان مشرفاً على كل شيء في هذه الأرض كلها[4].

---

(١) فيما يتصل بالعلاقات بين مصر وكريت خلال عصر الأسرة الحادية عشرة، انظر: سوزان عباس عبد اللطيف: دراسة تاريخية للعلاقات بين مصر واليونان منذ منتصف الألف الثاني ق. م وحتى منتصف الألف الأول ق. م.. (رسالة دكتوراه)، الإسكندرية ١٩٨٧، ص ٦٤ - ٦٥.

(٢) Vercoutter. J., op. cit., p. 353.

(٣) Hayes, W. S., op. cit., P. 167.

(٤) Breasted, J. H., op. cit., parg. 439.

ويرجح أن هذا الوزير هو الذى ارتقى عرش مصر بعد عودته من وادي الحمامات بقليل وأسس أسرة ملكية جديدة هي الأسرة الثانية عشرة، ويتجه بعض الباحثين إلى الاعتقاد بأن امنمحات لم يستول على العرش بطريق القوة. ورغم الغموض الذى يكتنف نهاية الأسرة الحادية عشرة وبداية الأسرة الثانية عشرة، فإنه يمكن القول بأن انتقال العرش من الأسرة الحادية عشرة إلى الأسرة الثانية عشرة قد تم دون اتخاذ إجراء سياسي عنيف.

الأسرة الثانية عشرة

(من حوالي ١٩٩١ - ١٩٦٢ قبل الميلاد)

امنمحات الأول :

يرد في نبوءة «نفرتي»(١) كاهن تل بسطة في شرق الدلتا: «. . . كل خير قد ولى والبلاد تعاني من جراء البدو والغزاة الأعداء بيننا والأسيويين يدخلون مصر. . . المالك أصبح في حاجة يسأل الناس وغدا الأجنبي غنياً. . . نقصت الأرض وتضاعف حكامها. . . إن المخلص سيأتي سيظهر ملك في الجنوب يدعى امنى (اختصار اسم أمنمحات). . . ابن امرأة من تاستي طفل من نخن سيستلم التاج الأبيض ويرتدي التاج الأحمر ويوحد القوتين. . .».

ومن الواضح أن هذه النبوءة تهدف إلى تدعيم مركز الملك الجديد أمنمحات الأول وذلك بتقديم صورة بغيضة عن أحوال البلاد في الدلتا في أواخر الأسرة الحادية عشرة، ولو أن نفرتي يمثل في هذه النبوءة كمعاصر لسنفرو أول ملوك الأسرة الرابعة، إلا أن هذا وحي خيال ولا شك أن نفرتي هذا من صنائع أمنمحات الأول.

وتبين من تلك النبوءة كذلك أن أم أمنمحات كانت من العامة «امرأة من إقليم الفنتين» (تاستي) أما أبوه سنوسرت فكان من العامة أيضاً، واعتبرته الأجيال التالية سلفاً للأسرة وأعطى اللقب أبو الإله سنوسرت.

ونظراً لافتقار امنمحات إلى الأصل الملكي فقد اتخذ ثلاثة أسماء في

---

(١) انظر
Gardiner, A. H., In J. E A., vol. I (1914), PP. 160 - 106.

ألقابه الملكية الجديدة ضمنها اللقب وحم مسوت (معيد الولادات) بما يشير إلى أن عهده كان عهداً جديداً في تاريخ البلاد. ويعني اسم امنمحات «امون في المقدمة» إنه كان من عباد الإله آمون، وتدلنا التسمية أنه رفع هذا المعبود إلى مرتبة الصدارة بين الآلهة الأخرى بجعله الإله الرسمي للدولة.

ولعل أهم أعمال امنمحات الأول الداخلية انشاؤه لعاصمة جديدة لمصر وذلك حين أدرك أن طيبة (الأقصر) لا تصلح عاصمة للبلاد فاختار مكاناً وسطا بين الدلتا والصعيد هذا فضلاً عن رغبته في أن تكون عاصمته على مقربة من الأسيويين وكذا على مقربة من منطقة خصبة يمكن استغلالها في مشاريعه الزراعية، وأخيراً ليكون على مقربة من أنصاره في مصر الوسطى وهكذا كانت «ايثت تاوى» على مبعدة ١٨ ميلاً إلى الجنوب من منف - ويعني اسمها القابضة على الأرضين عاصمة لامنمحات الأول وأسرته من بعده[١]، وبالقرب من العاصمة شيد امنمحات الأول هرمه وهو من اللبن وكساه بالحجر الجيرى، وإلى الشرق من هرمه يقع معبده الجنزي.

هذا وقد اتبع سياسة جديدة بين أمراء الأقاليم منعت التنافس بينهم وذلك عن طريق إقامة حدود ثابتة بين كل إقليم وآخر كما سن قانوناً نظم به نصيب كل إقليم من مياه النيل الخاصة بري الأراضي الزراعية هذا فضلاً عن تحديد الكمية التي يقدمها كل إقليم من المواد الغذائية وعدد السفن اللازمة للأسطول وإعداد الرجال للجيش المرابط للتاج الملكي.

وفي بداية عهد هذا الملك أبحر مع «خنوم حتب» حاكم بني حسن في أسطول من عشرين سفينة حتى الفنتين، وقضى على ما تبقى من جيوب المقاومة لحكمه في هذه المنطقة المضطربة كما قام الملك بجولة تفتيشية في الشمال إلى الدلتا، ويبدو أنه دفع غارات جماعات البدو على حدودها الشرقية وأقام هناك موقعاً حصيناً للحيلولة دون غاراتهم المستقبلة أطلق عليه «حيطان الأمير»[٢].

(١) محمد بيومى مهران المرجع السابق، ص ٥٩٠ - ٥٩١.

(٢) Vercoutter, J., op. cit., p. 361 - 362.

وفي العام العشرين من حكمه أشرك معه ابنه سنوسرت الأول فى الحكم ، وقد كان هذا تقليداً أتبعه ملوك الأسرة الثانية عشرة بعده ربما لدرء الأخطار التي قد تحيط بالدولة عند موت الملك إذا لم يكن الولى على العرش محدداً ، وقد اشترك كل من امنمحات الأول وسنوسرت الأول في العرش مدة عشر سنوات وفي أثناء تلك الفترة فتحت بلاد النوبة السفلى واحتلتها القوات المصرية بقيادة سنوسرت .

وفى العام التاسع والعشرين من حكم امنمحات الأول امتد غزو النوبة جنوباً إلى كوروسكو وربما امتد هذا الغزو إلى أبعد من ذلك لأنه من المعتقد أن امنمحات الأول هو مشيد قلعة الحدود عند سمنة جنوب الجندل الثاني ، ويفيد لوح حجري يؤرخ بالعام الرابع والعشرين من حكم امنمحات الأول انتصار جنود الملك على بدو الصحراء الشرقية وشبه جزيرة سيناء كما نعرف مالا يقل عن حملة قادها سنوسرت فى عهد أبيه ضد التمحو الليبيين في وادي النطرون .

ومات امنمحات بعد حكم دام ثلاثين عاماً وقد اغتاله بعض المتآمرين الذين انتهزوا فرصة غياب ابنه سنوسرت في حملة فى ليبيا للتخلص من هذا الملك العجوز واغتالوه ليلاً ، ويرد وصف هذا الاغتيال في تعاليم امنمحات[١] إلى ابنه الأكبر ، وولي عهده سنوسرت وفى نص أدبى شهير من هذا العصر هو قصة سنوهي[٢] الذي كان مرافقاً لسنوسرت فى حملته .

سنوسرت الأول :

تمكن سنوسرت الأول (خبر كارع) من القضاء على المؤامرة التى أدت إلى مقتل أبيه وقد اشتهر سنوسرت الأول بكثرة أعماله العمرانية . ففى مصر ما يقرب من ٣٥ منطقة وجدت بها آثار من عهده موزعة على الوادى من

---

(١) انظر . Wilson. J. A. In ANET, PP. 418 . 419.

(٢) انظر Ibid., PP. 18 - 22.

الإسكندرية وحتى الجندل الأول جنوبي أسوان غير أن أهم أعماله في هذا المجال إنما كان تشييده من جديد لمعبد رع بمدينة هليوبوليس وليس هناك شك في أن اهتمام سنوسرت بمدينة هليوبوليس إنما كان لأسباب سياسية ودينية ذلك لأن الإله رع ـ معبود هليوبوليس ـ هو أكبر الآلهة المصرية وسيدهم ، كما أنه واحد من أقدمهم جميعاً. وكانت الأسرة الثانية عشرة تهتم كثيراً بإحياء العقيدة وسطوتها فضلاً عن إرضاء الكهانة المصرية جمعاء ، وكان سنوسرت شديد الرغبة في إعادة المقام الأرضي لهذا الإله ، وأخيراً فإن هليوبوليس إنما كانت تقع في مدخل الدلتا ، وكان معبدها من المراكز الكبرى للحج لكل سكان مصر السفلى ، ومن ثم فقد كسب «سنوسرت الأول» احترام الحجاج جميعاً ، عندما قام بتبجيل أون[1] .

وقد شيد سنوسرت جوسقا في الصرح الثالث في الكرنك ، ولقد أمكن إعادة بنائه نظراً للعثور على أحجاره كاملة . ويبدو أنه كانت تتوسط الجوسق منصه يعلوها عرشان ، وإن سنوسرت الأول قد احتفل فيه بيوبيله الثلاثيني[2] .

هذا وقد عني سنوسرت الأول عناية كبيرة باستغلال مناجم الصحراء فأرسل البعثات التي جلبت الفيروز والنحاس من سيناء ، والمرمر من محاجر حتنوب ، كما حصل على الديوريت من الصحراء النوبية .

هذا وقد اتبع «سنوسرت الأول» سياسة أبيه تجاه أمراء الأقاليم ، والذين كان الكثير منهم من أبناء أولئك الذين كانوا يحكمون أقاليمهم على أيام أبيه امنمحات الأول فظلوا موالين له بعد اغتيال أبيه ، ولم يتجاوزوا سلطان فرعون الذي منحهم حقوقهم الوراثية ، فضلاً عن ثرواتهم الشخصية ، كما كانوا يمدونه بفرق الجند التي كان يتكون منها الحرس الملكي .

واتبع سنوسرت الأول سياسة أبيه في نظام الحكم المشترك فأشرك معه ابنه امنمحات الثاني. هذا وقد بنى سنوسرت الأول مجموعته الهرمية على

(١) vercoutter. J., op. cit., PP. 370 - 371.

(٢) محمد أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ١٧٩ ـ ١٨٠ .

مبعدة ميل ونصف إلى الجنوب من هرم أبيه امنمحات الأول.

وفي العام الثامن والعشرين من حكمه أرسل حملة لتسهيل فتح النوبة السفلى تمكنت من احتلالها والسيطرة عليها حتى بوهن عند الجندل الثاني، والتي عثر فيها على لوح من الحجر نقش فيه منظر الملك وهو يقف أمام إله الحرب مونتو ويرافق المنظر نص يرد فيه: «لقد أحضرت لك كل بلاد النوبة تحت قدميك أيها الإله الطيب»[1]. ويبدو أن السيطرة المصرية قد امتدت حت الجندل الثالث متضمنة أرض كوش التي يرد ذكرها لأول مرة في النصوص المصرية.

وفي الغرب أرسل الملك حملات تأديبية ضد التمحو والتحنو الليبيين، كما عمل على تأمين المواصلات مع الواحات، إذ كانت تمر بها القوافل التجارية ورسل الملك. ويتبين من قصة «سنوهي» إن سنوسرت الأول لم تكن له أية سلطة على سوريا التي لجأ إليها سنوهي بعد خروجه، وهو أمر يبدو مؤكداً إذا لم يعمل ملوك مصر على مد نفوذهم خارجها باستثناء النوبة قبل عصر الدولة الحديثة، وكل ما حققه الملك حينئذ لم يتعد إقامة علاقات طيبة مع رؤساء فلسطين وسوريا بما يفيد استمرار التجارة مع غربي آسيا وتنقل التجار والرسل المصريين في حرية تامة.

٣ ـ امنمحات الثاني:

اتبع امنمحات الثاني مع أمراء الأقاليم نفس سياسة أبيه، فقد أكد لبعضهم حقوقهم الوراثية مع الحفاظ على هيمنة العرش على أقاليمهم، ويبدو أن حياة الهدؤ والاستقرار التي عاشتها البلاد على أيامه قد أتاحت له فرصة الإشراف عليهم، يولي منهم من يشاء ويعزل من يشاء، ومع ذلك فهناك ما يشير إلى أن حاكمي إقليمي الأشمونين وبني حسن قد استعادوا كثيراً من سلطاتهم وبدأوا في منافسة الفرعون في الثراء والتفاخر.

---

(١) Breasted, J., In PSBA, vol. 23 (1901) PP. 230 - 235.

وقد شيد امنمحات الثاني هرمه إلى الجنوب الشرقي من هرم سنفرو الشمالي في دهشور بحوالي ثمانية كيلومترات، وقد شيد هرمه بالأحجار والطوب اللبن، وربما كان ذلك راجعاً إلى رغبته في خفض تكاليف البناء. ولقد عثر في مجموعته الهرمية على مجموعة من المجوهرات والأمتعة الشخصية وهي ما عرفت باسم «كنز دهشور»[1] وقد وجدت في مقبرة زوجة الملك وبناته، وهي تشتمل على عقود ذهبية وأحجار كريمة وأدوات مغطاة بصفائح الذهب، وتشهد دقة صناعتها وذوقها الفنى بمقدرة الصانع المصري ومهارته.

ولم يبذل امنمحات الثاني جهداً حربياً يذكر، واقتصر نشاطه على بعض النواحى الداخلية، فاهتم باستغلال مناجم الذهب في النوبة وبإرسال البعثات التجارية إلى سورية وبونت.

٤ ـ سنوسرت الثاني:

يتميز عهد سنوسرت الثاني ببدء مشروع استصلاح الأراضي في إقليم الفيوم، وقد قام سنوسرت الثانى بنشاط عمراني في العديد من مناطق مصر، فأقام معبداً في أهناسية، كما عثر على آثار له فى الكرنك وسرابيط الخادم ووادي الحمامات والقصير واللاهون واسوان.

ولقد شيد هرمه في منطقة اللاهون عند مدخل الفيوم جنوب العاصمة ايثت تاوى حوالي ٤٠ كيلومتر، وبنى الهرم فوق مرتفع من الأرض وفى وسطه صخرة ارتفاعها ١٢ متراً بنى حولها الهرم الذي شيد معظمه من الطوب اللبن، وكسى الهرم بكتل من الحجر الجيري، لا يكاد يوجد منه شيء في الوقت الحاضر.

وحتى يحمي هرمه من اعتداءات اللصوص، فقد جعل مدخله في الجهة الجنوبية، وهو عكس الاتجاه الذي تعود عليه ملوك مصر وهو الناحية

(١) Edwards. I. E. S. The Pyramids of Egypt. 1965, P. 235.

الشمالية. ولمزيد من الحيطة، فقد جعل المدخل يبدأ من بئرين رأسيتين خارج مبنى الهرم نفسه، وأخفوا البئر الرئيسية تحت أرضية مقبرة إحدى الأميرات، أما المدخل الثانوي فكان تحت أرضية بهو المعبد. وفي الجهات الجنوبية والشرقية والغربية من الهرم زرعت أشجار في حفرات مستديرة، وهو اتباع للتقليد الذي بدأ في الأسرة الحادية عشرة في معبد الملك نب حبت رع منتوحتب في الدير البحري[1].

وشيد سنوسرت الثاني على مقربة من هرمه مدينة صغيرة للمهندسين والموظفين والعمال الذين كانوا يعملون في بناء الهرم، ولتكون بيوتها بعد ذلك مساكن للكهنة الذين سوف يعهد إليهم بأداء الطقوس الجنزية في معبديه، وقد أطلق على هذه المدينة «حتب سنوسرت» أي «سنوسرت راضي». وترجع أهمية هذه المدينة إلى أنها أقدم مدينة مصرية حفظت لنا وتمكن علماء الآثار من التعرف على تخطيطها.

وفيما يتصل بعلاقات مصر الخارجية في عهد سنوسرت الثاني فإننا نتعرف من نقش ملون على أحد حيطان مقبرة خنوم حتب حاكم إقليم بني حسن في عهد سنوسرت الثاني. أن هذا الحاكم قد استقبل في إقليمه جماعة من البدو الأسيويين الذين ربما أتوا من فلسطين وكان على رأسها ابشا «حاكم الأراضي الجبلية»، وأحضروا معهم بعض هداياهم[2].

وتجدر الإشارة إلى أنه قد عثر في منطقة هواره ومدينة كاهون على أختام وأوان ذات رخارف تشبه الزخارف الكريتية التي شاعت في العصر المينوي الوسيط[3].

ولم يزد حكم سنوسرت الثاني عن تسع سنوات بما في ذلك الفترة التي

(١) أحمد فخرى: الأهرامات المصرية، القاهرة، ١٩٦٣، ص ٣١٣-٣١٧.
(٢) عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم، الجزء الأول، مصر والعراق، القاهرة، ١٩٦٧، ص ١٨٠.
(٣) سوزان عباس عبد اللطيف. المرجع السابق، ص ٦٥.

اشترك فيها مع أبيه امنمحات. وعندما ترك العرش لابنه سنوسرت الثالث استقبلت مصر ملكاً كان مقدراً له أن يكون من أعظم ملوك مصر.

٥ ـ سنوسرت الثالث:

يعتبر عهد سنوسرت الثالث «خع كاورع» من أزهى العهود في عصر الدولة الوسطى، ويتميز بانجازين لهما أهمية بالغة تقتصر على عهده، بل أيضاً لمستقبل البلاد. وهذان الإنجازان العظيمان هما: القضاء على نفوذ حكام الأقاليم، وضم النوبة.

ففي عهد امنمحات الأول وخلفائه استعاد حكام أقاليم مصر العليا والوسطى الكثير من امتيازاتهم ونفوذهم، وبدأوا مرة أخرى ينافسون الملوك في الثروة والمظهر. ونظراً لأن سنوسرت الثالث كان يهدف إلى التمتع بحكم فردي مطلق، فإنه في النصف الأخير من عهده. جرد حكام الأقاليم من حقوقهم وامتيازاتهم ونفوذهم السياسي. ولا ندري تماماً كيف حقق الملك هذا. ولكن في عهد سنوسرت الثالث انتهى بناء المقابر الضخمة في الأقاليم ولم نعد نسمع عن «الحكام العظام» للمقاطعات، بدلاً من ذلك نجد أن مصر تقسم إلى ثلاث تقسيمات جغرافية كبيرة تضم مقاطعات مصر السفلى ومصر الوسطى ومصر العليا، ويدير كل منها قسم إداري تابع للحكومة المركزية. وكان يرأس كل قسم من هذه الأقسام الثلاثة موظف يساعده بعض المعاونين وعدد من الكتبة، وكانت الأقسام جميعاً تحت الإشراف المباشر للوزير. ونتج عن إلغاء طبقة النبلاء الإقطاعيين ظهور طبقة وسطى في المجتمع المصري تتكون من الحرفيين والتجار وصغار المزارعين وما شابه ذلك الذين يمكن التعرف على زيادة ثرواتهم وأهميتهم في بناء المجتمع المصري من العديد من التماثيل الصغيرة الخاصة من هذه الفترة. ومما لا حصر له من الألواح الحجرية التي أهداها هؤلاء الناس بالقرب من معبد أوزير في أبيدوس[1].

أما عن ضم النوبة، فيبدو أن قبائل الكوشيين قد نزحت شمالاً منذ عهد

(١) Vercoutter, J. op cit., p. 374

سلفيه امنمحات الثاني وسنوسرت الثاني وبدأوا يهددون أمن المنطقة بين الجندلين الأول والثاني ، وإزاء هذا التهديد قام الملك بشق قناة في صخور الجندل الأول لتكون طريقاً لسفنه الحربية عند اتجاهها إلى الجنوب ، وأطلق عليها اسم «جميلة هي طرق خع كاورع»[١].

وفي العام الثامن من حكم الملك قام بحملته على بلاد النوبة مبحراً عبر القناة في طريقه لقهر «كوش التعسة» وفي أعقاب هذه الحملة الأولى أقام سنوسرت الثالث لوحة للحدود عند سمنة جنوب وادي حلفا بحوالي ٣٧ ميلاً ، ونتبين منها أن الكوشيين الذين أطلق عليهم المصريون القدماء تسمية الزنوج (نخسيو) كانوا يمثلون خطراً فعلياً عمل المصريون على درئة ببعض القيود التي قررها سنوسرت ، ومما يؤكد أن هؤلاء الكوشيين كانوا مصدر قلق للمصريين أن الملك اتبع حملة العام الثامن بما لا يقل عن ثلاث حملات أخرى ضدهم قادها الملك بنفسه في الأعوام الثاني عشر والسادس عشر والتاسع عشر من حكمه . وسجل نصره في هذه الحملات في لوحه النصر في سمنة .

ولحماية حدود هذا الإقليم الجديد (النوبة السفلى) حتى سمنة ، ولدرء أي خطر من الجنوب أقيمت سلسلة من ثماني قلاع بين سمنة في الجنوب وبوهن القديمة على البر الغربي للنيل في مواجهة وادي حلفا وينسب إلى سنوسرت الثالث تشييد وإعادة بناء ثلاث من هذه القلاع على الأقل هي قلعة سمنة على الضفة الغربية للنيل ، وقلعة سمنة في مواجهة القلعة السابقة على البر الشرقي للنيل ، وقلعة أوروناتي وهي إلى الشمال من القلعتين السابقتين على جزيرة في الجندل الثاني .

وقد قاد سنوسرت الثالث حملة في الشمال وصل فيها إلى «سكمم»[٢] ويرجح بعض الباحثين أنها «ششم» بجبل أفرايم فى فلسطين ، ولم تستهدف

(١) Breasted, J. H., ARE, vol. I, parag. 642 - 648

(٢) Ibid., parag. 676.

تلك الحملة التوسع أو مد النفوذ المصري إلى هذه الجهات ، بل كانت تأميناً للحدود المصرية الشمالية .

وقد دام حكم سنوسرت الثالث خمسة وثلاثين عاماً ، وله هرم من الآجر في دهشور[1] . وقد شيد معبداً في أهناسية وآخر في أبيدوس كما اهتم بهذه المدينة المقدسة ، ومن ثم فقد أمر بترميم ما تهدم من معابدها وتنظيم أعيادها ، كما عثر له على تمثالين بين أطلالها ومعبد جنازي صغير.

هذا وقد اتبع سنوسرت الثالث سنة أسلافه وأشرك معه فى الحكم ولده «امنمحات الثالث» في أخريات أيامه بفترة قصيرة .

امنمحات الثالث :

جنى امنمحات الثالث (ني ماعت رع) جهود أبيه الحربية ، فوجه جهوده لتنمية واستثمار الموارد الاقتصادية لمصر ، وظهر ذلك في زيادة أعمال التعدين في كل من الصحراء الشرقية والغربية فأرسل البعثات إلى سيناء لإحضار الفيروز والنحاس[2] ، كما أرسل البعثات إلى صحراء النوبة الغربية لإحضار أحجار الديوريت وغيرها من الأحجار من هناك .

ووجه امنمحات الثالث اهتمامه لاستغلال مياه فيضان النيل وعدم ضياعها سدى ، فأمر بتسجيل ارتفاع النهر في سمنة وقمنة ، ولقد اتخذ من بحيرة منخفض الفيوم خزاناً طبيعياً يحبس فيه مياه النيل الزائدة ، ومن أجل ذلك بنى سداً عند مدخل البحيرة في أضيق ممر ينفذ منه بحر يوسف الحالي ، وبذلك أدى إلى استصلاح ما يقرب من سبع وعشرين ألف فدان في هذه المنطقة . وأقام امنمحات على الشاطىء الشمالي من هذه المنطقة حاجزين

---

(١) أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣١٨ - ٣٢١ .

(٢) تزيد نقوشه التى عثر عليها فى مناطق استخراج الفيروز والنحاس عن ٥٩ نقشاً وهى تبدأ من السنة الثانية وحتى السنة الخامسة والأربعين من عهده .

انظر : Gardiner, A. H .Peet, t.. and Cerny J. The Inscriptionsof Sinai,vol I. London. 1952. P. 15 ff.

ضخميين أقام فوقهما تمثالين يمثلانه وهو جالس يبلغ ارتفاع كل منهما اثني عشر متر.

وشيد امنمحات الثالث لنفسه هرمين الأول في دهشور، والثاني في هوارة، وبجوار الهرم شيد معبده الجنائزي وهو يشغل مساحة تزيد على سبعين ألف متر مربع (٣٠٠ × ٢٤٠م[١]) وقد عده الإغريق من عجائب مصر وأطلق عليه «مبنى اللابيرانث» (قصر التية)، ولقد مات امنمحات الثالث دون أن يتم العمل فيه فأكملته «سوبك نفرو» آخر ملوك الأسرة الثانية عشرة.

ولقد وصف اللابيرنث كل من هيرودوت وديودور واسترابو، ولقد ذكر هيروردوت[٢] إنه شاهده بنفسه وأنه يفوق الوصف، وأنه يفضل الهرم، وهو يتكون من اثني عشر بهواً مسقوفاً، أبوابها متقابلة، وأنه يتكون من ثلاثة آلاف غرفة نصفها تحت الأرض، و نصفها الآخر فوقها، وإن الغرف العليا تفوق ما أخرجه الإنسان من آثار، إذ أن سقوفها كلها قد شيدت من الأحجار، وكان يحيط بكل بهو أعمدة مصنوعة من الأحجار البيضاء. ويذكر هيرودوت أنه شاهد بنفسه الحجرات الموجودة فوق سطح الأرض، أما الحجرات الموجودة تحت سطح الأرض فيذكر أن المشرفين عليها لم يسمحوا لهم أن يدخلوها.

أما «ديودور» فقد وصفه بأنه يدعو للعجب لدقة صناعته، وأن من يدخله لا يجد طريقة إلى الخارج بسهولة، ويذكر أنه مربع الشكل، وبه بهو تحيط به الأعمدة التي تتكون من أربعين عموداً في كل جانب، أما سقفه فإنه منحوت بحجر واحد مزخرف بصور ورسوم مختلفة[٣].

ويصف «سترابو»[٤] اللابيرنت وكأنما هو يحتوي على عدد ضخم من

(١) محمد أنور شكرى. المرجع السابق، ص ٣٨٤.

(٢) هيرودوت يتحدث عن مصر، ترجمه محمد صقر خفاجه، ومراجعة أحمد بدوى، القاهرة، ١٩٦٦، ص ٢٧٩ - ٢٨١.

(٣) وهيب كامل ديودور الصقلي فى مصر، الفقرتان ٦١، ٦٢.

(٤) Kees, H., Ancient Egypt, London, 1961, P. 225.

الأبهاء المتصلة بعضها بالبعض الآخر عن طريق ممرات دوارة لا يستطيع الغريب أن يحدد مساره خلالها ، وأنه يضارع الهرم ، وأنه قصر كبير مؤلف من قصور كثيرة بعدد أقاليم مصر في الزمن القديم ، وهو عدد الأبهاء التي تحيط بالأعمدة ، وكلها في صف واحد، وأمام المداخل أقبية طويلة متعددة يتصل أحدهما بالآخر بطرق متعرجة .

ومهما كان الأمر، فإننا لا نستطيع اليوم أن نتحقق من وصف المؤرخين اليونان نظراً لانتزاع أحجاره منه ، ولم يبق منه غير أكداس من الأنقاض . ودام حكم امنمحات الثالث ٥٥ عاماً بلغ فيها النفوذ المصري أوج قوته وأشرك معه في الحكم ابنه امنمحات الرابع في العام الأخير من حكمه .

امنمحات الرابع :

لم يكن امنمحات الرابع (ماعت خرو رع) في همة أسلافه أو نشاطهم ، أو مهارتهم السياسية والإدارية ، لم يطل حكمه حسبما ورد في بردية تورين عن سنوات تسع وبضعة أشهر، وفي خلال هذه الفترة استمر إرسال البعثات إلى المحاجر في النوبة وفي وادي هودي للحصول على أحجار الأماتيست ، كما أرسل البعثات لجلب الفيروز والنحاس من سيناء .

ومن الناحية المعمارية فقدوجد اسمه مسجلاً على جدران معبد مدينة ماضي جنوب عزب الفيوم ، كما شيد لنفسه هرماً إلى الجنوب من الجيزة بحوالي ٣٠ كيلو متر وذلك خلف قرية مزغونة .

سبك ـ نفرو :

ينتهي بحكمها عصر ملوك الدولة الوسطى ، وقد كتب أسمها بعدة مترادفات (سبك كارع ، سبك نفرو رع)(١) والاسم الأخير هو الأكثر شيوعاً ، ولقد حكمت حسبما ورد في بردية تورين ثلاثة أعوام وأربعة أشهر وعشرون يوماً .

---

(١) عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول ، ص ١٨٣ .

ويذهب بعض الباحثين إلى القول بأن سبك نفرو كانت الابنة الكبرى لامنمحات الثالث وذلك اعتماداً على ظهور اسمها إلى جوار اسم امنمحات الثالث على أحد العناصر المعمارية.

ومهما كان الأمر فأن حظها العاثر قد شاء أن يختل الأمن في عهدها، فظهرت بوادر هجرات شعوبية وقلاقل وراء الحدود الشمالية الشرقية. وبنهاية عهدها انتهى عصر الأسرة الثانية عشرة وانتقلت مصر إلى مرحلة حرجة في تاريخها، وهو ما اصطلح المؤرخون على تسميته بعصر الانتقال الثاني.

وتضمن هذا العصر الأسرات من ١٣ ـ ١٧، وفيه منيت مصر بالاحتلال الأجنبي وهم الهكسوس الذين دنسوا أرض الكنانة ردحاً من الزمن حتى تمكن أحمس الأول من طردهم نهائياً منها، وبدأ عصراً جديداً في تاريخ مصر وهو «عصر الدولة الحديثة».

الفصل السادس

عصر الإنتقال الثاني

يتضمن عصر الانتقال الثاني الأسرات من الثالثة عشرة وحتى السابعة عشرة. وتواجه المؤرخ صعوبات جمة في دراسة هذه المرحلة. والسبب الرئيسي وراء هذه الصعوبات راجع إلى قلة المصادر التي ترجع إلى هذا العصر إن لم تكن ندرتها.

فقوائم ملوك سقارة وأبيدوس لم تشر إلى هذه المرحلة، بينما قدمت بردية تورين بعض الأسماء فقط. أما قائمة الكرنك فقد أمكن معرفة ثلاثين اسماً فقط منها. وللأسف فإنه لا يمكن معرفة تتابعها في الحكم، نظراً لبعثرة هذه الأسماء بين أسماء ملوك الدولة القديمة والدولة الوسطى.

وعلى ذلك، فإن المؤرخ لهذه الفترة، يعتمد على البقايا الأثرية المتخلفة عنها، وهي بصفة خاصة الجعارين التي تحمل خراطيش ملكية، إذ عزف المصريون القدامى عن تسجيل أحداث هذه الفترة وبخاصة عصر الهكسوس، بل أنهم قاموا بتدمير آثارهم. فلم ينج منها إلا قلة قليلة. ولم تظهر إشارة إلى هذا العصر إلا على أيام الملكة حتشبسوت[1].

ويبدو مرجحاً أن هذا العصر لم يستغرق أكثر من ٢٢٠ عاماً وربما أقل من ذلك، وقد حكم مصر خلاله عدداً كبيراً من الملوك، ويمكن تفسير ذلك على أساس أنه كانت هناك مجموعات تحكم في الشمال، وأخرى في مصر الوسطى وثالثة في الصعيد، وأن ذلك قد حدث في أوقات متعاصرة أو على الأقل متقاربة[2].

---

(١) Gardiner, A. H., Egypt of The Pharaohs, PP. 147 - 149.

(٢) محمد بيومي مهران: المرحع السابق، ص ٦٧٦.

الأسرة الثالثة عشرة

انتهت الأسرة الثانية عشرة حوالي عام ١٧٨٧ ق. م. بالملكة «سبك نفرو» وربما كان ذلك راجعاً إلى عدم وجود وريث شرعي من الذكور يعتلي العرش بعدها. فانتقل الملك إلى أسرة أخرى هي الأسرة الثالثة عشرة، وحاول الباحثون معرفة الأسباب التي أدت إلى هذا الضعف الشامل الذي أصاب مصر في هذه المرحلة، فذهب البعض إلى الاعتقاد بأن ذلك راجع إلى ظهور أعداء لمصر في سوريا وفلسطين وفي الجنوب، ويعتمدون في ذلك على حقيقة العثور على عدد غير قليل من الدمى والأواني التي ترجع إلى نهاية عصر الأسرة الثانية عشرة وقد كتبت عليها تعاويذ سحرية لسحق أصحابها[1]، وهذه اللعنات خاصة بأمراء من النوبة وآسيا وقفوا موقفاً عدائياً من مصر. وكان الاعتقاد أنها تستطيع أن تقضي على قوة هؤلاء الأعداء ويشير ذلك من غير شك إلى مدى الضعف الذي أصاب البلاد.

وهناك من يرى أن ذلك الضعف ربما كان راجعاً إلى أن نظام الإقطاع الذي قضى عليه الملك سنوسرت الثالث في أواسط الأسرة الثانية عشرة قد عاد من جديد، وأن هناك عدداً من الأسرات المحلية قد تقاسم حكم البلاد في وقت واحد، إلا أن هذا الرأي لا يوجد هناك من الأدلة ما يؤيده[2].

ويضاف إلى عوامل الضعف الداخلية العوامل الخارجية والتي تمثلت في قدوم بعض الشعوب الهندوأوروبية منذ أوائل الألف الثاني قبل الميلاد، من مواطنها الأصلية في أواسط آسيا إلى منطقة الشرق الأدنى القديم،

(١) جان يويوت. مصر الفرعونية، ترجمة سعد زهران. القاهرة، ١٩٦٦، ص ٩٩.

(٢) نفس المرجع السابق، ص ٨١.

فاستقرت في العراق وسوريا وبدأت في تهديد مصر منذ نهاية عصر الدولة الوسطى.

وفيما يتصل بملوك الأسرة الثالثة عشرة فقد قدمت بردية تورين ما بين خمسين إلى ستين ملكاً لها، بينما أشار مانيتون إلى أنهم ستين ملكاً حكموا لمدة ٤٥٣ عاماً وهي فترة مبالغ فيها إلى حد بعيد، أو أن حكم هذه الأسرة لم يتعد المائة والخمسين عام.

واتخذت الأسرة الثالثة عشرة من «إيثت تاوى» عاصمة لها كما كان الحال من قبل»؛(١)، وكان معظم ملوكها من طيبة ويفسر ذلك وجود معظم آثارها في منطقة طيبة. وأول ملك معروف لنا من هذه الأسرة هو الملك «امنمحات سبك حتب» (سخم رع خو تاوى)، ويتجه بعض الباحثين إلى الاعتقاد بأنه يرتبط بملوك الأسرة الثانية عشرة عن طريق الزواج من الملكة سبك نفرو آخر ملوك الأسرة الثانية عشرة.

وإن كان هناك من يرى غير ذلك وأنه قد تولى العرش بطريق الاغتصاب، وتشير الآثار المتبقية من عهده إلى اهتمامه بالجنوب، كما قام ببعض النشاط المعماري في بعض مناطق مصر.

وبنهاية عهده الذي استمر ما يقرب من أربع سنوات، بدأ النفوذ المصري في النوبة في التدهور وأن ظل قوياً في سوريا، إذ عثر على نقش في مدينة جبيل (بيبلوس) وهو يصور أميرها وهو جالساً أمام شخص عظيم اختفت صورته، ولكن النصوص المدونة إلى جانبه دلت على أنه الفرعون المصري «نفر حتب» (خع سخم رع)(٢). وتوالى ملوك الأسرة الثالثة عشرة على العرش حتى سقطت منف في أيدي الهكسوس وذلك حوالي عام ١٦٧٤ ق. م وكان ذلك بمثابة النهاية لها رغم إشارة بدية تورين إلى أسماء أكثر من ستة ملوك

---

(١) Heyes, W. C., In J. E. A., vol. 33 (1947) PP. 10 - 11.

(٢) عبد العزيز صالح: مصر والعراق، ص ١٨٤ - ١٨٥.

بعد ذلك . إذ ربما كان هؤلاء الملوك مجرد أتباع للهكسوس أو حتى في أحسن الفروض حكاماً محليين لا يعدو حكم الواحد منهم أكثر من منطقة محـدودة ربما لا تزيد في بعض الأحيان عن مدينة واحدة[1].

(1) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٦٨٧ .

الأسرة الرابعة عشرة

استغل أمراء منطقة سخا فرصة ضعف الأسرة الثالثة عشرة واستقلوا بإقليمهم متخذين من مدينة سخا بكفر الشيخ عاصمة لهم. ويذكر مانيتون أن عدد ملوك هذه الأسرة كان ستة وسبعين ملكاً حكموا لمدة ١٨٤ سنة، وتذكر بردية تورين ٢١ ملكاً منهم. وقد سقطت هذه الأسرة بعد نهاية الأسرة الثالثة عشرة بثلاثين عاماً. وهكذا تنازعت مصر في هذه الفترة ملوك الأسرة الثالثة عشرة في الجنوب وأمراء سخا في غرب الدلتا بينما كان الهكسوس في شرقها، ومهد ذلك الأمر للهكسوس أن يقضوا على قوتهم.

الهكسوس

تتركب كلمة «هكسوس» من كلمة «حقاو» و «خاسوت»، وهما يفيدان معنى «حكام الأقاليم الأجنبية». وكان هذا التعبير معروف في المصادر المصرية منذ عهد مبكر ويرجع إلى الأسرة السادسة وبقي مستعملاً حتى عهد البطالمة[1]. وترجم مانيتون هذه التسمية بمعنى، ملوك الرعاة وترجمها عنه يوسيفوس اليهودي بمعنى «الأسرى الرعاة» ووصل بينهم وبين العبرانيين كفئة تابعة لهم[2]. ولم يعثر في اللغة المصرية القديمة على كلمة وضعت علماً لأولئك الغزاة، فلقد أطلق عليهم في ورقة ساليية الأولى «الطاعون»، ويرجح أنهم كانوا يسمون «عامو» أي الأسيويين في عهد الهكسوس أنفسهم.. كما أطلق عليهم «ستتيو» في لوح كارنارفون[3].

(١) J. E. A., vol. 5 (1918). P. 38.

(٢) عبد العزيز صالح. ص ١٨٨.

(٣) سليم حسن: مصر القديمة، حـ ٤، عهد الهكسوس وتأسيس الأمبراطورية. القاهرة. ١٩٤٨، ص ٦١ - ٦٢.

ولقد اتخذ بعض ملوك الهكسوس لقب «حقا خاسوت» أي (حاكم البلاد الأجنبية) ومن هؤلاء الملوك، الملك خيا، وسمقن وعنات هر.

وكانت هجرة الهكسوس إلى مصر تالية لتحركات شعوبية هاجرت من أواسط آسيا، عرفها المؤرخون باسم عام وهو اسم الآريين أو الهندو آريين، وعرفتهم مصادر بلاد النهرين باسم الكاسيين أو الكاشيين، وعرفتهم مصادر آسيا الصغرى باسم الخاتيين (ثم الحيثيين) وعرفتهم شواطىء الفرات العليا والمناطق السورية الشمالية الشرقية باسم الحوريين أو الخوريين، وعرفتهم المصادر الإغريقية باسم الأخيين، وعرفتهم المصادر المصرية باسم حقاو خاسوت الذي تحرف إلى هكسوس[1].

ومن المحتمل أنهم قد أخذوا طريقهم إلى مصر في أواخر الأسرة الثالثة عشرة نتيجة لتفكك عرى البلاد خلال هذه المرحلة ومن ثم لم يجدوا أمامهم مقاومة جدية. ولم يكن الهكسوس جنساً واحداً بل كانوا خليطاً من السكان الهندو آريين الذين جذبوا معهم بعض السكان من المناطق التي دخلوها في آسيا الصغرى وبلاد الشام، ويتضح ذلك من التحليل اللغوي لأسمائهم، وكذلك من الأسلحة التي تسلحوا بها والتي تكونت من السيوف المستقيمة والمقوسة والخناجر والحراب المصنوعة من البرونز والحديد، وهي تبين مدى الثروة في المعادن التي تميزت بها آسيا الصغرى. وأن وجودهم في مصر كان نتيجة تسلل بشري أكثر من نتيجة غزو حربي وأنه قد استغرق عدة أجيال، استطاعت العناصر المتسللة في نهايتها أن تسيطر على الدلتا ومصر الوسطى حتى القوصية جنوباً[2].

وفيما يتصل بملوك الهكسوس، فيبدو أن بردية تورين قد ذكرت جميع أسماء ملوك الهكسوس، ولكن للأسف فإن بعض أجزائها قد حدث فيها تلف شديد يتعذر معه معرفة ما تحتويه، وما بقي يمكن أن يعرف منه أسماء ستة ملوك حكموا لمدة مائة وثماني سنين، ولقد عثر على بعض الجعارين التي تحمل أسماء بعض ملوك الهكسوس الذين لم نكن نعرفهم من قبل، ولكن

(١) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص ١٨٨.

(٢) محمد بيومى مهران: المرجع السابق، ص ٦٩٦ - ٦٩٧.

تبقى مع ذلك مشكلة ترتيبهم حسب التسلسل التاريخي .

ويذكر مانيتون أن الهكسوس قد وجدوا عند دخولهم مصر مدينة مشيدة تدعى «أواريس» فاتخذوها عاصمة لهم ، وأنهم قد أصلحوها وأمروا بتحصينها ، وهي المدينة التي كان يعبد فيها المعبود «ست» منذ زمن سحيق في القدم. وجاء في فاتحة متن «ورقة ساليبه» وصف يدل على أن الهكسوس قد اتخذوا من الإله «ست» معبوداً لهم . فلقد جاء فيها : اتخذ الملك «أبو فيس» لنفسه الإله «ستخ» (ست) معبوداً ، ولم يقدس من آلهة البلاد كلها سوى الإله «ستخ» وقد أقام له معبداً بمثابة عمل جليل خالد بجوار مقر الملك ، وكان يخرج كل يوم ليقدم القربان للإله «ستخ» في حين كان وجهاء القوم يحملون الأكاليل على غرار ما كان يفعله الناس في معبد الإله «رع حور آختي»[1] .

وفيما يتصل بملوك الهكسوس وحكمهم في مصر ، فإننا لا نعرف عن بداية عهد تسلط الهكسوس على مصر إلا النذر اليسير ، وذلك نظراً لانعدام الوثائق التاريخية المتخلفة من هذا العهد ، وكل ما لدينا هو أسماء عدة ملوك لا يمكن ترتيبها ترتيباً تاريخياً مسلسلاً . وقد حاول وليم فلاندرز بتري أن يرتب هؤلاء الملوك ترتيباً تاريخياً على أساس اختلاف صناعة الجعارين المنقوشة عليها أسماء هؤلاء الملوك ، غير أن ذلك لم يجد نفعاً .

وقسم «مانيتون» ملوك الهكسوس إلى ثلاث أسرات : الأسرة الخامسة عشرة وتتكون من ستة ملوك ، والأسرة السادسة عشرة ، وعدد ملوكها إثنان وثلاثون ملكاً ، ثم الأسرة السابعة عشرة وحكم فيها ثلاثة وأربعون ملكاً من الهكسوس ، وعاصر هذه الأسرة الهكسوسية الأسرة السابعة عشرة الطيبية .

وفيما يتصل بملوك الأسرة الخامسة عشرة ، فمن أشهر ملوك هذه الأسرة الملك خيان ، الذي ورد اسمه في قائمة مانيتون باسم «يناس» ويتضح من الجعارين والأختام التي عثر عليها له أنه حمل العديد من الألقاب ومنها :

(١) سليم حسن . المرجع السابق ، ص ٦٨ - ٦٩ .

حاكم البلاد الأجنبية خيان[1]، الإله الطيب إن رع[2]، ابن الشمس ساوسر إن رع[3].

وقد عثر على آثار له في فلسطين وسوريا وهي عبارة عن جعارين، بينما عثر لدى أحد تجار الآثار في بغداد على تمثال أسد صغير ارتفاعه نحو ٢٥,٤ سم وطوله نحو ٤٨,٢ سم وقد نقش على صدره «الإله الطيب ساوسر إن رع» (شكل ١٥). وفي أساس قصر كنوسوس الثاني في كريت عثر على غطاء آنية من المرمر نقش عليه «الإله الطيب ساوسر إن رع ابن الشمس خيان»[4].

ويشير وجود مثل هذه القطع المفردة إلى وجود علاقات تجارية لمصر مع هذه الجهات، إذ لو كان نفوذ الهكسوس قد امتد فعلاً إلى هذه الجهات، كما يرى بعض الباحثين، لكان من الضروري أن نجد في هذه المناطق قطعاً كثيرة تثبت هذه السيطرة وتؤكدها، ولكان من المنتظر كذلك أن نجد تأثيراً فنياً بابلياً أو كريتياً في هذه القطع، ولكنها في الواقع مصرية بحتة في صورها وصناعتها[5].

وجاء بعد «خيان» الملك «أبو فيس الأول» (عا وسررع)، وحكم أكثر من أربعين عاماً وقد عثر له على العديد من الآثار بجانب الجعارين، ومن أهم هذه الآثار لوحة خشبية عثر عليها في الفيوم وقد جاء فيها أنه ملك مصر العليا والسفلى عا وسررع ابن الشمس أبو فيس معطى الحياة مخلداً مثل رع كل يوم، وابن الملك من جسمه، والابن المحبوب من رع». كما عثر على قطعة أخرى من الحجر محفوظة بمتحف القاهرة وقد سجل عليها «يعيش الملك الطيب عاوسررع». وقد سجل عام حكمه الثالث والثلاثين على «ورقة رند الرياضية» وهو التاريخ الوحيد الذي حفظ لنا عن حكم ملك من ملوك

(١) Fraser, G.. A Catalogue of the Scarabs Belonging to G. Fraser, London, 1900, NO. 178.

(٢) Ibid., NO. 176.

(٣) Ibid., N 176.

(٤) سليم حسن: المرجع السابق، ص ٩٢ - ٩٣.

(٥) نفس المرجع السابق، ص ٩٤.

الهكسوس، وقد دون هذا التاريخ على النحو الآتي: «السنة الثالثة والثلاثون، الشهر الرابع من فصل الزرع . . . ملك مصر العليا والسفلى عا وسررع معطى الحياة»[1].

وعثر في مقبرة الملك «امنحتب الأول» من الأسرة الثامنة عشرة على إناء مرمري يحمل إسم الأميرة «حريت» ابنة «أبو فيس» وقد سجل عليه «ابن الشمس أبو فيس الملك الطيب عاوسررع والابنة الملكية حريت»، ويبدو أن هذا الإناء أخذ يتنقل جيلاً بعد جيل حتى استقر آخر الأمر في مقبرة الفرعون في طيبة، مما أدى إلى أن يفترض البعض زواج «حريت» من أمير معاصر من طيبة، ولعل هذا يشير إلى أنهم كانوا أكثر تسامحاً من تلك الآراء التي تعكسها المصادر المتأخرة وإن كان الأمر كله مجال حدس وتخمين[2].

ولا نعرف إلا القليل عن حكم الملوك الذين تلوا ملوك الأسرة الخامسة عشرة، كذلك لا نعرف كيف انكمش ملكهم وأصبح المصريون يتطلعون إلى طردهم ـ ومن المؤكد على أي حال أن المصريين برموا بهم وضاقوا بوجودهم بينهم حيث يبدو أن ظهورهم كان يصحبه اضطراب في أحوال الشرق الأدنى بصفة عامة وأدى إلى مرور مصر بفترة عصيبة فنزح بعض المصريين عنها إلى النوبة التي كانت حينئذ قد تخلصت من النفوذ المصري وأخذ يحكمها بعض أمرائها الذين استقلوا بأقاليمهم بينما أخذ الأمراء المصريون الذين أجبرتهم الظروف على مجابهة بعض الأخطار في أقاليمهم يستعينون بالكثيرين من أبناء النوبة الذين قدموا إلى مصر كجنود مرتزقة واستقرت غالبيتهم فيها في جاليات كبيرة، إذ عثر على جباناتهم ومقابرهم منتشرة في مصر العليا ووصل انتشارها شمالاً إلى مصر الوسطى. ولابد أن مصر والنوبة في نهاية عهد الهكسوس

(١) Daressy, G., In rec. trav., 14, 1892, P. 24.

(٢) Gardiner, A. H., "The Egyptian Origeni of the Semetic Alphabet", In J. E. A., vol. 3 (1916) pl. I., P. 152. وكذا

محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص ٧٠١.

كانتا تنقسمان إلى الأقسام الآتية :

١ ـ مملكة طيبة (الأسرة السابعة عشرة المصرية) التي كانت تمتد من اليفانتين جنوباً إلى القوصية شمالاً .

٢ ـ مملكة الهكسوس وكانت تحكم مصر الوسطى والدلتا .

٣ ـ مملكة النوبة التي كان يحكمها أمير نوبي وكانت تمتد شمالاً إلى اليفانتين .

وحقيقة الأمر أن أحداً من الأمراء المصريين المستقلين لم يجرؤ على ادعاء الملك وتلقيب نفسه بألقاب الفراعنة المصريين كما كان الأمر في الأسرة الثالثة عشرة . ومرت أيام الأسرتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة دون أن يكون هناك بين أمراء البلاد من يستطيع مقاومة نفوذهم ، ولكنهم في الأيام الأخيرة من حكمهم بدأ بعض أمراء الصعيد يحسون بقوتهم وكان أكثرهم نفوذاً وسلطاناً أمراء طيبة الذين أخذوا يتحالفون مع جيرانهم في شمالي طيبة وجنوبيها ، وجاء اليوم الذي رأى فيه هؤلاء الأمراء أنهم أصبحوا ذوي حول وقوة ، وأن قوة أعدائهم في الشمال أخذت في الانحلال فلم يترددوا في اعتبار أنفسهم ملوكاً لإقليمهم ، وبدأوا يكتبون أسماءهم في خانات ملكية مسبوقة بألقابهم التقليدية بأنهم ملوك الوجهين القبلي والبحري ، وهؤلاء هم ملوك الأسرة السابعة عشرة الذين كانوا معاصرين للملوك المتأخرين من ملوك الهكسوس في الدلتا .

ولسنا نعرف على وجه اليقين مدى العلاقة بين هؤلاء الملوك الطيبين وملوك الهكسوس ، والوثيقة الأولى التي تتحدث عن بدء النزاع ليست وثيقة معاصرة وإنما هي وثيقة من عصر متأخر من عصر الرعامسة ـ وتعرف تلك الوثيقة «ببردية سالييه»[1] ـ ، ونعرف من سياق هذه البردية أن سقنن رع في ذلك الوقت كان حاكماً على طيبة ومعاصراً لملك الهكسوس «أبو فيس» وقد استقبل رسول أبو فيس بحفاوة عندما جاءه من أواريس ليبلغه بأن أفراس النهر في مياه طيبة تقلق نوم أبو فيس وهو في قصره في الدلتا ولهذا فهو يطلب منه إسكاتها ،

(١) Gardiner, A. H., Gunn, B , In J. E. A., vol. V (1918), PP. 40 - 45.

وأن تهجر أفراس النهر ذلك المكان ، وجمع سقنن رع رجاله لاستشارتهم . ولكن البردية ليست تامة لسوء الحظ. وإن كنا نستطيع أن نخمن أن السبب في كتابة مثل هذه القصة هو تسجيل انتصار الملك سقنن رع على عدوه. ومن فحص مومياء سقنن رع . وقد أبقى عليها الزمن وهي محفوظة الآن في المتحف المصري ، فنرى أن صاحبها مات متأثراً من جراح كثيرة في صدره وضربة فأس في رأسه مما يجعلنا نرجح أن يكون هذا الملك قد مات في الحرب . وهي تشير إلى بداية الجهاد المسلح في عهده .

وتولى زعامة طيبة بعده أنه الملك كامس وقد وصلت إلينا أخبار معاركه في سبيل تحرير مصر على لوحة صبي في أحد المكاتب أملاها عليه مدرسه كقطعة إملاء وهي تعرف باسم لوحة كارنارفون[1] ثم عثر على جزء من لوحة من الحجر الجيري في الكرنك عام ١٩٢٨ . وهي دون شك جزء من اللوحة الأصلية التي نقلت عنها لوحة كارنارفون ويبدأ هذا النص القديم بالتاريخ . فنعرف أن ذلك كان في السنة الثالثة من حكم الملك كامس . ويتضح من هذا النص أن النضال قد بدأ مرة أخرى ، ولم يكن هذه المرة دفعاً لتحرش كما حدث في أيام سقنن رع بل أن كامس قد رأى أنه لابد من تطهير البلاد مما تحمله أرضها من رجس وشر. ونفهم من باقي النص أن أول معركة خاضتها جيوش طيبة كانت في مدينة نفروس في إقليم الأشمونين وإن حاكمها المسمى تيتي بن بياوبي جعل من إقليمه عشاً للآسيويين أي أنه كان ممالئا لهم ، وكانت في بلده حامية للهكسوس ولكنه انتصر عليهم ، وعند هذا الكلام ينتهي النص .

كانت هذه هي كل معلوماتنا عن حرب كامس مع الهكسوس حتى شهر يوليه ١٩٥٤ ، إذ شاء الحظ الحسن أن يعثر رجال مصلحة الآثار أثناء ترميمهم لبعض آثار الكرنك على لوحة استخدمها القدماء لتكون بين أحجار الأساس التي يقوم فوقها أحد التماثيل الكبيرة لأحد فراعنة الأسرة الحادية والعشرين .

---

(١) Ibid., PP. 45 - 47.

وكانت اللوحة كاملة لحسن الحظ، وهي من الحجر الجيري وارتفاعها ٢٢٠ سم (ارتفاعها الأصلي ٢٣٥) وعرضها ١١٠ سم وسمكها ٢٨ سم وتغطي الكتابة أحد سطحيها وجانبيها وعليها ٣٨ سطراً من الكتابة تكمل لنا قصة كفاح كامس ضد الهكسوس. فينحى باللائمة على ملك الهكسوس ويذكر هزيمته أمامه وخوف الآسيويين من جيش مصر، وإن نساء أواريس لن يلدن بعد ذلك»، ويصف كامس دخوله إحدى المدن فيقول: «لمحت نساء العدو فوق دياره، يتطلعن من النوافذ، وحين رأينني لم يستطعن حراكاً، وأخذن يتلصصن من خلال الأبواب والجدران كأفراخ القطط في جحورها»[1] ثم يتحدث كامس بعد ذلك عن حرب خاضها على سطح الماء في معركة نيلية ويذكر انتصاره واستيلاءه على الكثير مما كان لدى عدوه وبخاصة ثلاثمائة سفينة مصنوعة من خشب الأرز. ويذكر كامس على هذه اللوحة أنه أسر رسولاً اتخذ طريق الواحات بعث به ملك الهكسوس إلى كوش يحمل رسالة مكتوبة بخطه يحرض فيها أمير كوش على مهاجمة مصر من الجنوب أثناء اشتغال كامس بحربه، ويعده بأن يتقاسم معه مدن مصر.

وخشي كامس أن يحدث هجوم عليه من طريق الواحات فأرسل حملة من رجاله احتلت الواحات البحرية لأنها على رأس الدروب الموصلة إلى مصر الوسطى. ثم يعدد كامس المدن التي استولى عليها، وفرح أهل طيبة بانتصاراته. واستيلائه على البلاد الواقعة بين الأشمونين وأطفيح، ولكن الاستيلاء على الوجه البحري كله وعلى أواريس عاصمة الهكسوس لم يتم على يديه بل تم على يد أخيه أحمس.

ولسنا نعرف كيف انتهت حياة كامس ولكننا نرى فجأة أمامنا البطل الثالث وهو الملك أحمس أخو كامس الذي تسلم منه راية الجهاد وأعلنها حرباً لا هوادة فيها فتم له النصر وأجلى العدو عن مصر كلها. ونستمد معلوماتنا عن حرب أحمس مع الهكسوس من مقبرة أحد قواده واسمه

(١) عبد العزيز صالح. المرجع السابق، ص ١٩٤.

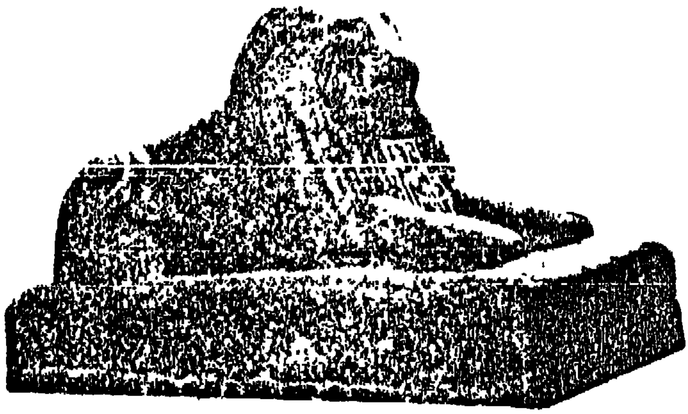
«أحمس بن ابانا» وهو من أهل الكاب، ويحدثنا هذا القائد عن تاريخ حياته وتنقله في الخدمة العسكرية كقائد لإحدى السفن، ويذكر لنا كيف تبع سيده الملك أحمس في حربه مع الهكسوس وكيف سقطت أواريس بعد حصارها وكيف فر الهكسوس إلى مدينة شاروحين في جنوبي غزة، وإن المصريين حاصروها ثلاث سنوات حتى سقطت فتم لهم النصر على أعدائهم ـ وبعد أن اطمأن أحمس تماماً إلى سحق أعدائه وجه همه إلى تنظيم بلاده. وهكذا خرجت جحافل جنود مصر من طيبة لمحاربة الهكسوس فلم تعد إلى وطنها إلا بعد القضاء عليهم ووضع الحجر الأول في صرح الأمبراطورية المصرية.

وبقي هنا أن نشير إلى دور كل من السيدتين نتى شرى أم سقنن رع، وأيعح حتب أم كامس في حرب التحرير، وقد وصفت تتى شرى في نصوص حفيدها أحمس بلقب العالمة أو العارفة، أما أيعح حتب فقد وصفت بأنها: «ربة الأرض، وسيدة الحاونبو، رفيعة السمعة في كل قطر أجنبي التي دبرت سياسة القوم. . . ، القديرة الجليلة التي أحكمت شؤون مصر، وجمعت (صفوف) جيشها، ورعت أهلها، وأعادت الفارين، ولمت (شتات) المهاجرين، وهدأت (قلق) الصعيد، وأرهبت عصاته، الملكة ايعح حتب لها الحياة»[1].

وليس من شك في أن حكم الهكسوس لمصر كان العامل الأكبر الذي جعل الشعب المصري يدرك ما للقوة العسكرية من أهمية كبرى في حماية الوطن والذود عنه، وبات واضحاً للمصريين ضرورة الحرب عندما لاح لهم في آفاق الحياة خطر العدو، ونتج عن اشتراكهم في حرب التحرير تذوقهم طعم الحرب ولذة النضال والنصر، وعرف المصريون في ذلك الوقت أن الحروب تعود على المنتصر بالغنائم الكثيرة، وإن في ميادينها متسعاً لأعمال البطولة، وإن الحاكم يعترف بها ويكافأ عليها، فأصبح للجندية مكانة لا تعادلها مكانة أخرى وأصبحت الحرب وليست حرب الفرعون وحده، ولكنها

(١) نفس المرجع السابق، ص ١٩٥ ـ ١٩٦.

حروب الشعب كله ، حروباً اشترك فيها كل مواطن قادر على حمل السلاح في مصر.



(شكل ١٥) أسد عثر عليه في بغداد من عهد الهكسوس

الفصل السابع

عصر الدولة الحديثة

١ - الأسرة الثامنة عشرة
(١٥٧٥ - ١٣٠٨ ق . م)

١ - أحمس الأول : -

كان أحمس الأول (نب بحتي رع) في حوالي السادسة عشرة من عمره عندما خلف شقيقه كامس على عرش الكنانة ، وقد تزوج أحمس من أخته التي كانت تحمل نفس الاسم (أحمس) ، وإن أضافت إليه لقب «نفرتارى» بمعنى الرقيقة الجميلة ، ولعل مما يثير الانتباه في هذا العصر شيوع أسماء أحمس وأيعح حوتب بين الملوك وكذا الأفراد مما يثير مشكلة من الصعب حلها بصفة نهائية ، وتعني هذه الأسماء : «القمر يولد» و«القمر راضي» على التوالي ، مما يجعل من المحتمل افتراض عبادة القمر في المنطقة التي جاء منها ملوك الأسرة السابعة عشرة ، ولقد كان عضو الثالوث الطيبي الثالث في الكرنك هو الإله «خونسو» أو «خونس» وأما لقب تحوتمس الذي حمله بعض فراعين الجيل التالي ، فيبين أن الصلة القمرية بأسلافهم كانت مع «تحوت» أكثر منها مع خونسو وقد أدى ذلك إلى أن يفترض بعض الباحثين أن هذه الأسرة ترجع إلى أصل هرموبوليتاني (أي إلى الأشمونين) ، بينما يفترض آخرون أن طيبة عقدت تحالفاً مع الأشمونين إبان حرب التحرير، ومن هنا جاءت أسماء تحوت وايعح في أسماء العائلة الملكية في الأسرتين السابعة عشرة والثامنة عشرة لأن الأشمونين كانت مركز عبادة القمر (اعح) وإله القمر «تحوت»[١] .

وشهد عصر أحمس الأول ثورة اجتماعية جارفة ، تهدف إلى تمجيد الجندية ، فلقد عرف المصريون في ذلك الوقت أن الحروب تعود على المنتصر بالغنائم الكثيرة ، وإن في ميادينها متسعاً لأعمال البطولة ، وإن فرعون كان

---

(١) محمد بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ، حـ٢ ، مصر ، الكتاب الثاني ، التاريخ ، الإسكندرية ، ١٩٨٤ ، ص ٤٥ - ٤٦ .

يعترف بها ويكافىء عليها مهما كانت الطبقة التي ينتمي إليها البطل المحارب، ومن ثم فقد سارع أبناء الطبقة الوسطى إلى الالتحاق بالجيش. هذا وقد عمل أحمس الأول على تخليد ذكرى سيدات الأسرة المالكة اللاتي أدين دوراً كبيراً في حرب التحرير، وأولى هذه السيدات هي «تتي شيري» زوجة سقنن رع تاعو الأول، وقد أدت دورها في حياة زوجها وولدها «سقنن رع تاعو الثاني» بل كتب لها أن تعيش إلى أيام حفيدها كامس وأحمس، فكانت بذلك على رأس سيدات الأسرة المالكة التي حررت مصر من الغزاة الهكسوس، وأما ثانية هؤلاء السيدات فهي الملكة «ايعح حوتب» وهي زوجة (سقنن رع - تاعو الثاني) الذي كافح في سبيل الاستقلال. وهي التي دفعت بولدها كامس إلى ساحة الوغى، ثم دفعت بابنها الثاني والبقية الباقية من رجال الأسرة. وأما ثالثة السيدات العظيمات هؤلاء: فهي الملكة «أحمس نفر تارى» وربما كانت ابنة كامس، أو حتى أخت غير شقيقة لزوجها أحمس الأول، وإننا لندرك من وراء مطالعة العديد من النقوش المعاصرة والمتأخرة التي يظهر فيها اسم هذه الملكة الشابة، إنه كان لها من الشهرة وذيوع الصيت ما لم يكن لغيرها في تاريخ مصر(١).

ولقد ظهرت في هذه المرحلة. وظيفة «زوجة الإله أمون». وهي وظيفة جديدة أسندت إلى الملكات. كان الهدف من ورائها اصباغ الشرعية على أبنائهم من الملوك على اعتبار أنهم من ورثة الإله آمون. وكانت الملكتان. «ايعح حوتب وأحمس نفر تارى». أول من شغلتا هذا المنصب الديني الهام(٢).

ووجه احمس الأول عنايته لإعادة بناء المعابد الهامة التي أصابها الضرر، ومن هذه المعابد. معبد بتاح في منف، ومعبد أمون في طيبة. أما عن

---

(١) Gardiner, A. H., Egypt of the pharaohs, PP. 173 - 174.

(٢) Cerny, J., Ancient Egyptian Religion. London. 1962. P. 132

مقبرته فهي غير معروفة ، وإن عثر على تابوته وموميائه في خبيئة الدير البحرى (شكل ١٦) .



(شكل ١٦) مومياء الملك أحمس الأول

أما فيما يتعلق بسياساته الخارجية . فقد استطاع أن يستولي على أفاريس عاصمة الهكسوس بعد حرب التحرير وأن يطهر أرض الكنانة من كل أثر للرعاة الهكسوس ، وأن يطردهم خارج البلاد ، حيث تحصنوا في شاروحين بجنوى فلسطين ، ويسارع احمس إلى محاصرتهم فيها فترة ، نجح

بعدها في إجلائهم عن الحصن ومطاردتهم حتى «زاهي»[1] وهو اصطلاح جغرافي استعمل في الدولة الحديثة للإشارة إلى سورية وفلسطين. وبعد طرد الهكسوس بدأ المصريون سياسة خارجية جديدة حيث أدرك فراعنتها إن السياسة الفعالة الوحيدة في مختلف العصور هي احتلال حربي لطرق الغزو في وديان العاصي والأردن أو سورية وكنعان ووضع قوة لمنع الاحتكاك عند مدخل ممر الغزو في إقليم حلب، بين الفرات والعاصي.

٢ ـ امنحوتب الأول :

جاء بعد أبيه احمس الأول. وهناك ما يشير إلى أن امنحوتب الأول قد أقام معبداً صغيراً في مكان الدير البحري هدمه سنموت ليقيم في مكانه معبد حتشبسوت المشهور كما نسب إليه البعض معبداً صغيراً في النهاية الشمالية لجبانه طيبة الغربية. وقد عثر على مقبرته في مكان مرتفع يشرف على ذراع أبو النجا في طيبة العربية. وبنى المعبد الجنازي بعيداً عن المقبرة، وعلى ذلك فهو يعد أول من فصل المعبد الجنازي عن المقبرة حتى يحتفظ بها آمنة من عبث اللصوص، إذ لم تحل الأهرامات الضخمة التي بناها فراعنة الدولة القديمة من نهبها، كما لم تثمر الممرات المتعددة والدهاليز التي اتبعها فراعنة الدولة الوسطى من سرقة اللصوص لها. حيث كان يشير البناء الهرمي إلى وجود المقبرة، ويدل عليها كذلك المعبد الجنازي. ومن ثم فقد لجأ فراعنة الدولة الحديثة إلى وسائل أخرى لصيانة مقابرهم ومن هذه الوسائل. كان الفصل ما بين المقبرة والمعبد الجنازي. وهي الوسيلة التي ابتدأها امنحتب الأول[2] كما حفر مقربته على عمق كبير في الصخر.

أما عن سياسته الخارجية فقد بدأت مصر على أيامه تتبنى سياسة جديدة هي سياسة «توسيع الحدود» وهناك إشارتان عن جهوده في آسيا. الواحدة عند بلاد «قدمى» وهي جزء من فلسطين أو شرق الأردن. والأخرى عند «ميتاني».

---

(١) Breasted, J. H., In ARE., vol. II, P. 8.

(٢) Gaediner, A. H., op. cit., pp. 174 - 175.

وفيما يتصل بالجنوب ، فبعد توليه العرش توجه إلى الجنوب بواسطة النيل ، ولقد عمل امنحتب على أن يجعل لبلاد النوبة السفلى شخصية واضحة في صلب الأقاليم المصرية ، فسلكها في وحدة إدارية واحدة تمتد من الجندل الثاني وتدخل في صلب الحدود المصرية متضمنة إقليم أسوان ليثبت عملياً أنها جزء من مصر يجري عليها ما يجري على الأقاليم المصرية نفسها ، وأصبح حاكمها يلقب بلقب حاكم المناطق الجنوبية[١] .

٣ ـ تحوتمس الأول :

جاء بعد امنحوتب الأول ولده «تحوتمس الأول» الذي يرجح أنه كان أول فرعون في الدولة الحديثة يشرع في بناء معبد أمون في الكرنك ، وأقام تحوتمس الأول مسلتين أمام مدخل المعبد من جرانيت أسوان الأحمر. كما أقام بهواً كبيراً فيه أعمدة مربعة على واجهتها تماثيل على شكل الإله أوزير[٢] ، وكان تحوتمس أول من اختار وادي الملوك مكاناً لمقبرته التي حفرت في وادي قصي منعزل خلف الجبل المطل على النيل في غربي طيبة .

أما عن سياسته الخارجية فقد بدأ نشاطه العسكري في النوبة حيث سجل في عام حكمه الثالث نقشاً على الصخور المقابلة لجزيرة تومبوس[٣] فيما وراء الجندل الثالث خلد ذكرى قيامه بحملة في هذه المنطقة وأنه قد أخضع رئيس كوش ووصل بالحدود المصرية إلى قرب الجندل الرابع ، وشيد تحوتمس الأول عدة حصون في منطقة تومبوس وعلى جزيرة ساي ، بالإضافة إلى إعادته بناء كثير من الحصون التي شيدت في عصر الدولة الوسطى ، وتم اختيار بوهن أمام وادي حلفا لتكون مركزاً للإدارة ومقراً لوحدات الجيش[٤] .

غير أن شخصيته الحربية والسياسية الهجومية التي اتبعها إنما تتضح أكثر

(١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦ .

(٢) Gardiner, A. H., op. cit., pp. 178 - 179.

(٣) Urkunden, VI, P. 82.

(٤) Arkell, A. J., in J. E. A., vol. 36 (1950) PP. 36 - 38.

في حملته الحربية التي اخترقت منطقة الفرات حتى بلاد «نهرين» حيث يحكم الميتان، في شمال شرق الشام، وقرب نهر الخابور والفرات، حيث خرج الفرعون بقواته من «ثارو» على حدود الدلتا الشرقية، فعبر سيناء حتى وصل إلى جنوب فلسطين ثم اتجه شمالاً بامتداد الشاطىء حتى مدينة حلب الحالية. ثم اتجه إلى قرقميش عند منحنى الفرات على مقربة من حدود سورية بكردستان حيث أقام لوحة تذكارية عند قرقميش. وهكذا نجح تحوتمس الأول في مد حدوده من جبل البرقل والجندل الرابع في الجنوب وحتى أطراف مياه الفرات في الشمال[1].

٤ ـ تحوتمس الثاني:

جاء بعد تحوتمس الأول ولده «تحوتمس الثاني» تزوج من أخته غير الشقيقة حتشبسوت التي حملت في حياته الألقاب الآتية: «ابنة الملك وأخت الملك وزوجة الإله والزوجة العظمى للملك. وأهم منشآته إنما هي إقامة الصرح الثامن بالكرنك الذي أكمله تحوتمس الثالث فضلاً عن تمثالين له أقامهما أمام هذا الصرح، ، أما مقبرته فقد حفرت في وادي الملوك على مقربة من مقبرة أبيه.

أما عن سياسته الخارجية فهناك ما يشير إلى حملة قام بها إلى فلسطين ربما بسبب ثورة قامت في جنوب فلسطين وسورية للتخلص من الحكم المصري، وربما انتهزت بعض القبائل البدوية في شرق مصر هذه الفرصة لتقطع الطريق على القوافل، فهب تحوتمس الثاني على رأس جيشه لتأديبها، وإعادة الأمن إلى هذه المنطقة، وفيما يتصل بالجنوب، فقد سجل في عام حكمه الأول حدوث تمرد في النوبة وقيامه بالقضاء عليه[2].

---

(١) Wilson, J. A., op. cit., p. 234.

(٢) Gardiner A. H., op. cit., p. 180.

٥ ـ حتشبسوت :

جاء بعد تحوتمس الثاني ولده تحوتمس الثالث، وكان صغيراً ومن ثم فقد وضع تحت وصاية زوج أبيه حتشبسوت التي أخذت تدير شؤون البلاد باسمه لمدة ثمان أو تسع سنوات، وعندما اطمأنت إلى قوة مركزها وكثرة أعوانها، نحته جانباً، وانتحلت لنفسها ألقاب التاج المزدوج، وحملت ألقاب الفرعون المصري كاملة، وظهرت في أماكن كثيرة في الكرنك بزي الرجال، ولم تكتف حتشبسوت بذلك، وإنما زعمت لنفسها مولداً آلهياً، من الإله أمون نفسه، وسجلت ذلك على معبد الدير البحري[١]، وقد نجحت حتشبسوت في أن تمسك بزمام الأمور في البلاد، بعون من مجموعة مختارة من الرجال الممتازين، اختص كل واحد منهم بناحية من مناحي الحياة المختلفة فأسهم في تقدم البلاد وازدهارها، ومنحتهم المرأة الفرعون سلطات لم يعرفها الفراعين لموظفيهم من غير أبناء الأسرة المالكة . ومن أبرز رجالها «سنموت» الذي وصف نفسه بأنه (أكبر الكبراء في كل البلاد، ورئيس الرؤساء في كل الأقاليم).

ويعد معبد الدير البحري من أعظم منشآت حتشبسوت وقد كرسته للإله أمون، وكذا حتحور وأنوبيس، فضلاً عن الطقوس الجنازية للملكة حتشبسوت وأبيها تحوتمس الأول، وهو من أجمل المعابد المصرية، فضلاً عن قيمته الفنية والدينية والتاريخية، وقد شيد على ثلاث مسطحات كبيرة يعلو إحداها الآخر ويليه، واستبعد منه الهرم، وقد حفرت حتشبسوت لنفسها مقبرة في وادي الملوك وليس في وادي الملكات.

هذا وقد اتجهت سياسة مصر في عهدها وجهة إفريقية أكثر منها آسيوية، ويذهب المؤرخون إلى أن التاريخ لا يذكر ثورة آسيوية على أيام المرأة الفرعون، وربما كان السبب أن عهدها إنما كان استمراراً لفترة حكم زوجها تحوتمس الثاني، أو ربما كان بسبب عدم ثقتها في جيشها أو أنها لم تكن

---

(١) Naville. E. The Temple of Deir El - Bahari. vol. II. 1896. PP. 46 - 56.

بقادرة على قيادة هذا الجيش بنفسها، على أن هناك وجهاً آخر للنظر يذهب إلى أن حتشبسوت إنما قامت بأربع حملات حربية اثنتان منهما إلى النوبة، وأما الآخرتان فكانتا إلى آسيا(١).

وقد سجلت حتشبسوت على الجدار الذي يقسم الرواق الأعلى من معبد الدير البحري أخبار رحلتها التي أرسلتها إلى بلاد بونت(٢)، وكانت تتكون البعثة من خمس سفن شراعية كبيرة، وقد أحضرت السفن معها منتجات هذه البلاد من العاج والأبنوس والأخشاب وجلود الفهد والبخور والقردة والنسانيس، وأحضرت معها كذلك أشجار البخور التي نقلت بجذورها محفوظة في سلات وقدور من الفخار وأظهرت الحفائر التي أجريت في منطقة المعبد أن هذه الأشجار العطرية قد غرست فعلاً في حفر نقرت في الصخر أمام المعبد وملئت بالطين الخصب، أو وضعت في أواني على مدرجات المعبد وقد وجد في بعضها جذوع هذه الأشجار الجافة(٣).

٦ ـ تحوتمس الثالث:

انفرد تحوتمس الثالث بحكم البلاد، بعد وفاة حتشبسوت، واعتبر حكمه إنما يبدأ منذ وفاة أبيه في عام ١٤٩٠ ق. م، متجاهلاً الفترة التي انفردت حتشبسوت بالحكم فيها (١٤٩٠ ـ ١٤٦٨ ق. م)، وبدأ عهداً جديداً في تاريخ الكنانة من الناحية الداخلية والخارجية.

ولقد أقام تحوتمس الثالث العديد من المنشآت المعمارية في العديد من مناطق مصر، ومنها معبد الجنزي على مقربة من الرمسيوم(٤)، فضلاً عن مقبرته التي دفن فيها في الطرف الجنوبي من وادي الملوك، وبالإضافة إلى ذلك فقد

(١) Red Ford, D. B., History and Chronology of the Eighteenth Dynasty of Egypt, 1967, P. 62

(٢) Naville, E The Temple of Deir El Bahari, vol. III. Pls. 69 - 86.

(٣) سليم حسن: المرجع السابق، ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤.

(٤) Ann. Serv. Vol. VII (1907) P. 121.

أقام العديد من المسلات الضخمة التي لم يتبق منها للأسف واحدة في مصر[١] ، وهذا وقد شيد تحوتمس الثالث العديد من المعابد ومنها معبداً للإله بتاح في منف ، وآخر للإله مين في قفط ، وقد تبقت من عهده بعض آثار واللوحات في آسيا وفي سيناء وفي سرابيط الخادم ، وفي وادي مغارة .

وتمتع تحوتمس الثالث بعبقرية عسكرية فذة كما كان أيضاً إدارياً من الدرجة الأولى ، ولعل مما يشير لذلك قول وزيره «رخمي رع» من أن فرعوننا العظيم «كان يعلم كل شيء في دولته ، وأنه ما كان يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحاط بها ، فكان في ذلك كالإله تحوت في معارفه ، وأنه ما كان يتناول أمراً من الأمور إلا أنهاه»[٢] .

أما عن سياسته الخارجية ، فيبدو أن أيام حتشبسوت التي تميزت بالسلم ونبذ الحروب ، قد أطعمت ولايات مصر الآسيوية في التخلص من سيادتها وسرعان ما امتدت الثورة إلى كل ممتلكات مصر في آسيا ، فكانت بذلك ثورة جماعية ، حتى أن فرعون نفسه إنما يحدثنا قائلاً أنه «من يرزا ، وحتى مستنقعات النهر ، قد خرجوا على سلطاني ، وشقوا عصا الطاعة» . وربما كان من أسباب هذه الثورة اهتمام حتشبسوت بسياستها الإفريقية أكثر من اهتمامها بالسياسة الآسيوية ، فضلاً عن أن ميتان ، التي بدأت تلم شملها بدأت تسعى إلى أن يكون لها ضلع في توجيه سياسة الشرق الأدنى وتجارته . وكان أمير قادش على رأس الثائرين وقد جاء إلى «مجدو» وهي تل المتسلم الحالية وجمع حوله ثلاثمائة وثلاثين أميراً ، لكي يوقفوا تقدم فرعون عند «مجدو» .

خرج تحوتمس الثالث على رأس جيشه ما أن علم بالتمرد الآسيوي ، وبعد تسعة أو عشرة أيام كان في غزة ثم غادرها ووصل إلى جبل الكرمل ونزل

---

(١) انظر : سليم حسن المرجع السابق ، ص ٤٥٥ - ٤٦٤ .

(٢) Breasted, J. H., op. cit., parg. 266 ff.

في بلدة «يحم» وهناك يعلم من طلائعه أن أعداءه قد جمعوا جموعهم في «مجدو» وأن هناك ثلاثة طرق للوصل إلى مدينة مجدو هذه، منها طريقان يدوران حول سفح جبل الكرمل، أولهما ينفتح عند «تاعا ناخ» على مبعدة ٨ كيلو جنوب شرق مجدو، والآخر من ناحية الجانب الشمالي من «جفنى» وكلاهما رحب متسع، ولكنه طويل، وينعطف في نهايته بعيداً عن مجدو بعض الشيء. وأما الطريق الثالث وهو طريق «عارونا» فهو صعب المرتقى، ضيق محصور بين شعب من جبال الكرمل، ولا يتسع لأكثر من عربة واحدة، ولكنه ينفذ رأساً إلى مجدو. ويعقد مجلس الحرب للمشاورة، فيترك له ضباطه حرية الاختيار، فيقسم بحب رع وبفضل أبيه أمون أنه سيتقدم عن طريق عارونا.

وسار تحوتمس الثالث على رأس قواته، وانتهى جيشه من مروره الذي استغرق يوماً كاملاً دون أن يشعر الآسيويون بما كان يحدث في ممر عارونا، ثم تقدم بجيشه كله بعد اكتمال وصول مؤخرته نحو جنوب مجدو وكان الفرعون قد نظم قواته للمعركة، بأن جعل للجيش قلباً وجناحين، كما أرسل أمام الجيش مقدمة دفع منها وحدات استكشافية، كأحدث تعاليم الحرب الحديثة، فضلاً عن أن خطته إنما كانت تنطوي على ثلاثة مبادىء هامة في الحروب وهي المفاجأة والوقاية والقتال الهجومى.

وعسكر المصريون عند مدخل «وادي قينا» وفي فجر اليوم التالي هجم الجيش المصري على شكل نصف دائرة على مجدو، ولم يلبث المدافعون أن ولوا عنها عند بدء الهجوم تاركين معسكرهم بما فيه وكان كلهمهم أن يدخلوا المدينة المحصنة. ويذكر لنا النص المصرى بأنه لولا أن الجنود المصريين شغلوا أنفسهم بنهب المعسكر لأمكنهم الاستيلاء على المدينة، وقد كلفتهم هذه الغلطة أنهم ظلوا سبعة شهور في حصارهم حتى استسلمت استسلاماً تاماً، وقدم جميع من فيها من الزعماء ولاءهم وخضوعهم[1].

(١) Nelson, H. The Battle of Megiddo, chicago, 1913., Breasted, J. H., op. cit., parag. 391 ff.

وكذلك عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص ٢٠٩ - ٢١٢.

وكانت حملة تحوتمس الثالث على مجدو فاتحة لحملات أخرى بلغ عددها جميعاً ستة عشر حملة ، كان يقوم بها عند إقبال الصيف ويرجع إلى مصر في أوائل الشتاء. وقد رأى تحوتمس الثالث ضرورة إعداد بعض الموانىء السورية لتكون قواعد للأسطول المصري ، وقد تمكن في حملته السادسة من الاستيلاء على قادش وكان ذلك في العام الحادي والثلاثين من حكمه ، وفي حملته الثامنة وصل إلى الفرات واستولى على مدينة قرقميش، وأصبحت مصر منذ هذه الحملة صاحبة النفوذ في غربي آسيا ، كما أصبحت جميع ثغور فلسطين وسورية وجزر البحر المتوسط داخلة تحت نفوذ مصر بفضل أسطولها القوي. واستمرت حملات تحوتمس بعد ذلك إلى أن كانت الحملة السادسة عشرة في العام الثاني والأربعين من حكمه ، وكانت مدينة قادش أعلنت العصيان مرة أخرى يؤازرها ملك ميتان ، وانضمت إليها مدينة تونيب وبسقوط مدينة قادش وتحطيمها للمرة الثانية قضى على كل أثر لمعارضة النفوذ المصري في تلك البقاع .

وكانت رحلات تحوتمس الثالث إلى بلاد سوريا غير مطبوعة بالطابع الحَربي فقط بل أن تحوتمس الثالث أصدر أمره إلى رجاله بأن يدخلوا إلى مصر كل ما يجدونه صالحاً من حيوان أو فواكه أو زراعات ، ولذا فإن بعض مظاهر الفن والحضارة السورية والعراقية بدأت تظهر في البلاد ، فكانت خيرات العالم القديم تتدفق على خزائن فرعون ، وأخذ شأن طيبة يزداد من يوم إلى يوم ولم يدخر تحوتمس الثالث جهداً في تزيينها لتصبح جديرة بأن تكون عاصمة العالم المعروف فبنى فيها المعابد والهياكل وأقام المسلات.

وكانت آخر حملة حربية سار فيها تحوتمس الثالث كانت في النوبة ، حيث ذهب إليها في عام حكمه الخمسين ، ويرى بعض المؤرخين أنها كانت استعراضاً لقوته العسكرية ، بينما اتجه البعض الآخر إلى أنها كانت نتيجة لحدوث ثورة محلية[1] .

---

(١) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص ١١٦ .

مات تحوتمس الثالـث بعـد حكم دام أربعـة وخمسين عامـاً في اليوم الثلاثين من الشهر الثالث من فصل الشتاء وكما ذكر القائد «أمون أم ـ حب» في مقبرته «صعد إلى السماء واتحد مع الإله رع واندمجت أعضاؤه الطاهرة مع الذي خلقها». فلما جاء اليوم الثاني وأشرقت الشمس وأضاءت السماء جلس على عرش أبيه الملك «عاخبرو ـ رع امنحوتب الثاني» واتخذ لنفسه الألقاب الملكية.

٧ ـ امنحوتب الثاني : ـ (١٤٣٦ ـ ١٤١٣ ق . م)

تولى امنحوتب الثاني العرش بعد وفاة والده تحوتمس الثالث، وكانت أمه الملكة «مريت رع حتشبسوت» الثانية ابنة الملكة حتشبسوت فهو لذلك قد ولد من أبوين يجري في عروقهم الدماء الملكية، وكان عمره حينئذ يناهز الثامنة عشرة عاماً. وتشير الأدلة الأثرية والنصية إلى أنه قد نشىء تنشأة عسكرية.

وتكشف نصوص مقبرة «مين» عمدة مدينة طينة ومدرب امنحوتب بعض اللمحات عن طفولة أمنحوتب. وتظهر هذه النقوش أنه قد تعلم الرماية وهو في سن صغيرة، ومما جاء في هذا الشأن: «إنه (أي مين) قد لقن الصبي القواعد الأولى في تعليم الرماية قائلاً: شد القوس حتى أذنك، واستعمل كل قوة ذراعيك وثبت السهم. . . يا أيها الأمير امنحوتب». وقد كتب فوقه هذا المنظر «الأمير امنحوتب يتمتع بدرس في الرماية في ساحة القصر في طينة».

وتوضح اللوحة التي أقامها أمام أبو الهول وعثر علها عام ١٩٣٦ معرفته بالرياضة وقوته البدنية وبراعته في كل فنون الحرب، فهي تشير إلى مهارته في الفروسية ومعرفته بالخيل وغرامه بها، وأوضحت كذلك العديد من مظاهر قوته البدنية ومنها قدرته على التجديف لمسافات بعيدة، كما أنه كان في استطاعته أن يصوب نحو هدف معدني سمكه قبضة يد فيخترقه بحيث يبرز سهمه من الناحية الأخرى. ولقد أوضحت بعض آثاره الأخرى التي عثر عليها شجاعته النادرة.

وترك امنحوتب العديد من المباني والتشييدات[1] في العديد من مناطق مصر مثل تل بسطة ومنف وميدوم ودندره، ونوبت. ففي الكرنك، أقام مقصورة بالقرب من البوابة الخامسة، كما أقام بعض العمد في الجزء الجنوبي من قاعة الأعمدة التي أقامها تحوتمس الأول. أما معبده الجنازي فقد أقامه بالقرب من معبد الرمسيوم. وشيد مقبرته في وادي الملوك، وقد عثر على مومياته ويستدل منها أنه كان طويل القامة قوي الساعد.

وفيما يتصل بسياسته الخارجية، فما أن جلس على عرش الفراعين حتى حاولت الولايات التابعة لمصر في غربي آسيا القيام بثورة ضده تبغي التخلص من الحكم المصري. فما كان من الفرعون الشاب إلى أن أعد جيشه وجهزه واندفع نحو سورية وهو على رأسه، فهزم كل من لم يقدم له الولاء وكان انتقامه شديداً، وأتى بما لم يأت به أحد من أجداد ممن قبل. إذ مال إلى التنكيل بأعدائه وأحضر معه سبعة من أمراء المدن السورية إلى طيبة وقتل ستة منهم أمام الإله أمون في طيبة أما السابع فقد أرسله إلى نبتا ليشنق هناك أمام أمون سيد جبل برقل[2]. وكان لهذا العمل أثره. فسرعان ما دانت له جميع المدن وأرسلت هداياها وجزيتها إلى مصر.

وكانت هذه الحملة أولى حملاته على آسيا التي ترجح أنها كانت فى العام الثاني من حكمه وقد تبعها بحملة أخرى فى السنة التاسعة ولكنها كانت حملة تفتيشية أكثر منها حربية، وقد سجلت أخبار هاتين الحملتين في لوحتين إحداهما في الكرنك والثانية في منف. هذا وقد امتد النفوذ المصري في عهده في الجنوب ومن المحتمل أن يكون قد وصل إلى أبعد من النجعة (وهي على مقربة من شندى على مسافة تقل عن سبعين ميلاً شمالي الخرطوم). وقد أمر امنحوتب بإقامة لوحتين لتحديد أملاكه من جهة الشمال ومن وجهة الجنوب. فأقام واحدة عند أقصى حدوده في نهرين. والثانية عند أقصى حدوده في الجنوب[3].

(١) Gardiner, A. H., op. cit., p. 205

(٢) Wilson, J. A., op. cit., pp. 247 - 248

(٣) Breasted, J. H., op. cit., vol. II, Parag. 800.

وحكم أمنحوتب الثاني نحو خمسة وعشرين عاماً ، مات بعدها ودفن في قبره الذي أعده بوادي الملوك .

٨ ـ تحوتمس الرابع : ـ (١٤١٣ ـ ١٤٠٥ ق . م)

لم يكن تحوتمس الرابع ، ولي العهد الذي كان يجب أن يؤول إليه العرش بعد وفاة أبيه وإنما تولى العرش عقب نزاع بينه وبين إخوته ، وتحمل «لوحة الحلم» وهي التي أقامها بين ذراعى «أبو الهول» فى الجيزة إيحاء بأنه لم يكن هو صاحب الحق فى الملك ويقص علينا في هذه اللوحة أنه كان يصطاد يوماً من الأيام في صحراء الأهرام عندما كان أميراً . وجلس في ظل تمثال «حور أم آخت» (أي تمثال أبو الهول) وغلبه النعاس فرأى بوضوح أباه الإله يبشره بأنه سيصبح ملكاً في المستقبل ويطلب منه إذا تحقق ذلك أن يرفع الرمال التي تجمعت حوله لأنها تكاد تخنقه ولا يستطع التنفس[١] وهذه القصة توحي بمحاولة تبريره لوجوده على العرش إذ لو كان هو الأمير الشرعي لما كان هناك داع لهذه القصة المخترعة .

ومهما كان الأمر فإن تحوتمس الرابع أثبت جدارته ، فما كاد يجلس على العرش حتى بدأت بعض المدن السورية في الثورة فذهب إليها على رأس جيشه فأعاد النظام ورجع محملاً بالغنائم . وبعدد كبير من الأسرى بنى لهم حياً خاصاً بهم في العاصمة طيبة . وكذلك فعل عندما نزل إلى السودان لإطفاء ثورة نشبت هناك فنزل إليها بنفسه أيضاً ، حيث أخمد الثورة ، وعاد ومعه أعداد ضخمة من الأسرى وكميات كبيرة من الغنائم .

ولقد سن تحوتمس الرابع سنة جديدة عندما زين مقدمة عربته الحربية بمناظر تمثل ساحة القتال وهذا المنظر وإن صغرت مساحته إلا أن الفنان راعى فيه جميع التفاصيل إلى جانب الدقة التامة .

ولقد كان تحوتمس الرابع آخر الملوك المحاربين وفي نفس الوقت حاولت

(١) Hayes. W.. In CAH. vol. II. part I. P. 321.

الممالك المتنافسة في آسيا العمل على خطب ود مصر وصداقتها، وأهم هذه الممالك إذ ذاك «مملكة ميتاني» وقد شجع تحوتمس الرابع هذا التقارب بل أراد أن يوثق أواصر المودة معها فتزوج من ابنة ملك ميتان، وهذه الأميرة هي «موت أم أويا» التي أصبحت أم امنحوتب الثالث الذي تولى العرش بعد وفاة أبيه الذي لم يحكم أكثر من تسع أو ثماني سنوات فقط ودفن في مقبرته بوادي الملوك.

٩ ـ امنحوتب الثالث : ـ (١٤٠٥ ـ ١٣٦٧)

دخلت مصر منذ تولى امنحوتب في فترة جديدة من حياتها فقد كان حاكمها الجديد غير ميال إلى الحرب بطبيعته، وكانت الأمور قد استتبت في آسيا ولم يعد هناك من تحدثه نفسه بالخروج على حكم مصر أو منازعتها. وكانت خزائن فرعون تفيض بأكداس الذهب والفضة، وكان الملك الشاب ميالاً إلى الفن والمتعة والجمال فطبع البلاد بطابعه وأخذت مصر تبني المعابد الفخمة الجميلة والقصور البازخة، وبدأت الفنون تحتل المكانة الأولى بل وبدأت مصر كلها تتجمل وتجني ثمار جهدها الطويل.

وقد شيد امنحوتب الثالث معبداً لأمون في الجهة الغربية من طيبة وكان من الحجر الجيري وزين جميع أجزائه بالذهب وحلى أرضيته بالفضة ووضع فيه الكثير من التماثيل الملكية من جرانيت أسوان كذلك شيد لزوجته «تـي» وهي فتاة من عامة الشعب من مدينة أخميم قصراً على الضفة الغربية من النيل على مقربة من معبده الجنازي جعل منه ومن أبهائه معرضاً للذوق الفني الرفيع، وأقام لها بحيرة على مقربة من القصر وربما أراد من وراء تشييد قصره في جانب طيبة الغربي، وهو المكان المخصص للمباني الجنزية، أن يكون بعيداً عن جلبة المدينة وضوضائها على الضفة اليسرى. وقد عامل امنجوتب الثالث زوجه «تـي» بطريقة تختلف عما شهدته مصر في عهود فراعنتها السابقين، فظهرت «تي» في النقوش والتماثيل في حجم مساو لحجم الملك دون أن يتميز عليها في الحجم، وسمح لها بأن يكتب اسمها داخل خانة ملكية بأول النصوص الملكية.

وكان امنحوتب الثالث في صدر شبابه قد أظهر بعض الرغبة في ممارسة الصيد[1]، ونعرف من آثاره أنه خرج أكثر من مرة للصيد. ولم تلبث الحياة الاجتماعية في مصر كلها أن اتجهت نحو الدعة والاستمتاع بالحياة، ولم تقتصر الحفلات على القصور بل شمل ذلك جميع الطبقات، وتزوج امنحوتب من أميرة ميتانية ثم تبع ذلك بالزواج من أميرات بابليات وأشوريات.

ولقد بدأ امنحوتب الثالث في عهده عادة تخليد الأحداث الهامة على جعول ضخمة، وقد وصلنا بعض هذه الجعول، فمنها ما خلد ذكرى زواجه من «تي»، وكذلك زواجه من «جيلوخيبا» ابنة ملك المتيان. وقد عثر على هذه الجعول في أماكن متعددة من مصر.

والجديد في عهد امنحوتب الثالث هو أنه سار على منوال أبيه تحوتمس الرابع في محاولة حفظ التوازن بين الإله أمون وبقية الآلهة، فجعل امنحوتب الثالث من أكبر أبنائه وولي عهده الأمير «تحوتمس» كبيراً لكهنة «بتاح» وكانت إقامته في منف. وأخذت الاتجاهات الفنية تعطي للفنان الحرية في التعبير عما يحسه وإبراز عبقريته الشخصية بدلاً من إتباع أساليب معروفة لا يحيد عنها. وليس هناك من شك في أن كهنة أمون رع لم ينظروا بعين الرضا إلى أحياء عبادة الشمس ولم ينظروا بعين الرضا إلى تحلل الحياة الاجتماعية تقليداً لفرعون الذي استخف بكل التقاليد.

أما من الناحية السياسية فإن امنحوتب الثالث، فقد فاته أن سياسة السلم وتبادل رسائل المودة والهدايا لم تكن وحدها كفيلة بالحفاظ على هيبة مصر وقوتها أمام تلك الممالك التي لم تشاهد حملة واحدة فنسي أكثر الناس جيش الفرعون وقوته. فبدأت قبائل الخابيرو تثير الاضطرابات في بعض المناطق الآسيوية، كما بدأ الحيثيون يهددون نفوذ مصر في غربي آسيا، وأخذت بعض الولايات السورية التابعة لمصر تميل نحوهم أو تنهار أمامهم.

---

(١) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص ٢١٧.

ورأى أمنحوتب أن يشرك ابنه امنحوتب الرابع الذي كان قد تزوج من أميرة تسمى «نفرتيتي» معه في الحكم وبدأ أمنحوتب يحكم في عهد أبيه وأقام معه في طيبة ولكن منذ أن أصبح له شيء من الأمر بدأ يفكر في الدعوة إلى عبادة الشمس واختار أحد مظاهرها وهو أتون الذي عبر به عن القوة الكامنة في قرص الشمس إلهاً له وأقام معبداً على مقربة من معبد الكرنك.

١٠ ـ امنحوتب الرابع : ـ (١٣٦٧ ـ ١٣٥٠)

وتدل جميع الشواهد على أن أمنحوتب الرابع لم يشتط في أول دعوته ولم يبادىء كهنة أمون بالعدوان، بل أن كل ما فعله هو دعوته إلى عبادة أتون وجعل منه إلهه المفضل وتبعه دون شك بعض رجال البلاد وكثير من عامة الناس، وبدأ كهنة أمون يحسون بالخطر الجديد الذي أخذ يهددهم فبدأوا يخلقون المصاعب أمام الملك الجديد. ولكن لم يمضي زمن طويل على أمنحوتب الرابع في طيبة حتى بدأ يشتد تعصبه لدينه الجديد في وجه كهنة أمون وغير إسمه من أمنحوتب الرابع إلى اسم جديد لتأكيد صلته بمعبوده فاختار اسم «أخ ـ أن ـ أتون» (أخناتون) وترجمتها المفيد لاتون.

وربما كان امنحوتب الثالث والده غير راضي على هذه الحركة الجديدة التي زادت من متاعبه، وربما كان عدم الرضا هذا من الأسباب التي دعت أخناتون في العام السادس إلى ترك طيبة واتخاذ عاصمة جديدة للبلاد أطلق عليها «أخت أتون» أي «مشرق أتون». وأحاط اخناتون نفسه بفئة جديدة العهد بفن الحكم من الموالين لدعوته وازدادت أحوال البلاد والممالك التابعة لمصر سؤاً نتيجة انشغال الفرعون بدعوته الجديدة التي قدر لها أن تلاقي عدم النجاح. فأخذت مملكة خاتي تغير على أطراف سورية وتضمها ولاية بعد أخرى إلى ممتلكاتها، كما أخذت عدة مدن في فينيقيا وفلسطين تستقل في أمورها وتغير الواحدة منها على الأخرى.

ولقد تعرض أخناتون لمؤامرة كادت تؤدي به لولا يقظة رئيس شرطته

المدعو «ماحو» الذي تمكن من القبض على المتآمرين وساقهم إلى المحاكمة. ولم يطل العمر بأخناتون إذ مات في العام الحادي والعشرين من حكمه على الأرجح ويرى بعض الباحثين أن أخناتون قد مات في العمارنة، وأن «توت عنخ أمون» قد دفنه في مقبرته التي أعدها لنفسه في شرقي أخت أتون. وبوفاته هجر البلاط الملكي آخت أتون وعاد إلى طيبة، ولقد تم نقل جثمانه إلى وادي الملوك بغربي طيبة حيث دفن في مقبرة صغيرة غير مزخرفة[1].

١١ - توت عنخ أمون: - (١٣٤٧ - ١٣٣٩)

جاء بعد أخناتون ثم «سمنخ كارع» (١٣٥٠ - ١٣٤٧ ق. م) أخوهما الثالث «توت عنخ أمون»، وربما كان عمره حينذاك يناهز التاسعة، وقد مات، وهو في حوالي الثامنة عشرة من عمره وقد أثبت آخر فحص لمومياثه في عام ١٩٧١ أنه قد مات بسبب حادث أو اغتيال، وذلك من أثر صدمة عنيفة في مؤخرة رأسه، قد تكون ضربة أو سقوطاً من مرتفع.

وإذا درسنا آثار توت عنخ أمون وعصره فإننا نجد أنه برغم من كونه شاباً صغير السن ضعيف البنية فإن مصر أخذت تنهض من كبوتها وتستأنف حياتها العادية وقد غير اسمه واسم زوجته بأن حذف منهما اسم أتون واستبدله بأمون، وأعاد لمعابد أمون ما أخذه أخناتون منها، كما قام بترميمها، وتزيين بهو الأعمدة الضخم في الكرنك بالنقوش التي تمثل العيد الكبير لأمون واستأنفت التشييدات المعمارية حركتها، وظل الفن على ازدهاره، ولم يتقلص نفوذ مصرفي النوبة وشمال السودان، أما في آسيا فإننا لم نسمع بأي حملات حربية. ومات توت عنخ أمون وهو في ريعان شبابه وقد كشف عن مقبرته في نوفمبر عام ١٩٢٢.

١٢ - حور محب: - (١٣٣٥ - ١٣٠٨)

كان حور محب قائداً في عهد أخناتون، وبعد موت آي الذي لم يحكم

(١) انطر عن عصر أخناتون ودعوته،:
محمد بيومي مهران. أخناتون، عصره ودعوته، الإسكندرية، ١٩٧٩.

أكثر من ثلاث سنوات بعد موت «توت عنخ أمون» سعى حور محب إلى الملك، إذ سار إلى طيبة أثناء الاحتفال بعيد أوبت حيث تمت مراسيم تتويجه هناك وانتقل إليه الملك دون إراقة نقطة دم واحدة.

وقد حاول أن يبرر جلوسه على العرش، مبعداً عن نفسه افتقاره إلى الأصل الملكي فانتسب إلى الإله حور، كما حاول استمالة كهانة أتون القوية إليه، وأكمل ذلك بالزواج من الأميرة الملكية «موت نجمت» أخت نفرتيتي.

ويختلف الباحثون حول مكان «حور محب» بين ملوك الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة، فهناك من يراه آخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة بسبب زواجه من الأميرة «موت نجمت» وهناك من يضعه على رأس ملوك الأسرة التاسعة عشرة على أساس أنه لا تربطه بملوك الأسرة الثامنة عشرو رابطة الدم، والرأي الثالث يضعه بين ملوك الأسرة الثامنة عشرة والأسرة التاسعة عشرة، على أساس عدم وجود صلة دم تربطه بملوك أي من الأسرتين.

وبدأ حور محب حكمه بمحاولة تحقيق الإصلاح الداخلي وإزالة كل آثار سنوات حكم أخناتون ومن جاء بعده، فسن القوانين العديدة[1] التى من شأنها إعادة الأمن إلى المواطنين والقضاء على أعمال السلب والنهب واستغلال المواطنين. وأمر بإصلاح المعابد وترميمها ولعل من أهم منشآته المعمارية كان البدء في بناء بهو الأعمدة الذي أكمله رعمسيس الثانى. فضلاً عن بناء الصرحين التاسع والعاشر بالكرنك. كما قام بحملة في عام حكمه السادس عشر فيما بين بيبلوس وقرقميش، مما سبب ضغطاً كبيراً على الحيثيين، وهو الأمر الذي أدى إلى عقد معاهدة بينه وبين الملك الحيثي مورسيل

(١) عثر «ماسبرو» فى الكرنك عام ١٨٨٢م على لوحة كبيرة تتحدث عن إصلاحاته الإدارية. انظر:

Gardiner, A. H., op. cit., pp. 240 - 245.

وكانت نتيجة هذا أن عادت لمصر ثقتها في نفسها وعادت الطمأنينة إلى النفوس، فلما مات في عام ١٣٠٨ قبل الميلاد بعد أن حكم حوالي سبع وعشرين عاماً ترك وراءه بلاداً مطمئنة وهكذا ختمت الأسرة الثامنة عشر أيامها بملك عظيم وهو حور محب كما بدأت بملك عظيم هو أحمس الأول[1].

---

(١) فيما يتصل بالملك «حور محب»، انظر:
أحمد محمود حسين صابون: حور محب (رسالة ماجيستر) الإسكندرية ١٩٨٠م.

٢ ـ الأسرة التاسعة عشر
(١٣٠٨ ـ ١١٩٤ ق . م)

رعمسيس الأول :

انتقل العرش بسهولة بعد موت حور محب ودون أي اعتراض إلى زميل له في الجيش كان يسمى «پارع مسسو» وبعد اعتلائه العرش تسمى باسم «رعمسسو من بحتى رع» بمعنى «أنجبه رع ودامت قدرة رع» واعتادت المؤلفات الكلاسيكية والحديثة في أن تعبر عن شطره الأول باسم «رمسيس»[١]، وهو ينسب إلى شمال شرقي الدلتا، وقد حمل في عهد سلفه «حور محب» العديد من الألقاب مثل . قائد الرماه ورئيس المركبات ورئيس القلعة ورئيس أفواه النيل والمشرف على الجياد ورسول الملك إلى جميع البلاد الأجنبية والكاتب الملكي والمكلف بجمع الرماة ورئيس مشاة سيد الأرضين، ونائب جلالته في الوجه القبلي والبحري.

ومع أن الملك رعمسيس الأول قد حكم أقل من عامين فأنه استمر في إدارة البلاد بحزم ونجح كل النجاح في السير على سياسة حور محب في إقامة المباني العظيمة له في الكرنك كما عثر له على قدس أقداس صغير في أبيدوس، ولوحتين في منطقة سرابيط الخادم بسيناء، وذلك فضلاً عن بعض الآثار التي عثر عليها في أماكن أخرى من مصر. أما مقبرته فقد أعدها في وادي الملوك، ولم يكن العمل قد انتهى فيها عند وفاته، وبالتالي فقد تم إعدادها على عجل، وتم دفن الملك في إحدى الحجرات الثانوية[٢] وتلاه على العرش ابنه ستي الأول.

---

(١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٢٢.

(٢) Gardiner, A. H., op., cit., p. 248.

ستي الأول : - (١٣٠٦ - ١٢٩٠)

تولى ستي الأول (من ماعت رع - ستي مرى ان بتاح) العرش، وكان عمره في ذلك الوقت قد تجاوز الأربعين، وقد اعتبر عهده بداية مرحلة جديدة، فاتخذ لقب تجديد المواليد أو معيد المواليد «وحم مسوت»، وهو اللقب الذي اتخذه من قبل الملك امنمحات الأول في بداية الأسرة الثانية عشرة.

ولم يكد ستي الأول يجلس على العرش حتى أصدر أوامره باتمام ما لم يتمه والده من مبان، كما أصدر أوامره أيضاً بإصلاح ما لم تتسع أيام «حور محب» لإصلاحه من تخريب المعابد الذي حدث من جراء ثورة اخناتون الدينية.

أما أهم مبانيه التي شيدها، فهو معبد أبيدوس الذي أقامه للإله أوزير، وذلك تعبيراً منه على رعايته لكافة الآلهة. فرغم انتسابه للإله ست، فإنه قد أقام معبداً للإله أوزير، ويمتاز هذا المعبد بدقة نقوشه وتصميمه الفريد. كما شيد معبداً في وادي مياه أو وادئ عبادي إلى الشرق من أدفو بحوالي ٥٥ كيلو متر وهو يعرف باسم معبد الروديسية. أما معبده الجنازي فيوجد في القرنة عند مدخل وادي الملوك. وتعتبر مقبرته في وادي الملوك من أجمل المقابر الملكية ولقد زينت جميع ممراتها وحجراتها بالألوان والنقوش الزاهية، ولم تقتصر تشييداته على ذلك، بل وجدت آثار له في الكرنك وسيناء وعين شمس وقنتير ومنف وقفط وغيرها.

ويتميز عهد ستي الأول باتساع استغلال مناجم الذهب في الصحراء الشرقية، وتوجد خريطة مرسومة من عهده لبعض مناجم وادي الحمامات وبخاصة مناجم أم الفواخير، حدد فيها مواقعها والطرق المؤدية إليها، والطريق المؤدي منها إلى البحر الأحمر، وموقع معبدها المحلي، وموقع جبل بخن منها. وتعتبر هذه الخريطة أول أو ثاني خريطة من نوعها عرفت حتى الآن من العالم القديم[١].

---

(١) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص ٢٢٣.

وفيما يتصل بسياسته الخارجية ، فلقد قام في سنة حكمه الأولى بحملة على سوريا ، وصل فيها ـ حسبما يرجح ـ إلى لبنان حيث صور الأمراء وهم يقطعون أشجار الأرز والصنوبر. وأتبع ستي الأول حملته هذه بثلاث حملات بعد ذلك في سوريا حدثت فى آخرها المواجهة المباشرة بينه وبين الحيثيين، ويبدو أن ميدان المعركة كان إلى الشمال من مدينة قادش(1) ولم تكن هذه المواجهة حاسمة رغم انتصار الفرعون المصري. وكان من نتيجة هذه الحملات فرض هيبة النفوذ المصرى في كل من فلسطين وسورية الجنوبية.

وفيما يتصل بالغرب ، فلقد ظهرت اضطرابات على حدود مصر الغربية وكانت نتيجة للهجرات الهند أوروبية التي أخذت تجتاح كل بلاد الشرق الأدنى القديم في ذلك العهد كان من أثر هجرات هذه الشعوب ونزول بعضها على شاطىء شمال إفريقيا أن بعض تلك القبائل أخذ يرنو بعينيه نحو مصر لمهاجمتها والاستقرار فيها ، ولكن ستي هزمهم في موقعتين سجل أخبارهما على معبد الكرنك.

هذا وقد استمد الفنانون في عهد ستي الأول أمراً جديداً هو رسم المعارك الحربية مفصلة وفي حجم كبير على جدران المعابد إذ أن مصر لم تعرف ذلك من قبل. وتوفي ستى الأول ودفن في قبره بطيبة. وخلفه ابنه رعمسيس الثاني.

رعمسيس الثاني : ـ (١٢٩٠ ـ ١٢٢٣ ق. م)

لم يبلغ ملك من ملوك مصر ما بلغه رعمسيس الثاني (وسر ماعت رع) من شهرة في التاريخ ، فقد استطاع هذا الملك الذي حكم سبعة وستين عاماً أن يفرض اسمه وشخصيته على عصره وعلى العصور التالية وملأ البلاد كلها بآثاره. وبدأ رعمسيس الثاني حياته بإنهاء جميع ما كان أبوه قد بدأه من معابد مثل معبد أبيدوس ومعبد القرنه ومبانيه المختلفة في الكرنك.

(١) Faulkner, R. In J. E. A. vol. 33 (1947). pp. 37 - 38

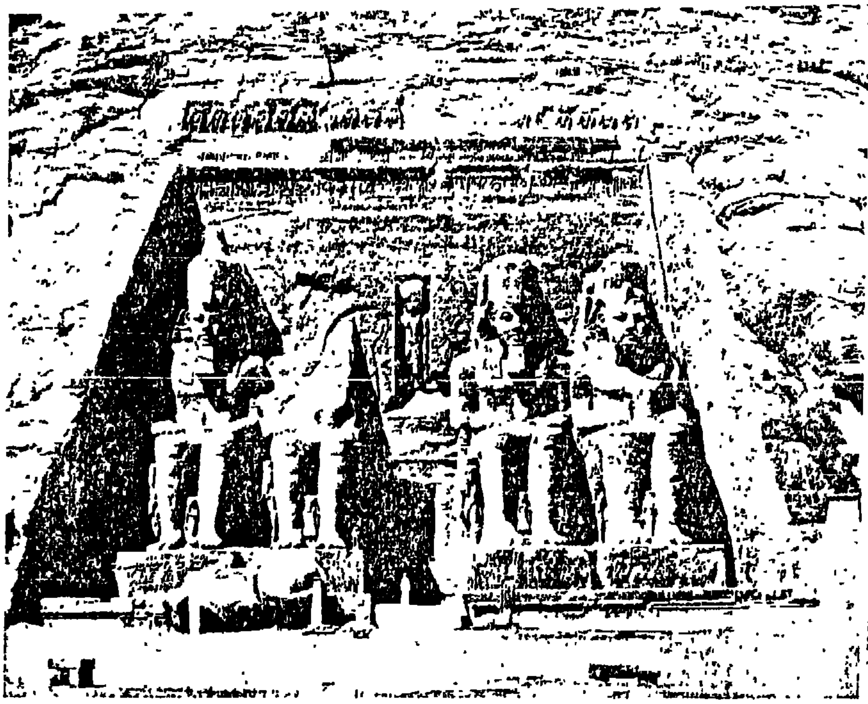
وإذا أردنا الحديث عن آثار الملك رعمسيس الثاني ، فإننا لا نقول أكثر من أنه لا توجد منطقة أثرية في مصر لم يرد فيها اسمه ومن أهم الآثار التي شيدها رعمسيس الثاني كانت في النوبة ، حيث نقر في الصخر مجموعة من المعابد ، كان أولها معبد «بيت الوالي» جنوبي أسوان بحوالي ٥٥ كيلو متر ، ويليه معبد «جرف حسين» جنوبي معبد بيت الوالي بحوالي ٣٥ كيلو متر ، ويليه معبد «وادي السبوع» ويقع جنوب معبد جرف حسين بحوالي ٦٠ كيلو متر ، ويليه «معبد الدر» ويقع جنوب معبد وادي السبوع بحوالي ٥٠ كيلو متر . إلا أن من أعظم أثاره هو معبده الكبير في أبو سمبل ، وهو يعد من أجمل المعابد الصخرية وأعظمها (شكل ١٧) ، ولقد نحت في الصخر إلى الشمال من هذا المعبد معبداً صغيراً لزوجته نفر تاري وللإلهة حاتحور [١] .

ولقد أنشأ رعمسيس الثاني عاصمة جديدة لمصر أطلق عليها «بر رعمسيس مرى آمون» التي تفيد معنى بيت رعمسيس محبوب آمون ، وأصبحت هذه العاصمة منذ ذلك الوقت ، المقر الملكي الرئيسي في الشمال في عصر الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين وربما كان ذلك بالتناوب مع منف . وتمتد هذه العاصمة بين صان الحجر وقنتير الحاليتين في شرق الدلتا على الفرع التانيسي للنيل ، وكانت بهذا ذات موقع مناسب يتوسط دولة الرعامسة في مصر والشام ، ويسمح بوجود احتياطي عسكري كبير فيها يمكن أن ينجد الحاميات الشمالية على وجه السرعة ، وذلك فضلاً عما توافر لها من استراتيجية حيوية ودفاعية[٢] .

وفيما يتصل بسياسته الخارجية ، فقد عمل منذ توليه الحكم على متابعة سياسة والده نحو استرجاع الأمبراطورية المصرية في سوريا ، فقام في عام حكمه الرابع بحملة إلى سورية وصل فيها حتى نهر الكلب شمال بيروت ، وفي عام حكمه الخامس حدث الصدام بينه وبين الحيثيين ، حيث خرج رعمسيس الثاني بجيوشه

(١) انظر : محمد أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٢٣٤ ـ ٢٤٧ .

(٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥ .



(شكل ١٧) واجهة معبد أبو سنبل العظيم .

من مصر، لمقابلة الحيثيين الذين تجمعوا في قادش مع أمراء الولايات السورية التابعين لهم والخارجين على مصر.

وكانت جيوش رعمسيس الثاني مقسمة إلى فرق تحمل كل فرقة اسم أحد آلهة مصر الكبرى إحداها فرقة أمون، وفرقة رع، وفرقة بتاح، وفرقة ست، ووصل رعمسيس الثاني إلى بلاد كنعان واتجه شمالاً متتبعاً الشاطىء حتى شمال بيروت ومن هناك توغل إلى الداخل حتى وصل إلى وادي نهر العاصي وكان معه حينذاك جيش أمون، وعبر بجيشه نهر العاصي، وعسكر في الشمال الغربي من المدينة، في الوقت الذي كان فيه ملك خيتا وحلفاءه خلف التلال وقاموا في الوقت نفسه بحركة التفاف وانسحبوا إلى ما وراء قادش على الشاطىء الآخر من النهر. فلما وصل جيش رع وبدأ في عبور النهر انتظر المتحالفون حتى وصل بعض الجنود إلى الشاطىء الآخر، وعند ذلك هجموا

على جيشه هجوماً مفاجئاً فلم يستطع أن يلم شماله ويصمد للحرب . فحاول رعمسيس الثاني جمع شتات جنوده ، وصمد وحده للقتال بعد أن تخلى عنه أكثر رجاله . وكان عمله هذا مثلاً في الشجاعة لجنوده من جيش أمون رع فلم يمض غير القليل حتى تثبت قلوبهم والتحموا مع العدو. وبذا تفادى رعمسيس الثاني ورجاله كارثة محققة ، ويرجع الفضل في هذا إلى وصول فرقة من المجندين وهي فرقة «نعرين»، وعندما وصلت الفرق الباقية مع اليوم التالي وانضمت إلى بقية جيوش رعمسيس الثاني تحقق النصر لرعمسيس الثانى على الحيثيين ، واتفق الطرفان على أن يحترم كل منهما حدود الآخر وإلا يتدخل في شؤون رعاياه ، واقتصرت امبراطورية مصر في آسيا على فلسطين ولبنان وجزء صغير من سوريا وعلى الأخص الموانىء التي كانت على الشاطىء وهي الحدود التي كانت قائمة من قبل .

وبعد عامين من معركة قادش ثارت فلسطين نفسها وامتدت الثورة حتى وصلت إلى حدود مصر، وسارع رعمسيس الثاني إلى إخماد الفتنة وأعاد كل فلسطين إلى حظيرته وأعادت الحملة إلى مصر سيادتها على تلك البلاد كلها . وفي العام الثامن من حكمه قام بحملة أخرى كانت درساً قاسياً لمملكة خيتا أجبرها على احترام مصر وعدم التدخل في أمر ولاياتاها . وتم عقد معاهدة بين الطرفين في العام الحادي والعشرين من حكم رعمسيس الثاني أي في عام ١٢٨٠ ق . م. وتنص هذه المعاهدة على تأكيد الصداقة وأن كلا من مصر وخيتا لا يعتدي على الآخر. وأن يكون أساس العلاقات بينهما قائماً على المودة والمحبة والأخاء والمساواة(١) .

ومات رعمسيس الثاني بعد أن ملأ سمع الدنيا وبصرها في حياته ، وترك اسمه يرن في أذانها حتى الآن ، ودفن في قبره في وادي الملوك . بعد أن ترك ذرية من الأبناء الذكور تتعدى المائة بالإضافة إلى أكثر من خمسين بنتاً

(١) Wilson, J. A., In ANET., p. 248 ff.

مرنبتاح: - (١٢٢٤ - ١٢١٤ ق. م)

اشترك مرنبتاح مع أبيه رعمسيس الثاني في الحكم وعندما آل إليه كان في الستين من عمره، وربما ذهب مرنبتاح إلى آسيا في السنة الثالثة من حكمه أو يكون قد أرسل جيشاً لإخماد بعض الثورات التي قامت فيها كما ذكر لنا في لوحته الشهيرة باسم «لوحة إسرائيل».

وفي العام الخامس من عهد مرنبتاح تمكن ملك قبيلة ليبو من أن يجمع الحلفاء من قهق ومشوش بجانب خمسة من شعوب البحر ومعهم نساؤهم وأطفالهم وماشيتهم وهاجموا الحدود المصرية، وتمكن مرنبتاح من إعداد جيشه فيما لا يقل عن اسبوعين وتوجه لمقابلتهم حيث انتصر عليهم انتصاراً كبيراً. وتشير النصوص المصرية إلى أعداد ضخمة من القتلى الأجانب بجانب أعداد كثيرة من الأسرى، كان من بينهم نساء الملك الليبي وأولاده وإخوته، وبذلك تمكن مرنبتاح من حماية مصر من هذا الخطر الذي واجهها من ناحية الغرب.

ولقد أقام مرنبتاح العديد من المباني في طيبة ومنف وغيرهما ولم يطل الحكم به بل مات بعد أحد عشر عاماً، ودفن في مقبرته التي أقامها بوادي الملوك. كما عثر على مومياه.

نهاية الأسرة التاسعة عشرة: -

ولقد أعقب موت مرنبتاح فترة من الاضطرابات حدثت فيها العديد من المؤمرات حول العرش، وتعاقب العديد من الملوك الذين لم يحكموا إلا لفترات من الزمن ومنهم الذي جاء بعد مرنبتاح وهو مغتصب للملك ويدعى «أمون مس» ثم مغتصب آخر اسمه «مرنبتاح سابتاح» واستمر في الحكم ست سنوات حتى خلعه الملك «ستي الثاني» الذي حكم هو الآخر ست سنوات. وفي هذا كله دليل على اضطراب الأمور في البلاد، ومن الذين حكموا خلال هذه الفترة كذلك الملكة «تا أوسرت»، وجاء بعدها حاكم أجنبي هو «باي

السوري (ارسو)[1]، وعجلت هذه الفوضى بنهـاية الأسـرة التاسعـة عشـرة حيث دخلت مصر مرحلة أخرى مع الأسرة العشرين.

(1) Gardiner, A. H., In J. E A., vol. 44, (1958). pp. 12 - 22.

٣ ـ الأسرة العشرون

ملوك الأسرة العشرين : ١١٨٤ ـ ١٠٨٧ ق . م

١ ـ ست نخت	١١٨٤ ـ ١١٨٢ ق . م
٢ ـ رعمسيس الثالث	١١٨٢ ـ ١١٥١ ق . م
٣ ـ رعمسيس الرابع	١١٥١ ـ ١١٤٥ ق . م
٤ ـ رعمسيس الخامس	١١٤٥ ـ ١١٤١ ق . م
٥ ـ رعمسيس السادس	١١٤١ ـ ١١٣٤ ق . م
٦ ـ رعمسيس السابع	١١٣٤ ق . م
٧ ـ رعمسيس الثامن	١١٣٤ ق . م
٨ ـ رعمسيس التاسع	١١٣٤ ـ ١١١٧ ق . م
٩ ـ رعمسيس العاشر	١١١٧ ـ ١١١٤ ق . م
١٠ ـ رعمسيس الحادي عشر	١١١٤ ـ ١٠٨٧ ق . م

١ ـ ست نخت (١١٨٤ ـ ١١٨٢ ق . م)

يعتبر «ست نخت» مؤسساً للأسرة العشرين ، وإن كنا لا نعرف عنه سوى القليل في فترة حكمه التي كانت أقل من عامين فيما يرى جاردنر[١] ، وثلاثة أعوام فيما يرى آخرون . ويختلف الباحثون بشأن ست نخت الذي تولى العرش وكان متقدماً في السن ، فهناك من يرى أنه أحد أبناء رعمسيس الثاني ، بينما يرى آخرون أنه اعتمد على تأييد كهان أمون ورد الفعل الشعبي إزاء الإنهيار الذي حدث في أخريات الأسرة السابقة وتولى أجنبي العرش .

(١) Gardiner, Egypt of the pharaohs, p.

وتمكن «ست نخت» من عزل «إرسو» وأعاد الأمن والنظام إلى البلاد، ثم خلفه على العرش ابنه رعمسيس الثالث الذي يعتبره مانيتو مؤسساً للأسرة العشرين.

٢ ـ رعمسيس الثالث: ١١٨٢ ـ ١١٥١ ق. م

خلف والده «ست نخت» على عرش البلاد، وتميز عهده من الناحية الداخلية بكثرة التشييدات المعمارية التي شيدها في أنحاء مختلفة من مصر، ومن أهم هذه التشييدات معبده العظيم في طيبة والمعروف باسم «مدينة هابو» كما شيد كذلك معبداً صغيراً في الكرنك للإله خونسو، ومقصورة في تل اليهودية، بجانب أثاره التي أقامها في منف وعين شمس وسرابيط الخادم وتانيس وأبيدوس.

ونظراً لكثرة تشييداته المعمارية وحروبه المتكررة وكثرة هباته للمعابد وتغيير الاقتصاد العالمي من البرونز إلى عصر الحديد، كان لكل ذلك أثره في تدهور الاقتصاد القومي في أخريات عهده، فارتفعت أسعار الحبوب وأدى الأمر إلى عدم تمكن الحكومة من دفع مخصصات عمال دير المدينة، مما دفعهم إلى إعلان الإضراب حتى تم صرف مخصصاتهم. كما تعرض الفرعون لمؤامرة من حريمه كادت تؤدي بحياته لولا أن كشف عنها، وتم محاكمة المشتركين فيها بعقوبات مختلفة حسب دورهم فيها[1].

سياسة مصر الخارجية في عهد رعمسيس الثالث:

١ ـ سياسة مصر نحو الغرب: بعد أن تولى رعمسيس الثالث عرش البلاد، كان عليه أن يعمل على تأمين حدود البلاد الغربية من الليبيين الذين هددوا البلاد من الغرب وأثاروا القلق بين سكانها، وإن كان ذلك لم يبدأ منذ عهد رعمسيس الثالث، وإنما يرجع إلى أيام مرنبتاح الذي استطاع أن يلقنهم درساً قاسياً، وأن يبعد أطماعهم في الإستيلاء على أرض مصر الخصبة.

(١) Goedicke, H., In J. E. A., vol. 49 (1963), pp. 78 - 91.

وكان الاحتكاك الأول بين رعمسيس الثالث وحلفائهم من شعوب البحر في السنة الخامسة من حكمه. وكان السبب المباشر للحرب الليبية الأولى في عهد رعمسيس الثالث محاولة الفرعون أن ينصب عليهم ملكاً من اختياره، وقد عارضت القبائل الليبية تعيينه فكانت الحرب وعلى أية حال فسواءاً أكان ذلك هو السبب الرئيسي، أو أن غزوهم كان تكراراً للمحاولات السابقة، فإن هذه الحرب الليبية الأولى انتهت بهزيمة الليبيين هزيمة منكرة على حدود الدلتا الغربية، عندما كانوا في طريقهم إلى منف.

وتوضح سلسلة من المناظر الرائعة المصورة على الجدران الخارجية الغربية والشمالية بمعبد مدينة هابو وذلك بالإضافة إلى نقش السنة الخامسة المشهور تطورات هذه الحروب وسير المعركة والاستعدادت التي قام بها رعمسيس الثالث فعندما جاءت الأخبار إلى الفرعون بتحرك الليبيين المكونين من ريبو وسبد ومشوش نحو مصر، استعد للحرب وتقدم إلى ميدان المعركة يتبعه حرسه الخاص وجنوده من المصريين والأجانب كذلك، ويبدو أن ميدان المعركة كان على جانب تل في صحراء حمراء قد خضبت بدماء غزيرة، وفد اختلفت آراء المؤرخين حول مكان المعركة، وأياً كان الأمر فإن مكانها لابد أن يكون في مكان ما في الصحراء قرب حدود الدلتا الغربية.

ويعود رعمسيس الثالث من حملته هذه مصحوباً بالجند والموظفين وهم يسوقون الأسرى من الليبيين أمام عربته، ويبدو محتملاً أن عدد الأسرى يبلغ أربعة آلاف، بينما بلغ عدد القتلى ١٢,٠٠٠ قتيلاً(١).

الحرب الليبية الثانية:

بعد أن خاض رعمسيس الثالث في سنته الثامنة حرباً ضد شعوب البحر الشماليين وتمكن من هزيمتهم عمل على تقوية جيشه وتزويده بالعدة والعتاد

(١) Gardiner, A. H., op. cit., p. 283., Edgerton, W. F., Wilson, J. A., Historical Records of Ramsses III, Chicago, 1936.

وكذلك محمد بيومي مهران: مصر والعالم الخارجي فى عصر رعمسيس الثالث، الإسكندرية، ١٩٦٩، ص ٢٥١ - ٢٥٧.

وعمل الاستحكامات اللازمة اتقاء لخطر قد يقع وهو في غفلة من أمره، من الشرق كان ذلك أو من الغرب، وقد صدق حدس الفرعون إذ لم تأت سنته الحادية عشرة حتى رأى الليبيين يعيدون تنظيم أنفسهم ويهاجمون مصر. ويتجه البعض إلى القول بأن الحرب الشمالية قد جذبت كل انتباه المصريين عن الحدود الغربية أثناء هجوم شعوب البحر، ومن هنا فقد تركوا حدودهم الغربية دون حراسة، فأعطوا الليبيين الفرصة أن يخترقوا الدلتا بسهولة.

ولقد كانت راية الزعامة في هذه المرة قد عقدت لقوم المشوش ـ وكانت زعامة الحرب الليبية الأولى لـ «ريبو» واستطاع زعيمهم «كبر» أن يجعل القبائل الليبية تحت لوائه وتمكن «مششر» بن «كبر» أن يقود المشوش ومن تحالف معهم نحو مصر، كما استطاع أن يقضي على قوم تحنو المسالمين والذين كانوا يسكنون في غربي الدلتا على الحدود المصرية مباشرة واستمر المشوش وحلفائهم الليبيين في تقدمهم داخل البلاد حتى وصلوا في زحفهم من رأس الدلتا حتى قاعدتها.

وتقدم الفرعون لمقابلة أعدائه وتحدث معركة حامية الوطيس أبلى فيها الفرعون ومشاته وفرسانه والرجال الأقوياء الذين دربهم على القتال بلاء حسناً. وتقدم لنا المناظر المصورة بمدينة هابو الجنود المصريين وهم يتممون هزيمة الليبيين، ويوضح النقش أن جلالته قد استولى على ٢,٠٥٢ أسيراً وأما الذين كان نصيبهم القتل فقد بلغوا ٢,١٧٥ قتيلاً وهكذا تنتهي المعركة على خير ما يرجوه الفرعون العظيم ويتمكن من سحق المشوش المعتدين الذين غزوا البلاد. وتعطينا نقوش المعركة أرقاماً للغنائم من الرجال والنساء والأطفال والعربات والسيوف والماشية وغيرها. إلا أن أثمن الغنائم على الإطلاق كان «مششر» زعيم المشوش وقائد الحملة. ولقد بلغ انتصار رعمسيس الثالث حداً جعل المصريين يعتبرونه حدثاً يحتفلون به سنوياً وسمي عندهم «عيد قتل المشوش»[1].

(١) Gardiner, A. H., in J. E. A., vol. 5, PP. 134 - 135., Edgerton, W. F., Wilson, J. A., op.cit., pp. 77 - 80.,

وكذلك محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص ٢٦٤ ـ ٢٦٨.

كان انتصار رعمسيس الثالث حاسماً بعد أن قضى على الهجوم الثاني على حدوده الغربية ، ولم يعد أمامه ما يخشاه من هذه الناحية بعد أن قلم أظفارهم . ومن ثم فإن الليبيين لم يحاولوا بعد هزيمتهم هذه أن يفرضوا أنفسهم عنوة على البلاد ، وبدأوا يتخذون طريقاً آخر يفرضون أنفسهم على مصر ، فقد بدأوا يهاجرون إلى مصر مسالمين وقد كان لذلك أثره الخطير في مستقبل الأيام .

٢ ـ سياسة مصر نحو الشرق : ـ

تعرضت منطقة الشرق الأدنى القديم إلى هجرات الأقوام «الهندو ـ أوروبية» وكانت الهجرات سبباً في انهيار الأمبراطورية الحيثية مما أوجد اضطراباً في الممتلكات المصرية في سوريا وفلسطين ، وكان رعمسيس الثالث مازال محتفظاً بامبراطوريته الآسيوية في فلسطين وجنوب سورية . وقد اضطر رعمسيس الثالث في بداية عهده إلى القيام بحملة آسيوية ربما نتيجة الاضطرابات التي نتجت عن هجرات الشعوب الهندو ـ أوروبية ، أو ربما أن أمور ـ جرياً على العادة القديمة ـ قامت بثورة ضد رعمسيس الثالث في أوائل عهده ، وقد تمكن الفرعون من إخماد هذه الثورة والقضاء عليها ، وتمكن من إعادة الأمن إلى نصابه في ممتلكاته الآسيوية ولكن إلى حين .

حملة السنة الثامنة : ـ

كانت السنة الثامنة من عهد رعمسيس الثالث من أقسى السنوات على مصر ، إذ أنها واجهت فيها تهديداً خطيراً ، وذلك لأن بعض الشعوب التي تسميها النصوص المصرية «الشماليون الذين في جزرهم» فكرت في الهجرة إلى بلاد الشرق الأدنى وأتت في موجة كبيرة ، بعضها بطريق البحر والآخر بطريق البر ، وكان هدفهم من وراء تلك الحملات الاستقرار الدائم في هذه البلاد وقد جاؤا وفي ركابهم أزواجهم وأطفالهم .

وتقدمت هذه الهجرات نحو مصر براً وبحراً ، وعندما وصلت أخبارها

إلى رعمسيس الثالث بدأ يعمل الإستعدادات اللازمة لمواجهتهم فقام بتحصين الحدود وبخاصة عند زاهي ، كما أمر بتحصين مصبات النيل بأنواع من السفن المختلفة . ولقد تمكن رعمسيس الثالث من هزيمة شعوب البحر شر هزيمة في معركة برية قامت بينهما . أما المعركة البحرية فقد تمكن الأسطول المصري من هزيمتهم هزيمة قاسية ودمر سفنهم تدميراً كاملاً . وبهذا فقد تمكن رعمسيس الثالث من إنقاذ مصر من خطر مؤكد لم يقل عن الخطر الذي تعرضت له البلاد عند غزو الهكسوس إن لم يزد عنه ، ولم تنقذ مصر نفسها فقط، بل أنقذت غربي آسيا معها كذلك[1] .

٣ ـ سياسة مصر نحو الجنوب : ـ

كانت النوبة قد تمصرت تماماً في هذه الفترة من الأسرة العشرين ولم تصبح بعد موضع قلق بالنسبة للفراعين ، ومن هنا فإن الفراعين لم يقوموا بحملات جادة ضد النوبة ، بل أن الأمور هناك كانت مستقرة ، وكانت جزيتها تصل إلى مصر باستمرار وتقدم لنا مناظر معبد مدينة هابو شيئاً عن حملة اضطر الفرعون إلى القيام بها ضد النوبة ، غير أننا لم نستطيع الجزم بذلك ، فمن جهة يمكن أن نفترض حدوثها على أساس أن القبائل النوبية ربما انتهزت فرصة الضعف التي كانت تمر بها البلاد في هذه الأوقات العصيبة ، أو ربما انتهزت فرصة اهتمام مصر كلية بالأخطار التي كانت تهددها من ناحية حدودها الشرقية والغربية ، وربما كانت هذه الحملة جرياً على التقاليد القديمة التي تقضي بأن يقوم الفرعون بحروب يظهر فيها قوته يبين لشعبه وللبلاد التابعة له أنه ليس أضعف من أسلافه . وأياً كان الأمر فإن نقوش مدينة هابو توضح أن رعمسيس الثالث قد أوقع بهم هزيمة منكرة[2] .

---

(١) نفس المرجع السابق ، ص ٢٥٧ ـ ٢٦٤ . . Edgerton, W. F., Wilson, J. A., op. cit. pp. 38-44.

(٢) Ibid., pp. 1 - 3.

الحالة الداخلية والخارجية بعد رعمسيس الثالث : ـ

بموت رعمسيس الثالث فقدت مصر آخر الفراعين العظام ، ولم يوجد بين خلفائه من استطاع أن يعيد لمصر مجدها ومكانتها ، ولكنهم كانوا جميعاً متشابهين في ضعفهم وفي خضوعهم لسلطان الكهنة ، وفي عجزهم عن التغلب على الأزمة الاقتصادية التي بدأت تطحن البلاد ، ومتشابهين كذلك في عدم استطاعتهم إيقاف الفوضى والانحلال في جميع مرافق الدولة وظلم الموظفين للطبقات الفقيرة وفي هذه الأوقات العصيبة من تاريخ البلاد يحكمها ثمانية من الملوك الذين لا يعتد بهم (من رعمسيس الرابع حتى رعمسيس الحادي عشر) والذين كانوا يهتمون أكثر ما يهتمون بإعداد مقابرهم المزخرفة في وادي الملوك ، ولم يكن هؤلاء الرعامسة الثمانية من رجال الحرب أو من رجال الإصلاح . ولهذا قلما نسمع عن أحد منهم خيراً اللهم إلا إشارات عابرة توضح الفوضى والإنحلال وتفشي الرشاوي والسرقات .

أما من الناحية الخارجية فلا يوجد دليل واضح على أن مصر قد احتفظت بسلطانها كاملاً على فلسطين وسورية بعد وفاة رعمسيس الثالث .

الأسرة الحادية والعشرون

(١٠٨٧ - ٩٤٥ ق. م)

يبدو أن السلطة في مصر منذ أخريات أيام رعمسيس الحادي عشر قد قسمت بين «حريحور» و«نسى بانبدذ» وإن رعمسيس الحادي عشر في أغلب الأمر - كان قد استمر في منف حيث بقى هناك إلى وفاة «حريحور» ثم عاد إلى طيبة حيث استرجع بعض سلطته. وإن كان هناك رأي آخر يرى أن «نسى بابندد» قد طرد الملك من عاصمته في الدلتا وبسط نفوذه على الدلتا بأكملها، فهرب رعمسيس الحادي عشر إلى طيبة وتعاون مع حريحور رئيس الكهنة على بسط نفوذه على الوجه القبلي والنوبة، وهناك رجي ثالث يرى أن الجيش قد استولى لنفسه على السلطة في آخر أيام الرعامسة، ويرى أصحاب ذلك الرأي أن تولى «حريحور» للوظيفة الكهنوتية لم يكن سوى وسيلة لجمع السلطة كلها في يديه.

وأيا ما كان الأمر، فإنه بوفاة رعمسيس الحادي عشر عام ١٠٨٧ ق. م، فإنه يترك مصر وقد أصبحت تحكم من عاصمتين مختلفتين عاصمة في طيبة أقام فيها كبار كهان أمون أبناء حريحور، الذي استطاع أن يورث تلك السلطة لابنه من بعده معتمداً في ذلك على القوة العسكرية - وليس على الكهانة - ورغم ذلك فإنه يرجح أن «حريحور» لم يكتب له أن يجلس على العرش، وإن انتحل الألقاب الملكية ولكنه ربما كان يمارس من السلطات أكثر مما للفرعون الحقيقي رعمسيس الحادي عشر، وعند وفاته ورثه أبناؤه في سلطته مكوني حكومة ثيوقراطية اعتمدوا في تدعيمها على ما بقي لعاصمتهم من ثراء قديم، وسيادة دينية وزعامة صعيدية وقد مدوا نفوذهم حتى الحيبة في مصر الوسطى جنوب مدينة الفشن بحوالي خمسة كيلومترات، حدث هذا بينما

كان «نسى بانبدد» في تانيس سيداً للدلتا، ومن العجيب أن نقرر أن العلاقات بين شقي الوادي كانت ودية .

ويبدأ مانيتو أسرته الحادية والعشرين التي تضم سبعة من الملوك التانيسيين بـ «سمندس» والمستند الوحيد من عهد سمندس نص على عمود في محجر «الجبلين» مهشم في معظمه وفيه يروي كيف أن سمندس جلس في قصره في منف وهو يفكر في عمل شيء يشير إلى تقواه حتى يناله التمجيد، وأنه حين ينهي إليه الأمر بأن بهو الأعمدة الذي شيده تحوتمس الثالث في الأقصر أغرقه الفيضان فأرسل ثلاثة آلاف عامل لقطع الحجر الرملي اللازم للترميم[1] . أما عن خلفائه فليس لهم آثار على الإطلاق .

وأما في طيبة فإن حريحور بعد أن مات خلفه في طيبة ابنه «بعنخى» الذي وثق علاقته بالبيت الحاكم في تانيس، وكان الملك في ذلك الوقت «بسوسنس الأول» فتزوج «باي نجم الأول» أكبر أولاد بعنخى من «ماعت كارع» ابنة بسوسنس الأول وكان هذا الزواج دون شك رابطة صداقة بين العاصمتين جعلت من وجودهما المشترك أمراً طبيعياً .

وأيا ما كان الأمر فحينما توفي الملك «بسوسنس الأول» أصبح باي نجم الحاكم الوحيد في مصر كلها، وجمع بذلك بين شرعية ولايته للعرش، وسلطة صاحب النفوذ الأقوى في البلاد، وقد انجب من زوجته ولدين هما «ماخسارتي» و «من خبر رع» وقد عين أولهما رئيساً للكهنة ولما توفي تبعه شقيقه في رئاسة الكهنة، ثم خلف والده على العرش، وقد قام «من خبر رع» بإخضاع ثورة قامت بها طيبة . وعلى أية حال فإن هناك كثيراً من التعقيدات التي تصاحب نهاية الأسرة الحادية والعشرين، وأهم ملوكها طبقاً لمانيتو سمندس، بسوسنس الأول، ونفر كيرس وأمنوفيس وأوسوخور وسي أمون وبسينا خس[2] .

---

(١) Cerny, J , In C. A. H., vol II. part II B, (1980). , pp. 643 - 645.

(٢) Cerny, J., In J. E. A., vol. 32 (1946), pp. 24 - 30.

الفصل الثامن

عصر الإنتقال الثالث

الأسرة الثانية والعشرون

بعد انهيار الأسرة الحادية والعشرين دخلت مصر في مرحلة جديدة من تاريخها امتدت من النصف الثاني للقرن العاشر ق. م وحتى نهاية التاريخ الفرعوني، ويطلق على هذه المرحلة التسمية «العصور المتأخرة» وذلك نظراً لوقوعها في نهاية التاريخ الفرعوني من الناحية الزمنية أساساً، ومن حيث الحضارة ضمناً.

ويبدأ هذا العصر بالأسرة الثانية والعشرين وكان حكامها ذوي أصل ليبي متمصر، تشير إلى ذلك أسماء أجدادها الأبعدين، فضلاً عن أسماء ملوكها من أمثال شيشنق وأوسركون وغيرهم. وعلى ذلك فلم يكن هؤلاء غرباء عن مصر، ولم يفتحوا البلاد عنوة، وإنما كانوا من قبائل خليطة من أهل الصحراء الغربية الأقدمين ومن فئات شعوب البحر الذين نزلوا سواحل ليبيا منذ أواخر القرن الثالث عشر ق. م ولم يتمكنوا من دخول مصر بالقوة، فلجأوا إلى الوسائل السلمية، فدخلوا مصر كرعاة وتجار أو مرتزقة في الجيش، ولقد استقرت قبائلهم منذ أواخر عهد رعمسيس الثالث على حواف مصر الزراعية وحول الحصون المنتشرة على الحدود الغربية، ثم ما لبثوا أن تمصروا وعبدوا الآلهة المصرية، ودخلت جماعات منهم في الحاميات المصرية حيث منحت لهم بعض الأراضي الزراعية كمرتبات لهم في مقابل خدمتهم بالجيش.

وحمل رؤساؤهم ألقاباً جمعت ما بين الأصل المصري والأصل الليبي، وذلك مثل لقب «ور ـ مس» وهو يجمع ما بين الكلمة المصرية «ور» بمعنى عظيم، وبين كلمة «مس» الليبية التي تعني ملك. كما حملوا كذلك لقب

«رئيس ما الكبير» ، وذلك اختصاراً للقب «رئيس المشاوش الكبير» ولم ينسى لهم المصريون أيضاً أصلهم الأجنبي بسهولة ، فاحتفظوا لهم باسم المشاوش واسم الليبين حيث تركزت أغلب جماعاتهم قرب الفيوم ، وباسم الأجانب فيما دون ذلك.

واستمرت مدة حكمهم أكثر من قرنين ، نسوا فيها أصلهم الغريب تماماً ، ولم يذكروا على أنفسهم إلا أنهم فراعنة مصريون ، ولقد حاربوا باسم مصر خارج حدودها ، وحاولوا جهدهم استعادة بعضاً من هيبة مصر وسمعتها في الخارج[1]. وكانت عاصمة مصر في عهد هذه الأسرة في الشمال إما تانيس أو بوباسطة ، وكان كبار الكهنة في طيبة يمارسون سلطاناً دينياً لا ينازع ، وفي أخريات عهدها تفرقت وحدة البلاد بسبب تنافس الأمراء الليبين على الحكم ، وانتهى الأمر بأن أدعى الملك فيها ثلاثة بيوت ، بيتان في شرق الدلتا ، وبيت ثالث في غربها ، وذلك فضلاً عن عدد من الأمراء الإقطاعيين في مصر الوسطى والصعيد.

ولقد كان أول ملوك هذه الأسرة هو الملك «شيشنق الأول».

شيشنق الأول : -

يعتبر شيشنق مؤسس الأسرة الثانية والعشرين أهم شخصية في الأسرة ، ونحن نسمع عنه لأول مرة في نص طويل عثر عليه في أبيدوس ، حيث لم يكن أكثر من الرئيس العظيم للمشوش ، وقد مات أبوه «نمرود» فدفنه في أبيدوس ثم حدث اعتداء على قبره فذهب إلى الملك في تانيس شاكيا ، فاهتم بالأمر وسافر بنفسه إلى قبر أبيه وأمر بإرسال تمثالاً باسم والد شيشنق يوضع في معبد أوزير في أبيدوس. وليس هناك شك في أن هذا الحدث يوضح لنا أمرين هامين - أولاهما قوة بعض العائلات التي من أصل ليبي ومحاذرة الملك وكبير الكهنة من اغضابهم ، والأمر الثاني أن هؤلاء الليبيين كانوا قد تمصروا تماماً

(١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٦١ - ٢٦٢.

واعتنقوا ديانة المصريين. وتزوج شيشنق الأول من ابنة «بسوسنس» آخر ملوك الأسرة الحادية والعشرين. ويبدو مرجحاً أن شيشنق لم يقم بثورة للإستيلاء على الحكم بل انتظر حتى وفاة آخر ملوك الأسرة الحادية والعشرين واستولى على العرش في تانيس. وعلى ذلك فقد قامت أسرة جديدة تربعت على عرش الفراعين متخذة من بوباسطة بشرق الدلتا عاصمة لها، أما الصعيد فقد تردد في التسليم لسلطان الحكم الجديد، ولكن بعد فترة من الوقت - سلم بالأمر الواقع - واستمرت عهود الحكام ذوي الأصل الليبي أكثر من قرنين، نسوا فيها أصلهم الغريب تماماً، ولم يذكروا عن أنفسهم إلا أنهم فراعنة مصريين. وحمل شيشنق نفس الألقاب الملكية التي حملها الملك سمندس مؤسس الأسرة الحادية والعشرين وهي «جدح خبر رع، ستب ان رع، مرأمون»، «الفحل القوي، محبوب آمون»، كما استخدم كذلك الألقاب حورونبتي وحور الذهبي.

وعمل شيشنق على تعيين بعض أفراد البيت المالك القديم وأنصارهم على رأس الإدارات في كهانة أمون بطيبة، كما عمل كذلك على الزواج من الأسرة الكهنوتية في طيبة، ثم ما لبث أن عين أحد أبنائه في منصب كبير كهنة أمون رع في الكرنك، وكان هدفه من وراء ذلك الإشراف المباشر على هذه الوظيفة الهامة، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل أصبحت الوظائف الكهنوتية الرئيسية كذلك من نصيب الأمراء وأبناء الأسر النبيلة التي تنتسب إلى المشوش، وأدى هذا إلى ارتباط الكهانة بالملكية.

وشيد شيشنق العديد من المباني، كان معظمها في الدلتا. فأقام معبداً في تانيس، كما شيد العديد من المباني في تل بسطة وتل المسخوطة ومنف والحيبة وغيرها، غير أن أهم مبانيه كانت في معبد الكرنك وتتمثل في المدخل الذي أقامه ويؤدي إلى رحبة المعبد الرئيسي وكذلك الصرح الأول[1].

(١) انظر: Kitchen. K. A.. The Third Intermediate Period in Egypt, Oxford, 1973, pp. 287 - 291.

وفي عهد شيشنق الأول تطلعت السياسة الخارجية المصرية إلى فلسطين وما وراءها، وفتحت مصر أبوابها أمام الفارين ومن وجه سليمان ـ عليه السلام ـ، وتذكر التوراة أن شيشنق ملك مصر صعد إلى أورشليم، وأخذ خزائن بيت الملك وكل شيء، ويرجح بعض المؤرخين عام ٩٣١ ق. م تاريخاً لهذه الحملة، وفي الحقيقة أن هدف الحملة غامض تماماً فيما إذا كانت هي محاولة لأحياء الأمجاد المصرية القديمة أو هي كانت خطة لتدعيم مركز «يربعام» الجالس في دويلة إسرائيل.

وتوضح الأدلة الأثرية عودة العلاقات الودية مع أمراء جبيل، والتي توقفت في عهد الأسرة الواحدة والعشرين، ويستدل على ذلك من إهداء شيشنق تمثالاً جالساً له إلى معبد سيدة جبيل(١).

خلفاء شيشنق الأول: ـ

خلف شيشنق الأول على عرش الكنانة ابنه (أوسركون الأول) وقد كان والده قد زوجه من ابنة «بسوسنس الثاني» في حين كان ابنه الثاني «يوبت» كاهناً في طيبة، ولم ينجب هذا الأخير ابناً، فاتفق مع شقيقه «أوسركون الأول» على أن يكون ابن هذا الأخير خليفة لعمه في رئاسة الكهنوت.

إلا أن هذا الابن مات وخلفه ابنه «حرسا إيس» (حفيد أوسركون)، وقد مات هذا الأخير أيضاً فتبعه ولدين من أبناء أوسركون، ثم تبعهما الابن الرابع لأوسركون ويدعى شيشنق الثاني(٢).

وحمل أوسركون ـ مثل والده ـ العديد من الألقاب، ومن الألقاب التي تلقب بها أنه «الذي أجلسه أتوم على العرش»، «عظيم القوة الذي أخضع الأقواس التسعة، الحاكم الذي قهر كل الأراضي»، وقد منح أوسركون في

---

(١) Ibid., pp. 292 - 300.

(٢) محمد أبو المحاسن عصفور: معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم من أقدم العصور إلى مجيء الإسكندر، بيروت، ١٩٨١، ص ٢١١.

سنوات حكمه الأولى الكثير من الهبات الذهبية والأواني الفضية للمعبودات الرئيسية في مصر.

ومن أهم الآثار التي عثر عليها وتخص الملك أوسركون الأول بعض المباني في معبد أتوم في بوباسطة بالدلتا. وأقام في منف هيكلاً للإلهة باست تبقت منه عتبة ضخمة، أما في مصر العليا فقد أكمل معبد والده في الحيبة. كما أضاف بعض المباني لمعبد إيزه في أطفيح. وفيما يتصل بسياسة الخارجية، فقد استمرت علاقات مصر الودية مع جبيل، ويستدل على ذلك من إهدائه تمثال له لمعبودة جبيل، وذلك مثلما فعل سلفه من قبل.

وخلف تلكوت الأول والده أوسركون الأول على العرش نظراً لوفاة أخيه شيشنق الثاني قبل والده بقليل، ولم يعثر له سوى على آثار قليلة في الكرنك، وخلفه على العرش ابنه أوسركون الثاني، ولقد احتفل في عام حكمه الثاني والعشرين بعيدسد، حيث أصدر مرسوماً أعفى بمقتضاه، حريم معبد أمون رع من الضرائب ومن كل أنواع الخدمة، وكذلك المعابد الأخرى في طيبة، ويشير ذلك إلى استقلال طيبة، واختار أوسركون لمنصب كبير كهانة أمون ابن عمه شيشنق الثاني الذي كان يدعى «حارسيس» ولم يعين ابنه، وهو الأمر الذي كانت له أثاره البعيدة في انقسام الأسرة والدولة فيما بعد. ولقد عمل «حارسيس» على اتخاذ مظاهر الملكية مع أوسركون الثاني، فانتحل لنفسه الألقاب الملكية، غير أنه بوفاته، انتهز أوسركون الثاني الفرصة وعين ولده «نيملوت» كبيراً لكهنة أمون.

ولقد شيد أوسركون الثاني العديد من المباني في بوباسطة وتانيس ومنف والكرنك، إلا أنه يلاحظ أنه قد استخدم في مبانيه أحجاراً من مباني أسلافه، وبخاصة رعمسيس الثاني، مما أدى إلى تهدم كثير من مباني رعمسيس الثاني التي كان قد شيدها في «بي رعمسيس» وبوباسطة.

وبعد وفاة أوسركون الثاني، خلفه ابنه «تكلوت الثاني» الذي اتخذ لنفسه لقباً حورياً جديداً هو «حارسيس»، كما اتخذ الألقاب: «الفحل القوي، الظاهر في طيبة» و«جدخبر رع، ستب ان رع، تكلوت مرأمون»،

وهو اللقب الذي كان اتخذه من قبل شيشنق الأول.

وفي عام حكمه الحادي عشر عين ابنه أوسركون كبيراً لكهنة أمون في طيبة وقائداً لكل البلاد، والقائد العام للجيش وحاكم الجنوب. ولقد شبت ثورة عنيفة في العام الخامس عشر من حكم تكلوت الثاني، واستمرت قرابة عشر سنوات حتى خمدت الثورة.

وبعد موت «تكلوت الثاني» خلفه على العرش «شيشنق الثالث» وليس ولي عهده «أوسركون» الذي ظل في وظائفه القديمة لمدة ست سنوات، وخلفه فيها شخص آخر يدعى «حارسيس الثاني» ثم عاد إليها ثانية بعد حوالي ٣٣ سنة واستمر فيها حتى وفاته.

واتخذ «شيشنق الثالث» الألقاب «وسر ماعت رع، ستب أن أمون شيشنق، سي باست، مر آمون» و «ابن باست، الإله، حاكم هليوبوليس»، «الفحل القوي، نتاج رع» و «الفحل القوي، محبوب رع»، و «الفحل القوي، محبوب معات». ولقد استمر حكمه فترة تزيد عن النصف قرن بقليل، إذ يقدر عهده بحوالي اثنين وخمسين عاماً، وشيد الكثير من الآثار في الدلتا، إلا أنه استخدم في بنائها أحجار مباني رعمسيس الثاني في الدلتا وذلك في تانيس ومنديس وكوم الحصن ومنف وسقارة وغيرها.

وفي آواخر عهد «شيشنق الثالث» نشأت أسرة ملكية أخرى هي الأسرة الثالثة والعشرين، أي أنها كانت تعاصر الأسرة الثانية والعشرين وخاصة في الفترة الأخيرة منها، ولكننا لا نعرف كيف نشأت هذه الأسرة؟ وما هي العلاقة بينها وبين الأسرة السابقة؟

على ضوء المعلومات المتاحة، فإنه قد خلف «شيشنق الثالث» على العرش الملك «بماي» (القط)(١) الذي يرجح أنه لم يحكم أكثر من ست سنوات، ثم خلفه ابنه «شيشنق الرابع» الذي حكم سبع وثلاثين عاماً، وانتهت الأسرة بالملك «أوسركون الرابع»(٢).

(١) Gardiner, A. H., op. cit., pp. 333 - 334.

(٢) Kitchen, K. A., Op. Cit, PP. 326 - 343.

٢ ـ الأسرة الثالثة والعشرون

في العام الثامن من حكم الملك «شيشنق الثالث» تمكن «بدوباست» من تأسيس بيت مالك جديد هو الأسرة الثالثة والعشرين وكانت معاصرة للجزء الأخير من الأسرة الثانية والعشرين. وتضم الأسرة الثالثة والعشرين لدى مانيتو أربعة ملوك فقط، بينما ذكر كتشن Kitchen ثمانية ملوك لهذه الأسرة. وتبدأ الأسرة بالملك «بدو باست» الذي يقال أنه حكم أربعين عاماً طبقاً لرواية أفريكانوس، أو خمس وعشرين عاماً فقط طبقاً لرواية يوسبيوس[١]. ولقد بدأ «بدو باست» يؤرخ الأحداث طبقاً لسنوات حكمه، مما يشير إلى أنه كان يعتبر نفسه فرعوناً مساوياً لشيشنق الثالث، كما يرجح أنه اختار عاصمة جديدة لحكمه هي مدينة «ليونتو بوليس» وهي تل المقدم الحالية المتاخمة لقرية كفر المقدام، على مبعدة عشرين كيلو متر شرقي ميت غمر بمحافظة الدقهلية، وذلك بينما كان جيرانهم من ملوك الأسرة الثانية والعشرين في بوباسطة، أو تانيس. واستمراراً في اتخاذ مظاهر الملك، نقد عين «بدو باست» ابنه «ايويوت» كشريك له في الحكم، ولقد مارس «بدو باست» سلطانه وخاصة في طيبة التي رحبت بملكه.

ويبدو أن البيتين الحاكمين قد رضيا بالأمر الواقع، وهكذا أصبحت مصر تحكم من أسرتين ملكيتين في وقت واحد، ومن عاصمتين مختلفتين (تانيس وليونتو بوليس)، وقد اعترف بكل منهما رسمياً في البلاد، وفي نفس الوقت ظل الأمراء الإقطاعيون شبه مستقلين، ولكل منهم مظاهر الملك بصورة مصغرة[٢].

(١) Gardiner, A. H., op. cit., p. 334.

(٢) محمد بيومي مهران: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، جـ ٢، مصر، ص ٢٢٥.

وظل الأمر كذلك، حتى تمكن «أوسركون الثالث» من إنهاء سيادة الأسرة الثانية والعشرين في أهناسيا، كما نصب ولده كاهناً أكبر لأمون في طيبة، كما اكتسب الولاء المحلي في جنوب منف والدلتا. ومن أهم أحداث عهد «أوسركون الثالث» حدوث فيضان مرتفع للنيل، أغرق معبد الأقصر وأحدث أضراراً به، وقد قام «أوسركون الثالث» بترميم ما أحدثه الفيضان من أضرار.

وبعد موت «أوسركون الثالث» خلفه ابنه «تكلوت الثالث»، وانتهز أمراء مصر الوسطى والعليا، وفاة «أوسركون الثالث»، وادعوا لأنفسهم حقوق الملكية، وفي عهد خلفاء «تكلوت الثالث» انقسمت السلطة في مصر بين العديد من الأمراء الذين ادعى كل منهم الملك في منطقته، واستمرت هذه الأحوال المضطربة خلال عهد الأسرة الرابعة والعشرين[1].

---

(١) Kitchen, K. A., op. cit., pp. 357 - 361.

٣ ـ الأسرة الرابعة والعشرون

في ظل ازدواج الملكية بين الأسرتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين وصلت مصر إلى درجة من الضعف الداخلي جعلت الأمراء المحليين في الأقاليم يشيرون إلى أنفسهم وكأنهم قد أصبحوا ملوكاً، وفي أثناء هذا الاضطراب تمكن «تف نخت» من السيطرة على النصف الغربي من الدلتا وأسس الأسرة الرابعة والعشرين، وأخذ يعمل على إخضاع الأمراء المحليين في مصر العليا متجنباً الصدام بملوك شرق الدلتا في أول الأمر، وبعد أن بسط نفوذه على مصر الوسطى، عاد فمد نفوذه على شرق الدلتا ووسطها، أي أنه أصبح ملكاً بالفعل على الوجه البحري ومصر الوسطى حتى بني حسن، ولم تقاومه إلا أهناسيا عاصمة إقليم الأشمونين.

وفي تلك الأثناء كان «بعنخي» قد تولى الملك في النوبة، فقام بالتقدم شمالاً لوقف تقدم «تف نخت» حيث تمكن ـ كما سنشير بالتفصيل أثناء عرضنا للأسرة الخامسة والعشرين ـ من السيطرة على الدلتا كلها، وأسس الأسرة الخامسة والعشرين.

إلا أنه بعودة «بعنخي» إلى نباتا عاد «تف نخت» فاتخذ الألقاب الملكية من جديد، حيث تعاصرت في هذه المرحلة كل من الأسرتين الرابعة والعشرين والخامسة والعشرين، حيث حكم «تف نخت» في الدلتا، وظلت مصر العليا تابعة لنفوذ حكام نباتا. وقد خلف «تف نخت» ابنه «بوخوريس». وينسب المؤرخون اليونان إلى بوخوريس أن كان من المشرعين العظام وينسبون له مجموعة من الشرائع والإصلاحات الاجتماعية والقضائية[1].

(١) Ibid., p. 362.

٤ ـ الأسرة الخامسة والعشرون

اختلف المؤرخون حول أصل الأسرة الخامسة والعشرين والتي تعرف باسم الأسرة النبتاوية (نسبة إلى عاصمتها نباتا)، فهناك من يرى أنها أسرة مصرية ترجع في أصولها الأولى إلى الكهنة المصريين الذين غادروا طيبة أنفة من الخضوع لليبيين المتمصرين واتجهوا إلى أطراف الحدود المصرية الجنوبية قرب الجندل الرابع، حيث أقاموا في نباتا حكومة ثيوقراطية تدين بديانة أمون وعقائد أوزير، كما اتخذوا كذلك الكتابة المصرية[1]، وظلوا يتسمون بالأسماء المصرية، وتلقبوا بالألقاب الفرعونية، ومن بينها «سيد القطرين» وذلك حتى قبل أن يحكموا مصر، وكان حكمهم قاصراً على النوبة وحدها، كما حمل بعضهم لقب «ملك مصر العليا والسفلى» واللقب الحوري «ابن رع» وذلك فضلاً عن اتخاذ تاج الصعيد الأبيض وتاج الدلتا الأحمر[2].

على أن هناك من يرجع أصولها إلى أصل ليبي، ويرى أنصار هذا الرأي أنه أثناء هجرة القبائل الليبية إلى الدلتا ومصر الوسطى، ذهبت قبائل منهم نحو الجنوب، حيث تمكنت من تأسيس أسرة حاكمة في نباتا وهناك من الباحثين من يرى أن هذه الأسرة ترجع إلى أصول محلية خالصة، وذلك اعتماداً على الملامح الزنجية للأمراء النبتاويين، وكذلك وجود بعض العادات الخاصة كالدفن على السرير وبناء المقابر المستديرة، ويضاف إلى ذلك عملية انتقال السلطة من الأخ

---

(١) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص ٣٦٢.

(٢) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص ٢٣٥.

إلى الأخ، وبعد انتهاء الأخوة يعود الحكم إلى أبناء الأخ الأكبر(١).

هذا ويرجح الباحث الرأي الأول، حيث تتجه الأدلة الأثرية والنصية وشواهد الأحوال إلى تدعيمه.

وفيما يتصل بملوك الأسرة في مصرفهم كالآتي: -

١ - بعنخى.
٢ - شاباكو.
٣ - شبتكو.
٤ - طهراقا.
٥ - تانوت أماني.

١ - بعنخى: -

لقد ساء تلك الأسرة القوية التي قامت في نباتا ما آلت إليه الأمور في مصر، ومن هنا رأوا أن واجبهم يقضي عليهم ضم مصر إليهم إنقاذاً لها مما تعانيه، وتزعمهم ملك يدعى «كاشتا» وفهمنا من النصوص التالية لعهده أنه مهد للأمر العظيم باتصالات ومحالفات مع زعماء طيبة وربما أيدهم بجنود ساعدوعم ضد آواخر الليبيين المتمصرين.

ومع ذلك فالأمل لم يتحقق إلا على يدي ابنه «بعنخى» الذي خلفه على عرش نباتا عام ٧٤٧ ق. م. واتخذ الاسم الحوري «الفحل القوي الذي ظهر في نباتا» والاسم النبتي «دوام الملكية مثل رع في السماء»(٢) ولقد أرسل بعنخى جيشه إلى مصر، حين أتته الأنباء أن «تف نخت» أمير سايس بدأ في الزحف نحو الصعيد، ويزود بعنخى جيشه في يوم رحيله بتعليمات لاحترام المعابد وتخليص البلاد ممن يعبثون فيها فساداً، وهكذا يبدو واضحاً أن بعنخى لم يرسل جيشه غازياً يريد الفتح

---

(١) محمد إبراهيم بكر: تاريخ السودان القديم، القاهرة، ١٩٧١، ص ٩٠-١٠٠.
وكذلك Reisner, G., In J. E. A., vol. 6 (1919), P. 54.

(٢) Kitchen, K. A., op. cit. P. 359.

والنصر، وإنما أرسله ليؤيد أمون وكهنته وينقذ طيبة ممن حدثتهم أنفسهم بالاعتداء عليها، وتتقدم جيوش «بعنخى» نحو مصر منطلقة إلى طيبة، ثم اتجهت نحو الشمال وتستولي على أهناسية ولكن «نمرات» حاكم الأشمونين قد تمكن من الفرار ليحصن مدينته وينظم الدفاع عنها مما جعل جيش بعنخى يفشل في الاستيلاء عليها وإن حاصرها من جوانبها الأربعة.

وعندما وصلت تلك الأنباء إلى بعنخى اجتاحه الغضب وقرر أن يتجه بنفسه إلى مصر، وعندما وصل إلى طيبة استراح بها فترة قصيرة، قدم فيها الهدايا إلى الإله أمون، وبعد ذلك واصل سيره شمالاً حيث تمكن من الاستيلاء على الأشمونين مدينة نمرود ثم تابع سيره شمالاً فاستولى على اللاهون ثم ميدوم واللشت وبعد ذلك تمكن من دخول منف حيث قام بكل الطقوس التي يطلب من الحاكم أداؤها، ثم ذهب إلى معبد عين شمس حيث اعترف به كهنة الإله رع ملكاً على مصر وعندئذ قدم أمراء الدلتا ولاءهم وعلى رأسهم تف نخت الذي كان قد لجأ إلى جزيرة صغيرة في شمال الدلتا.

وهكذا أصبح بعنخى حاكم مصر المطلق وامتد ملكه من «نباتا» حتى البحر المتوسط أي أنه في هذه الحالة حكم مملكة تشبه الأمبراطورية المصرية في أعظم اتساعها ـ باستثناء الأجزاء الآسيوية في فلسطين وسورية القديمة ـ ومن أسف أن يعنخى أسرع بعد ذلك بالعودة إلى نباتا تاركاً مصر للصراع الداخلي مرة أخرى إذ سرعان ما يعود منافسه «تف نخت» إلى إدعاء الملكية مرة أخرى ملقباً نفسه «حاكم القطرين وسيد الدلتا والصعيد».

ويمكن القول بأن كلاً من بعنخى وتف نخت كانا جديران بالإعجاب والتقدير فلقد حاول كلاهما إعادة وحدة وادي النيل المقدس، ولهذا فقد كان من سؤ الطالع للبلاد أن يصطدم هذان البطلان، ولكن مهما كان الأمر فإن حياة كل منهما وأسلوب كفاحه يدل على وعي قومي ويقظة وطنية فقد جاء

أحدهما من أقصى الجنوب ـ من نباتا ـ وجاء الآخر من أقصى الشمال ـ من صا الحجر ـ وكان هم كل منهما أن ينقذ مصر مما حل بها من التفكك ومما آلت إليه من الإنهيار[1].

الغزو الأشوري لمصر ومقاومة النبتاويين :

خلف بعنخى ابنه «شاباكو» (شابكو) فعز عليه أن تعود الفوضى إلى مصر مرة ثانية ولهذا أسرع نحو الشمال وتمكن من بسط سلطانه على مصر ونقل زعامته إلى الدلتا وفي ذلك الوقت كانت قوة أشور قد بلغت مكانة عظيمة. ومن هنا كان من المحتم أن تقف القوة الأشورية والنبتاوية وجهاً لوجه وأن يؤدي احتكاكهما إلى نشوب الصراع بينهما.

ولكن «شاباكو» أثر أن تبقى المشاكل الخارجية ليتفرغ لمشروعاته الداخلية فأرسل الهدايا إلى سرجون الثاني فلما تلقى من سرجون هدايا كذلك اعتبرها دليلاً على أنه سيد آسيا وصور على الآثار وهويمسك بناصية الآسيويين الذين أصبحوا عبيداً له. وإن كان هناك من يرى أن سرجون قد اتجه إلى غزو مصر نتيجة تحريضها للولايات الآسيوية ثم وصل إلى رفح حيث قابلته الفرقة المصرية متحدة مع بعض الولايات الفلسطينية وألحقوا به خسائر فادحة.

وعلى أية حال فقد توفي «شاباكو» بعد أن حكم اثني عشر عاماً، ثم خلفه «شبتكو» الذي لم يحكم إلا فترة وجيزة حدث خلالها أن توفي «سرجون الثاني» هو الآخر، وتولى بعده «سنحريب» (٧٠٥ ـ ٦٨١ ق. م) الذي تقدم وحاصر أورشليم وأخضعها وبعدئذ عاد الأشوريين إلى بلادهم نتيجة تفشي وباء الطاعون في جيوشهم، أو نتيجة لحدوث اضطرابات داخلية في بلاد الأشوريين أنفسهم وبخاصة في بابل. وأيا ما كان الأمر فقد قتل سنحريب بيد أحد أبنائه خلفه

---

(١) محمد بيومي مهران: حركات التحرير في مصر القديمة، الإسكندرية، ص ٢٧٩ ـ ٢٨٧.

«أسرحدون» (٦٨٠ - ٦٦٩ ق. م).

وبموت «شبتكو» يخلفه على عرش الكنانة «طهراقاً» الذي بدأ ينظم المقاومة ضد الأشوريين ويثير المتاعب ضدهم في غربي آسيا ويتعاون مع أمرائها - وبخاصة أمراء صور وصيدا - في صد الأشوريين، ويزحف «أسر حدون» إلى مصر حيث ينال هزيمة قاسية عام ٦٧٤ ق. م، إلا أنه عاود الكرة مرة أخرى عام ٦٧٠ ق. م، ووصل إلى منف حيث دارت معركة بينه وبين طهراقاً، ولقد تمكنت الجيوش الأشورية من إسقاط منف وتدميرها، ثم سيطرت على مناطق الدلتا، مما اضطر طهراقاً إلى أن يتجه نحو الجنوب واعتقد «أسر حدون» إن الأمور قد دانت له وأنه أصبح بانتصاره ملكاً على الدلتا والصعيد وكوش، وبلغ من ثقته بنصره أنه أمر بتغيير أسماء مدن كثيرة إلى أسماء أشورية، ولم يكتف بذلك بل أمر بترحيل جماعات من الأطباء والبيطريين والسحرة والكتبة والموسيقيين إلى عاصمته[1].

ولم يرض المصريون بالإحتلال الأشوري لبلادهم فاتحدت كلمتهم وتقابلت أهدافهم ونسوا أحقادهم الشخصية وعملوا على أن يتصلوا سراً بطهراقاً في مقره بطيبة طالبين منه أن يزحف شمالاً وسيجد منهم كل عون مادي وبشري، ولبى طهراقاً النداء وزحف نحو الشمال حيث تمكن من استرجاع منف وعزل الأمراء الذين خضعوا لأسرحدون.

وعندما علم الملك الأشوري بذلك سارع بالخروج في حملة جديدة ولكنه أصيب بالمرض في حران ومات ليخلفه ابنه «أشور بانيبال» (٦٦٨ - ٦٢٦ ق. م). الذي استعد لمهاجمة مصر فجمع جيشاً من السوريين والأشوريين وهاجم مصر براً وبحراً وتلاقى مع جيش طهراقا في معركة مكشوفة رهيبة تمكن من الانتصار فيها وانسحب طهراقا إلى الجنوب فتبعه

(١) Oppenheim, L. In ANET, PP. 293 - 294.

الأشوريين إلى طيبة التي تمكنوا من الاستيلاء عليها رغم دفاعها المستميت وخربوها ففر طهراقا إلى نباتا. ولم يتبعه بانيبال بل توقف عند طيبة وبدأ عملية سلب ونهب واسعة النطاق في هذه العاصمة المصرية الخالدة، وعاملوا المصريين معاملة سيئة، فقاموا بقتل السكان، ولم يكتفوا بقتل الشباب بل لم يفرقوا بينهم وبين الكهول والنساء والأطفال. ولم يحترم أشور بانيبال الآلهة المصرية ولا المعابد المصرية بل أخذ في تحريقها. ومع ذلك فإن الأشوريين لم يستطيعوا البقاء في الصعيد واكتفوا بأخذ الجزية منهم واستقروا فقط فى الدلتا. وبعد أن استقر الحكم الأشورى فى الدلنا بدأت حركات التحرر المصرية تنتشر في أرجاء البلاد. وأرسل الأمراء المصريين إلى طهراقا ليدفعوا الحكم الأجنبي ويشتركوا في إدارة البلاد إلا أن أمر هذه الثورة قد انكشف وقبض على زعائمها وأرسلوا إلى «نينوى» حيث قتلوا جميعاً باستثناء «نخاو» (نكاو) أمير سايس الذي عفى عنه أشور - بانيبال ربما باعتباره وريث الأسرة الرابعة والعشرين وسليل أكبر بيت منافس لبيت طهراقا. فأبقى عليه وقربه إليه وأعاده إلى إمارة سايس كما عين ولده «بسماتيك» أميراً على مدينة أتريب.

وبينما هدأت الحال قليلاً في الدلتا كان الصعيد يغلي كالمرجل ويبحث عن فرصة ليقوم قومة رجل واحد ضد المستعمر. ولكن التوحيد كان ينقصه فولى وجهه شطر الجنوب، وكان طهراقا قد مات وخلفه «تانوت أمون» الذى لبى دعوة أهل الصعيد وجمع جيشاً وسار به نحو الشمال، وعندما وصل إلى طيبة قابله الأهالي بالتهليل والفرح والترحاب على ضفتي النهر طوال الطريق، ونظروا إليه نظرتهم إلى المنقذ لهم من الاحتلال الأشوري وتوجه «تانوت أمون» نحو الشمال حتى وصل إلى منف فحاصر الحامية الأشورية فيها وسيطر عليها وأدب الأمراء الذين استكانوا للحكم الأشوري، ولكن من المؤسف أن «تانوت أمون» اعتقد أن الدلتا دانت له وبقي في منف منتظراً أمراء الدلتا حتى يأتوه مقدمين له الولاء إلا أن العدو كان قد عرف بالحركة فأرسل جيشاً طوق به «تانوت أمون» في منف مما اضطره إلى الهرب إلى طيبة فتعقبه

الأشوريين ودخلوا المدينة وهدموها واضطر «تانوت أمون» إلى أن يتجه نحو مدينته الجنوبية «نباتا» وبخروجه من مصر انتهى عصر الأسرة الخامسة والعشرين في مصر واستقر الحكم الأشوري مرة أخرى واستمر بها حتى استطاع «بسما تيك» أن يطردهم نهائياً منها، ويبدأ في مصر ما سمي «بعصر النهضة»[1].

---

(١) Gardiner, A. H., Op. Cit., PP..346 - .347.

وكذا: محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص ٣٠٦ - ٣١٦.

٥ ـ الأسرة السادسة والعشرين
(٦٦٤ ـ ٥٢٥ ق. م)

تتكون الأسرة السادسة والعشرين من ستة ملوك هم:

١ ـ بسماتيك الأول (٦٦٤ ـ ٦١٠ ق. م).
٢ ـ نخاو (٦١٠ ـ ٥٩٥ ق. م).
٣ ـ بسماتيك الثاني (٥٩٥ ـ ٥٨٩ ق. م).
٤ ـ إبريس (٥٨٩ ـ ٥٧٠ ق. م).
٥ ـ أحمس الثاني (٥٧٠ ـ ٥٢٦ ق. م).
٦ ـ بسماتيك الثالث (٥٢٦ ـ ٥٢٥ ق. م).

وينسب عصر هذه الأسرة (العصر الصاوي) إلى إسم عاصمته (صا ـ الحجر) في غرب الدلتا، وهي مدينة «سا» في النصوص المصرية القديمة وأطلق عليها الإغريق «سايس»[٢].

١ ـ بسماتيك الأول: ـ

ليس لدينا وثائق عن طرد الأشوريين من مصر. ومن هنا كان من الصعب علينا التعرف بالضبط عن كيفية انتهاء الحكم الأشوري في مصر، ولكنه يبدو أنه يرجع إلى ضعف الحكومة الأشورية في «نينوى» نتيجة محاولة العناصر البابلية التخلص من النفوذ الأشوري، وكذلك ظهور قوة إيران الجديدة في الميدان. ويرجع أمر طرد الأشوريين من مصر إلى البطل العظيم «بسماتيك» بن «نخاو» أمير سايس.

وقد مهد بسماتيك لمشروعه العظيم بتجميع السلطة الداخلية في يديه

(١) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص ٢٧٤.

على غفلة من الأشوريين حتى أصبح بالتأكيد في عام ٦٥٤ ق . م حاكماً على مصر كلها . ثم أخذ بعد ذلك يتصل سراً بملك (ليديا) الذي كان على عداء مع الأشوريين لاحتلالهم بلاده من قبل . واستجاب ملك ليديا إلى طلبات بسماتيك وحالفه . وتمكن بسماتيك من إعداد جيش قوي من الدلتا ومن الصعيد وانضم إليهم جنود الأيونين والكاريين وكسح بهذا الجيش الحاميات القوية التي كانت تعسكر في الدلتا وطرد الأشوريين نهائياً من مصر، وتتبع فلولهم في فلسطين وانتهز الفرصة وأخذ يعيد لمصر شيئاً من مركزها السابق في غربي أسيا(١) .

وطال عهد بسماتيك الأول إلى أربعة وخمسين عاماً . وانعكست فرحة التحرر من الغزو الأشوري ، واستعادة وحدة البلاد على نواحي الحياة الداخلية كلها فاشتدت الإشادة بالقومية وبعراقة الأصول وكان من وسائلها إحياء تقاليد الدولة القديمة فى اللغة والدين وأساليب الدولتين القديمة والوسطى في الفنون . ذلك لأن المصريين أخذوا في ذلك الوقت يشعرون بأن عظمة مصر في عهد الدولة القديمة كانت أعلى ما وصلت إليه في تاريخها ولذلك اصطبغ عهد الأسرة السادسة والعشرين بصبغة الدولة القديمة في كل شيء مع شيء بسيط من التحرر . وربما كان هذا من الأسباب التي تحبذ إطلاق إسم عصر النهضة على هذه الفترة من تاريخ مصر القديم . ومن الأهمية بما كان أن نشير إلى أننا وإن كنا نحمد لبسماتيك الأول جهاده لتحرير البلاد من الأشوريين فإننا لا نحمد له استمراره في استقدام الجنود اليونانيين إلى مصر وتشجيعه بكل الوسائل للتجار اليونانيين ، إذ أدى ذلك إلى إبعاد الوطنيين عن الحياة الحربية الصحيحة واعتمادها على الأجانب لحفظ الأمن ، وفي ذلك دون شك إضعاف الروح القومية ، كما أخذت الثروة تتكدس في أيدي التجار اليونانيين الذين انتشروا في طوال البلاد وعرضها يحميهم نفوذ الحاميات من أبناء بلدتهم(٢) .

(١) Gardiner, A. H., op. cit., pp. 252 - 253.

(٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٧٦ - ٢٧٧ .

خلفاء بسماتيك الأول : -

خلف بسماتيك الأول على عرش البلاد ابنه «نخاو الثانى» في عام ٦١٠ ق. م وكان الملك الجديد لا يقل إقداما عن أبيه فحينما طمعت بابل في استعادة أمبراطورية أشور الغربية جهز جيشاً تقدم به نحو العراق لمساعدة الأشوريين وتمكن من هزيمة الجيش اليهودي المحالف للبابلين وذلك فى موقعه عند مجدو، وتابع «نخاو» مسيرته في أواسط سورية وشمالها حيث تمكن من هزيمة البابليين على ضفاف الفرات قرب قرقميش، وبهذا استعاد الإشراف المصري على أجزاء واسعة من الهلال الخصيب فيما بين عامي ٦٠٨، ٦٠٥ ق. م ثم تجمدت بعد ذلك السياسة الشمالية لمصر بقية عهد «نخاو» نتيجة ظهور قوة «نبوخذ نصر» وعقده معاهدة عدم اعتداء مع «نخاو».

واكتفى نخاو بعد ذلك بترقية التجارة وتشجيع الملاحة فأمر بعثة فينيقية بالدوران حول إفريقية فأتمت ذلك في ثلاث سنوات، كما أمر بشنق قناة تربط النيل بالبحر الأحمر، وهي القناة التي أتمها من بعده «دارا» الفارسي لمصلحة بلاده[١].

ويخلف «بسماتيك الثاني» أباه «نخاو الثاني» ويذهب إلى سورية لزيارة معبد أمون هناك وربما كان ينوي الاحتكاك مع بابل ولكنه اضطر إلى العودة إلى مصر لعلمه بتكتلات في جنوبها، ولهذا أرسل حملة إلى الجنوب وصلت إلى الجندل الخامس أو السادس. وأما علاقته باليونانيين فقد ظلت طيبة، وزاد من تشجيعهم واستعان بهم في تكوين أسطول ضخم.

وعندما توفي بسماتيك الثاني خلفه «أبريس» الذي استغل أسطول سلفه في غزو فينيقيا ونجح في ذلك بسبب انشغال «نبوخذ نصر» في حروبه مع ميديا، إلا أن نبوخذ نصر سرعان ما هاجم مملكة أورشليم الموالية لمصر ودمرها تدميراً كبيراً وأخذ الكثير من رجالها القادرين أسرى إلى بابل، كما

(١) Herodotus, II, 158 - 160, 39, 42, 44.

هاجر كثير من اليهود إلى مصر، ورحب بهم «إبريس» وسهل لهم العيش في ربوعها وانتشرت جالياتهم في الأماكن المختلفة حتى اليفانتين في أقصى الجنوب .

أما من الناحية الداخلية فقد كان العسكريون غير راضين عن امتيازات المرتزقة ووقاحتهم ، ولقد حدث عصيان في صفوف الجيش لأن إبريس أرسل قوة معظم أفرادها من المصريين إلى قرطاجنة ، وحين منيت هذه الفرقة بالهزيمة اعتقد هؤلاء إن الملك أراد التخلص منهم ، وحين ثاروا ضده أرسل إليهم «أحمس» «أمازيس» لتهدئتهم ، ولكن «أحمس» استمالهم إليه فنصبوه ملكاً مما أحنق إبريس ودارت الحرب بينهما ، وكان النصر حليف أحمس ورغم ذلك فقد أشرك إبريس معه في الحكم ، إلا أن إبريس ما لبث أن ثار فقتله أحمس وانفرد بالحكم .

وكان أحمس الثاني أصدق صديق لليونانيين واتخذ حرسه الخاص من الفرق الأجنبية ، وإن عمل على إرضاء الشعور الوطني لدى الجيش باستدعاء اليونانيين من الحاميات التي على الحدود وأرسل المصريين ليحلوا محلهم ، وليس هناك من شك في أن «أحمس الثاني» قد أدرك إن الخطر كان كامناً عن يمينه وعن يساره ، فأما عن خطر الغرب فقد حصن حدوده ، وأنشأ حاميات كثيرة على الشاطىء وفي الواحات وشجع إقامة الناس فيها وبنى المعابد في سيوة وفي البحرية وفي الخارجة ليجعل من الواحات الحصون الأمامية إذ جد خطر وحدثت مهاجمة لمصر من يوناني ليبيا .

أما في الشرق فقد كانت الدولة البابلية تمد بصرها نحو مصر نفسها ، واضطر أحمس لأن يخوض معركة في أوائل سنوات حكمه في فلسطين وهزم العدو وجنوده الإغريق ، لكن جيوش بابل لم تستمر في هجومها على مصر ومع ذلك فقد ظل الخطر كامناً واستعد أحمس له باحتلال أسطوله لجزيرة قبرص كما عقد محالفة مع ملك ليبريا ونجحت سياسة أحمس وقضت مصر عهداً مزدهراً في كل ناحية ، ولكن في العام الأخير من حكمه أخذت السحب

تتجمع وكانت العاصفة على وشك الانتفاضة على مصر، ولكنه مات قبل أن تتعرض مصر لهذا الخطر، فكان نصيب خليفته «بسماتيك الثالث» التعرض لهذه الكارثة ودفع حياته ثمناً لها بعد أن رأى بلاده تسقط تحت السيطرة الفارسية في عام ٥٢٥ ق. م[1].

---

(١) انظر: Gardiner, A. H., pp. 361 - 363.

وكذا

محمد بيومى مهران: المرجع السابق، ص ٢٣٢ - ٢٣٤.

٦ ـ الأسرة السابعة والعشرون
والغزو الفارسي لمصر (٥٢٥ ـ ٤٠٤ ق. م)

قمبيز: (٥٣٠ ـ ٥٢٢ ق. م)

في أخريات القرن السادس ق. م ورث الفرس أمبراطورية الأشوريين، ومن ثم بدأوا يرنون أبصارهم نحو مصر، وقد عهد «كوروش الثانى» إلى ابنه قمبيز بالقيام بهذا العمل. ونظراً لوفاة كوروش الثاني عام ٥٣٠ ق. م فقد انشغل قمبيز مدة ثلاث سنوات في مشاكل وراثة العرش ويحدثنا التاريخ أن «قمبيز» كان يهاب مصر وتباطأ في المضي إلى مهاجمتها لأنه كان يجهل أمورها ولا يعرف إلا القليل عن أحوالها الداخلية، كما كان يخشى الصحراء ومسالكها الوعرة وهو من أولئك القوم الذين لم يعتادوا إلا المحاربة في الأراضي المزروعة والذين يعتمدون على تموين جيوشهم محلياً، ولا يرهقون أنفسهم بنقل المياه لرجالهم ودوابهم، وكاد قمبيز يرجع عن هدفه لولا أن الصدفة ساقت إليه أحد المغامرين اليونان وهو (فانيس) وكان قد عاش أكثر حياته في مصر يقود فيها فرقة من الجند المرتزقة، ثم اضطر إلى الهرب من ملك مصر «أحمس الثاني» لخلاف وقع بينهما، وهداه حب المغامرة المسيطر على عقله أن يضع خدماته تحت تصرف «قمبيز» وكشف «فانيس» لملك الفرس عن كل ما كان يدور في مصر من صراع خطير بين الجاليات الإغريقية والحكومة المحلية وأطلعه على إمكانياتها في الدفاع وعن أحوالها المختلفة، كما بصره بمخاطر الصحراء ونصحه بالالتجاء إلى البدو الرحل الذين يعرفون مسالك الصحراء وإن يجزل لهم العطاء حتى يدلوه على أقصر طريق.

وعلى هذا النحو تحقق حلم «قمبيز» وقاد جيشه الكبير ومعه «فانيس»

الخائن ونفر من اليهود. وهكذا وصل قمبيز غزة في ربيع عام ٥٢٥ ق. م ودارت معركة الفرما «بلوزيوم» في ضراوة وعناء شديد، وبالرغم من استبسال المصريين ومأجوري اليونان وحسن دفاعهم تغلبت عليهم جيوش الفرس فارتدوا إلى منف وتحصنوا فيها فتبعتهم جيوش الفرس إلى هناك وأخيراً اضطر المصريون إلى التسليم وأكرم «قمبيز» «بسماتيك الثالث» ملك مصر وأحسن معاملته وأطلق صراحه، ولكن «بسماتيك الثالث» حاول مرة أخرى أن يثير الشعور الوطني ضد «قمبيز» فقبض عليه وتختلف الآراء حول مصيره، فهناك من يرى أن قمبيز قد قتله، أو أنه قد أرسله أسيراً لدى الفرس، بينما يرى آخرون أن الفرعون قد انتحر، وبعد ذلك سار قمبيز واستولى على طيبة وانتقلت مصر إلى أيدي الفرس الذين يمثلون الأسرة السابعة والعشرين لدى مانيتو[١].

أراد قمبيز بعد ذلك أن يستولي على قرطاجنة وأن يضم سيوه ليحطم معبد أمون، كما أراد كذلك أن يضم مملكة السودان الفرعونية فجازف بإرسال جيوش هائلة عبر كثبان الصحراء الليبية دون أن يعمل حساباً للتدرج في استخدام موارد المياه والمؤن، ففتكت المجاعة والعواصف الرملية بها في الطريق، وهكذا لم يوفق «قمبيز» في حملاته فالحملة ضد القرطاجيين انتهت إلى غير نتيجة لأن الفينيقيين أبو أن يحاربوا ضد أبناء بلدتهم. أما الحملة الأخرى ضد النبتاوين (الأثيوبين) والتي أسهم قمبيز فيها بنفسه فأثبت فشلاً ذريعاً بسبب الإهمال في إعدادهم، وأما القوات التي أرسلت عبر الصحراء إلى واحة سيوة فقد أغرقها طوفان عاصفة رملية فلم يظهر لها أثر. وقد بلغ غضب قمبيز من هذا الفشل المتتابع مداه، ويقال أنه أدى به إلى الجنون، ومع ذلك فإنه استطاع أن يستحوذ على مصر كلها. وأخيراً عاد قمبيز إلى آسيا في عام ٥٢٢ ق. م تاركاً مصر تحت أمرة وال من قبله «اريانلس»[٢].

---

(١) Ghirshman, R. Iran from the Earliest Times to the Islamic Conquest Translated from French by margared Mumrankin, (pelican books) Vondon 1978, p 137.

(٢) Wainwright, G. A., In J. E. A., vol 38 (1952), pp. 75 - 77., Herodotus, III. 17 - 19.

وبعد موت قمبيز انتقل العرش الفارسي إلى دارا الأول الذي حكم ستاً وثلاثين سنة (٥٢٢ ـ ٤٨٦ ق. م) ولم يتمكن من زيارة مصر إلى خلال عام ٥١٧ ق. م، ومما يشير إلى اهتمامه بحضارة مصر القديمة إنه أرسل إلى واليه على مصر يأمره أن يجمع أعقل الرجال من بين جند بلاده وكهنتها وكتابها ثم كلفوا بكتابة القانون الكامل لمصر حتى حكم «أحمس الثاني» وهو عمل ظلوا مشغولين به حتى عامه التاسع عشر. كما قام دارا كذلك بشق ما طمسه الماء والرمال من قناة «نخاو» المؤدية إلى البحر الأحمر وكان من دوافع المشروع تيسير وصول سفن الخيري إلى فارس، ثم اعتبار القناة مرحلة من مراحل استغلال التجارة البرية مع الهند. ولكن نظراً لضعف سلطان دارا في فارس وبخاصة بعد هزيمته من اليونانيين في معركة ماراثون عام ٤٩٠ ق. م فقد انصرف عن شؤون مصر وركز كل اهتمامه في الانتقام من الأثينيين. وكان ذلك من الأسباب المباشرة لثورة المصريين. الذين كانوا يتحينون الفرصة للخلاص من الحكم الفارسي فرغم سياسة التودد التي اتبعها دارا، إلا أنه كان يهدف من ورائها إلى استغلال موارد مصر بأقصى درجة ممكنة. ففرض الضرائب الباهظة. كما استخدم الأهالي للعمل في المشروعات التي تحقق أغراضه من قطع للأحجار أو استكمال القناة التي تربط بين النيل والبحر الأحمر التي بدىء فيها في عهد نكاو.

لذلك فقد ثار المصريون حوالي عام ٤٨٨ ق. م بقيادة «خباش» الذي احتل منف وسايس ولم يقدر لثورتهم أن تخمد نهائياً حتى العام الثاني من حكم «أكسركسيس» (خشيارشا) الذي خلف أباه (٤٨٥ ـ ٤٦٤ ق. م) وظلت قبضة الفرس قوية على عنق مصر طيلة حكمه[١]. وأخيراً مات «أكسركسيس» وخلفه ابنه «أرتاكسركسيس الأول» (ارتا خشاشا) (٤٦٤ ـ ٤٢٤ ق. م) وبعد أربعة أعوام من حكمه قامت ثورة كبيرة في عام ٤٦٠ ق. م على رأسها أميران مصريان أحدهما في مريوط والآخر في سايس، وقد استطاعا بما قدماه من مال أن يحصلا على معونة أثينا فأرست إليهما أسطولاً وصل حتى منف، وكان لهذه المعونة أثرها في انتصار المصريين على الجيش الكبير الذي أرسله

---

(١) Ghirshman, R., op. cit., pp. 190 - 191.

«ارتاكسركسيس» الأول وكان مكوناً من ٤٠٠ ألف جندي ، وفـرت بقية هذا الجيش حيث تحصنوا في منف ، وحاصرهم المصريون فيها مدة ثمانية عشر شهراً حتى وصلت إليهم نجدة أخرى ، ولم يتمكن المصريون وحلفائهم من الاستمرار في القتال فتركوا الحصار وعاد الأسطول الأثيني إلـى بلاده[1] ، ولكن الثورة ظلت مستمرة ومات أحـد الأميرين ، ومـع ذلك فلـم تكن هذه خاتمة الثورة ، إذ قامت في مصر ثورة كبرى في عهد دارا الثاني (٤٢٤ - ٤٠٤ ق . م) ابن «ارتاكسركسيس» واتخذت هذه الثورة شكل حرب مستمرة انتهت بتحرير مصر وقيام الأسرة الثامنة والعشرين .

---

(١) Ibid., P 1.94.

٧ ـ عهد الاستقلال
(الأسرات من الثامنة والعشرين إلى الثلاثين)

الأسرة الثامنة والعشرون: (٤٠٤ ـ ٣٩٩ ق. م)

قصر مانيتون حكم هذه الأسرة على الملك «أمون حر الثاني» زعيم الثورة التي بدأت شرارتها الأولى من أسوان وامتدت من عام ٤١٠ ـ ٤٠٤ ق. م، حيث كتب لها النجاح وتحررت مصر من سيطرة الفرس. وقد استعاد «أمون حر الثاني» ألقاب الفراعين منذ عام ٤٠٤ ق. م، واتخذ من مدينة «سايس» عاصمة له.

ويذكر مانيتون أنه حكم لمدة ست سنوات فقط، وربما كان هذا صحيحاً. وتشير رواية مصرية تحمل اسم «الأخبار الديموطيقية» وهي تسمية غير دقيقة ـ فيما يرى جاردنر ـ أن «أمون حر الثاني» قد اعتدى بصورة ما على أحكام القانون ومن أجل ذلك لم يسمح لابنه أن يخلفه على العرش[١].

ولقد اتسعت التجارة خلال عهد «أمون حر الثاني»، بينما ترك اليهود يعيشون في حامياتهم بعد أن عانوا الأمرين على أيدي كهنة خنوم أثناء الثورة، وبعد أن بدلوا ولاءهم من الفرس إلى المصريين.

الأسرة التاسعة والعشرون: (٣٩٨ ـ ٣٧٨ ق. م)

برزت الأسرة التاسعة والعشرين ـ طبقاً لرواية مانيتون ـ من منديس، وهي تضم أربعة ملوك حكموا قرابة عشرين عاماً، وكان يحمل أول الملوك، كما يحمل آخرهم ـ اسم «نفريتس» الذي يفيد معنى «عظماؤه مفلحون»[٢]،

(١) Gardiner, A. H., op cit,. pp. 373 - 374.

(٢) Ibid., p. 347.

ويبدو أن العرش قد انتقل إليها في هدوء، ويرجح ذلك أن «نفريتس» ربما كان من زملاء «أمون حر الثاني» الذين حملوا على أكتافهم مسؤولية الثورة ضد الفرس، أو ربما كان واحداً من أبناء العائلات القوية استطاع أن يغتصب العرش بعد وفاة «أمون حر الثاني».

ولقد حكم «نفريتس» لمدة ست سنوات، ولقد حاول الفرس استعادة نفوذهم في مصر على أيامه، ولكن نظراً للاضطرابات في البيت الحاكم الفارسي بالإضافة إلى الثورة التي نشبت في آسيا الصغرى ضد الفرس، فلم تتم الحملة التي كان من المقرر توجيهها ضد مصر. ولقد تحالف «نفريتس» مع اسبرطة للانتقام من الفرس فأمد الإسبرطيين بأسطول ضخم ومؤن كثيرة، ولكن هذا المدد استولى عليه الأثينيون الذين كانوا في صراع مع الإسبرطيين. وعلى ذلك فقد وجه «نفريتس» عنايته للاهتمام بشؤون مصر الداخلية حيث عثر على بعض الآثار التي تحمل اسمه في الكرنك وتانيس.

وجاء بعد «نفريتس» ملك ضعيف لم يحكم سوى عام واحد، ثم خلفه على العرش «أخوريس» الذي جلس على العرش الكنانة لمدة ثلاثة عشر عاماً، تمكن خلالها من الصمود أمام الفرس لمدة ثلاث سنوات (٣٨٥ ـ ٣٨٣ ق. م) حتى تمكن من ردهم عن مصر، بل ومد سيطرته على فلسطين وجنوب فينيقيا، إذ تشير نقوشه التي تركها في صيد وعسقلون إلى ذلك. وكان «أخوريس» قد استفاد من تجارب أسلافه وأدرك أن الحلف مع الإسبرطيين عديم الجدوى، ومن ثم فقد تحالف مع «ايفا جوراس» ملك سلاميس في قبرص.

ولقد عثر على آثار للملك «أخوريس» في أنحاء متفرقة من مصر وبخاصة في مدينة هابو والكرنك والكاب. وبعد وفاته، خلفه على العرش «نفريتس الثاني» الذي لم يحكم سوى أربعة شهور انتقل العرش بعدها إلى الأسرة الثلاثين. حيث استولى على العرش أمير قوي قام بدور كبير في أواخر أيام «أخوريس» وهو «نخت ـ نب ـ ان» الذي تمكن من تأسيس الأسرة الثلاثين.

الأسرة الثلاثون : - (٣٨٠ - ٣٤٣ ق . م)

كان استيلاء (نخت - نب - أن) (نختنبو) على العرش ونقله من منديس إلى سمنود إيذاناً بإظهار الحزب المصري الذي أخذ يضيق ذرعاً باليونانيين الذين أظهروا كثيراً من السلوك المشين أثناء نزاع مصر مع الفرس، وأثبتوا أنهم غير جديرين بالاعتماد عليهم . وتدل آثار «نختنبو» الكثيرة على وجود سلم متصل وتقدم ويتضح ذلك في المباني العديدة التي شيدها وبخاصة أقدم المباني في فيلة .

ويشير ديودور إلى أن «ارتاكسركسيس الثاني» (٤٠٤ - ٣٥٨ ق. م) كان يعتبر مصر مجرد إقليم ثائر، وأنه كان مصمماً على إعادتها إلى حظيرة الأمبراطورية الفارسية ، وفي عام ٣٧٣ ق . م خرجت جحافل الفرس بقيادة الوالي الفارس في سورية ، حيث تمكنت من كسر استحكامات المصريين على الفرع المنديسي، وقتل الكثير من المصريين ، أو أسروا ، وبعد ذلك اندفعت القوات الفارسية المدعومة بالمرتزقة اليونان نحو منف ، حيث تمكن تختنبو الأول من تجميع قواته وأحاط بالغزاة المحاصرين من جميع الجهات ، وساعد المصريين في هذا الموقف مجيء فيضان النيل مرتفعاً فتحولت بعض أجزاء الدلتا إلى مستنقعات مما أجبر الفرس على الانسحاب[١] . وقد نسب نختنبو الأول نصره هذا إلى الإله «سوبد» صقر الشرق .

ويخلف «نختنبو» ابنه «جدحر» وكان على غير رأي أبيه في الإغريق فعادود صلته بهم فأصبح حليفاً لأسبرطة ، وأرسل نقوداً إلى ملك أسبرطة وأثينا ليرسلا له جنود مرتزقة ، وتمكن بذلك من تجهيز جيش ضخم يعد أعظم ما عرفته مصر منذ أيام الدولة الحديثة ، إذ جند ثمانين الف من المصريين وعشرة آلاف من الأثينين والفا من الإسبرطيين ، وأعد ما بين ٢٠٠ ، ٣٠٠ سفينة وخرج الفرعون على رأس هذا الجيش محققاً انتصارات ساحقة في

---

(١) Gardiner, A. H., op. cit., p. 375.

سورية حتى ظن أنه سيعيد الأمبراطورية المصرية إلى ما كانت عليه أيام «نخاو» ومن أسف أن الخطر قد جاءه من مأمنه ، وذلك أن أخاه الذي تركه في مصر خانه وألب عليه المصريين وبخاصة الكهنة الذين أحنقهم استيلاء «جدحر» على أموالهم باستمرار لكي يدفع نفقات جيشه ، وقد تمكن هذا الأخ من اغتصاب العرش ، ولم يكتف بهذا ، بل استدعى ولده الذي كان يحارب مع عمه فعاد إلى مصر بمعظم الجيش كما استدعت أثينا القائد «كابريوس» اليوناني الذي كان معه ، فوجد «جدحر» نفسه وحيداً فاضطر إلى الفرار إلى صيدا حيث احتمى بملك الفرس. ولما اعتلى «نختنبو» الثاني الذي كان يحارب مع عمه في سوريا العرش أخرس الأصوات الباقية على الولاء لعمه ، ثم عمل على إرضاء الكهنة وكثرت عمائره الدينية ، كما قام بصد هجوم قام به الفرس على مصر عام ٣٥١ ـ ٣٥٠ ق. م. واستغل فترة الهدوء التي نعمت بها مصر في إقامة مبان كثيرة في أنحاء مصر ، ومنح الكهنة الكثير من الامتيازات والإعفاءات وجباية الضرائب.

٨ ـ الأسرة الحادية والثلاثون وعودة الفرس (٣٤٣ ـ ٣٣٢ ق. م):

في خريف ٣٤٣ ق. م خرج الجيش الفارسي في حملته الخطيرة ضد مصر وكان على رأسه الملك الفارس ارتاكسركسيس الثالث (أوخوس). وتمكن المصريون من وقف اندفاع الأسيويين عبر خطوط الدلتا الدفاعية ، إلا أن الفرس تمكنوا من شن هجوم جسور فاستسلمت لهم الفرما وبواسطة ، فتراجع الملك «نختنبو» الثاني إلى مصر العليا حيث صمد ١٨ شهراً ثم انتقل إلى السودان. وتحولت مصر من جديد إلى إقليم فارسي ، ولكن لم تطأ طيء هامتها في هذه المحنة الجديدة ، بل تجددت فيها الثورات. ومن المؤكد أن أحد أمراء الدلتا قد قاد معركة المقاومة الوطنية وأعلن نفسه ملكاً على البلاد.

وفي تلك الأثناء ظهر الإسكندر الأكبر ، وسار في حملاته الموفقة في آسيا ، وبعد انتصاره على دارا الثالث في موقعه إيسوس عام ٣٣٣ ق. م اتجه إلى سورية وبعدها اتجه الإسكندر إلى مصر ودخلها في عام ٣٣٢ ق. م. حيث

استسلم له الوالي الفارسي دون مقاومة وقد أحسن الإسكندر معاملة المصريين وأكرم آلهتهم وزار معابدهم واعترف به الكهنة ملكاً. ولم يمض وقت قليل حتى فكر في إنشاء ميناء جديد على ساحل البحر المتوسط في مكان كانت تشغله مدينة صغيرة اسمها «راقودة» فأنشأ فيها مدينته الجديدة التي سميت باسمه وهي «الإسكندرية»(١).

وكان ذلك نهاية المطاف في تاريخ مصر الفرعونية وبدأت مصر مرحلة جديدة من تاريخها زحت فيه للاحتلال اليوناني ثم الروماني لمدة تقرب من ألف عام حتى خلصها الفاتحون المسلمون على يد عمرو بن العاص، ودخلت مصر مرحلة جديدة من حياتها في ظل الإسلام.

---

(١) Ibid., p. 380.

الباب الثاني

تاريخ العراق القديم

المقدمة

يشكل العراق القديم المنطقة الممتدة من هضبة أرمينيا في الشمال، حيث ينبع نهرا دجلة والفرات، حتى الخليج العربي في الجنوب، ومن الفرات غرباً حتى ما وراء الدجلة شرقاً. ويعتمد السكان في صميم حياتهم على نهري الفرات ودجلة نظراً لقلة الأمطار وعدم كفايتها للإنتاج الزراعي. وينبع النهران من جبال أرمينيا في الشمال، ثم يتجهان نحو الجنوب والجنوب الشرقي حتى يصبان في الخليج العربي. ويحدث الفيضان السنوي لهما في شهري مايو ويونية من كل عام، وتختلف طبيعة هذا الفيضان من عام لآخر مما يجعل الاعتماد عليه أمراً صعباً، كما يمثل أحياناً خطراً داهماً قد يصل إلى حد غمر الكثير من أراضي القسم الجنوبي من البلاد حيث يقترب مجرى النهرين، وتتسبب الفيضانات في تدمير القرى وتهديد الحياة في هذه المنطقة. ومن ناحية الطبيعة الجغرافية، فإن العراق ينقسم إلى قسمين رئيسيين:

١ ـ القسم الشمالي:

وتغلب عليه الطبيعة الجبلية، إذ تكثر المرتفعات وخاصة في قسمه الشمالي الشرقي الذي تتخلله وديان نهر دجلة وفروعه، ويفصله عن الجهات التي تقع أبعد من ذلك شمالاً سلسلة جبال طوروس وهضبة إرمينيا. ويطلق على معظم أجزاء هذا القسم ـ باستثناء الأطراف الشمالية الجبلية ومنطقة الشمال الغربي فيما بين الخابور والفرات ـ تسمية أرض آشور، نسبة إلى مدينة آشور التي كانت من أهم المدن الشمالية.

واقتصر الإنتاج الزراعي على تخوم مجرى نهري دجلة والفرات باستثناء منطقة الشمال الغربي فيما بين الخابور وثنية الفرات إذ تجرى فيها مجموعة أنهار الخابور وبالخ والفرات، ومنطقة سفوح جبال أرمينيا التي تتوافر فيها المجاري المائية والأمطار.

٢ ـ القسم الجنوبي :

وهو حديث التكوين من الناحية الجيولوجية، لأنه كان جزءاً من الخليج العربي ثم غمرته الرواسب التي جاد بها نهرا دجلة والفرات من المناطق الجبلية في الشمال، وهو يبدأ على وجه التقريب عند بغداد الحالية ويمتد جنوباً حتى الخليج العربي.

ويمكن تقسيم القسم الجنوبي حسب طبيعته الجغرافية إلى عدة أقسام، تبدأ بمنطقة مصب النهر في أقصى الجنوب، وتمتد من منطقة التقاء النهرين حتى الخليج العربي، يليها شمالاً منطقة الأحراش وهي تشغل المجريان االأدنيان لنهري دجلة والفرات، وتنخفض أرض هذه المنطقة مما يؤدي إلى ارتفاع منسوب المياة فيها مما جعلها ملأى بالأحراش والمستنقعات، ويليها منطقة الدلتا، وهي تشغل معظم القسم الجنوبي، ويخترقها العديد من القنوات، كما تغمرها الفيضانات السنوية للنهرين. وإلى الشمال من منطقة الدلتا توجد منطقة السهل، ويقترب فيها مجرى نهري دجلة والفرات إلى أدنى حد، وتتعرض هذه المنطقة لأعنف الفيضانات التي تصل غالباً إلى حد التدمير.

ويتضح من ذلك، أنه واجهت الإنسان في جنوب العراق صعوبات بيئية عديدة استلزمت منه العمل الدؤوب الدائم في تجفيف المستنقعات وشق القنوات وتطهيرها وإقامة الجسور، ولعل ذلك يفسر سبب اتجاه الإنسان في العصر الحجري الحديث في مطلع الألف السادس ق. م إلى الاستقرار في القسم الشمالي من العراق.

وقد عرف القسم الجنوبي في بداية العصر التاريخي في العراق القديم

باسم «أرض سومر واكد»، وتعني أرض سومر نصفه الجنوبي الممتد حتى الخليج العربي، أما أرض أكد، فهي نصفه الشمال الذي يصل إلى حدود بغداد. وفي بداية الألف الثاني ق. م. عرف هذا القسم باسم أرض بابل، وظلت هذه التسمية علماً على المنطقة بعد ذلك.

ولقد بدأ الاهتمام بآثار وحضارة العراق القديم منذ أواسط القرن السابع عشر وذلك عندما أحضر النبيل الإيطالي بيترو ديللافال Pietro della valle من مدينتي بابل وأور بعض قطع الآجر المنقوش، ونشر لأول مرة نسخاً لنقوش أخرى من برسبوليس في جنوب غرب إيران، وأطلق على هذه الكتابة إسم «الكتابة الأسفينية» أو «المسمارية».

وفي سنة ١٧٦١ أرسل ملك الدانمرك بعثته العلمية إلى الشرق والتي تكونت من خمسة أعضاء برئاسة كارستن نيبور، وتمكنت البعثة من نسخ نقوش جديدة من برسبوليس عام ١٧٧٨، ولاحظ أنها مكتوبة بثلاثة أشكال مختلفة من الكتابة المسمارية، واستنتج أن كل نقش يتناول موضوعاً واحداً كرر ثلاث مرات ليمثل كتابة الأقسام الثلاثة الرئيسية في الأمبراطورية الفارسية وهي فارس وعيلام وبابل. وأثارت هذه النقوش اهتمام علماء اللغات فبذلوا جهودهم في محاولة تفسيرها. كما بعث الفضول في نفوس كل من يأتي إلى الشرق يحاول البحث والتنقيب في مناطقه الأثرية لجمع ما يمكن جمعه من آثار وينسخ ما يمكن نسخه من الأثار التي لا يمكن نقلها.

ومن أشهر من قام بهذا العمل القس الفرنسي جوزيف دي بوشام Joseph de Beaichamp عام ١٧٨٦، والقنصل البريطاني في بغداد جيمس ريتش James Rich عام ١٨٠٧م.

وفي عام ١٨٣٥ بدأ رولنسون H. C. Rawlinson نسخ نقش طويل للملك الفارسي دارا الأول منحوت في صخرة عالية عند بيهستون في إيران. ويتضمن هذا النقش رسماً لدارا الأول ونصاً يقع في ثلاثة عشر عموداً دونت بالكتابات المسمارية الثلاث التي كتبت بها نصوص برسبوليس. وقام منذ عام ١٨٤٦ بنشر ترجمة هذه النصوص، وأصبح في الإمكان تفسير النقش المدون

بالفارسية القديمة وساعد ذلك على التوصل لحل رموز النقشين العيلامي والبابلي وبالتالي أمكن التوصل لقراءة النصوص المسمارية وتفسيرها. وتواصلت جهود العلماء للكشف عن أسرار رموز الكتابات العراقية، ومن هذه الجهود ما قام به العالم الإيرلندي هينكس Hinckes والفرنسي أوبير J. Oppert في عام ١٨٥٠ والإنجليزي تالبوت F. Talbot عام ١٨٥٧.

وفيما يتصل بأعمال التنقيب الأثري في العراق، فقد بدأت أعمال الحفائر في القسم الشمالي البعثة الفرنسية عام ١٨٤٢ - ١٨٤٥ وذلك برئاسة بوتا P. E. Botta القنصل الفرنسي في الموصل، وذلك في موقع نينوى القديمة وفي خور سباد، حيث تمكن من الكشف عن قصر سرجون الثاني في خورسباد. وجاء بعده الإنجليزي لايارد A. H. Layard في عام ١٨٤٥ حيث قام بحفائره في تل نمرود (كالح القديمة) ونينوى حيث كشف عن بقايا مباني وقصور. وفي عام ١٨٥٤ م خلف هرمزد رسام H. Rassam لايارد في أعمال الحفائر وكان معاوناً له، وقد تمكن من الكشف عن المكتبة الضخمة التي ألحقها الملك الأشوري أشور بانيبال (٦٦٨ - ٦٢٦ ق. م) بقصره في العاصمة نينوى، والتي ضمت ما يزيد على العشرين ألف من الألواح الطينية التي جمعها من كافة أنحاء البلاد.

وبدأت التنقيبات الأثرية في القسم الجنوبي من العراق بحفائر القنصل الفرنسي بالبصرة E. de Sarzec وذلك في موقع مدينة لجش القديمة عام ١٨٧٧م، ودخل الأمريكيون ميدان البحث الأثري في جنوب العراق منذ نهاية القرن التاسع عشر (١٨٩٩ - ١٩٠٠) حيث كشفوا عن مدينة نيبور العاصمة الدينية للسومريين. وتتابعت بعد ذلك البعثات الأثرية، وكان من أبرزها البعثات الألمانية التي كشفت عن العديد من المدن القديمة في جنوب العراق وشماله. وكثرت أعمال الحفائر بعد الحرب العالمية الثانية، وشاركت مديرية الآثار العراقية في أعمال الحفائر، وكان لهذه الحفائر آثارها في الكشف عن الكثير من النواحي السياسية والحضارية لتاريخ وحضارة العراق القديم.

ويعتمد المؤرخ في دراسته لتاريخ العراق القديم على العديد من المصادر التي يأتي في مقدمتها الحوليات الملكية والوثائق البابلية والأشورية المكتوبة على اللوحات الطينية والحجرية والنقوش الجدارية والأسطوانات وبالإضافة إلى هذه الوثائق فهناك كتابات المؤرخ الوطني «بيروسوس» Berosus وهو كاهن عاش في عهد الإسكندر وتعتبر كتاباته المصدر الرئيسي للعصر المتأخر من التاريخ البابلي. ولكن لم يصلنا من كتاباته سوى القليل ممن أخذوا عنه، ومن أهم هؤلاء «الكسندر بوليهستور» Alexander Polyhistor و «يوسبيوس» Eusebius .

ويعتمد المؤرخ كذلك على كتابات المؤرخين والرحالة اليونان والرومان، ولعل من أهم هؤلاء نشير إلى كل من هيرودوت وكتسياس Ktesias واسترابو.

وفيما يتصل بالمؤرخ هيردوت Herodotus (٤٨٤ - ٤٢٥ ق. م تقريباً) فقد سجل مشاهداته والأحداث المعاصرة له في العراق القديم وتتصل بالعصر المتأخر أما عن العصور البعيدة عن عهده فكانت كتاباته بعيدة عن الدقة إلى حد بعيد. أما كتسياس فكان طبيباً في بلاط الملك اردشير الثاني الذي أطلق عليه اليونان ارتكسركسيس الثاني (٤٠٤ - ٣٦٠ ق. م)، وقد كتب مؤلفه في التاريخ الذي أطلق عليه Persika في ثلاثة وعشرين كتاباً، ويغلب على الظن أن اعتمد في تسجيله على وثائق وطنية. وقد عالج الحضارة المعاصرة، ولكنه اهتم كذلك بالتراث الأسطوري أكثر من اهتمامه بالرواية التاريخية الصحيحة حتى أن ما يقدمه يعد أقرب إلى الخرافة بالنسبة لدارس التاريخ. ومع ذلك فلم يبق شيء من كتاباته، وإن خلدتها كتابات غيره ممن نقلوا عنه واعتمدوا عليه كمصدر، ومن أشهرهم ديودور الذي يعد ما كتبه ممثلاً للآراء السارية في العصور الكلاسيكية عن الأشوريين.

أما سترابو Strabo (٦٣ - ٢١ ق. م تقريباً) فتتميز كتاباته بأنها نوع من الجغرافية التاريخية، وينقسم مؤلفه إلى سبعة عشر جزءاً وزع عليها أقاليم

العالم ، ومن بينها العراق ، وتتميز كتاباته بالموضوعية والبعد عن العاطفة .

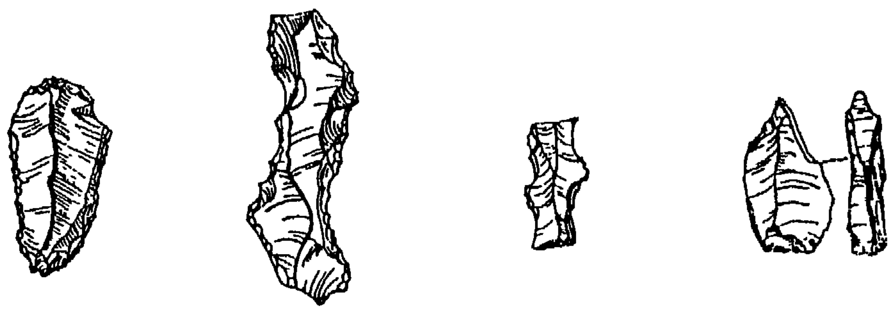
ويعتمد المؤرخ كذلك على ما ورد في التوراة ويتصل بتاريخ العراق القديم إلا أنه يجب توخي الحيطة والحذر فيما تقدمه التوراة من معلومات نظراً لعدم بعدها عن الهوى وتأثر كاتبيها بعلاقات ملوك العراق باليهود ومعاملتهم لهم .

ويستطيع المؤرخ من خلال هذه المصادر جميعها تتبع تاريخ العراق القديم في مجمله ، إلا أنه لا يمكننا أن نزعم أننا نحيط بكل الدقائق والتفصيلات الخاصة به ، إذ أن هناك فترات من التاريخ العراق القديم لا تزال معلوماتنا عنها مبعثرة وبها الكثير من الفجوات التي تنتظر المزيد من الوثائق لملئها .

وسنقوم في الفصول الآتية بدراسة تاريخ العراق القديم منذ أقدم عصوره ، وسنبدأ الدراسة بتتبع ملامح الإنتاج الحضاري للإنسان العراقي في عصور ما قبل التاريخ .

الفَصْلُ الأول

عصور مَا قبل التَاريخ



(شكل ١٨) أدوات حجرية من كهف شايندار.

١ ـ العصر الحجري القديم :

عثر على آثار العصر الحجري القديم (مرحلة جمع الطعام) في شمال العراق، أما في القسم الجنوبي من العراق، فإن الوصول إلى مخلفات هذا العصر هو أمر بالغ الصعوبة، وذلك نظراً لأن هذا القسم كان مغطى بالمياه، وظل كذلك حتى عصر حضارة العبيد أو ما قبل ذلك بقليل، أي إلى ما قبل أواخر الألف الخامس قبل الميلاد.

ويلاحظ أنه لم يعثر على أدلة أثرية ترجع إلى مرحلة العصر الحجري القديم الأسفل، وأن قدم المخلفات الأثرية ترجع إلى المرحلة التالية من مراحل العصر الحجري القديم، والتي تعرف باسم «العصر الحجري القديم الأوسط» ويتميز الإنتاج الحضاري لهذه المرحلة في ظهور أدوات حجرية مشتقة من الفؤوس اليدوية، وهي الشظايا، وتتميز هذه الأدوات الحجرية بصغر حجمها وتنوع أشكالها حتى تمكن الإنسان من تحقيق أغراضه المختلفة، وقد صنعها الإنسان بفصلها عن النواة الأصلية لكي تؤدي وظيفة القطع التي يحتاج إليها، وتعرف هذه المرحلة بالنسبة للحضارات الأوروبية باسم «الحضارة الموستيرية» نسبة إلى كهف موستييه بفرنسا.

وقد عثر على المخلفات الأثرية التي ترجع إلى هذه المرحلة في عدد من المواقع التي تقع في شمال شرق العراق مثل موقع «برده بالكه - Barda Balka» الذي يقع شرق جمجمال بحوالي كيلومترين ونصف[1]. وموقع كهف

(١) Wright, H E., and Howe, B. Preliminary Report on Soundings at Barda Balka", in Sumer, vol. 7 (1951), PP. 107 - 111.

«هزار مرد Hazar Merd» سياقرب من السليمانية.

ومن المواقع الهامة التي ترجع إلى هذه المرحلة كهف «شانيدار Shaindar»[1] إلى الجنوب الغربي من بحيرة أورمية، وقد كشف في أرضية هذا الكهف عن أربع طبقات أثرية متعاقبة، عثر في أقدمها (الطبقة D) على بقايا أدوات حجرية ترجع إلى مرحلة العصر الحجري القديم الأوسط كما عثر على أربعة هياكل عظيمة مهشمة لإنسان نياندرثال، وكان أحد هذه الهياكل لطفل.

وفيما يتصل بمرحلة العصر الحجري القديم الأعلى التي تعتبر نهاية العصر الحجري القديم، فتتمثل فيها التجارب الطويلة للإنسان خلال مرحلة العصر الحجري القديم، وتتميز هذه المرحلة بظهور صناعة حجرية جديدة هي صناعة الأسلحة النصلية، وهي عبارة عن أدوات حجرية دقيقة وحادة تمكن الإنسان من صنعها بصورة تفوق دقة عن مجهوداته السابقة وتعرف باسم الأسلحة الميكروليثية، أي الحجرية الدقيقة.

وعثر على الإنتاج الحضاري لمرحلة العصر الحجري القديم الأعلى في العراق في الطبقة الأثرية الثانية من كهف شانيدار (الطبقة ٢) (شكل ١٨)، وعثر عليه كذلك في بعض كهوف منطقة السليمانية، ومن هذه الكهوف، كهف «زرزي Zarzi»[2]، والذي تتميز أدواته التي كشف عنها بتفوق ملحوظ في تقنية الصناعة ووفرة الأدوات التي عثر عليها وتنوعها، فهي تتضمن الأزاميل والنصال المسننة ورؤوس السهام، ويلاحظ أن بعض هذه الأدوات تتميز بصغر حجمها وتتضمن بعض الأسلحة القزمية، وعلى ذلك فإنه يرجح أن الإنتاج الحضاري لكهف زرزي يمثل المرحلة الأخيرة من العصر الحجري القديم الأعلى.

---

(١) Solecki, R. S., "Shanidar Cave, a Palaeolithic Site", In Sumer, Vol. 8, (1952), P. 127 FF.,
Solecki, R. S., "Shindar Cave, Apalaeolithic Site in Northern Iraq and its Relationships to the stone Age Sequences of Iraq", in Sumer Vol. 11, (1955), P. 14 FF.

(٢) Garrod, D. A. E., "Primitive Man in Egypt, Western Asia, and Europ in Palaeolithic Times" In C. A. H., vol. I, part I, 1970, P. 89.

٢ ـ العصر الحجري المتوسط:

يعتبر العصر الحجري المتوسط مرحلة انتقال ما بين العصر الحجري القديم والعصر الحجري الحديث الذي احترف فيه الإنسان الزراعة واستقر في قرى. ويمتد العصر الحجري المتوسط Mesolithic من حوالي عام ١٠,٠٠٠ إلى ٧٠٠٠ ق. م. ويتميز الإنتاج الحضاري فيه بكثرة ظهور الأسلحة القزمية ومارس الإنسان خلاله حرفة الرعي، وقرب نهايته بدأت بعض مظاهر الإنتاج الحضاري المتصلة بالزراعة مثل المناجل والأجران، وبناء بعض الأكواخ البيضاوية من أغصان الأشجار، وتشكيل بعض تماثيل آلهة الأمومة. ولم ترق هذه الصناعات تماماً في مفهومها المادي والفكري إلى إنتاج العصر الحجري الحديث إذ افتقرت إلى حفظ بقايا الحبوب التي تعبر عن احتراف العمل الزراعي، مما يرجح أن الأدوات الزراعية من العصر الحجري المتوسط قد استخدمت في زراعة برية غير مستقرة، كما لا تعبر المادة الهشة التي صنع منها المنزل عن استقرار كامل بجوار الأرض[١].

وعثر على الإنتاج الحضاري الخاص بمرحلة العصر الحجري المتوسط في العديد من المواقع في العراق ومن هذه المواقع موقع «زاوي شامي Zawi Chemi»[٢] الذي يبعد عن كهف شانيدار بحوالي أربعة كيلومترات، وتقع قرية زاوي في منطقة سهلية مكشوفة تحيط بها المرتفعات، وتشغل مساحة محدودة للغاية، إذ لا يتجاوز امتدادها ٢٧٥ × ٢١٥ متراً، وربما كانت منطقة استقرار فصلية يمضي فيها السكان فترة الصيف ثم ينتقلون في فصل الشتاء إلى كهف شانيدار المجاور.

وقد عثر في موقع زاوي شامي على بقايا أكواخ دائرية، ويتبين من بقايا

---

(١) محمد عبد اللطيف محمد علي: تاريخ العراق القديم حتى نهاية الألف الثالث ق. م، الإسكندرية، ١٩٧٧م، ص ٢٧ ـ ٢٨.

(٢) Solcki, R. L., "Zawi Chemi Shanıdar, a post - pleistocene village site in Northern Iraq." In report of the VI th Intern.Congress on Quaternary, Warsaw, 1961, vol. IV, P. 405.

عظام الحيوانات التي عثر عليها إن الإنسان في هذا الموقع قد اعتمد على صيد واستئناس الحيوان كمصدر أساس للغذاء، إذ عثر على عظام الماعز والأغنام والغزلان والوعول. وبالرغم من العثور على بعض الأدوات الخاصة بالزراعة وتجهيز الطعام كالأجران والمطاحن اليدوية، إلا أنه يحتمل أن إنسان هذه القرية كان لا يزال يعتمد في غذائه على النباتات البرية.

وتعد قرية زاوي شامي من أقدم مناطق الاستقرار في العراق القديم، إذ يعود تاريخها - اعتماداً على الكربون ١٤ - إلى أواخر الألف العاشر وبداية الألف التاسع قبل الميلاد، ويعبر إنتاجها الحضاري عن المحاولات الأولى في التوصل للعمل الزراعي وتجهيز الطعام واستئناس الحيوان، وهي المحاولات التي مهدت للمرحلة التالية في العصر الحجري الحديث، وتعتبر هذه المحاولات من أهم السمات المميزة للعصر الحجري المتوسط.

ومن المواقع الأخرى التي تمثل مرحلة العصر الحجري المتوسط في العراق القديم، موقع «كريم شاهر Karim Shahr»(١)، الذي يبدو مرجحاً أنه كان منطقة استقرار فصلي فقط، وأهم ما يتميز به الإنتاج الحضاري لهذا الموقع وجود المناجل الحادة المصنوعة من الظران، كما عثر على تمثالين صغيرين مصنوعين من الطين. ويلاحظ أنه لم يكشف في مخلفات هذا الموقع عن بقايا واضحة للمنازل.

وبينما يتصل بموقع ملفعات M'Lefaat (٢)، فيؤرخ إنتاجه الحضاري بنهاية الألف السادس ق. م، وهو يقع بين الموصل وأربيل ويوضح إنتاجه الحضاري أنه يرجع إلى نهاية مرحلة كريم شاهر، ومن المخلفات الأثرية التي كشف عنها في هذا

---

(١) Braidwood, R. J., and Howe, B., "Prehistoric Investigations in Iraqi Kurdistan", In Oriental Institute of the University of Chicago, series in Ancient Oriental Civilization, Chicago, 1960, P. 52, 170, Pls. 22 ff.

(٢) Mellaart, J., "The Earliest Settlements In Western Asia from the Ninth to the End of the Fifth Millennium B. C.", In C. A. H., vol. I, part I, (1970), p. 257.

الموقع بقايا جدران حجرية غير منتظمة لمساكن اتخذت الشكل البيضاوي، وعثر في بقاياه على العديد من الطبقات التي احتوت بقايا أثرية لشاغليها تشبه في نوعيتها الإنتاج الحضاري لموقع كريم شاهر.

٣ ـ العصر الحجري الحديث :

تعتبر مرحلة العصر الحجري الحديث من أهم المراحل في حياة الإنسان، فقد اتخذ الإنسان منذ هذا العصر الزراعة حرفة له، وأدى ذلك إلى الاستقرار وظهور المجتمع القروي، مما أدى إلى نشأة نوع جديد من تفكير الإنسان وسلوكه في مختلف مظاهر حياته وذلك على أساس المبادىء والأسس التي يقوم عليها المجتمع الجديد. فمجتمع العصر الحجري الحديث يقوم على أساس الاستقرار الزراعي وليس على أساس الانتقال من مكان إلى آخر. وقد أدى هذا الوضع الجديد إلى تطور في السلوك الإنساني فأصبح التعاون بين مختلف الأفراد ضروري للمعاونة في فلاحة الأرض والدفاع عنها، وقد تطور هذا النوع من التفكير إلى وجود شعور بالارتباط بالأرض المزروعة مما أدى إلى الشعور بالوطنية المحلية، وكان ذلك بداية نشأة القرى في العصر الحجري الحديث[1].

واستغل الإنسان في هذه المرحلة الإمكانيات المتاحة في بيئته في صناعة أدواته وتشييد منازله، فشيد منازله في أول الأمر من الطين المتوفر في بيئته الزراعية، وصنع منه كذلك الأواني الفخارية التي استخدمها في مختلف شؤونه المنزلية. وكان لاستقرار الإنسان خلال هذا العصر أثره في تطور المفاهيم الفكرية الأولى للإنسان وخاصة فيما يتصل بعبادة الآلهة والإيمان بعالم آخر.

ويتمثل العصر الحجري الحديث في العراق في مرحلتين حضاريتين رئيسيتين هما عصر حضارة جرمر وعصر حضارة حسونة.

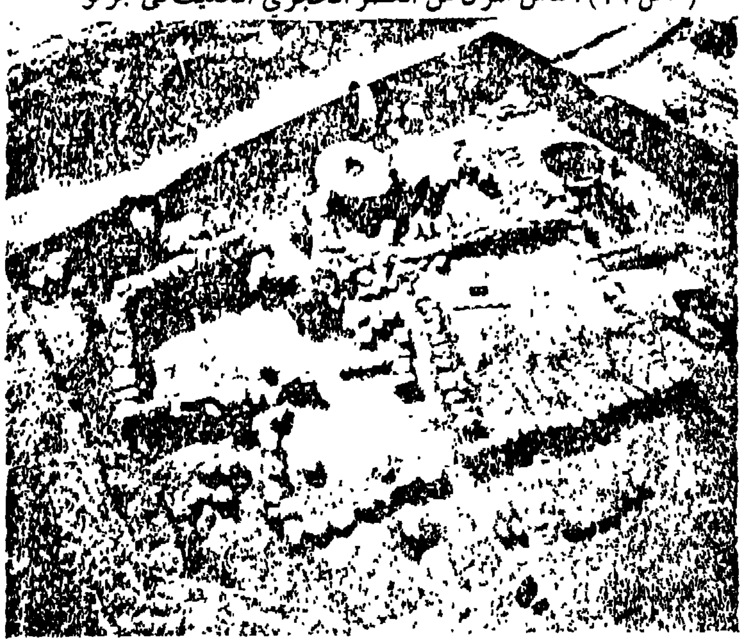
---

(١) رشيد الناضوري: المدخل فى التحليل الموضوعى المقارن للتاريخ الحضارى والسياسى فى جنوب غربى آسيا وشمال إفريقيا، الكتاب الأول، بيروت، ١٩٧٧، ص ١١٩.

وتعتبر قرية جرمو[1] التي تقع شرق كركوك من أقدم قرى العصر الحجري الحديث في العراق، وتؤرخ حضارتها بأكثر من ٦٠٠٠ ق. م ولكنها لا تتعدى ٧٠٠ ق. م. ويتكون موقع جرمو من ست عشرة طبقة أثرية تمثل مراحل تطور هذه الحضارة، وقد كشف في الطبقات الأثرية الأولى والتي تعرف بالمرحلة السابقة للصناعات الفخارية على الأدلة التي توضح توصل الإنسان إلى مرحلة الزراعة والاستقرار، فقد عثر على حبوب القمح المتكربنة، وأحياناً انطباعات تلك الحبوب في الأرضية الطينية للأفران. وقد استأنس الإنسان الماعز والكلاب وربما الأغنام والخنازير كذلك.

وقد شيدت المنازل من كتل الطين المكبوس، وأحياناً يلاحظ أنه كان لبعضها أساس من الحجر، وسويت حيطان المنازل بطبقة من الطين كملاط، وغطيت أرضية المنازل بحزم من البوص الذي غطى بطبقة من الملاط. وصممت المنازل على هيئة مستطيلة وكانت تتكون من عدد من الحجرات الصغيرة (شكل ١٩).

(شكل ١٩) أساس منزل من العصر الحجري الحديث في جرمو



(١) Mellaart, J., op. cit., PP. 257 - 258.

وصنع إنسان جرمو معظم أدواته من الحجر. فعثر على العديد من الأدوات المتصلة بالعمل الزراعي مثل المناجل والفؤوس والأجران. كما صنع من الأحجار كذلك العديد من الأواني الحجرية التي صنعت بجودة من الحجر الجيري، واتخذ من الأحجار بعض أدوات زينته كالخواتم.

وفيما يتصل بالصناعات الفخارية، فيلاحظ أنها لم تبدأ في الظهور إلا في الطبقات الخمس الأخيرة من الموقع وربما كان ذلك راجعاً إلى استيفاء الإنسان في المراحل السابقة لحاجياته من الأواني بصناعة الأواني الحجرية الجيدة. ويلاحظ أن الأواني الفخارية التي عثر عليها في الطبقتين الخامسة والرابعة وهي الأقدم تتميز بأنها أفضل من الأواني التي عثر عليها في الطبقات الثلاث الأخيرة وهي الأحدث عهداً. وزينت هذه الأواني بخطوط حمراء مائلة. ونظراً لجودة الأواني الفخارية المبكرة التي كشف عنها فإنه يصعب القول أنها من إنتاج محلي بحث، ونظراً لعدم وجود ما يماثلها في المنطقة فإنه يرجح أن تكون مستوردة من الشرق وبخاصة من تبة جوران إلى الجنوب من كرمنشاه بإيران حيث كشف فيها عن أنماط تشبه فخار جرمو الملون(١).

وتتمثل المرحلة الثانية المميزة للعصر الحجري الحديث في العراق في حضارة تل حسونة(٢) الذي يقع في غرب نهر دجلة جنوب الموصل. ويرجح استفادة سكان هذا الموقع من الإنتاج الحضاري لموقع حضارة جرمو وبخاصة في مجال الصناعات الفخارية وبناء المنازل. ويتكون موقع تل حسونة من سبع عشرة طبقة أثرية يوجد الإنتاج الحضاري الخاص بالعصر الحجري الحديث في الطبقات الخمس الأولى منها، وذلك بالإضافة إلى الطبقة السادسة في حضارة حلف، وسامرا، ونينوى في الطبقات ١، ٢، أ، ب وتل الصوان.

---

(١) أحمد أمين سليم: دراسات في تاريخ إيران القديم وحضارتها، حـ ١، إيران منذ أقدم العصور حتى أواسط الألف الثالث ق. م، بيروت، ١٩٨٨، ص ١١٨.

(٢) Lolyd. S., and Safar, F., "Tell Hassuna. Excavations by the Iraq Covernment Directorate General of Antiquities In 1943 and 1944" in JNES, vol. 4 (Oct. 1945).

وفيما يتصل بالإنتاج الحضاري الخاص بحضارة حسونة فقد تمكن الإنسان خلال هذه المرحلة من التوصل إلى الإنتاج الزراعي وخاصة القمح ، كما أستأنس بعض الحيوانات كالأغنام والماعز والخنزير.

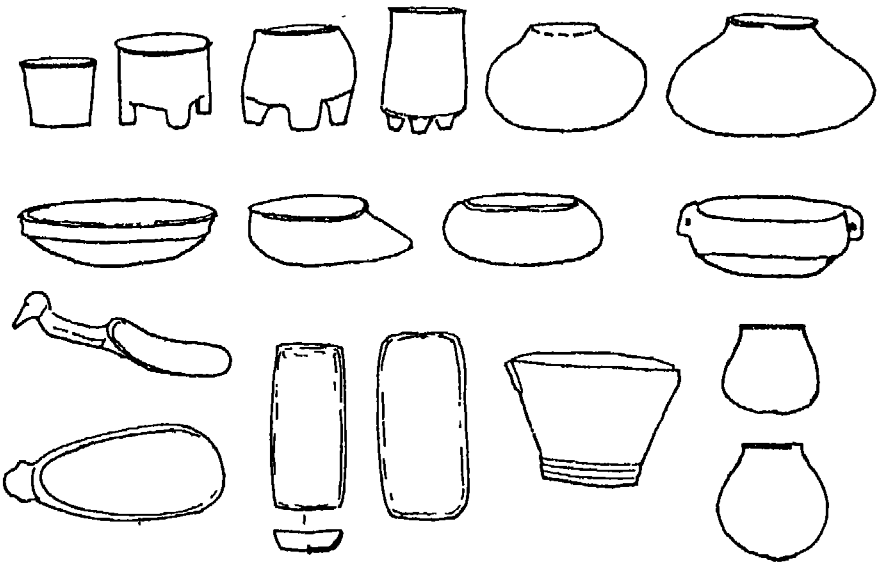
وشيد الإنسان مساكن مستقرة خلال هذه المرحلة ومواقد أعدت لطهي الطعام ، وقد عثر في الطبقات الأولى من موقع حسونة على بعض هذه المواقد. وشيدت المنازل من كتل الطين وكانت ذات أحجام مختلفة وتكونت المنازل عادة من بعض الحجرات التي تحيط بفناء مكشوف ، وضم المنزل عادة فرن لإعداد الخبز وعدد من الأواني الكبيرة التي استخدمت في تخزين الغلال وأواني أخرى أعدت لتخزين الطعام والشراب .

وتمثل المباني التي كشف عنها في موقع تل الصوان تطوراً ملحوظاً في تشييد المباني ، إذ شيدت من قطع الآجر الكبيرة المستطيلة الشكل ، وطليت الجدران من الداخل بطبقة من الطين ودفن الإنسان موتاه أسفل أرضيات المنازل وزودت الدفنات بأثاث جنزي يتكون بشكل رئيسي من الأواني المرمرية والحجرية والتماثيل الصغيرة والتي يمثل معظمها آلهة الأمومة .ولقد دفن الأطفال داخل أواني فخارية .

وفيما يتصل بالصناعات الفخارية فيعتبر فخار تل حسونة من أقدم النماذج التي عثر عليها في العراق القديم ، وقدمت الحفائر تطوراً مستمراً للصناعات الفخارية في هذا الموقع ، فتوضح أولى الطبقات ظهور الفخار المبكر المصنوع من مادة طينية غير نقية ، وكانت صناعته خشنة إلى حد بعيد ، وبعد ذلك ظهر الفخار المزين باللون الأصفر أو القرمزي وزخرف بواسطة عمل حزوز في شكل تصميمات اتخذت في الغالب شكل سعف النخيل أو سنابل القمح ، وتلى ذلك ظهور الفخار المزين بالأشكال الحيوانية والخطوط المتموجة ، ويطلق على هذا النوع فخار سامرا وذلك نسبة إلى هذا الموقع .

وبالإضافة إلى الصناعات الفخارية فقد كشف عن العديد من الأدوات الحجرية التي تتكون من الأسلحة القزمية ورؤوس السهام والفؤوس

الحجرية والمناجل ، كما كشف كذلك عن العديد من الأواني الحجرية والمرمرية في تل الصوان (شكل ٢٠) والتماثيل الصغيرة التي تمثل آلهة الأمومة . ومن أبرز ما كشف عنه العديد من صوامع الغلال التي عثر بداخلها على بقايا القمح المتكربن .



(شكل ٢٠) بعض الأواني المصنوعة من المرمر في تل الصوان

وقد استخدم الإنسان كذلك العظام في العديد من مصنوعاته وبخاصة الأبر ، كما ظهرت العديد من أدوات الزينة مثل حبات العقود والدلايات وغيرها .

٤ ـ عصر الحجر والنحاس :

يمثل هذا العصر مرحلة جديدة من مراحل التطور الإنساني إذ خرج الإنسان عن نطاق قريته وأخذ في البحث عن إمكانيات مادية جديدة في البيئات المحيطة به ، حيث توصل إلى استخدام معدن النحاس وذلك منذ حوالي منتصف الألف الخامس قبل الميلاد ، وكان استخدام الإنسان لهذا المعدن في أول الأمر قليلاً ويفسر ذلك قلة المصنوعات النحاسية التي عثر عليها في المواقع التي تنتمي لبداية هذه المرحلة .

ويعتبر عصر حضارة حلف[1] هو العصر المميز لهذه المرحلة في العراق القديم وهو ينسب إلى موقع تل حلف على نهر الخابور والذي كان من أولى المواقع التي كشف فيه عن الإنتاج الحضاري لهذه المرحلة، وظهر الإنتاج الحضاري لحضارة حلف في عدد من المواقع الأخرى مثل موقع تل الاربجيه بالقرب من الموصل، وكذلك تبه يار يم بوادي سنجار. وتشغل حضارة حلف الفترة الزمنية من أواخر الألف السادس حتى أواخر الألف الخامس قبل الميلاد.

ويختلف المؤرخون في أصل حضارة حلف فيرى البعض أن مركزها في المنطقة الواقعة ما بين الموصل في شمال شرق العراق إلى منطقة الخابور، وهناك احتمال وهو إرجاع تلك الحضارة إلى أصل أرميني، أما الاتجاه التقليدي فهو اعتبار نشأتها كانت في تل حلف ذاتها وأنها تطورت تطوراً ذاتياً. ويلاحظ من جهة أخرى أن حضارة حلف لم تتصل بحضارة إيران وذلك لوجود الحواجز الطبيعية وخاصة جبال زاجروس التي عملت على منع حضارة حلف من دخول إيران، وكذلك لم تمتد تلك الحضارة في جنوب العراق القديم وذلك لعدم سكنى الجنوب بعد في ذلك الوقت، ولذلك امتدت تلك الحضارة في منطقة الموصل وكذلك في منطقة سنجار عبر نهر الخابور وفي منطقة جبل عبد العزيز وغرباً في سوريا حتى منطقة العمق ورأس الشمرا وكذلك في حدود الأناضول الجنوبية الشرقية[2].

وفيما يتصل بالإنتاج الحضاري فيلاحظ وجود بعض المظاهر الحضارية الجديدة وخاصة في العمارة والأواني الفخارية ونماذج النحت على الحجر، فضلاً عن استخدام النحاس.

ويتميز فخار حضارة حلف بألوانه وزيناته التي تمثل تفوقاً صناعياً في

---

(١) انظر. Mellaart, J., op. cit., pp. 276 - 281., Dabbagh, T., "Halaf Pottery" In Sumer, vol. 22 (1966), p. 23.

(٢) رشيد الناضوري. المرجع السابق، ص ١٧٠.

هذا المجال، وقد لون الفخار بألوان متعددة منها البرتقالى والقرمزي والأحمر والبني والمصفر. وغطت الزينات كل سطح الإناء الفخاري الخارجي بالنسبة للجرار. أما الأطباق والسلاطين فكانت الزينات تغطي السطحين الداخلي والخارجى. وضمت تصميمات الزينة مجموعات مختلفة من الأشكال الهندسية، كما استخدمت فى التصميمات الزخرفية كذلك أوراق الزهور ورؤوس الثيران، والظاهرة المميزة هي كثرة الأشكال الحية في الزينات من أشكال بشرية وحيوانية وطيرية ونباتية، وتميزت الرسوم بوجود حركة كبيرة في المناظر.

وتمكن إنسان حضارة حلف من صناعة العديد من أوانية من الحجر الذي صنع منه كذلك العديد من الأدوات الحجرية، واستخدم الطين فى صناعة بعض أدوات الزينة كالخواتم كما صنع من الطين كذلك بعض المسامير الصغيرة وتماثيل آلهة الأمومة، ومن الصناعات المميزة في هذه المرحلة صناعة الأختام التي استخدمت في الطباعة على قطع الطين وكانت هذه الأختام من أقدم الأمثلة التي عثر عليها في العراق القديم.

وعثر على بعض المصنوعات النحاسية كالدبابيس والأزاميل، إلا أن عددها كان محدوداً في هذه المرحلة.

أما في مجال العمارة فقد سادت الأبنية ذات التصميم الدائري وكانت أساساتها من الحجر ويغلب أن تكون حيطانها من اللبن، ويتصل بتلك الحجرة الدائرية حجرات مستطيلة كانت أصغر حجماً، وغطيت جدران وأرضيات الحجرات بطبقة سميكة من الطين وطليت من الداخل والخارج بلون أحمر واحتوت المنازل على أفران ومواقد وأواني فخارية وبقايا حبوب.

وفيما يتصل بدفن الموتى فقد ظلوا يدفنون تحت أرضيات المساكن، فكان يدفن الميت على جانبه الأيمن في وضع مقرفص ويتجه رأسه نحو الغرب، ووضعت مع المتوفي احتياجاته الأساسية من الأواني الفخارية

والأواني الحجرية الصغيرة وحبات العقود من المرمر ودلايات من الحجر المزينة بصور الطيور ورسوم الحيوانات[1].

ولم يقتصر إنسان حضارة حلف على تشكيل تماثيله في شكل آلهة الأمومة بل لقد عثر على تماثيل إنسانية أخرى يحمل بعضها زخارف معينة ربما تعبر عن وشم خاص أو عن زينات في الملابس، وعثر كذلك على تماثيل حيوانية. ومن الأهمية الإشارة إلى أن استخدام إنسان تلك الحضارة للمواد الطينية والحجرية والأصداف وغيرها تؤكد خروجه عن الإطار المحلي واستكشافه الأقاليم القريبة والنائية مما وسع إدراكه وتجاربه المادية والفكرية وساعده على الانتقال إلى المراحل الحضارية التالية[2].

٥ ـ حضارات جنوب العراق القديم :

عند نهاية عصر حضارة حلف انتقل مركز الثقل الحضاري من القسم الشمالي للعراق إلى القسم الجنوبي. وتعتبر حضارة العبيد التي تقع إلى الغرب من أور بحوالى ستة كيلو مترات من أولى الحضارات التى ظهرت فى القسم الجنوبي، ولقد اثبتت الحفائر وجود حضارتين أسبق عهداً من العبيد وهما حضارتي أريدو والحاج محمد، وقد اتجه بعض الباحثين إلى اعتبار هاتين الحضارتين مرحلتين مبكرتين من عصر حضارة العبيد، وعلى ذلك تصبح حضارة أريدو هي أولى المواقع الأثرية من الناحية الحضارية في جنوب السهل العراقي، يليها حضارة الحاج محمد ثم حضارة العبيد التى يليها عصر حضاري جديد هو عصر حضارة الوركاء ثم عصر حضارة جمدة نصر الذى يمثل آخر العصور التاريخية التي تسبق بداية العصر التاريخي.

وسنتناول فيما يلي هذه الحضارات بشيء من التفصيل.

---

(١) محمد عبد اللطيف محمد علي: المرجع السابق، ص ٦٨.
(٢) رشيد الناضوري: المرجع السابق، ص ١٧٢.

حضارة أريدو:

تقع أريدو[1] على بعد حوالي ١٩ كيلو متر جنوبي غربي أور وعلى مسافة ٢٤٠ كيلو من الخليج العربي ويطلق عليها حالياً أبو شهرين، ولقد جاء في التقاليد الأدبية السومرية أن أريدو هي إحدى أقدم مدن خمس وجدت قبل الطوفان في جنوبي العراق، ويحتمل أنها كانت تتصل في العصور القديمة بالخليج العربي بواسطة سلسلة من البحيرات المالحة الصغيرة. إذ ورد في أحد النصوص القديمة التي ترجع إلى عهد شولجي أحد ملوك أسرة أور الثالثة أن أريدو تقع على شاطىء البحر، كما جاء في نص آخر «إن البلاد كلها كانت بحر ومن ثم تكونت أريدو». وتؤكد الآثار المكتشفة أهميتها وقدمها، كما تبين من دراسة هذه الآثار أنها أقدم المدن المكتشفة في جنوبي العراق.

وفيما يتصل بالإنتاج الحضاري لعصر حضارة أريدو فقد كشف عن العديد من نماذج الأواني الفخارية وكانت أشكالها السائدة هي الأكواب والسلاطين وأن ظهرت أحياناً الأطباق الكبيرة، ولقد تعددت ألوانها وزينت بتصميمات هندسية تكثر فيها الخطوط المستقيمة والمتعرجة والمثلثات والنقط، ويندر وجود الأشكال الطبيعية الحية (شكل ٢١).

(شكل ٢١) بعض نماذج الأواني الفخارية وزيناتها من حضارة أريدو



(١) Mallowan, M., "The Development of Cities from AL - Ubaid to the End of Urk 5", In C. A. H., vol. I, Part, PP. 335 - 338, 349 - 350.

ولقد كشف في الطبقات الأثرية لموقع أريدو على العديد من الآثار المعمارية المدنية والدينية، ويتضح أن المنازل في أقدم طبقات هذا الموقع كانت عبارة عن أكواخ من البوص أو منازل من اللبن. أما المباني الدينية فلقد كشف عن العديد من المعابد، ففي أولى الطبقات كشف عن أربعة حيطان من اللبن شيدت فوق تلة من الرمل وربما كان ذلك أول تعبير عن المنصة المرتفعة التي يعلوها المعبد (الزاقورة) وهو مظهر العمارة الدينية للبلاد ابتداء من عصر حضارة العبيد[1]. وكشف في الطبقات التالية عن بناء أكثر اتقاناً وهو قائم الزوايا وله دعائم داخلية ويتضمن مائدة قرابين وهيكل مما يشير إلى أنه استخدم كمعبد، وهو لذلك يعتبر أول مثال واضح للمعبد في العراق القديم (شكل ٢٢).

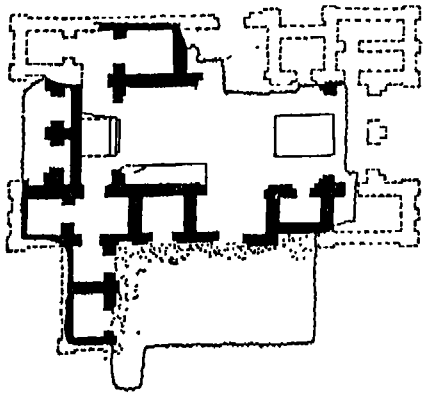
حضارة الحاج محمد:

يعبر عن إنتاج حضارة الحاج محمد في الطبقات من ١٤ : ١٢ في موقع أريدو، وإنتاجها المميز هو الأواني الفخارية نظراً لعدم إمكانية التعرف على تفاصيل المباني في هذه الطبقات.

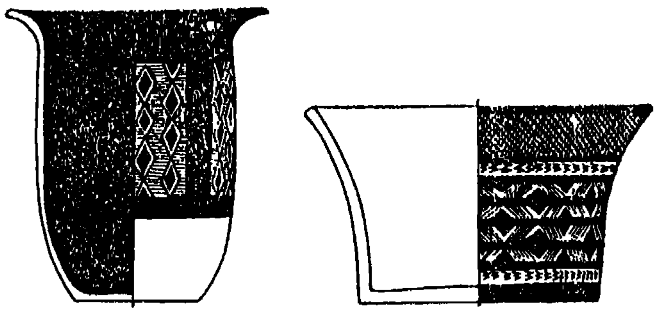
ويتميز فخار الحاج محمد بأوانيه الفخارية العميقة ذات الجوانب المقوسة والمزين بزينات هندسية في خطوط مائلة ومتعرجة ومربعات، وقد لون بنفس ألوان فخار أريدو مع ظهور لون جديد هو اللون القرمزي الغامق، ويتضح من دراسة زينات الأواني وأنماطها تأثرها بحضارات شمال العراق وبخاصة حضارة حلف[2] (شكل ٢٣).

(١) محمد عبد اللطيف محمد علي: المرجع السابق، ص ٧٧ ـ ٧٨.

(٢) Mallowan, M., op. cit., PP. 345 - 365, (Fig. 27, P. 342).



(شكل ٢٢، رسم تخطيطي لمعبد من أريدو .



(شكل ٢٣،بعض نماذج الأواني الفخارية وزيناتها من موقع الحاج محمد

حضارة العبيد[1] :

تعبر حضارة العبيد عن استقلال جنوب السهل العراقي، إذ قدم من المظاهر الحضارية الجديدة ما أضفى عليها طابعاً مميزاً يتفق مع طبيعة القسم الجنوبي من العراق، وانتشر التأثير الحضاري لحضارة العبيد حتى استوعب معظم شمال العراق، ومن المواقع الرئيسية التي ظهر فيها الإنتاج الحضاري

(١) Mallowan, P. Op. Cit., PP. 335 - 339, 360 - 362, 408 - 413., Saggs, H. W. F., The Greatness that Was Babylon, London, 1962. P.18., H., The Art and Architecture of the Ancient Orient, P. 19.

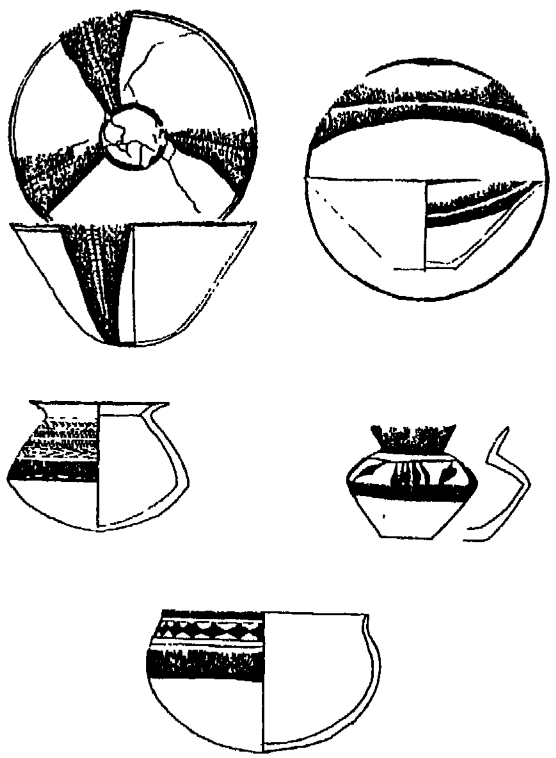
لحضارة العبيد تل العبيد وأريدو وأور والوركاء، أما أهـم مواقعهـا في الشمـال العراقى فتوجد في موقع تبة جاورا وتل اربجيه ونينوى وجبل سنجار وتل البراك.

وتعتبر حضارة العبيد أول حضارة فى العراق القديم تنتشر في الشمال والجنوب رغم كونها جنوبية الأصل. ويظهر الإنتاج الحضارى الجـديد في العديد من المجالات مثل صناعة الأوانى الفخارية الملونة والمزينة، والأواني الحجرية والأدوات النحاسية والعظمية والطينية والعمارة في مجالاتها الدينية والمدنية. كما ظهـر التفـوق الحضـاري كذلك فى ظهـور بعض المفـاهيم الفكرية في كل من المراكز الحضارية لحضارة العبيد فى الشمال والجنوب.

وفيما يتعلق بالمظاهر الحضارية لحصارة العبيد الشمـالية فيلاحـظ أن الأواني الفخارية فـي تبة جاورا قد زينت بزينات تصور أشكال حية وهى في ذلك قد تأثرت بحضارة حلف الشمالية، أما الفخار الذي عثر عليه في تل اربجيه فقد زين بتصميمات هندسية عبارة عن أشرطة وخطوط مستقيمة ومتعرجة ومثلثات ونقط، كما زين أحياناً بأشكال نباتية مثل أوراق الشجر (شكل ٢٤). ويمثل موقع تل البراك آخر المواقع التي انتشر فيها فخار العبيد في شمال العراق.

ولقد كشف عن العديد من الصناعـات في مواقـع العبيد الشمـالية ومنهـا بعض الأدوات النحاسية التي عثر عليها في موقع تبة جاورا ومنها خاتم صغير وإزميل من النحاس. ويتميز هذا القسم بإنتاج أختام الطابع. وقد عثر فـي تبة جاورا على أختام الطابع وهي تتكون من أقراص بسيطة وأزرار ومربعات من الحجر المتعدد الأنواع. وتحمل هذه الأختام أو طبعاتهـا من الـطين رسـوم بسيطة من خطوط مستقيمة أو متقاطعة. كما تتضمن أحياناً أشكالاً حيوانية.

وفيما يتعلق بالعمـارة فقـد شيدت المنـازل في مواقـع حضـارة العبيد الشمالية من الآجر، وقد وجدت بقايا المنازل في موقـع تبة جاورا مع المعابد في منطقة واحدة إذ لم تخصص منطقة للسكني وأخرى للمعابد وأقيمت بعض جدران المنازل فوق أساسات من الحجر، أما موقع تل الأربجييه فقد وجدت المنطقة السكنية في وسط الجبانة، وقد زودت معظم المنازل بالأفران والأواني

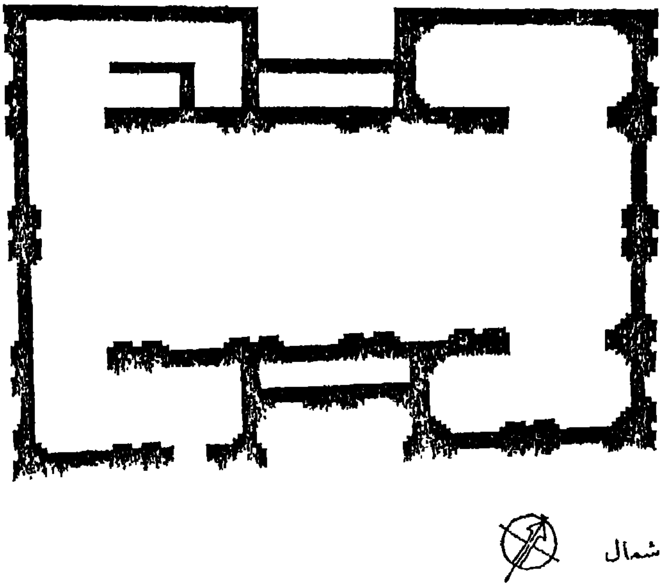


(شكل ٢٤) بعض نماذج زينات الأواني الفخارية من موقع تل الأربجية

الفخارية الكبيرة التي استخدمت في تخزين المياه والحبوب ، كما احتوت على الكثير من بقايا الهياكل العظمية .

وتفوق إنسان حضارة العبيد في المجال المعنوي حيث عثر على أثار المعابد والمقابر فقد كشفت في موقع تبة جاورا الشمالي على العديد من المعابد التي يمكن تقسيمها إلى قسمين قسم مبكر ويتضمن معابد ذات أشكال مستطيلة مبنية من الآجر، وتشغل مساحة كبيرة وتتضمن فناء تتوسطه مائدة قرابين ، ويتضمن هذا القسم كذلك معابد صممت على الشكل الدائري المأخوذ عن أسلوب حضارة حلف في البناء . أما القسم المتأخر فيعبر عنها ثلاثة معابد شيدت بحيث تواجه أركان كل منها الجهات الأربع الأصلية وقد زودت جدرانها بكثير من الركائز التي استخدمت كدعامات للجدران . وقد

طليت بعض جدران المعابد بلون أبيض (شكل ٢٥).



(شكل ٢٥) رسم تخطيطي لمعابد تبة جاورا

وفيما يتصل بالمقابر فقد كان يدفن الموتى في موقع تبة جاورا أسفل أرضيات المنازل والمعابد. ويلاحظ أن الدفن أسفل أرضيات المنازل لم يكن هو المتبع دائماً في المواقع الشمالية إذ خصص سكان موقع تل الأربجيه منطقة للمدافن خارج نطاق المنطقة السكنية.

أما فيما يتعلق بالإنتاج الحضاري لحضارة العبيد الجنوبية التي تمثل أقدم حضارة في جنوب العراق حيث تستقر على الأرض البكر مباشرة. ففي مجال الصناعات الفخارية فقد تأثر الإنتاج المبكر من الفخار بشكل واضح بفخار حضارتي أريدو والحاج محمد السابقتين. أما الإنتاج التالي لذلك فقد تضمن تصميمات من أشرطة وخطوط عريضة مستقيمة ومقوسة كما تتضمن أشكالاً نباتية مثل الورود وأوراق الأشجار. وزود فخار العبيد أحياناً بالصنابير والأذان الصغيرة والمقابض.

وتوجد العديد من الصناعات الأخرى مثل العثور على مسامير منثنية من

الطين كانت تستخدم في صيد السمك ، كما عثر على العديد من أدوات العمل الزراعي وبخاصة الفؤوس والمناجل.

وقد شيدت المساكن في القسم الجنوبي من حضارة العبيد من البوص والطين وبعضها كان من الأجر مما يناسب البيئة المستنقعية في هذه المنطقة ، وكانت الأكواخ المبنية من البوص تبطن من الجوانب بالطين واحتوت على صوامع غلال وأفران. أما المنازل المشيدة من الآجر فكانت بسيطة التصميم ، إذ تتكون من ممر لا يتجاوز عرضه القدمين وتطل عليه حجرتان من كل جانب. وكانت تكسي الجدران بطبقة من الطين.

وتوجد المعابد في القسم الجنوبي لحضارة العبيد في موقع أريدو حيث شيد المعبد فوق تل صناعي يؤدي إلى منصته بعض المنحدرات ، وقد أصبح هذا التصميم هو المميز للأبنية الدينية للسومريين ، والتي أطلق عليها « الزاقورت » وكان المعبد غي أكمل مراحل تطوره يتكون من بناء مستطيل يتوسطه فناء تطل عليه بعض الحجرات ، ويقع هيكل المعبد في نهاية الفناء ، وتوجد مائدة قرابين في مواجهة الهيكل ويؤدي إلى المدخل الرئيسي للمعبد بعض الدرجات. وازداد سمك الجدران وزودت بركائز من الداخل والخارج ، ويوجد بالمعبد العديد من الحجرات الجانبية ، وتجدر الإشارة إلى حقيقة العثور على عظام الأسماك في معبد أريدو مما يؤكد ارتباط ذلك التقليد الديني المبكر بالعقيدة الدينية التالية والمتصلة بعبادة المعبود أنكى إله الماء العذب ومعبود مدينة أريدو في العصر التاريخي.

وفيما يتصل بالمدافن فتضم جبانة أريدو ما لا يقل عن ألف مقبرة وكانت توضع الدفنات في توابيت من الفخار وقد وجدت بعض المدافن الجماعية بجبانة أريدو وزودت المقابر ببعض الأواني الفخارية والتي تمثلت في وجود فنجان وطبق مما يرجح أنهما كانا خاصين بأكله وشربه مما قد يعبر عن إيمان بالعالم الاخر. كما زودت المقابر كذلك بالعديد من التماثيل الصغيرة الخاصة بآلهات الأمومة. وكانت لبعض هذه التماثيل رؤوس تشبه رأس

الضفدعة أو السحلية مما يعبر عن تأثر الإنسان ببيئته المستنقعية في الجنوب[1].

ويتضح من الدراسة المقارنة لحضارات العبيد الشمالية والجنوبية وجود بعض أوجه التشابه بينهما كما توجد كذلك بعض مظاهر الاختلاف ولكنهما في واقع الأمر ينتميان أصلاً إلى حضارة واحدة سرعان ما تأثرت بالبيئة المحيطة بها فأعطتها شكلها المميز الذي انطبع على مظاهر إنتاجها الحضاري في مجالاته المادية المتعددة وكذلك في مجالاته الفكرية.

عصر حضارة الوركاء[2]:

يعتبر عصر حضارة الوركاء هو العصر الحضاري التالي لعصر حضارة العبيد في العراق القديم، وتنسب هذه الحضارة إلى موقع الوركاء Warka واسمها القديم Uruk، وقد ذكرت في سفر التكوين تحت اسم «ارك» Ereck. وتتمثل هذه الحضارة في العديد من المواقع الأثرية في جنوب العراق مثل أريدو وأور وتلو وتل العقير، كما انتشرت حضارة الوركاء في قسمها المبكر في شمال العراق وظهر ذلك على وجه الخصوص في مواقع تبة جاورا ونينوى وتل جراي رش بمنطقة سنجار.

وقد اختلف العلماء فيما يتعلق بأصحاب تلك الحضارة، هل هم ينتمون إلى العنصر السومري الذي ثبت دخوله جنوب العراق في عصور ما قبل الأسرات بوجه عام والذي كان له دوره الحضاري الهام المتصل بكل من وادي السند وجنوب العراق ومصر في عصر ما قبل الأسرات الأخير، أم إلى

(١) محمد عبد اللطيف محمد علي. المرجع السابق، ص ٩٥.

(٢) انظر. Frankfort, H., The Last predynastic Period in Babylonia" In C. A. H ,vol. I, part II. 1971, pp. 73 - 81., Lloyd, S., "URK Pottery, A Comparative study in Relation to Recent Finds at Eridu" In Sumer, Vol., 4 (1948)., Mallowan, M., op. cit. pp. 360 - 366.

رشيد الناضوري المرجع السابق، ص ٢٠١ - ٢٠٦ وكذلك:

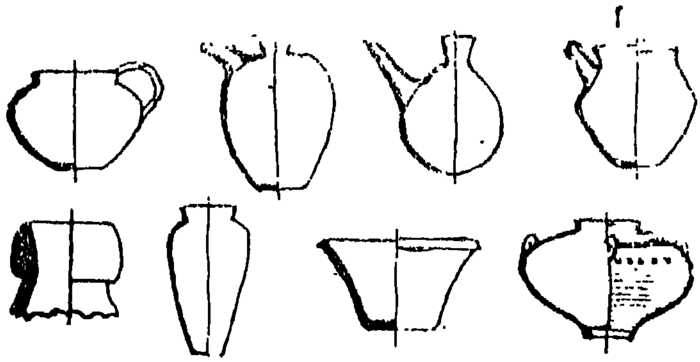
العنصر السامي الذي سبق له الاستقرار أيضاً في جنوب العراق . والذي اتجه الرأي إلى اعتباره ذو مكانة خاصة في عصر حضارة الوركاء على أساس وجود وجه شبه بين فخار الوركاء والفخار السامي في المواقع الفلسطينية والسورية ، ويغلب أن العنصرين السومري والسامي وعناصر أخرى عيلامية وجبلية متسللة من منطقة جبال زاجروس في غربي إيران قد تواجدت في جنوب العراق في تلك الفترة ، ولكن كان للسومريين أولوية حضارية خاصة في تلك المرحلة ، وكذلك في عصر حضارة جمدة نصر التالية لها.

ويعتبر عصر حضارة الوركاء من أهم المراحل الحضارية في مرحلة التكوين الحضاري في تاريخ العراق. ويمكن تقسيم حضارة الوركاء إلى قسمين متميزين أحدهما مبكر ويدخل في نطاق ما قبل التاريخ ويتضمن الطبقات من ١٢ - ٦ والآخر يطلق عليه تسمية عصر ما قبيل الكتابة ويتضمن الطبقات من ٥ ـ ٤ ويلاحظ أنه يشترك معه في هذه الصفة العصر التالى له وهو عصر حضارة جمدة نصر.

وفيما يتصل بالإنتاج الحضاري المميز للمرحلة المبكرة من عصر حضارة الوركاء فيلاحظ أن معظم المادة الأثرية المتخلفة عنها تتكون من المصنوعات الفخارية . ولقد تعددت أنواع الفخار وتنوعت ألوانه وأشكاله وزينت الأواني بزينات متعددة جمعت ما بين الأشكال الهندسية المتعددة. ومن طرز الأواني التي شاع استخدامها الأواني ذات الصنابير المستقيمة والمقوسة والأواني ذات المقابض والآذان (شكل ٢٦).

وانتشر الإنتاج الحضارى لهذه المرحلة من حضارة الوركاء في القسم الشمالي من العراق . ومن المظاهر المميزة للقسم الشمالي من العراق أثناء هذه المرحلة المبكرة من حضارة الوركاء التفوق فى إنتاج المصنوعات المعدنية التي تضمنت بجانب النحاس الذهب والأحجار الكريمة وشبه الكريمة وغيرها والتي استخدمت في أدوات الزينة.

أما عن المرحلة الثانية من عصر حضارة الوركاء فلعل من أهم آثارها



(شكل ٢٦)بعض نماذج الأواني من عصر حضارة الوركاء

الفكرية التوصل إلى ظاهرة التعبير بالرموز التي أدت إلى اختراع الكتابة التي تعتبر من أهم بوادر عناصر النقلة إلى بداية العصر التاريخي ، ويطلق على هذه المرحلة كما سبق أن ذكرنا تعبير مرحلة ما قبيل الكتابة وهي تنقسم بدورها إلى قسمين أحدهما مبكر وهو يشمل الإنتاج الحضاري للمرحلة الأخيرة من عصر حضارة الوركاء والآخر أكثر تطوراً وهو ما يطلق على إنتاجه الحضاري تسمية عصر حضارة جمدة نصر والتي ستقوم بدراستها فيما بعد.

وأقدم تسجيلات كتابية وصلتنا من المرحلة الأخيرة لعصر حضارة الوركاء تتصل بالأغراض الاقتصادية وهي قوائم تتضمن إحصائيات خاصة بممتلكات المعبد من الحقول والأغنام وغيرها من الماشية ودخله من المحاصيل والسلع المختلفة وما يصرف عن طريقة ، وقد كتبت هذه الوثائق على ألواح طينية بواسطة قلم من البوص حفرت به العلامات الكتابية على المادة الطينية وهي لا تزال طرية ، وكانت أقدم العلامات الكتابية صورية وعبرت كثير من العلامات عن اختزال الصور الكاملة إلى خطوط بسيطة أو أجزاء منها فقط.

ومن أهم الأثار المادية لحضارة الوركاء ، العمارة الدينية وبصفة خاصة المعابد المبنية من الآجر والتي تتميز بكون أسسها من الحجر الجيري وتعرف هذه العمارة الدينية باسم عمارة الزاقورات وهي المعابد المدرجة ، والمعبد عبارة عن مبنى موجه إلى الجهات الأربع الأصلية وهو مبنى من اللبن من

ثلاث درجات يصل بينها سلم يؤدي إلى القمة حيث يوجد المكان المقدس الذي هو عبارة عن حجرة مستطيلة الشكل ملحق بها بعض الحجرات الجانبية، ويتجه بعض الباحثين إلى الاعتقاد بأن أصل عمارة الزاقورات يرجع العناصر الجبلية المتسللة إلى جنوب العراق والحاملة لطابع الارتفاع إلى أعلى في العمارة الدينية بحكم تأثرهم بارتفاع الهضاب الوافدين منها، إلا أنه يصعب تقبل هذا الرأي بسهولة إذ يغلب أن وجود المعبد فوق سطح البناء المرتفع المدرج يهدف إلى اقتراب المعبد وهو منزل الإله من السماء التي كان يعتبر تأليهها في ذلك الوقت ذو أولوية خاصة في الديانة السومرية. (شكل ٢٧).

مرحلة جمدة نصر[1]:

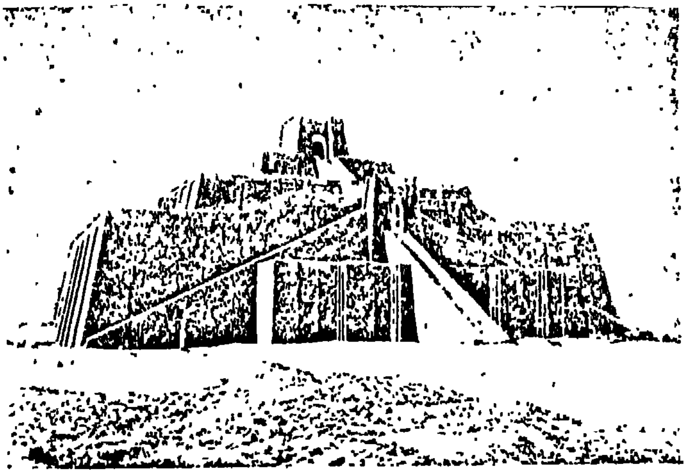
تمثل مرحلة جمدة نصر المرحلة الأخيرة لعصر ما قبيل الكتابة، وهي تكمل بذلك عصر حضارة الوركاء، ويظهر الإنتاج المادي لمرحلة جمدة نصر واضحاً في عمارة الزقورات، ولقد كشف عن العديد من هذه المباني الدينية التي خصصت لإله السماء «آن» ومن هذه المعابد، معبد الوركاء، ويعرف بناءه العلوي باسم «المعبد الأبيض»، وهو مشيد من اللبن المجفف ومطلي بدهان أبيض، وتؤدي إليه ثلاث مجموعات من الدرجات الصاعدة، ودعمت جدرانه من الداخل والخارج بركائز، ويوجد في فناء المعبد مائدة قرابين في مواجهتها يوجد الهيكل. وكان هذا التخطيط هو المتبع تقريباً في المعابد الأخرى.

وفيما يتصل بالأواني الفخارية، فقد ظهر في هذه المرحلة نوعية مميزة من الفخار أطلق عليها «فخار جمدة نصر» وهو يتميز بكونه مصنوع على عجلة

---

(١) انظر: Mallowan, M., op. cit., PP. 360 - 361, 408 - 409., Frankfort, H., op. cit., pp. 78 - 81., Abu Al - Soof, B., "A Note on the Question of Painted Jamdat Nasr Pottery" In. Sumer,

وكذلك محمد عبد اللطيف محمد علي: المرجع السابق، ص ١٤٢ - ١٦٠.



(شكل ٢٧) نموذج لإحدى الزقورات فى أور

الفخار، وهو جيد الإحراق والصقل، وذو أحجام متعددة، وإن يغلب عليه الشكل الكروي المنتفخ وله قواعد مسطحة أو مقوسة، وزودت فوهاتها أحياناً بسدادات من الطين لتغطيتها.

وفيما يتصل بزينة الأواني الفخارية، فكانت الزينات تشغل غالباً الجزء العلوي من الإناء بما فيه الرقبة وهي تتكون من أشكال هندسية سوداء وحمراء فوق أرضية فاتحة اللون، أما باقي الإناء فلا تتجاوز زينته طلاء بلون أحمر أو مائل للحمرة، ومن هذه الأشكال الهندسية المثلثات والمربعات والأشرطة العريضة والخطوط المتقاطعة والمستقيمة والمموجة، كما أن منها ما يجمع بين الأشكال الهندسية والأشكال الطبيعية الحية.

وقدم عصر حضارة جمرة نصر العديد من النماذج الهامة للنحت على الحجر والتي تلقى بعض الأضواء على الفكر الديني والسياسي المبكر للعراق في أواخر عصور ما قبل التاريخ والانتقال إلى بداية العصور التاريخية، ومن هذه النماذج «لوح صيد الأسود» وهو من حجر الجرانيت الأسود ويبلغ ارتفاعه ٨٠ سم وعرضه ٥٧ سم وعثر على عدد من الأختام الأسطوانية واللوحات الطينية الكتابية، ويضم اللوح منظرين، المنظر الأول (السفلى)

يصور فيه مقاتل يجذب يجذب وتر قوسه الكبير ليطلق سهماً على أسد سبق أن أصابته سهامه، وأسفل هذا الأسد يوجد أسد آخر صرعته سهام هذا المقاتل، كما نرى خلف المقاتل أسداً ثالثاً صرع بهذه السهام. ويمثل هذا المقاتل بالزي والسمات المميزة للحاكم أو البطل. أما المنظر الثاني وهو في أعلى اللوح فهو يصور نفس المقاتل على الأرجح، إذ يمثل بنفس الزي والسمات المميزة، وهو يمسك في هذا المنظر برمح طويل ويتأهب لغرسه في عنق أسد يثب نحوه مهاجماً. ويرجح بعض الباحثين أن الهدف من هذا اللوح هو تخليد ذكرى الصراع مع البيئة في أرض القسم الجنوبي من العراق وتهيئته للاستقرار ثم التطور إلى مرحلة المدنية.

ويدخل إنتاج الأختام الأسطوانية في نطاق النحت على الحجر، إذ صنعت هذه الأختام، وهي بشكل الأسطوانة الصغيرة، من أحجار صلبة حفرت عليها أشكال معظمها حيوانية وبشرية. وقد ظهرت الأختام الأسطوانية في مرحلة الوركاء (٤) وكثر استخدامها بعد ذلك منذ مرحلة جمدة نصر. ويبدو أن الغرض الأول من الأختام الأسطوانية هو الدلالة على الملكية الشخصية، ثم استخدمت بعد ذلك في طبع الألواح الطينية واستخدمت لأغراض دينية وحربية. وقد انتشرت هذه الأختام الأسطوانية، عن طريق التجارة على الأرجح، في القسم الشمالي من العراق. كما انتشرت أيضاً في الشمال السوري وبلغت الأناضول ومصر وبعض مواقع الهضبة الإيرانية.

وتعتبر ظاهرة ازدياد مجالات الاتصال الخارجي من الظواهر الهامة في عصر حضارة جمدة نصر والتي اتضح امتدادها حتى مصر والهند، ويغلب أن الطريق البحري كان هو المستخدم في هذه الصلات، ومن المحتمل العثور على آثار المحطات الحضارية التي كان على تلك السفن التوقف عندها في سواحل عمان وحضر موت والبحر الأحمر ولا يمكن حسم هذا الموضوع دون إجراء المزيد من الحفائر لاكتشاف تلك المحطات الساحلية في شرق وجنوب شبه الجزيرة العربية وكذلك سواحل البحر الأحمر للوصول إلى حل نهائي يحسم موضوع هذه الصلات.

الفصل الثاني

السومريون

تقع بلاد سومر واكد في الوادي الأسفل لنهري دجلة والفرات وإلى جنوبها وغربها تقع الصحراء العربية والخليج العربي الذي كان يمتد في تاريخ سومر المبكر شمالي محاورات أريدو. ومن المحتمل أن نهر دجلة كان يكون أصلاً حداً طبيعياً من ناحية الشرق وهى الناحية التي كان من الممكن التوسع من خلالها، وربما كان منشأ الصراع مع عيلام يرجع إلى الطمع في التوسع إلى شرق النهر، وعلى أية حال فإن مدى النفوذ السومري والسامي كان يمتد إلى المنحدرات السفلي للتلال العيلامية. وعلى ذلك فإن المساحة التي كان تشغلها سومر واكد لم تكن كبيرة.

وتتكون أرض سومر واكد من سهل فيضي، وتعتمد الحياة في هذه المنطقة على نهري دجلة والفرات. وكان النهران يغيران مجراهما باستمرار، وإن كان نهر دجلة أقل عرضة للتغيير بسبب ضفافه العالية المتينة نسبياً. ويتضح تغير مجاري النهران في بقايا المدن القديمة التي كانت موجودة على ضفافهما ثم أصبحت حالياً بعيدة عنهما. وعلى ذلك فإنه يجدر ملاحظة أن مدن سومر واكد كانت تقع جميعاً على ضفاف الفرات أو بعض روافده، وليس على ضفاف دجلة فيما عدا مدينة «أوبس» أبعد مدن اكدالي الشمال، ويفسر البعض ذلك بسرعة جريان نهر دجلة وارتفاع ضفافه مما حال دون استثماره في الري، بعكس نهر الفرات ذو الضفاف المنخفضة وبطء جريان مياهه نسبياً في شهور الصيف.

ولم يكن هناك فاصلاً طبيعياً بين سومر واكد فكان النصف الشمالي الشرقي يحمل اسم اكد كما كان القسم الجنوبي الشرقي عند رأس الخليج

العربي يعرف باسم سومر، وطبقاً للنصوص السومرية فإن مدينة «لجش» و «أورك» و «أور» و «لارسا» و «أوما» و «ايسين» و «أريدو» كانت ضمن أرض سومر، أما مدينة «نيبور» فكانت تقع بين سومر واكد وشغلت مكاناً فريداً كمركز ديني متوسط.

ولعل أول ظهور لأسمى سومر واكد في النصوص العراقية القديمة يرجع إلى عهد ملوك أور الذين أطلقوا على أنفسهم لقب «ملوك سومر واكد». ولقد أطلق أهل الجنوب على بلادهم فيما قبل ذلك اسم «كلم Kalam » أي الأرض، وعرف حاكم البلاد باسم ملك الأرض(١).

ولقد اختلف المؤرخون في أصل السومريين، ولا يزال ذلك الأمر مشكلة يختلف بشأنها العلماء حتى أصبحت تسمى باسم «المسألة السومرية». وتقوم الدراسات في هذا الصدد على أساس لغوي وبشري، فمن الناحية اللغوية لا تنتمي اللغة السومرية إلى إحدى العائلات اللغوية الثلاثة وهي عائلة اللغات السامية وعائلة اللغات الحامية وعائلة اللغات الهندية الأوروبية، كما ثبت عدم اتصال تلك اللغة باللغات الأخرى مثل الصينية والتبتية والدرافيدية والمجرية والإفريقية والهندية الأمريكية ولغات جزر المحيط الهادي. وعلى ذلك فقد اتجه العلماء إلى البحث عن بعض العناصر التي يمكن تلمس وجه شبه بينها وبين بعض العناصر الأخرى سواء كان ذلك في المجال الفكري أو المادي. ويقدم العلماء العديد من الافتراضات بشأن أصل السومريين والتي يمكن إيجازها فيما يلي:(٢)

فهناك من المؤرخين من يرى أنهم انحدروا من الأقوام التي قطنت العراق في عصور ما قبل التاريخ وهي العصور التي سبقت عصر فجر

---

(١) نجيب ميخائيل إبراهيم: مصر والشرق الأدنى القديم، حـ٥، الشرق الأدنى القديم، القاهرة ١٩٦٣، ص ٨٧ ـ ٩٥.

(٢) انظر: عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص ٣٨٦ ـ ٣٨٩، وكذلك: محمد عبد اللطيف محمد علي: المرجع السابق، ص ١٦٤ ـ ١٦٩، وكذلك: صمويل كرامر: من ألواح سومر، ترجمة طه باقر، القاهرة، ١٩٥٧، اللوحات ١٤ ـ ١٦، ٧١، ٧٨، وكذلك: =

السلالات، وأنهم عرفوا باسم السومريين في الأزمنة التاريخية نسبة إلى الجزء الخاص من العراق الذي تمركزوا فيه وهو القسم الجنوبي الذي سمي باسم «شومر» أو «سومر» ولعل أقوى ما يجعل هذه الفرضية رأياً قريباً من الواقع أن أسس الحضارة التي سميناها بالحضارة السومرية والتي ازدهرت في عصر فجر الأسرات (السلالات) يمكن اقتفاؤها إلى المراحل الحضارية المسماة بعصر ما قبل الأسرات، مما يكون استمراراً حضارياً، أي أن أصول الحضارة السومرية نشأت في العراق ويمكن تتبع أسسها وأصولها فيه منذ أقدم الأزمنة فبإمكاننا أن ندعو أهل العبيد من السومريين قياساً على ظهور أبرز مقومات الحضارات السومرية فيه كالمعابد والقرى على الرغم من أننا نجهل اللغة التي تلكم بها أهل العبيد

ومنهم يرى أنهم جاؤا من المرتفعات التي في شرق بلاد النهرين أو شمالها الشرقي، عن طريق أرمينيا وإيران، ولوأنه يمكن أن نستبعد أرمينيا من هذا الفرض، على أساس أنه من المستبعد أن يهبط المهاجرون منها ويتجاوزون المناطق الصالحة للاستيطان القريبة منها في شمال العراق، وليذهبوا عنها ثم يستقروا في الأجزاء الجنوبية التي كانت أطرافها لا تزال حينذاك وحشية الطابع تتطلب مجهودات كبيرة لتهذيبها وتيسير الانتفاع بها، ومرة أخرى قد يتصل بهذا الأصل الجبلي المفترض، وصلة أسلاف السومريين المقترحة بمرتفعات إيران، وبصلة بعض الأرباب السومريين بدنيا المرتفعات، ثم ما أتت به أسطورتان لملك سومري يدعى (انمركار) اعتبرته القوائم السومرية المتأخرة ثاني ملوك الأسرة الأولى في مدينة «أوروك» بعد الطوفان. . . .

Speiser, E. A., "The Sumerian Problem Reviewed". In Hebrew Union College Annual, XXIIII = (1950 - 1951), p. 339 ff.,

Langdon, S. H., "Sumerian Origins and Racial Characteristics" In Archaeologia, To (1920), p. 154ff

وقريب من هذا الفرض رأي ذهب فيه «صمويل كرامر» إلى اعتبار السومريين بدوا مما وراء ـ القوقاز أو مما وراء بحر قزوين، اندفعوا إلى مناطق غرب إيران فيما يعاصر أيام العبيد أو أوائل الوركاء، ونجحوا في اقتباس حضارة النهرين التي امتدت منها (على حد رأيه) عبر حدودَ إيران ثم استعانوا بما تعلموه منها وبخفة الحركة البدوية في الاندفاع منذ الربع الأخير من الألف الرابع ق. م.، إلى جنوب العراق وسيطروا عليه تدريجياً خلال فترة من فترات حضارة الوركاء، وكان لما أشاعوا به من الاضطراب حينذاك أثر في بداية ركود حضاري شامل وإن يكن قد نشأ في خلال هذه الفترة ذاتها (حوالي القرن الثلاثين ق. م) عصر البطولة السومري الذي قام على الشجاعة الفردية للقادة السومريين ومحاولتهم تملك زمام السلطة في المدن المغلوبة على أمرها وسيما إنه لم يكن عليهم أن يبسطوا سلطانهم عليها وحدها وإنما كان عليهم أن يواجهوا في الوقت نفسه هجرات سامية غربية لم تكن تنقطع اندفاعاتها على حدود العراق وعندما تمت الغلبة للسومريين وتم اندماجهم في السكان الأصليين الذين كانوا أرقى حضارة منهم بدأ العصر الشبيه بالكتابي في العراق حوالي القرن التاسع والعشرين ق. م.

وافترض رأي رابع أن السومريين هاجروا من منطقة تقع فيما بين شمال الهند وبين أفغانستان وبلوخستان، واستقروا بعض الزمن في غربي إيران ثم نزحوا منها إلى بلاد النهرين عن طريق الخليج العربي وجز ره البحرية وزكي أصحاب هذا الرأي فرضهم بما لوحظ من تشابه أوائل طرز الفخار السومري القديم وزخارفه في بلاد النهرين مع نماذج الفخار القديمة التي انتشرت جنوباً حتى منطقة «خارباً» و «موهنجودارو» بسهل اكسند، وذلك مما يوحي بروابط جنسية وحضارية بدائية قديمة بين أهل هذه النواحي الذين سبقوا الأجناس الهندوأوروبية في سكناها والذين يكفي أن يقال عنهم من الفروع المبكرة للسلالات الآسيوية والإسيائية، وذلك مع تقدير ما ألمحت إليه الأساطير السومرية أن أصحابها الأوائل هاجروا من الجنوب عن طريق البحر في عصور كان الناس لا يزالون يسعون فيها على أربع على حد زعمها

واستقروا حيناً في جنة تلمون (أودلمون) وهي فيما يرجح جزيرة البحرين الحالية. ثم نزحوا منها إلى «كالاما» بالعراق لأمر لم تسجله الأسطورة.

هذا ويمكننا أن نرى في كثرة استخدام السومريين للمادة الحجرية، وما سجلته العديد من نماذج النحت على الحجر من مناظر تمثل الحاكم ذي السمات المميزة التي لا تتغير، ومناظر الحروب التي لم تخل بأي حال من تمثيل هذا الحاكم، ما يعبر عن أن هؤلاء السومريين كانوا شعباً جبلياً مقاتلاً فرض نفسه عن طريق الحرب، ويرجح أن يكون المواطن الأصلي الذي وفدوا منه هو المنطقة الشمالية من التخوم الشرقية (جنوب ديالي) وهي منطقة متفوقة حضارياً، فضلاً عن طبيعتها الجبلية التي تتوفر فيها الأحجار والتي تضفي على ساكنها صفة المقاتل، وقد يؤكد هذا الموطن الأصلي أيضاً كثرة ما قدمته مرحلة ما قبل الكتابة من صناعة معدنية وخاصة النحاس الذي يمكن أن يكون مصدره المنطقة الجبلية الشرقية التي وفد منها السومريون.

وفيما يتصل بتاريخ دخول العناصر السومرية واستقرارها في جنوب العراق فقد تعددت وجهات نظر الباحثين بخصوص هذا الأمر، ويتجه بعض الباحثين إلى الاعتقاد بأن دخول السومريين كان عند نهاية الألف الرابع قبل الميلاد وذلك مع ظهور الكتابة في جنوب العراق، ويعتقد صمويل كرامل أن هذه الهجرة قد سبقت ظهور الكتابة مباشرة[١]، إلا أن الكتابة التصويرية البدائية قد نشأت في جنوب العراق بعد أن حتم ظهورها التطور الحضاري العام الذي ظهر في جنوب العراق من قبل ذلك التاريخ سواء كان ذلك قد تم على أيدي السومريين أو على أيدي جماعات أخرى. ولما كانت هذه الكتابة الأولى تعبر عن اللغة السومرية فيفترض أن أصحابها قد أتوا إلى البلاد منذ زمن بعيد يقدر بعشرات وربما مئات السنين.

---

(١) Kramer, S. N., "Newlights on the Early History of the Ancient East" In American Journal of Archaeology, vol. 52 (1948), p. 156 ff

ويتجه بعض الباحثين إلى الاعتقاد بأن السومريين كانوا أول من سكن جنوب العراق ويعتمدون في ذلك على التشابه الحضاري بين حضارة العبيد والمراحل السابقة لها والتي تمثلها حضارة أريدو والحاج محمد[1] . ويتجه رأي ثالث إلى الاعتقاد بأن هذه الهجرة قد حدثت في عصر حضارة العبيد وذلك ما بين عام ٤٠٠٠ و ٣٥٠٠ ق. م[2] .

ويصعب في ضوء المصادر المتاحة كشف الغموض الذي يحيط سواء بأصل السومريين أو تاريخ مجيئهم إلى جنوب العراق ، إلا أنه يتبين أن هؤلاء السومريون قد سكنوا إلى جانب جماعات أخرى وبخاصة العناصر السامية التي وفدت من شبه الجزيرة العربية في موجتها الشمالية الشرقية تجاه بلاد الرافدين ، وقد تمكن كل من السومريين والساميين من تكوين عدد من المدن الرئيسية ورد ذكرها في قائمة الملوك السومرية ، وكان لكل مدينة استقلالها الذاتي سواء في ملكية الأرض أو استغلال موارد المياه وكذلك الاستقلال السياسي والحضاري وذلك على أساس أن عملية الاستقرار في جنوب العراق لم تكن عملية متجانسة ، لما تتطلبه مجهودات تجفيف الأراضي وبناء المدن وحفر القنوات وتجهيز المكان من تفاوت من جهة إلى أخرى ، هذا بالإضافة إلى أن تلك التحركات البشرية الآتية على الإقليم لم تكن دفعة واحدة وأخيرة بل غلبت عليها الدفعات المتعاقبة حسب المتطلبات الاقتصادية والبشرية. وقد أدى كل ذلك إلى اتسام مرحلة بداية العصر التاريخي في العراق القديم وبصفة خاصة أثناء فجر الأسرات السومرية بظاهرة حكومات المدن المستقلة وعدم تواجد الدولة السومرية المتحدة في تلك الفترة ، ولكن على الرغم من تلك الفرقة السياسية فقد كان هناك تآلف حضاري وتعامل سياسي طبيعي بين كل من العناصر السومرية والسامية . فقد ثبت بالأدلة النصية تعاون كل العنصرين في كافة الجوانب دون أية تفرقة عنصرية بينهما مما أدى إلى تفاعل

---

(١) Oates, J., "Ur and Eridu", In Iraq, vol. 26 (1960).

(٢) Frank fort, H., Archaeology and the Sumerian Problem, Chicago, 1932, P. 21 ff.

الأصول الحضارية السامية والسومرية في بوتقة واحدة واتسام الحضارة العراقية منذ البداية بذلك الطابع الوحدوي، كما يتضح في المراحل التالية عندما يرث الأكديون الحضارة السومرية بل والخط والأدب والأفكار السومرية ويطبعونها بالطابع السامي المناسب لدولتهم الجديدة.

ولقد تكونت كل من حكومات المدن من مدينة ومجاوراتها من الأراضي التي قام سكان المدينة بزراعتها، وأحياناً ضمت حكومة المدينة أكثر من مدينة واحدة فضلاً عن عدد من القرى التي كانت تتبع المدينة الرئيسية، وتقع المدينة الرئيسية في وسط حكومة المدنية وكان يتوسطها معبد ألهها المحلي وهو الإله الرئيسي لحكومة المدنية، ويعتبر أكبر مالك للأراضي فيها وذلك بالإضافة إلى بعض معابد الآلهة الأخرى ذات الصلة بالآلهة الرئيسية، وكان لهذه المعابد أملاكها الضخمة، مما يرجح أن معظم أراضي حكومات المدن في مطلع العصر التاريخي كانت تعتبر أملاكاً للآلهة، وقد عبرت أقدم الأفكار الدينية لدى السومريين عن أن الإنسان قد خلق ليخدم الآلهة.

ويقوم التنظيم السياسي السومري على أساس نظام حكومات المدن الذي يجعل لكل مدينة استقلالها الذاتي في حكومته، ومن أولى المظاهر التي تعبر عن هذا التنظيم السياسي تواجد جمعية عمومية لجميع المواطنين في المدينة ووظيفتها الاجتماع في أوقات الحاجة للبت في الموضوعات التي تهم المدينة بأسرها كاختيار كبار المسؤولين في الحكومة واتخاذ قرارات الحرب، ويعتبر ذلك التنظيم السياسي مرحلة هامة في تاريخ الفكر الإنساني لأنه يشهد بتواجد التفكير الديمقراطي في بداية العصر التاريخي وانتخاب الحاكم الذي يرأس حكومة المدينة بناء على قرارات الجمعية العمومية[1].

دويلات المدن السومرية:

أن ما نعرفه عن دويلات المدن اضأل من أن يستطيع أن يقدم صورة كاملة للحياة السياسية بكل منها، بل ونشأتها وربما لا يعدوا ما لدينا أسماء ملوك تنظم

(١) رشيد الناضوري: المرجع السابق، ص ٢٥٢.

إلى أسرات ، سجل جداولها الكتبة السومريون أنفسهم وذلك في تعاقب زمني يشير إلى مدة حكم الملك ثم الأسرة ، وقد قسمت الجداول إلى قسمين يفصلهما حادث هام هو «الطوفان» وما قبل عصر الطوفان هو العصر الأسطوري وما بعده هو العصر التاريخي ، وقد اعتمدت الحياة السياسية على إمارات أو دويلات المدن فعلاً - كما روت الأساطير دون أن تتطور إلى نظام الدولة المركزية الكبيرة الواحدة ، وترتب على ذلك أن تعاصرت دويلات وأسر حاكمة كثيرة في المدن في وقت واحد.

وتبدأ قائمة الملوك السومرية بإعطاء بيان عن المدن الخمس التي قامت فيها الملكية لأول مرة في البلاد ، وتشير إلى أسماء الملوك الذين حكموا في كل من هذه المدن وسنوات حكم كل منهم ، ويلاحظ أنها أعطت لهم سنوات حكم خرافية تفاوتت فيما بين ٤٣,٢٠٠ عام و ١٨,٦٠٠ عام وليست لدينا أية أدلة أثرية أو مادة نصية عن الملوك الأسطوريين لهذه المرحلة السابقة على الطوفان والذين ورد ذكرهم في قائمة الملوك السومرية فيما عد ملك شورباك الذي ورد اسمه في بعض الأساطير.

وتفيد قائمة الملوك السومرية أنه بعد الطوفان أنزلت الملكية مرة أخرى من السماء على مدينة كيش ومنها انتقلت إلى غيرها من المدن السومرية بالتوالي ، وبلغ عدد الأسرات الحاكمة لهذه المدن قبل قيام أسرة أكد أربع عشرة أسرة ، كانت أولها أسرة كيش الأولى وآخرها أسرة الوركاء الثالثة.

وبلغ عدد ملوك أسرة كيش الأولى - كما ورد في قائمة الملوك السومرية - ثلاثة وعشرون ملكاً يحمل بعضهم أسماء سامية ، ومن أشهر ملوك هذه الأسرة الملك «إتانا» الذي تصفه القائمة بأنه جعل كل الأراضي ثابتة ، مما قد يشير إلى امتداد نفوذه إلى الأراضي المجاورة لحدود مدينته[1] كما أشارت القائمة إلى صعوده إلى السماء ، وهو الأمر الذي رددته فيما بعد أسطورة أكدية وأشارت إلى أنه حرم من الذرية ، فحاول أن يحصل على نبات الولادة الموجودة في

---

(١) Kramer, S. N., The'Sumerians, chicago and, London, 1970, p. 43.

السماء بعيداً عن متناول البشر، وتقص الأسطورة المصاعب التي قابلها في سبيل ذلك. ودخل آخر ملوك أسرة كيش وهو «أجا» في حروب مع جيلجامش خامس ملوك الوركاء، وكانت من نتيجة هذه الحروب انتقال الملكية إلى أسرة الوركاء الأولى وتجدر الإشارة إلى ما تمتع به جيلجامش من شهرة ترجع إلى كونه كان بطل الأسطورة الأكدية الشهيرة التي تحمل اسمه «ملحمة جيلجامش»، والتي جاء ذكرها في الروايات البابلية والأشورية والحيثية والحورية، وتدور حول الإنسان وما يحمله من عواطف إنسانية وإن الموت هو مصيره المقدر له[١] وينسب إلى جيلجامش بناء أحد أبنية بين أنليل في مدينة نيبور، وبناء السور المحصن لمدينة الوركاء. وتبع جيلجامش سبعة ملوك في أسرة الوركاء ثم انتقلت الملكية إلى مدينة أور بعد أن هزمت الوركاء.

وقد كشف سير ليونارد وولي على مجموعة من المقابر الضخمة في مدينة أور، وتؤرخ تسجيلاتها الكتابية بالفترة المبكرة من مرحلة عصر الأسرات المبكرة، وتضم الجبانة التي كشف عنها ما يزيد على الألفين وخمسمائة قبراً عثر في بعضها على بعض القطع الأثرية الهامة[٢]، ومن الأشياء التي كشف عنها قطعة خشبية مطعمة يطلق عليها «علم أور» وهي تحوي مناظر على كلي وجهيها، وتعبر النقوش الموجودة على أحد الوجهين عن الحرب، والنقوش التي على الوجه الآخر عن السلام ويظهر فيه الملك جالساً مع أفراد عائلته وهم يحتفلون بأحد الأعياد.

ومن القبور الملكية الهامة التي عثر عليها قبر الملكة «شوب ـ أد» والذي عثر فيه على ختم إسطواني من اللازورد يحمل إسم هذه الملكة، كما احتوى أيضاً على قطع أثرية رائعة أهمها مجموعة الحلى التي كانت تغطي جمجمتها.

---

(١) انظر: Kramer, S. N., "The Death of Gilgamesh", In ANET, pp. 50 - 52.

(٢) Woolley, L., Excavations at Ur, London, 1963, Pls. 7 - 11.

ولقد كـان أول ملوك أسرة أور هو الملك «مس أني باردا» الذي تشير نقوشه إلى تشييده لأحد الأبنية في بيت انليل بمدينة نيبور، ولقد خلفه في حكم أور ابنه «أأني - بادا» الذي يشتهر ببناء معبد الآلهة ننحر ساج فـي العبيد، ويعد هذا المعبد من أهم أثاره التي عثر عليها.

ولعل لجش كانت من أكبر منافسي أور وقد دلت نتائج الحفريات فيها على أنها بلغت حداً من التقدم جعلها تقف على قدم المساواة مع زميلتها أور، وتاريخ دولة لجش يبدأ بملكهـا القـوي «أور نينا» الـذي اشتهـر بأعمالـه السلمية، وتذكره الوثائق على أساس قيامه بتشييد المعابد وصنع تماثيل الآلهة وشق القنوات وبنائه سور المدينة. وتفيد نقوشه أيضاً أن سفن دلمون كانت تحضر له شحنات الخشب من الجبال وهي أقدم إشارة في النقوش العـراقية إلى دلمون[1]. ويبدو أنه قد حكم مدينـة أور وأخضعها لنفوذه إذ أقام بهذه المدينة لوحاً حجرياً لا يزال يحتفظ - رغم ما تعرضت له نقوشه من محو - بآثارهذه النقوش التي تحتوى على صورة الملك واسمه.

وفي عهد «أيانا توم» قامـت الحـرب بين لجش وأومـا بسبب تحـديد الحدود ومياه الـري ويبـدو أن المعـركة كانـت بالغـة العنف وأن النصـر تم للجش، ويبدو أن أهل أوما لم يستكينوا داخل أسوارهم بل خرجوا للقاء ملك لجش ليمنعوه من اجتياح مزارعهم ومراعيهم، وبعد الانتصار في السهل تقدم ملك لجش نحو الأسوار واستطاع أن يقتحمها فسقطت المدينة تحت سيطرته فأعمل فيها السيف في إبادة كاملة ثم جمع جثث القتلى من رجاله وترك القتلى من الأعداء في العراء إلا من وجده يشغل الطريق فألقى به خارج الأسـوار فريسة للطيور الجارحة والحيوانات الضارية، ومن هنا سميت هذه اللوحـة بلوحة العقبان، وقد فرضت الجزية على المهزومين وعدلت الحدود لصالح لجش[2].

(١) Kramer, S. N., The Sumerians, pp. 281 - 283, 308 - 309.

(٢) Ibid., p. 313.

ثم دفع هذا الانتصار «أياناتوم» إلى استئناف القتال ضد أور، وأووك وكيش وأوبس، وهكذا توج ملكاً على سومر، إلا أنه مما لا شك فيه أن هذه الحرب قد تسببت في نهاية الأمر إلى ضياع دولته الصغيرة التي كونها، ذلك لأن «أوما» سرعان ما استأنفت القتال طلباً للثأر وكان «أياناتوم» قد مات فخلفه أخوه «أيناناتوم» الذي تقابل مع جيش أوما في (أوجيجا) حيث دارت رحى الحرب التي انتهت بهزيمة أوما وفرض عليهم تعويض من الشعير.

ولم يستلم «أورلوما» ملك أوما، فظل يثير المتاعب حتى تمت هزيمته وذبحه على يد (أنتمينا) ملك لجش، الذي خلف أباه «أيناناتوم» على عرشها، ثم ضم «أنتمينا» أوما إلى بلاده ونظم الأمور فيها، ويعد أنتمينا من أعظم ملوك أسرة لجش الأولى، فبالإضافة إلى جهوده الحربية حقق ازدهاراً داخلياً كبيراً، ثم مات «أنتمينا» وخلفه على العرش ابنه «أيناناتوم الثاني» آخر سلالة «أورنينا»، ولسنا نعرف الكثير عنه ولا عن خلفائه من بعده حتى عهد «أور كاجينا» المصلح وهو يشتهر بما أصدره من تشريع لإصلاح الشؤون الداخلية للبلاد، وتعد مجموعة قانينه أقدم ما سجله التاريخ من تشريعات[١]. ولقد قدر للمدينة في عهده أن تقاسي الكثير من المتاعب حيث استطاع «لوجال زاجيزي» أن يستولى على لجش وأن يدمرها ذلك لأنه فيما يبدو أن «أوما» لم تركن إلى الاستسلام بعد هزائمها السابقة، فأعادت الثورة تحت قيادة لوجال زاجيري واستطاعوا هذه المرة أن يجتاحوا بلاد لجش ودمروا المدينة نهائياً وبذا ورثت أوما مركز لجش بين المدن السومرية.

وهنا تجرأ «لوجال زاجيري» بنصره فبدأ في تنفيذ مشروع لم يجرأ أسلافه على المضي في تنفيذه وهو مشروع توحيد المدن السومرية تحت زعامته ونقل مركز نشاطه إلى أوروك واعتبر نفسه ملكاً على سومر، ولكن يبدو أن الرجل لم يكن قنوعاً فوصل في إغاراته حتى الخليج العربي في الجنوب وحتى سورية في الشمال حيث دون على إناء للآله إنليل في نيبور أن غزواته شملت كل

(١) Ibid., pp. 317 - 322.

بلاد النهرين وسورية أو «من البحر الأدنى» (الخليج العربي) حتى البحر الأعلى (البحر المتوسط) وهنا لنا أن نتساءل: هل اشتملت دولة لوجال زاجيري ملك أو ما حقا شمال العراق وسورية حتى شاطىء البحر المتوسط، الواقع أن ذلك مستبعد جداً فليس هناك من دليل عليه أو إشارة واضحة تؤكده بل أن علاقته بـ «أكد» ليس من دليل عليها كذلك، وأغلب الأمر أن حدوده لم تزد عن بلاد سومر نفسها وأن النص لا يحتمل هذا التخريج وبخاصة إننا سنلتقي بـ «كيش» بعد قليل تبسط سيادتها على بابل الشمالية وربما تمكن لوجال من الحصول على اعتراف الساميين في ماري بخوضعهم له أو الاتحاد معه، وكان هؤلاء بدورهم لهم نفوذ على الساميين في سوريا وعلى أية حال فإن إمبراطورية لوجال زاجيري لم تستمر أكثر من ٢٥ سنة حيث قضى عليه وعلى إمبراطوريته الأمير السامي «سرجون» ملك أكاد.

وبسقوط لوجال زاجيري، وأسرة الوركاء الثالثة ينتهي عصر الأسرات المبكرة لحكومات المدن في تاريخ العراق القديم، وتبدأ بعدها مرحلة جديدة مميزة يتغير فيها طابع البلاد من تاريخ حكومات المدن إلى تاريخ الدولة. وهي الدولة الأكدية.

الفَصْلُ الثَّالِث

العَصر الأكدي

يمثل قيام الأسرة الأكدية في العراق القديم سيادة العنصر السامي بدءاً من هذه المرحلة، وحققت هذه الأسرة منذ قيامها وحدة سياسية للبلاد انهت بها عصر حكومات المدن الذي ساد خلال العصر السابق، على أيام السومريين، ونجحت في مد نفوذها على مناطق بعيدة خارج نطاق السهل العراقي.

فقد كان للساميين عدة مدن في العراق القديم بجانب المدن السومرية، وقد تعايشوا جنباً إلى جنب مع السومريين بعد وفود السومريين إلى جنوب العراق منذ مرحلة ما قبيلة الكتابة على الأقل وأثناء عصر الأسرات المبكرة، وذلك وفقاً لما يشهد به ورود الأسماء السامية في اللغة السومرية.

وقد احتوت أقدم الوثائق السومرية من الألف الثالث ق. م على كلمات لم تكن سومرية، ويرجح أن أصحابها هم أسلاف الساميين الذين سبقوا السومريين في الاستيطان بالقسم الجنوبي من السهل العراقي وفرضوا كلماتهم على اللغة السومرية، ومن أمثلة هذه الكلمات غير السومرية بعض أسماء الحرفيين مثل الفلاح والراعي والنساج وصانع السلال والنجار، ولعل من أقدم هذه الكلمات كانت كلمة تاجر والتي كان يطلق عليها «مكر».

وتكثر الأسماء السامية في اللغة السومرية منذ بداية العصر التاريخي، ومن أهمها ما يدخل في تركيبه الكلمة السامية «إيل» التي تعني إله، كما حمل أقدم ملك لأول حكومات المدن التي نزلت عليها الملكية وهي أريدو إسما ساميا هو «الوليم». وكان نزول الملكية للمرة الثانية بعد الطوفان في مدينة كيش التي يبدو أنها كانت مركزاً للعناصر السامية إذ حمل مما يقرب من إثني

عشر ملكاً من ملوكها الثلاثة والعشرين أسماء سامية.

ولا يتبين من أحداث عصر الأسرات المبكرة في جنوب العراق القديم ما يشير إلى قيام منازعات أو عداء بين السومريين والساميين قبل قيام أسرة أكد السامية مما يعبر عن تعايشهم وقتئذ في سلام، وستبدوا مظاهر العداء واضحة بين السومريين والساميين منذ عصر أسرة أكد نتيجة لفقد السومريين سلطانهم وتفوقهم السياسي.

ويرجح أن القسم الشمالي من جنوب العراق كان منطقة تجمع العناصر السامية، وتوجد في هذه المنطقة مدن بابل وسيباروا كشاك وكيش وأكد التي أسسها سرجون، ولذلك أطلق على هذا القسم تسمية أرض أكد، بينما حمل القسم الجنوبي الذي يمتد من مدينة نيبور شمالاً إلى مدينة أريدو جنوباً تسمية أرض سومر، ويصعب في الواقع تحديد فواصل محددة لمناطق الاستقرار السامي والسومري في عصر الأسرات المبكرة، وخاصة أن الأسماء السامية ترد في أسرات الوركاء وأور السومرية، كما ترد الأسماء السومرية في أسرات كيش وسبار، فضلاً عن أن المدينة الأخيرة وهي سبار ترد في أسطورة الطوفان السومرية كإحدى المدن السومرية الخمس التي أنزلت عليها الملكية من السماء[1].

ولقد قام بتأسيس «أكد Agade» (الاسم السامي لها) أو «أجادة» الإسم السومري له أو على الأقل من قام بتجديدها هو الملك سرجون السامي، وأصبحت عاصمة أطلق عليها اسم البلاد جميعاً، وأصبح هو «ملك البلاد» عندما تمت له هزيمة لوجال زاجيري، وبذا كون من العراق مملكة موحدة عام ٢٣٥٠ ق. م أو ٢٣٣١ ق. م، بينما هناك من يرجع ذلك إلى عام ٢٣٧١

---

(١) انظر: محمد عبد اللطيف محمد علي: المرجع السابق، ص ١٨٢ - ١٨٤، وكذلك عبد الكريم عبدالله: «ملامح الوجود السامي في جنوب العراق قبل تأسيس الدولة الأكدية» مجلة سومر، العدد ٣٠، ١٩٧٤، ص ٦٥، ٦٧، ٦٨.
وكذا: Kramer, S. N., op. cit., pp. 41, 288.

ق. م[1]. ويلاحظ أنه لم يتم التعرف على موقع مدينة أكد حتى الآن.

وقد استطاع الساميون الذين أسسوا أسرة بابل الأولى أن يضموا المنطقتين سومر وأكد معاً بصفة نهائية منذ أواسط الألف الثاني ق. م، وظلتا بعد سقوط الدولة البابلية الجديدة كما يتضح من نقوش الملك كيروش الفارسي، ولقد انهار الجنس السومري إثر الغزو وتراخي كفاحه ضد عيلام، وأحرقت مدنه لجش وأوما وأداب وغيرها واختفت اللغة السومرية، وإن ظلت لها بقايا في الطقوس الدينية وأصبحت أكد تعنى القطرين معاً، وبهذا تجاوبت الوحدة السياسية مع الوحدة الجغرافية، ولم يعد اسم «سومر» للوجود مرة أخرى، بل إنها حين حاولت أن تعود إلى الأضواء السياسية مرة أخرى عرفت باسم «إقليم البحر»، أما اسمها الأول «سومر» فقد ضاع في غمار السلطان الجديد لأكد[2].

ويختلف المؤرخون بشأن المملكة الأكدية، فمنهم من يرى بأن وجود العنصر السامي في جنوب ووسط العراق يرجع إلى هجرة سامية حدثت في أوائل القرن الثامن والعشرين ق. م، وكانت مدينة كيش أهم مسرح لها، وما إن استقر الأمر لهؤلاء الساميين حتى عملوا على توسيع رقعة سلطانهم ونجحوا في ذلك حتى استطاعوا أن يغيروا مجرى التاريخ في العراق القديم. ومن المؤرخين من يرى أن الساميين كانوا بالعراق منذ أقدم العصور، وقد عاشوا جنباً إلى جنب مع السومريين بدليل وجود أسماء سامية لملوك سلالة كيش الأولى ـ كما سبقت الإشارة ـ ولكنهم كانوا من غير شك يكونون غالبية السكان في شمال العراق.

وليس هناك ما يعرف يقيناً عن تفاصيل الظروف التي هيأت لهذا الفرع من الساميين الاستقرار في بلاد العراق القديم والتأثير في مجريات أمورها، ولكن يحتمل أنهم قد بدأوا دخولهم إليها عن طريق التسلل البطيء، حيث وجدت

---

(1) نجيب ميخائيل إبراهيم: المرجع السابق، ص ١٣١ - ١٣٢.
(2) محمد أبو المحاسن عصفور: المرجع السابق، ص ٣٥٥.

أسماء وكلمات سامية متفرقة في نصوص سومر منذ أواسط الألف الثالث ق. م. وأن تطاحن المدن السومرية في جنوب العراق من أجل الزعامة الداخلية قد صرف أنظارهم عما كان يدور في أطراف أرضهم شمالاً، وذلك على الرغم مما زعمته نصوص الملك السومري لوجال زاجيري من أنه قد استطاع أن يمد فتوحاته من البحر الأدنى إلى البحر الأعلى[1].

وفي ظل هذه الظروف تمكن الساميون من السيطرة على بضع مدن سومرية النشأة كان من أهمها مدينة كيش فاستفادوا من حضارتها، هي وأمثالها من المدن الأخرى، وتأقلموا عليها شيئاً فشيئاً، ولقد نجح العنصر السامي إلى أبعد الحدود، وتركز في المنطقة الوسطى من العراق. وقد عرفت هذه المنطقة باسم «اكد» ولذا يطلق على الدولة التي أسسها سرجون باسم «الدولة الأكدية».

سرجون الأول:

تشير قائمة الملوك السومرية إلى سرجون (وهو تحريف للإسم الذي اعتلى به العرش وهو شروكين Sharru - Ken الذي يفيد معنى الملك الصادق أو الملك الشرعي) كمشيد لمدينة أكد التي انتقلت إليها الملكية بعد قهر مدينة الوركاء (أسرة الوركاء الثالثة) وهي تقع بالقرب من كيش، وربما اختار هذا المكان باعتباره من المراكز الرئيسية لعبادة عشتار التي اعتبرها راعيته منذ صغره، وكان معبدها فيها يسمى «يولماش».

وتهتم القائمة بإيراد بعض البيانات عن نشأة سرجون المتواضعة قبل أن تؤول إليه الملكية، فتشير أنه نشأ بستانيا ثم أصبح ساقياً للملك أورزابابا (ثاني ملوك أسرة كيش الرابعة) وأنه ثار ضد مولاه واستطاع أن يخلعه ويعتلي العرش من بعده وتقدم أسطورة متأخرة بيانات أخرى عن نشأته المتواضعة[2] فتشير إلى أن أمه كانت كبيرة كاهنات في «أزوبيرانو» على الفرات، وقد

(١) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص ٤١٥ - ٤١٦.

(٢) Speiser, E. A., "The legend of Sargon", In ANET, P. 119.

حملت به من أب مجهول وولدته سرا، وعند مولده أودع سلة من القصب دهنت بالغار وألقى به في نهر الفرات حيث انتشلها فلاح يدعى «أكي» فاتخذه ابناً له ورباه وجعله بستانياً، ولما بلغ أشدة أحبته عشتار فجعلته ملكاً (شكل ٢٨).

وإيا ما كان نصيب هذه الأساطير من الصحة أو عدمها، فإنه بعد توليه العرش في كيش بعد القضاء على سيده بدأ في تكوين امبراطوريته، ومهد لذلك بتوحيد العراق لأول مرة توحيداً ظل فترة طويلة نسبياً، فاتخذ لقب «ملك (أرض) سومر وأكد» ثم مهد لأطماعه الخارجية بأن ادعى لنفسه لقب «ملك الجهات (أو المناطق أو الأوطان) الأربعة» وهو لقب اعتاد أسلافه أن يصفوا به آلهتهم الكبار، فانتحله لنفسه، وهدف من ورائه أن يقنع به نفسه ويقنع شعبه بأنه نائب الأرباب على جهات الأرض كلها[1]!

ويفيد أحد نصوص الملك سرجون أن المدن السومرية التي تمكن من السيطرة عليها وهي كما ورد في النص مدينة الوركاء التي دمرها وحطم سورها واقتاد ملكها لوجال زاجيري أسيراً وهو مربوط في طوق حول عنقه إلى بوابة معبد إنليل السومري ربما لإظهار تبجيله لهذا الإله، واسترضاء السومريين الذين أجبروا على الخضوع له، أو ربما كان يهدف من وراء ذلك أن يخلع عن لوجال زاجيري ألقابه الدينية والدنيوية أمام المعبود إنليل ويتخذها لنفسه. ثم تمكن بعد ذلك - حسبما ورد في النص - من إخضاع بقية المدن السومرية وهي أور وأوما وبلغ بجيوشه الخليج العربي.

وبعد أن تمكن سرجون من توحيد أرض سومر وأكد اتجه إلى توسيع رقعة بلاده وتكوين امبراطوريته وكان المجال الرئيسي الذي اتجه إليه ناحية الشمال العربي، وحسبما ورد في نص كتب في أعقاب نهاية أسرة أكد[2] وذكر خط سير حملة سرجون، وقد جاء فيه أنه قد بدأ حملته من مدينة

---

(١) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص ٤١٧.

(٢) Oppenheim, A. L., "Sargon of Agade" in A NET, PP. 267 - 268.

توتول إلى تقع إلى الغرب من بغداد بحوالي ١٥٠ كيلو متر، ومنها اتجه إلى مدينته ماري التي تقع إلى الشمال الغربي من توتول بحوالي مائتي كيلو متر، وهي تعتبر أولى المواقع الهامة التي سيطر عليها سرجون. وبعد ذلك يشير النص إلى استيلاء قوات سرجون على مدينتي يارموتي وإبلا، ويصعب تحديد موقع هاتين المدينتين. وفيما يتصل بمدينة «يارموتي»فترجح بعض الأمراء أنها في غرب البحر الميت بفلسطين، أو أنها تقع إلى جنوب مدينة جبيل وذلك طبقاً لما ورد من ذكر لها في خطابات العمارنة[1]، إلا أنه يرجح أن تكون يارموتي تقع فيما بين ماري وإبلا أي إلى الشمال والشمال الغربي من ماري. أما مدينة إبلا فيرجح أن تكون في وادي نهر بلخ بالقرب من أورشو إلى الشمال الشرقي من قرقميش.

ويذكر النص بعد ذلك، أنه بعد الاستيلاء على مدينة إبلا توجهت جيوش سرجون إلى غابة الأرز التي تقع إلى الغرب منها، والتي يرجح أن تكون جبال الأمانوس التي تقع في أقصى شمال سوريا، وتنتهي الحملة عند «أبل الفضة» وهي جبال طوروس إلى الشمال من جبال الأمانوس[2].

هذا ويتجه «بوتيرو»Bottero [3] إلى الاعتقاد بأن «يارموتي» تمثل الحد الجنوبي للتوسع الأكدي جهة الشمال الغربي، ، وإن إبلا تمثل الحد الشمالي لهذا التوسع، ويرى أن تعبير غابة الأرز الوارد في النص لا يشير إلى جبال الأمانوس، بل كان المقصود به غابة أخشاب الأرز عامة والتي تتوفر بالدرجة الأولى في لبنان.

ويستدل مما جاء في قصة متأخرة تعرف باسم «ملك المعركة»وعرفت معظم أحداثها من لوح عثر عليه مع خطابات العمارنة في مصر، أن نفوذ سرجون قد امتد في الشمال الغربي إلى ما وراء جبال طوروس في

(١) Smith, S., Early History of Assyria to 1000 B. C., London, 1928, PP. 375 (note 6), - 376.

(٢) محمد عبد اللطيف محمد على: المرجع السابق، ص ٢٦١.

(٣) Bottero, J., "Syria Before 2200 B. C.", In C. A H., Vol. I Part II, PP. 324 - 325.

الأناضول ، حيث مد نفوذه على مدينة بورو شخاندا Purushkanda التي تقع بالقرب من تبة كول . ويرى Gadd أنه إذا كان لهذه القصة أصل تاريخي ، فإن نفوذ سرجون في هذه الحالة يكون قد امتد إلى آسيا الصغرى[1] .

وفيما يتصل بالجهود الحربية لسرجون في الشمال الشرقي ، فيستدل من النصوص أنه قد تمكن من الاستيلاء على «سوبارتو» وهي تقع في شمال العراق وتمتد من نهر بلخ غرباً حتى جبال زاجروس شرقاً ، كما كانت منطقة آشور خاضعة لنفوذه ، وامتد نفوذه إلى منطقة عيلام ، التي نهب ثروات مدنها العظيمة سوسة وأوان .

أما في الجنوب ، فقد امتد نفوذه إلى رأس الخليج العربي ، وأصبح له بعض الإشراف على المناطق التجارية المتصلة بالخليج العربي والقريبة منه ، مثل جزيرة دلمون (جزيرة البحرين) وماجان التي يحتمل أنها كانت تشغل عمان الحالية ، وملوخا ، التي يحتمل وقوعها بين المنطقتين السابقتين[2] .

ونتج عن انتصارات سرجون وفتوحاته تدفق ثروات البلاد المفتوحة على أكد ، ويعبر نص يطلق عليه تسمية «لعنة أكد» ، عن مدى ما نعم به مواطنوها من رخاء في عهد سرجون ، ولقد جاء فيه :

«في هذه الأيام (عهد سرجون) امتلأ مقر أكد بالذهب ،
واكتظت منازلها المتألقة الضياء بالفضة .
واحضر إلى مخازنها النحاس والرصاص وألواح اللازورد ،
وانتفخت جوانب صوامع غلالها (من كثرة ما بها من حبوب) ،
ووهبت نساؤها المسنات الرأي (السديد) ،
ووهب رجالها المسنون فصاحة (القول) ،
ووهب شبابها (قوة الأسلحة) ،

(1) Gadd, C. J ,"The Dynasty of Agade and the Gutian Invasion", In C. A. H., vol., I, part II, PP. 426 - 427.

(٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤١٨ .

ووهب أطفالها الصغار قلوباً مرحة ،
. . . وامتلأ داخل المدينة . . . وخارجها . . . بالموسيقى ،
. . . (ولم) يشهد أهلها (سوى) السعادة»[1] .

ولعل مما يشيـر كذلك إلى عظمة سرجون ما جاء في أحد النصوص ويشيـر إلى أنه قد أحاط نفسه بحرس خاص بلغ قوامه ٥٤٠٠ جندي كانوا يأكلون يومياً في حضرته ، وأن أهل بلاطه سكنوا حول قصره في مساحة لا تقل عن خمسة أميال .

ومع ذلك ، فعند نهاية حكم سرجون ، تعرضت دولته للعديد من المشاكل الداخلية والخارجيـة ، والتي ورد بعض أخبارها في بعض النصوص مثل ما يعرف باسم «ألواح الفأل» و «أخبار سرجون»[2] ، ويفهم من هذه النصوص أنه نشبت ضده عدة ثورات بتأييد من سكان سهل سوبارتو ، وأن عاصمته قد حوصرت ، ولكنه تمكن من هزيمتهم وسحق جيوشهم وانتقم من مدنهم . ولقد أرجع النص المعروف باسم «أخبار سرجون» أسباب هذه المتاعب التي تعرض لها سرجون في أواخر أيامه إلى غضب الإله مردوك عليه لتنكيله بمدينة بابل وهدمه معابد الآلهة وإزالة أساساتها وإعادة بنائها من جديد حسب هواه ، فبسبب هذا الانتهاك غضب عليه الإله مردوك فأهلك شعبه ، وحول عنه الشعوب من الشرق إلى الغرب ، وابتلاه بألا يستريح في قبره .

وتجدر الإشارة أنه ـ فيما يذكر الأستاذ الدكتور عبد العزيز صالح ـ أن هذا التفسير الديني ليس إلا صورة من تخيلات الشعوب القديمة عن أسباب زوال الدول ، وبخاصة أن عبـادة مردوك لم يكـن لها شأن في أيـامه ، وأن نصوصه صورته حريصاً على التقرب من أربابه واعتبرته رئيس كهنة عشتار ، والكاهن المنتخب للإله آنو ملك الأرض ، والإنس العظيم لإنليل ،وذكرت أنه

---

(١) انظر: محمد عبد اللطيف محمد علي: المرجع السابق ، ص ٢٧١ . وكذا:
Kramer, S. N., "The curse of Agade", In ANET, PP. 646 - 647

(٢) Gadd, C. J., op. cit., P. 433.

ركع ذات مرة في صلاته أمام المعبود داجان[1].

ومات سرجون بعد أن حكم حوالي ٥٦ عاماً، وذلك حسبما ورد في قائمة الملوك السومرية، ولقد حظى بتقدير الأجيال التاليه له، فنسجت عن نشأته وأعماله وفتوحاته الأساطير، كما حمل بعض ملوك أشور اسمه تيمناً به وتقديراً له.

ريموش Rimush :

خلف سرجون الأول ابنه ريموش، الذي بلغت مدة حكمه طبقاً لقائمة الملوك السومرية تسعة أعوام (٢٣١٥ ـ ٢٣٠٧ ق. م). وكان عليه منذ توليه العرش مواجهة الثورات التي نشبت ضد أكد سواء في داخل العراق أو خارجها. وعلى ذلك، فلقد وجه جهوده كلها في سنوات حكمه الأولى لقمع هذه الثورات.

وبدأ ريموش بقمع الثورات الداخلية التي نشأت من جراء تمرد المدن السومرية بعد موت سرجون محاولة التخلص من السيادة من السامية الأكدية، وتزعم التمرد السومري مدينة أور، وتمكن ريموش من قمع هذا التمرد وأسر ملك مدينة أور «كاكو». وتظهر النصوص المتخلفة من عهد «ريموش» أنه قد بالغ في إنزال العقاب بالمدن الثائرة، ففضلاً عن الأعداد الضخمة من القتلى والأسرى الذين أوردتهم قوائمه، فقد أنزل عقابه على المدن فحطم أسوارها.

وبعد أن تمكن ريموش من إخضاع المدن السومرية، وجه جهوده الحربية نحو المناطق الشرقية لإعادة إخضاعها لسيادته، بعد أن حاولت التخلص من النفوذ الأكدي بعد وفاة والده. وفي العام الثالث من حكمه اتجه نحو الشرق حيث بدأ بمدينة كازالو التي أسر حاكمها وعدداً كبيراً من سكانها بجانب الأعداد الأخرى التي قتلها، وبعد ذلك توجه إلى عيلام، حيث

(١) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص ٤١٩.

دارت الحرب بينه وبين العيلاميين في مكان بين أوان وسوسة، حيث تمكن «ريموش» من تحقيق انتصار حاسم عليهم، سجلته نصوص «ريموش» وعثر عليه على العديد من الوثائق في نيبور، وطبقاً لما ورد في هذه النصوص فقد ألحق «ريموش» بالعيلاميين خسائر فادحة تمثلت في قتل ما لا يقل عن ستة عشر ألف قتيلاً، وأسر ما لا يقل عن أربعة آلاف أسير، واحضر «ريموش» من بلادهم غنائم تمثلت في جلبه كميات كبيرة من الذهب والنحاس والأواني المرمرية.

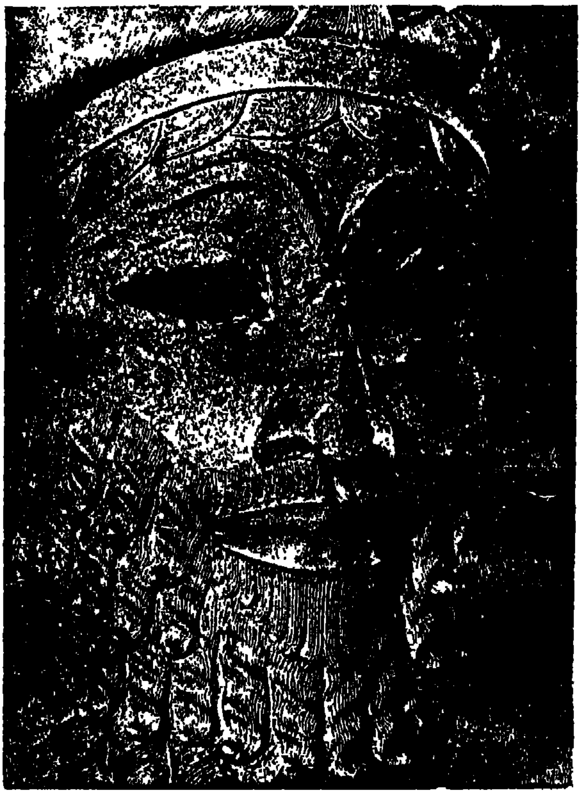
وفيما يتصل بالقسم الشمالي من العراق، فقد تمكن «ريموش» من إعادته إلى حظيرة الدولة الأكدية، فلقد عثر له في هذا القسم على بعض الآثار الخاصة به ومنها رأس صولج عثر عليه في مدينة أشور، وقد نقش عليه عبارة «ريموش، ملك العالم»، كما عثر له على قطعة آنية في موقع تل البراك نقش عليها عبارة «ريموش، ملك الجميع الذي ذبح عيلام، وباراخش»(١).

وقد خلد «ريموش» ذكرى انتصاراته بإقامة النصب التذكارية في أنحاء امبراطوريته، وكذلك تسجيل ذكرى هذه الانتصارات على الأواني المرمرية التي غنمها من عيلام. وبعد حملة العام الثالث التي وجهها ضد عيلام لا تشير نصوصه إلى قيامه بحملات أخرى، إذ يرجح أن تكون هذه الجهود الحربية التي بذلها في أعوام حكمه الأولى قد أدت إلى استقرار الأحوال في دولته، ولقد انتهت حياة «ريموش» بطريقة مؤسفة، إذا مات نتيجة مؤامرة حيكت ضده من رجال قصره، وربما كان لأخيه «مانيشتوسو» دخل فيها.

مانيشتوسو Manishtusu :

خلف مانيشتوسو» أخاه «ريموش» على عرش أكد، ودام حكمه طبقاً لقائمة الملوك السومرية خمسة عشر عاماً (٢٣٠٦ - ٢٢٩٢ ق. م)، وقد نعم في بداية عهده بهدوء نسبي في أجزاء دولته، إلا أنه ما لبث أن ووجه بحركات التمرد

(١) Gadd, C. J., op. cit., pp. 434 - 437.



(شكل ٢٨) رأس الملك سرجون الأول

في شرق دولته وغربها أو على حد تعبيره هو نفسه «لقد سارت كل البلاد التي تركها أبي سرجون في عداء ضدي». وحتى يواجه هذا التمرد فقد قسم جيشه إلى قسمين، اتجه أحدهما إلى عيلام، حيث تمكن من قمع التمرد الذي قامت به مدينتان من مدن عيلام.

أما القسم الثاني من جيشه فقد اتجه حسبما تشير نصوص هذا الملك «إلى الجانب الآخر من البحر» حيث خاض حرباً ضد اثنين وثلاثين من ملوك المدن، وتشير النصوص إلى أنه قد انتصر عليهم وأخضع مدنهم وذبح قوادهم داخل بلادهم «حتى مناجم الفضة»، حيث أرسل الأحجار من هذه المنطقة

لعمل تمثال له أقيم في معبد إنليل بنيبور، كما أرسل الأخشاب لبناء معبد في سبار.

ويصعب تحديد مجال النشاط الحربي للملك مانيشتوسو ناحية الغرب، إلا أنه يمكن افتراض أنه شمل الجزء الشمالي من سوريا التي أحضر منها الأخشاب، وإن مجاله الحربي امتد حتى جبال طوروس حيث مناجم الفضة كما تشير إلى ذلك نصوصه(1).

وكان الجزء الشمالي من العراق خاضعاً لنفوذ مانيشتوسو، ولم تحدث به اضطرابات، وتشير النصوص إلى أنه قد بنى معبداً للإلهة عشتار في نينوى. ولقد دار الزمن دورته عليه هو الآخر، إذ مات ـ كما يشير أحد نصوص ألواح الفأل ـ مقتولا نتيجة مؤامرة بالقصر الملكي كما حدث لأخيه ريموش.

نارام ـ سن Naram - Sin :

خلف نارام ـ سن والده مانيشتوسو على عرش أكد، ودام حكمه طبقاً لقائمة الملوك السومرية ستة وخمسين عاماً (٢٢٩١ ـ ٢٢٣٥ ق. م) وإن كان هناك من يقدر هذه المدة بسبعة وثلاثين عاماً فقط ويجعل حكمه ينتهي في عام ٢٢٥٥ ق. م، بينما يجعل البعض الآخر مدة الحكم ستة وستين عاماً، ويجعلون حكمه ينتهي في عام ٢٢٢٥ ق. م.

ورغم ما عمر به عهد نارام ـ سن من أعمال إلا أن أثاره المتخلفة من عهده جد قليلة لا تكفي لمعرفة أحداث عهده، وعلى ذلك فإن الباحث يعتمد على الروايات المتأخرة، ويلاحظ أن هذه الروايات تضفي في ذكرها لأحداث عهد نارام ـ سن طابعاً بطولياً، وذلك مثلما أضفت من قبل على أحداث عهد سرجون الأول.

ويتميز عهد نارام ـ سن بظاهرة فريدة من نوعها في تاريخ العراق

---

(1) Ibid, PP. 437 - 440.

وكذلك محمد عبد اللطيف محمد علي: المرجع السابق، ص ٢٧٧.

القديم ، وهي حملة الصفة الإلهية في ألقابه ، حيث ذكر فى نصوصه أنه «نارام ـ سن المقدس إله أكد» ، ووضع المخصص الدال على الإله أمام اسمه ، كما لقب في نقوش بعض الأختام التي أهداها إليه رعاياه بـ «إله أكـد» . وتلك الحقيقة من الأهمية بمكان لأن نظام الملكية في العراق القديم كان يقوم على أساس الملكية الإنسانية وليست الملكية الإلهية ، بل إن التعبير السومري «لوجال» يعني الرجل العظيم وليس الإله العظيم . وتعتبر هذه الظاهرة من أهم الخصائص التي تميز بها نظام الحكم في العراق القديم بالمقارنة بنظام الحكم في مصر في العصر الفرعوني حيث كانت الملكية الإلهية من أهم أسس التاريخ والحضارة المصرية القديمة .

وفيما يتصل بسياسة نارام ـ سن الخارجية ، فقد كان أمامه في مطلع عهده خوض عدة معارك مع المناطق التابعة لأكد. فكعادة هذه المناطق في ثورتها في بداية عهد كل ملك جديد في أكد، فقد ثارت المدن التابعة له في الغرب والشمال والشرق . وفيما يتصل بالمناطق الغربية فحسبما ورد في إحدى الروايات المتأخرة ، فقد تزعمت مدينة كيش حلفاً تكون من عشرين حاكماً أو سبعة عشر حاكماً ، وامتدت بلاد هؤلاء الحكام من الأناضول في أقصى الشمال الغربي إلى ماجان (ساحل عمان) على الشاطىء الغربي للخليج العربي . وتشير النصوص إلى قمعه لهذا التمرد بالإضافة إلى مده حدود دولة أكد إلى مناطق جديدة لم تصلها فتوحات ملوك أكد السابقين ، إذ تشير هذه النصوص إلى مده لنفوذ أكد حتى ساحل البحر المتوسط، حيث سيطر على ميناء على الساحل اللبناني بالقرب من صور ، وكذلك على ميناء في الشمال السوري ويذكر النص أنها مدينه ابيشال التي يرجح أن تكون في مجاورة أرمانوم .

وفيما يتصل بشمال العراق ، فيستدل من الأدلة الأثرية المتبقية من عهده خضوع هذه المنطقة لسيادته فقد عثر على اسمه موسوماً على العديد من الأدلة الأثرية والمباني المعمارية في العديد من المواقع الهامة في شمال العراق مثل موقع تل البراك ومعبد عشتار في مدينة نينوى .

ولم تكن المنطقة الجبلية الواقعة إلى الشمال الشرقي من أكد بأسعد حالاً، إذ اضطربت القبائل الجبلية القاطنة في هذه المنطقة وبخاصة قبائل الوللوبي والجوتيون. ولقد تمكن نارام ـ سن من تحقيق نصر حاسم على قبائل الوللوبي، وسجل ذكرى هذا الانتصار على أثرين من عهده، الأول نقش سجله في مكان المعركة، والآخر سجله على لوح يعرف باسم «لوح النصر» (شكل ٢٩) وعثر عليه في مدينة سوسة العيلامية، وهو موجود حالياً بمتحف اللوفر في باريس. ويرجح أن يكون نارام ـ سن قد أرسل حملة أخرى إلى مناطق الوللوبي في أواخر عهده ولكنها منيت بالفشل، وذلك حسبما ورد في نقشه في «زهاب» بمنطقة جبال زاجروس إلى الشرق من نهر ديالي، إذ سجل ملك الوللوبي «أنو بانيني» انتصاره على القوات الأكدية. (شكل ٣٠).

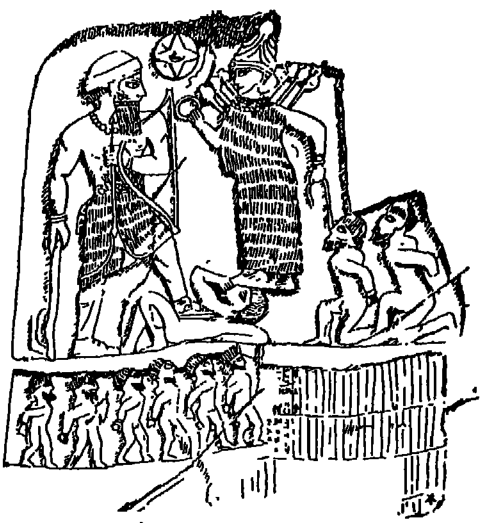
ويستدل من الأدلة الأثرية وكذلك الروايات اللاحقة لعهد نارام ـ سن أن العديد من مناطق دولته قد تعرض للتخريب من جراء هجوم قبائل الجوتيين، ومن هذه المناطق أرض بابل ودلمون وماجان وملوخا وتل البراك ونينوى وأشور. ويذكر النص المعروف باسم «لعنة أكد» والذي يؤرخ ببداية الألف الثاني ق. م أن ذلك يرجع إلى غضب الآلهة على نارام ـ سن فخربت مدنه. ولقد تمكن نارام ـ سن من صد غارات القبائل الجوتية، إذ استمرت دولته ولم يصبها الانهيار إلا بعد نهاية حكم خلفه.

ولقد كانت العلاقات الودية السلمية، هي الطابع المميز لعلاقات نارام ـ سن مع العيلاميين إذ يفيد نقش على لوح عثر عليه وجود معاهدة ما بين الملك الأكدي نارام ـ سن والملك العيلامي، ومما جاء في هذه المعاهدة يستدل على أن نارام ـ سن أراد أن يستعين بعيلام في حروبه، وأن تكون حليفاً قوياً له، إذ أكد الملك العيلامي في هذه المعاهدة على أن «عدو نارام ـ سن هو عدوي، وصديق نارام ـ سن صديقي»، وتدعيماً لهذه المعاهدة فقد تزوج نارام ـ سن من ابنة ملك عيلام، ولقد أقام نارام ـ سن في مدينة سوسة العديد من الأبنية التي نقش عليها اسمه.

وأشارت أحد نصوص الملك نارام سن إلى أنه قد سار بقواته ضد بلاد



(شكل ٢٩) لوح النصر للملك نارام سن



(شكل ٣٠) نحت للملك آنو بانيني ملك اللولو سجل فيه انتصاراته

ماجان وأمسك بنفسه «ماندانو» ملك ماجان ، وأكد هذا الانتصار حقيقة العثور على بعض الأواني المرمرية التي نقش عليها اسم ملك ماجان «ماندانو» ملحوقاً بعبارة «جزية ماجان» .

ولقد أثار ذكر مدينة «ماجان» شك بعض المؤرخين في أن تكون «ماجان» هذه هي مصر، حيث أن النصوص البابلية كانت تشير إلى مصر باسم «مالوخا» الغنية بالذهب ، كما يشكون في أن «نارام ـ سن» قد هاجم مصر في أوائل عهد الأسرة السادسة ، ويستدلون على ذلك بأن الملك ببي الأول كلف وزيره «وني» بالدفاع عن مصر ضد غزوات قوية وجهت إليها في شمالها الشرقي ، ولكن «وني» استطاع أن يهزم العدو عند الحدود الشمالية الشرقية لمصر، وربما هذا هو الذي دفع بعض العلماء إلى القول بأن النفوذ المصري والأكدي كادا أن يصطدما في موانىء الشام ، لولا أن مصر قصرت نفوذها حينذاك على مجالات الثقافة والحضارة دون السيطرة والغلبة . ولكن توحيد «ماجان» بـ «ملوخا» وهذه الأخيرة بـ «مصر» بعيد عن الصواب ، لأن ماجان ـ كما سبقت الإشارة ـ كانت تطلق على منطقة عمان وهي منطقة غنية بالنحاس والحجر.

ولقد كان نارام ـ سن آخر ملك قوي من الأسرة الأكدية ، وقد عبر عن سعة ملكه ونفوذه في أحد الألقاب التي اتخذها وهو لقب «ملك الجهات الأربع»(١) .

شاركالي شاري Sharkalisharri :

خلف نارام ـ سن على عرش أكد ابنه شاركالي شاري ، وطبقاً لما ورد

---

(١) فيما يتصل بالملك نارام ـ سن . انظر:

Gadd, C. J., Op. Cit., PP. 441 ,445., Bottero, J., (and Others)., The Near East, The Early Civilizations, London, 1967. P. 108., Bottero, J., "Syria at The Time of the Kings of Agade", In C. A. H., Vol. I, Part II, PP. 325 - 326., Kramer, S. N., "The Curse of Agade", In ANET., P. 468., Oppenheim, A. L., "Naram - Sim in the Cedar Mountain", In ANET., P. 268.

في قائمة الملوك السومرية فقد حكم لمدة خمسة وعشرين عاماً. ومنذ توليه العرش وجه اهتمامه إلى مدينة نيبور مدينة الإله انبيل فشيد بها المعابد الخاصة بهذا الإله.

ومنذ بداية عهده ازداد خطر القبائل الجبلية في الشمال الشرقي كما تحررت عيلام من سيادة أكد وانهت تبعيتها لها وارتباطها بها بموجب المعاهدة التي عقدت في عهد والده نارام ـ سن، وعلى ذلك فقد هاجمت الجيوش العيلامية أرض بابل نفسها، ولقد تمكن الملك الأكدي شاركالي شاري من صدها.

وبعد هذا الهجوم العيلامي كان على شاركالي شاري أن يواجه تمرد آخر في الشمال الغربي قام به الأموريون الموجدون في منطقة بأصار في غرب دير الزور الحالية حيث قمع التمرد، وبعد ذلك تشير نصوصه إلى أنه قد وجه حملة ضد قبائل الجوتيون في الشمال الشرقي لدولته وأنه قد انتصر عليهم انتصاراً كبيراً وأسر ملكهم[١].

ولقد انتهى عهد شاركالي شاري نهاية مؤسفة مثله مثل بعض من سبقوه من ملوك أسرة أكد إذ قتل على يد اتباعه. وبنهاية عهده عاشت أكد في فترة من الخراب والفوضى حكم خلالها عدد من الملوك الضعاف وانتهى الأمر بنهاية الأسرة الأكدية وانتقال مقاليد الحكم فيها إلى قبائل الجوتيين.

(١) Gadd, C. J., Op. Cit., P. 444., Bottero, J. (and Others)., Op. Cit., P. 120.

الجوتيون

كان لنجاح العناصر الجوتية في التدخل في جنوب العراق القديم أثره في إحلال الفوضى السياسية والاقتصادية مكان الاستقرار الذي ساد عصر الدولة الأكدية، ويعتبر العصر الجوتي من أغمض العصور في تاريخ العراق القديم، وقد دام أكثر من مائة عام حكم خلالها حسبما ورد في قائمة الملوك السومرية واحد وعشرون ملكاً.

وفيما يتصل بالمنطقة التي جاء منها الجوتيون فيرجح أنها كانت تتاخم أرض الوللوبي، وقد هدف الجوتيين من غاراتهم على سهول العراق القديم نهب الثروات التي تتمتع بها هذه المنطقة، ومعلوماتنا عن حكم الجوتيين محدودة للغاية نظراً لندرة المادة الأثرية والنصية المختلفة من عهدهم.

ويمكن القول اعتماداً على المادة المتاحة لنا، أن الجويتيين قد مارسوا حكمهم للعراق من أرض الجوتيين نفسها، وأنهم لم ينزحوا إلى السهل العراقي ويقوموا بحكمه مباشرة، وكان ذلك سبباً في قيام بعض الحكومات المحلية المستقلة بأرض سومر أثناء حكم الجوتيين لبعدها نسبياً عنهم، بينما لم تقم مثل هذه الحكومات بأرض أكد الأكثر قرباً والتي يبدوا أنها كانت تحت الإشراف المباشر للجوتيين.

وقد سادت العراق خلال العصر الجوتي مظاهر الفوضى السياسية وعدم تقدير حرمة الآلهة، وعلى الرغم من وراثة الجوتيين لبعض العناصر الحضارية الأكدية وكتابتهم باللغة الأكدية والخط المسماري، واتخاذهم بعض المعبودات الأكدية آلهة لهم مثل الإله سن والإله عشتار وحمل بعض ملوكهم للأسماء السامية، فإن ذلك لم يجدي أمام نزعاتهم القبلية الجبلية.

ونظراً لبعدهم في الشمال فقد تركوا تصريف الأمور لأبناء البلاد الأصليين، إذا اكتفوا بفرض الجزية على أهل المدن السومرية، وقد اتبعوا في حكمهم الأساليب التي استعملها الأكديون ولم يغيروا شيئاً من النظم الحضارية فاستعملوا اللغة السومرية في رسائلهم ومكاتباتهم، وتفاخروا بتلقيب أنفسهم بلقب «ملوك الجوتي وأركان العالم الأربعة»(١).

ولقد كان لهذا التصرف من جانب الجوتيين أثره في إتاحة الفرصة لأبناء البلاد الأصليين وبخاصة القسم الجنوبي في سومر البعيد عنهم في إعادة مجد الحضارة السومرية، وأن ينهضوا من جديد، فظهرت في ميدان القوة بعض المدن السومرية وخاصة لجش وأور. وتعرف هذه المرحلة باسم: النهضة السومرية أو عصر الإحياء السومري أو عودة نفوذ السومريين.

(١) Gadd, C. J., op. cit., P..444., B, Tterce, J. and Others, Op Cit., P. 120.

الفصل الرابع

العصر السومري الحديث

ظلت معظم المدن السومرية تحت حكم أسراتها الحاكمة وإن خضعت لسلطان الأكديين أو غيرهم ، وانتقل الحكم من أسرة إلى أخرى في المدن المختلفة وظهر فيها بعض الحكام الأقوياء بين حين وآخر، ومن هذه المدن أسرة لجش الثانية وأسرة الوركاء الخامسة وأسرة أور الثالثة.

أسرة لجش الثانية - (٢٢٣٠ - ٢١١٣ ق . م تقريباً) :

وفيما يتصل بأسرة لجش الثانية فقد استطاع حكامها تحقيق كياناً مستقلاً لمدينتهم أثناء حكم الجويتيين وبدأ دور هذه الأسرة في الظهور منذ عهد حاكمها المدعة «أور بابا Ur - Baba » الذي تمتع بقدر كبير من الاستقلال والثروة مما مكنه من إقامة العديد من المعابد والأبنية لآلهة لجش كما قام بشق العديد من القنوات لتيسير أمور الزراعة.

وقد خلفه في حكم لجش صهره «جوديا Gudea » الذي يعد أشهر حكام أسرة لجش ولقد جمع بين الحكمة والتقوى والورع والعمق مما أدى إلى اجتذابه احترام المجتمع السومري ولقد عبر الأدب والنحت السومري أجمل تعبير عن شخصية جوديا.

ولقد عرفنا الكثير من عهد جوديا عن طريق مجموعة تماثيله التي نقش عليها أنشطته الدينية المتصلة ببناء المعابد الهامة في مدينة لجش أو إعادة بنائها ، ويستدل مما ذكره بشأن الخامات التي جلبها لبناء المعبد الرئيسي في مدينة لجش أنه قد أحضر الأخشاب من ماجان وملوخا ، وجبل أمانوس ، كما احضر النحاس من جبال زاجروس وتراب الذهب من أرمينيا والفضة من جبال

طوروس وأحجار الزينة من أنحاء مختلفة من سورية.

وتدل شواهد الأحوال على أن هذه الموارد قد وردت إلى لجش بواسطة التجارة إذ لم تذكر نقوشه سوى قيامه بحرب واحدة مع دولة أنشان وذلك حسبما ورد في نقش على أحد تماثيله بأنه «ضرب انشان وعيلام بالأسلحة» وربما كانت هذه الحرب من أجل الحصول على المواد الخام[1].

ويلاحظ في تماثيل جوديا أنها اتبعت الأسلوب الواقعي التي بدأ نضوجه خلال العصر الأكدي وعبرت بخطوطها المرنة عن الطابع السومري ذي الرأس العريضة، وغلبت على ملامح جوديا وهيئته روح التقوى والتواضع (شكل ٣١) ولقد ظهر جوديا في أغلب تماثيله وهو واقفاً في هيئة المتعبد في أحكام تقل عن حجمه الطبيعي. ويذكر الأستاذ الدكتور عبد العزيز صالح[2] أن بعض تماثيل جوديا الجالسة تتشابه في بعض تفاصيلها مع تفاصيل التماثيل المصرية في عصور الدولة الوسطى من حيث نقش نصوص رأسيه فوق الجزء الأسفل من ثوبه، ووضع مسطح مستطيل على ركبتيه تضمن في إحدى المرات تصميماً لمعبد، ومن حيث نقش اسمه داخل مستطيل على كتفه.

وصاحب تعمير المعابد ورقي الفنون في عهد «جوديا» نشاط عمراني، كان من مظاهره الاهتمام بوسائل الري، فقد أشار في أحد نصوصه قيامه بشق قناة نسبها إلى إله لجش، وأطلق عليها «نين جرسو أو شومجال».

وخلف جوديا في حكم لجش ابنه «أورننجرسو Ur - Ningrisu» الذي عثر له على بعض التماثيل مع تماثيل والده وحفيده. إلا أنه يلاحظ أنه لم يظهر في

---

(١) Gadd, C. J., Op. Cit., 458 - 460., Bottero, J., (and others)., Op. Cit., P. 124., Oppenheim, A. L., "Gudea, Ensi of Lagash" In ANET, PP. 268 - 269.

(٢) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص ٤٢٨.



(شكل ٣١) جوديا حاكم لجش

خلفاء جوديا شخصية أخرى مناظرة له في مدينة لجش، وكان «ناماخني» Nammakhni هو آخر ملوك أسرة لجش الثانية، وربما كان معاصراً للملك «أوتوخيجال» ملك الوركاء و «أورنامو» حاكم أور.

أسرة الوركاء الخامسة :

عاصرت أسرة الوركاء الخامسة أسرة لجش الثانية ووقع عليها عبء الكفاح المسلح ضد الجوتيين ونتيجة لنجاحها في ذلك فقد اعترفت أغلب المدن السومرية بزعامتها الشكلية ومن هذه المدن مدينة أور، ومن أبرز ملوك الوركاء الملك «أوتوخيجال Utukhegal » الذي استطاع أن يهزم القبائل الجوتية في موقعه فاصلة وتمكن من نقل الملكية إلى مدينته، وتذكر قائمة

الملوك السومرية أن مدة حكمه استمرت سبعة أعوام وستة أشهر وخمسة عشرة يوماً، ولم تذكر القائمة سواه في أسرة الوركاء الخامسة، إذ يبدو أنهم قد تنازعوا من بعده فانتقلت الزعامة من مدينتهم إلى مدينة أور، ويوضح نقش للملك أوتوخيجال يؤرخ ببداية الألف الثاني قبل الميلاد جهوده في سبيل تخليص البلاد من الجوتيين، وكان لهذا النصر أثره في رفع مكانة أوتوخيجال بين المدن السومرية، إذ تشير أحد النصوص إلى تدخله لفض نزاع على الحدود بين مدينتي لجش وأور، كما كانت مدينة أور تابعة له. لكنه لم ينعم طويلاً بهذا النفوذ إذ انتقلت السيادة على سومر بعد عهده إلى أسرة أور الثالثة.

ونورد فيما يلي أهم الفقرات التي وردت في نقش أوتوخيجال والتي توضح جهوده ضد الجويتين: [١]

«إنليل، ملك كل البلاد، قد عهد إلى أوتو خيجال، الرجل القوي، ملك الوركاء، ملك الجهات الأربع (للعالم)، الملك الذي لا يستطيع أحد أن يخالفه، بأن يحطم اسم الجوتيين.

ولذلك ذهب (أوتوخيجال) إلى الإله إننا، ملكته، وابتهل إليها قائلاً: أي ملكتي... لقد عهد إلى إنليل بأن استعيد الملكية إلى سومر. فلتكوني حليفتي (في هذا). أن تيريجان Tirigan ملك الجوتيين... لم يسر أحد (بقواته) ضده. واستحوذ على الفرات وساحل البحر...

أوتو خيجال، الملك الذي وهبه إنليل القوة، الذي اختارته إننا في قلبها، الرجل القوي، قد اتجه قدماً من الوركاء ليخوض المعركة ضد (تيريجان)....

وكان أهالي الوركاء وأهالي كولاب قد غمرهم السرور، وتبعه (أهالي) مدينته كرجل واحد، وقاد الجيش زاحفاً إلى الأمام...

---

(١) انظر: محمد عبد اللطيف محمد على: المرجع السابق، ص ٢٠٣ - ٢٠٥ وكذلك Kramer, S. N., the Sumarians, pp. 325 - 326.

وفي اليوم الخامس (من مسيرته من الوركاء) . . . أسر «أورنينازو» (و) «نابو إنليل» قائدي (؟) تيريجان اللذين كان (الأخير) قد رأسلهما إلى سومر كسفراء ، ووضع (أوتو خيجال) «قيوداً» خشبية في أيديهم . . .

وفي مساء (اليوم السادس) . . . حشد الجوتيو ن قواتهم (؟) وأرسلوا فرقهم (المقاتلة) ضد أوتوخيجال ، الرجل القوي ، الذي قهرها وأسر قائدها (؟) . وبعد ذلك فر تيريجان مـلك الجوتيين هارباً بنفسه ، ولجأ إلى (مدينة) دوبروم Dubrum حيث عامله الناس بعطف (!) . (ولكن) عندم علم رجال دوبروم أن أتوخيجال هو الملك الذي منحه إنليـل القوة ، لم يطلقوا سراح تيـريجان . (وجاء) رسل أوتوخيجال إلى دوبروم وأخذوا تيـريجان وأسرته أسرى ، ووضعوا القيود الخشبية في يديـه واعصبوا (؟) عينيـه (وبعد ذلك) احضر به (تيـريجان) أمام أوتو خيجال فألقى بنفسه عند قدمي (أوتوخيجال) الذي وضع قدمه على رقبته . . . وهكذا عادت الملكية إلى سومر» .

أسرة أور الثالثة :

تعد أسرة أور الثالثة آخر مرحلة للسومريين كحكـام إذ انتهى نفوذهم السياسي بنهاية هذه الأسرة ، إذ اندمجوا بعد ذلك مع الساميين ولكـن ظل تأثيرهم الحضاري مستمراً وتمثل ذلك في لغتهم وأدابهم التي ظلت تؤثر في حياة العراق القديم ، بل أن الدين نفسه كان نواة للديانات التي برزت فيما بعد .

ولقد حكم أسرة أور خمسة ملوك حكموا فترة غير ثابتة تماماً . فقوائم الملوك متباينة في هذا الصدد إذ يقدم بعضها مدة حكم للأسرة تبلغ ١٠٦ سنة ، والبعض الآخر يقدم فترة حكم ١٢٢ سنة ، وأما النصوص المتصلة بالمعاملات التجارية فلا تقدم سوى ١٠٩ سنة ، وعلى أية حال فإن مدة حكم هذه الأسرة قد جاوزت المائـة عام . وكان أول ملـوك هذه الأسـرة هو الملك أورنمـو Our Nammou الذي بدأ حياته حاكماً من قبل أوتوخيجال ولكنه ثار عليه واستطاع أن يستقل بالحكم ويعلن نفسه ملكاً ثم ينتحل الألقاب القديمة «ملك سومـر واكد»

«وملك الأنحاء الأربعة» وذلك بعد أن تم له إخضاع الوركاء التي بدأ الاستيلاء عليها، وتبعها لجش ولارسا ونيبور وجانب من أكد[1].

ومن أهم الأعمال التي قام بها أورنمو تحصين مدينة أور التي كانت تطل على نهر الفرات، وكان يحميها الماء من ثلاث جهات، كما عني أورنمو بتشييد وإعادة بناء ما تهدم من معابد الآلهة، وتوضح نقوشه اهتمامه الكبير بشق القنوات.

ومن المآثر الهامة لهذا الملك تشييده زاقورة لإله القمر نانا في عاصمته أور. وقد سجل هذا البناء على إحدى لوحاته التي عثر عليها وقد نقش المناظر في مجموعة أفقية، وقد مثل الملك في أعلاها واقفاً أسفل رمز إله القمر نانا التي كان يمثل بهلال يتوسطه نجمة «شكل ٣٢»[2].

ويعتبر أورنمو من أصحاب التشريعات المكتوبة في العراق القديم، ولقد عثر على جزء من صورة متأخرة لتشريعه نسخت على وجهي لوحة طينية بعد وفاته بحوالي ثلاثة قرون. ويستدل مما جاء فيها أنه عمل على توحيد الأوزان والمكاييل، كما استن قانون دفع الديات عاى الجروح التي لا تؤدي إلى الوفاة.

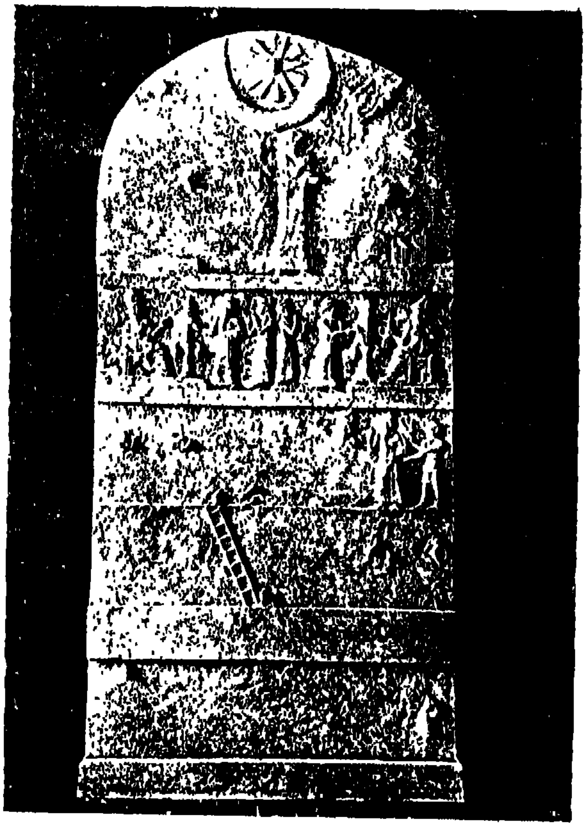
ولقد حكم أورنمو ثماني عشرة سنة، ثم خلفه علي عرش أور ابنه شولجي Shoulgi الذي يعتبر حكمه أطول حكم لملك فى هذه الأسرة، إذ بلغ حوالي نصف قرن. وقد اتخذ شولجي لقبي «ملك سومر واكد» «وملك الأنحاء الأربعة». وقد أطلق اسمه بعد توليه العرش على أحد شهور دولته ورفعه أهل بلاطه إلى مرتبة الألوهية أو ما هو قريب منها[3].

---

(١) Hallo, W. W., Early Mesopotamian Royal Titles, New Haven, 1957, p. 77 ff.

(٢) Frankfort, H., The Art and Architecture of the Ancient Orient, p. 103, figs 110 - 111.

(٣) عبد العزيز صالح. المرجع السابق، ص ٤٣٣.



(شكل ٣٢) لوحة بناء الزقورات للملك أورنمو

ولقد وجه شولجي عنايته في بداية عهده لبناء المنشآت الدينية وشق القنوات، فقام بإتمام ما بدأه أبوه فأعاد إلى المدن السومرية والأكدية المعبودات التي كانت قد رفعت منها، وقد وجه اهتمامه بصفة خاصة إلى مدينة أريدو.

وبعد أن استقر الأمر في الداخل، بدأ جهوده الحربية التي كان الهدف منها مد نفوذه حتى سفح جبال زاجروس، ومنذ العام العشرين من حكمه تبدأ نصوص عصره في ذكر حملاته الحربية التي قام بها في شرقي بلاده، ولم تكن سنوات حكمه كلها بعد عامه العشرين حرباً بل تخللتها سنوات من الهدوء نلمح في خلالها بعض أوجه العلاقات السلمية مع البلاد المجاورة له ومنها

زواجه من إحدى بنات ملك انشان وهي من الولايات العيلامية ، إلا أن ذلك الهدوء لم يلبث أن بددته بوادر الثورة التي ظهرت في الأقاليم التابعة له فاضطر إلى القيام بالعديد من الحملات لاخضاع هذا التمرد . ومن الولايات التي ثارت ضده كانت انشان التي اجتاحها في العام الرابع والثلاثين من حكمه .

ولعل أهم ما يميز عصر شولجي العلاقة المباشرة بعيلام والتي توطدت في عهده أكثر منها في أي عهده سابق ، إذ لم تتوقف جهوده عند حد الغارات التي تستهدف الاحتلال بل تعدت ذلك إلى إبراز السيادة والحكم من الحكومة المركزية في أور . وهناك الكثير من الوثائق التي تشير إلى تموين عمال الملك الذين يمرون بمدينة لجش في طريقهم من أور إلى عيلام . ونستطيع أن نتعرف من الأسماء التي وردت للمدن التي عين بها هؤلاء الموظفون على أن السلطان الملكي لأور امتد إلى كافة المدن الهامة هناك ، وربما كانت أبرزها جميعاً سوسة ، ويبدو أن شولجي خلع الحكام الوطنيين وأحل غيرهم موظفين بابليين وهو أمر تابعه فيه خلفائه .

وقد اهتم شولجي بربط الأقاليم ببعضها البعض عن طريق تنظيم حاملي البريد من العدائين الذين اعدت لهم محطات لضمان وصول تعليماته . كما عني بتنظيم جمع الضرائب من مختلف الأقاليم وتسجيل ذلك كله على لوحات حفظت في دور المحفوظات[١] .

ولقد خلفه على العرش ابنه أمارسين Amar - Sin . ويبدو أن طول الفترة التي حكمها والده قد جعلت من أمارسين رجلاً مسناً عند ولايته العرش ، وطبقاً لقائمة الملوك السومرية فقد بلغت مدة حكمه تسعة أعوام فقط ، وقد تركزت جهوده الحربية في الشمال الشرقي والشرق . وقد حرص على أن يحكم المنطقة الشرقية من دولته حكماً مباشراً عن طريق أتباعه المخلصين

(١) نجيب ميخائيل إبراهيم : المرجع السابق ، ص ١٦٦ - ١٦٨ . وكذلك :

Gadd, C. J., op. cit , p. 601.

الذين أقامهم في مدن سوسة وخمازي وباراخش، وتخلفت من عهده العديد من التشييدات البنائية في المدن السومرية وبخاصة نيبور وأور وأريدو.

وقد خلفه على العرش أخوه شوسين Shu - Sin الذي دام حكمه حسبما ورد في قائمة الملوك السومرية تسع سنوات فقط، ومنذ توليه العرش ثارت ضده القبائل الجبلية في الشمال الشرقي حيث وجه إليهم حملتين قضت على هذه المتاعب، ومن ناحية أخرى فقد عمل شوسين على توثيق علاقاته بعيلام عن طريق المصاهرة أسوة بأبيه شولجي، فقام في العام الثاني من حكمه بتزويج إحدى بناته لحاكم انشان، كما اهتم بإقامة الأبنية الدينية في سوسة.

ويزداد في عهده خطر الأموريون في غرب دولته مما اضطره إلى بناء «حائط أمورو» لصدهم ولقد أقيم فيما بين نهري دجلة والفرات ربما قرب بغداد الحالية[1].

وخلف «شوسين» على عرش أور ابنه «**إيبي - سين**» **Ibbi - Sin** الذي يعد آخر ملوك أسرة أور الثالثة، وقد بلغت مدة حكمه أربعة وعشرين عاماً وذلك وفقاً لما ورد في قائمة الملوك السومرية.

وقد واجهته المتاعب من ناحية الشرق منذ العام العاشر من عهده، إذ تمردت مدن سوسةواوان وادامدوم، ولكنه تمكن من القضاء على هذا التمرد. وفي أواخره عهده انتهز العيلاميون وحلفاؤهم من القبائل الجبلية الشرقية ما واجهه إيبي - سين من ضغط العناصر الأمورية في الغرب فهاجموا أرض سومر وحاصروا إيبي - سين في عاصمته أور، وذلك في نفس الوقت الذي كان عليه فيه أن يصد زحف العناصر الأمورية نحو الجنوب.

ولقد استغل «إيشبي إرا» حاكم ماري هذه الظروف، واستقل بالحكم وأسس أسرة حاكمة خاصة به هي أسرة أيسن، وشمل نفوذه النصف الشمالي من أرض سومر، وامتد إلى أملاك «إيبي - سين» المتاخمة لأرض بابل[2].

---

(١) Ibid., pp. 608 - 611.

(٢) Gadd, C. J., "Babylonia c 2120 - 1800 B. C", In C A. H., vol. I, part II, pp. 361 - 362.

وظل «إيبي - سين» يقاوم الحصار العيلامي مدة عشر سنين ، حيث سقطت أور في أيدي العيلاميين بعد أن أصابها الخراب وحلت بها المجاعة ، وأقيمت حامية عيلامية بالمدينة ، واقتيد ملكها «إيبي - سين» أسيراً إلى عيلام حيث مات بمنفاه هناك .

وبانتهاء حكم «إيبي - سين» تنتهي المحاولات الأخيرة للسيادة السومرية ، حيث يعد عهد أسرة أور الثالثة نهاية حياة السومريين السياسية ، إذ لم تنشأ منهم بعدها أسرات حاكمة بل اندمجوا في الساميين ، وإن ظلت لغتهم وأدابهم تؤثر في ألعراق القديم حتى آخر عصور حضارته[١] .

وقد شجعت الكارثة التي حلت بأور مختلف المدن على إعلان استقلالها ، فظهرت أسرتين حاكمتين في العراق إحداهما في أيسين وهي التي أسسها «أشي إيرا» والأخرى في لارسا وهذه يرجح أنها كانت خاضعة لنفوذ العيلاميين ، وفى نفس الوقت كان الأشوريون قد بدأوا يكونون دولة مستقلة كما وجدت بعد فترة مملكة في بابل ينتمي ملوكها إلى أصل أموري ، ومملكة أخرى عرفت باسم مملكة أشنونا .

وتعتبر أسرتا أيسين ولارسا من أهم الأسر ذات الخطر التي برزت في هذه المرحلة قبل أن يظهر سلطان بابل ، وبدأت المنافسات بين الأسرتين وذلك عقب قيامهما مباشرة .

ومؤسس أسرة إيسين[٢] هو «إيشبي إيرا» الذي اصطنع لنفسه الصفات الإلهية وانتحل لقب «ملك سومر وأكد» . ومن أشهر ملوك هذه الأسرة «لبت عشتار»[٢] الذي ينسب إليه تشريع مكتوب وصلتنا بعض ألواح منسوخة عنه ، وقد بدأت التشريعات بذكر ألقاب «لبت عشتار» وأوصافه وما قام به من أعمال لرعاية المدن السومرية ومقاومة الفساد وعمله على تحرير أبناء مدن

---

(١) Le grain, L., Business Documents of the Third Dynasty of Ur, London and Philadelphia, 1947, p. 225ff.

انظر :

(٢) Crawford, V. E., SurmerianEconomic Texts from the First Danasty of Isin, New Haven, 1954.

سومر وأكد من الرق الذي فرض عليهم ، وما تبقى من تشريعاته يرتبط بدعوة تحرير الرق ، وبعض حالات الملكية والمواريث والتعويض .

وقد حكم في أيسين ١٥ ملكاً لمدة تقرب من ٢٢٥ سنة . أما في لارسا فقد حكم ١٤ ملكاً مدة تقدر بنحو ٢٦٠ سنة . وكان ملوك لارسا من البابليين الذين خضعوا لنفوذ العيلاميين ، وقد تدخل العيلاميون في شؤون لارسا وقضوا على آخر ملك فيها وعينوا بدلاً منه ابن ملك عيلام في مكانه . ولما مات هذا الأخير عين أخوه «ريم سين» من بعده ، ولقد تمكن ريم سين من القضاء على أسرة أيسين وحكمها بنفسه . وفي هذه الأثناء كان حمورابي سادس ملوك الأسرة البابلية الأولى يحكم في بابل وقد تمكن حمورابي من القضاء على العيلاميين بعد حروب طاحنة ـ كما سترد الإشارة ـ كذلك قضى على مملكة أشنونا وتم له ذلك في السنة الثانية والثلاثين من حكمه كما استطاع أن يقضي على استقلال المملكة التي تكونت في أشور[1] . وقبل تتبع أحوال العراق القديم في ظل الدولة البابلية الأولى نلقي بعض الضوء على مملكة أشنونا التي كانت إحدى الدول الهامة في هذه المرحلة .

فلقد كانت مملكة أشنونا من دويلات المدن التي قامت بدور هام في تاريخ العراق القديم . فقد نشأت هذه الدولة التي كانت عاصمتها أشنونا (تل الأسمر الحالية) منذ عصر فجر الأسرات ثم قضى على استقلالها سرجون الأكدي . ثم خضعت بعد ذلك لأسرة أور الثالثة وبعد انهيار أسرة أور استقلت وظلت محافظة على استقلالها حتى ضمها حمورابي إلى مملكته .

وبلغ عدد ملوك مملكة أشنونا حوالي عشرة ملوك ولعل من أشهرهم الملك «بلالاما» Bilalama الذي يرجح أنه قد استن قانوناً يعد من أقدم قوانين العراق القديم بعد المحاولة التي قام بها «أورنمو» ملك أور . وبقيت من هذا

---

(١) انظر: محمد أبو المحاسن عصفور: المرجع السابق ، ص ٣٦٣ - ٣٦٤، وكذلك
Gadd, C. J., op. cit., pp. 636 - 637.

القانون إحدى وستون مادة تتصل بتحديد أسعار المواد التموينية وأجور العربات والقوارب والعمال الزراعيين وتحديد العقوبات. وتجدر الإشارة في أن تحديدها للعقوبات قد جمعت فيما بين القصاص والدية، كما اهتمت هذه القوانين بتنظيم العلاقات الأسرية والمعاملات الخاصة.

ولقد حاول أحد ملوكها ويدعى «ابيق - أدد الثاني» Ibiq - Adad II توسيع رقعة بلاده، فأراد الاستيلاء على حوض الدجلة وأرض الجزيرة العليا حتى سفوح كردستان، وأنشأ جسر له على نهر الفرات حتى يتحكم في طرق التجارة الآتية من الشمال والغرب ولكن هذا التوسع كان وقتياً، ولم يتمكن الملوك الأخيرين في المملكة من المحافظة على الأراضي التي امتلكوها، إذ أحاطت الممالك القوية التي نشأت في بابل ولارسا في الجنوب وأشور في الشمال وماري في الغرب بها ووقفت سداً منيعاً أمام أطماعها، إلى أن قضى عليها حمورابي كما سبقت الإشارة[1].

---

(١) انظر:

محمد أبو المحاسن عصفور: المرجع السابق، ص ٣٦٤ - ٣٦٦.

الفصل الخامس

العصر البابلي القديم

١ ـ الدولة البابلية الأولى

تقع بابل عند أسفل ملتقى النهرين على ضفة الفرات اليسري وذلك على رأس السهل الفيضي الذي يقع إلى جنوبها الشرقي والذي تتخلله شبكة من القنوات، وكانت بابل بهذا الموقع بعيدة عن الهجمات المفاجئة من قبائل الصحراء، ومما يزيد في أهمية موقعها الجغرافي مجاورتها للممرات والطرق التجارية الرئيسية التي تؤدي إلى شمال سورية والبحر المتوسط ومصر وكذلك الطريق المؤدي إلى كبادوشيا، وكذلك الطريق المتجه شرقاً إلى عيلام، وعلى ذلك فقد كانت بابل تقع في مركز التجارة العالمي وفي الوقت ذاته كانت تقع على الطريق المباشر لأي غزو يستهدف السهول الجنوبية.

ولقد أسس الدولة البابلية الأولى الملك «سمو ـ ابوم» وكان ذلك في الفترة التي ظهرت خلالها دولتي ايسن ولارسا، وفي الوقت الذي أقام فيه الأشوريون دولة في شمال العراق، وقد كان «سموأبوم» يحكم في أول الأمر رقعة صغيرة في جنوب العراق، ولقد بدأ توطيد سُلطانه بالقضاء على أمراء المدن وأعلن نفسه ملكاً على بابل، وقد بدأ جهوده الحربية في السنة التاسعة من حكمه حيث ضم إليه «دلبات» ثم غزا «سيبار» التي اعترفت بسيادته ثم تحالف مع لارسا لاخضاع كيش ولكنها ظلت تقاوم حتى خضعت على يد خلفه، ولقد مات سمو ـ ابوم بعد أن حكم ما يقرب من خمسة عشرة عاماً. ثم خلفه على العرش ابنه «سمولا ايلو».

ولقد حكم «سمولا إيلو» عرش بابل لمدة تقرب من خمسة وثلاثين عاماً، ويستدل من الوثائق التي تبقت من عهده قيامه ببعض الأعمال العمرانية

في دولته ومنها شقه قناة في العام الأول من حكمه وبنائه سور بابل وإقامته معبد للإله «أد د».

أما فيما يتصل بأعماله الحربية فقد ثارت مدينة «كازاللو» في عهده وتقدم ملكها نحو بابل بعد أن تحالف مع كيش، ولكن الملك البابلي استطاع أن يردهم عن مدينته ثم تقدم إلى كازاللو فدمر أسوارها واجتاح المدينة، وبعد ذلك بعامين أخضع «كوتة» ثم اتجه إلى «سومر» فاستولى على أحد الحصون الحربية الهامة في مدينة نيبور عاصمة سومر الدينية، ولقد تمكن من ضم كل مملكة اكد قبل وفاته.

ولقد خلفه على الحكم ابنه «**صبوم**» الذي حكم لمدة ثلاثة عشرة عاماً وقد حافظ على الدولة التي تركها والده، فلم يقم سوى بحملة واحدة ضد «كازاللو» وشغل بقية عهده ببناء المعابد وشق القنوات وصيانة الحصون، واستمر خليفته «ايبل - سن» على سياسته فقام بحفر القنوات ورمم الأسوار.

ولقد خلفه على عرش بابل ابنه «سن مبلط»[1] الذي قام بعدة حروب في أور ولارساوايسن.

وقد خلفه على عرش بابل الملك «**حمورابي**» الذي يعد من أعظم ملوك هذه الأسرة بل وأشهرهم جميعاً، وقد اختلف المؤرخون في التاريخ لعهد حمورابي، فهناك من يضعه في الفترة (١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق. م) وهناك من يضعه في الفترة من (١٧٢٨ - ١٦٨٦ ق. م) وأن كان أصحاب التاريخ المطول يرون أن حكم حمورابي كان من الفترة (٢٠٠٣ - ١٩٦١ ق. م) - وأيا ما كان الأمر، فإن الوضع في العراق إبان تولي حمورابي الحكم كالآتي: كانت دولة لارسا تتحكم في الأجزاء التي تقع جنوب بابل بعد أن أخضع ملكها «ريم - سن»

(١) نجيب ميخائيل إبراهيم: المرجع السابق، ص ١٨٤ - ١٨٦.

Kupper, j. R., Les Nomandes en Mesopotamie au temps des Rois de Mari, Paris, 1957, P. 106 ff.

مملكة ايسن لسلطته ، كما كانت مملكة أشنونا تحكم المنطقة التي تقع شمال بابل مباشرة ، بينما كانت مملكة أشور تتحكم في الأجزاء التي تلي ذلك شمالاً .

كان برنامج حمورابي هو تقوية الإدارة الداخلية أولاً وتوطيد دعائم عرشه في الداخل ثم تقوية وسائل الدفاع حول المدن الهامة ، وفي السنة الخامسة من حكمه بدأ صراعه المنتظر بالاستيلاء على «ايسين» كما نجح في العام الثلاثين من القضاء على الد اعدائه وأخطرهم «ريم سن» ملك لارسا ، وكانت الحرب بينهما عنيفة قاسية مدمرة ، ولعلها كانت من أخطر الحروب في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، إذ خرج الملك العيلامي «ريم سن» على رأس جموع جرارة لا حصر لها من الجند العيلاميين ومن سكان المدن العراقية الخاضعة له ، وقد أظهر حمورابي من التدبير والحزم ما مكنه من تمزيق جموع العيلاميين وأحلافهم شر ممزق ، فكان انتصاره عليها حاسماً إلى درجة اعتباره حدثاً خطيراً في حياة العراق القديم ، ارخ به الناس الحوادث وتبارى فيه الشعراء في التغني بمجد حمورابي البطل ورتل الناس أناشيده في المعابد.

وتوالت الهزائم بعد ذلك على أعدائه ، فقضى على دويلات المدن الأخرى مثل مملكة اشنونا ثم تابع فتوحه ومدها إلى الشمال ، فأخضع بلاد الأشوريين وكذلك المناطق الجبلية إلى الشرق والشمال ، كما لاحق فلول العيلاميين إلى عقر دارهم فبسط سلطانه على بلاد عيلام(١) .

وعمل حمورابي كذلك على تنمية التجارة مع أقاليم البحر المتوسط(٢) ليستورد منها الحجر والمعادن وأنواع الأخشاب التي لا وجود لها إطلاقاً في السهول المنخفضة لدجلة والفرات ، وكذلك شق القنوات داخل مملكته لتيسير التبادل التجاري وزيادة رقعة الأراضي الزراعية ، وتدل الرسائل التي

---

(١) Gadd, C. J., "Hammurabi and the end of his dynasty", In C. A. H., vol. II, part I, pp. 176 - 184.

(٢) Leemans, W. F., The Old - Babylonian Merchant, leiden, 1950, P. 79ff.

تبادلها مع حكام المدن أنه ركز في يده الشؤون الإدارية ، كما اهتم اهتماماً خاصاً بإدارة الشؤون القضائية ومشروعات المنافع العامة(١) .

وقد أثبتت الحفائر أنه كانت توجد منذ ذلك العهد قواعد لتخطيط مدينة بابل ، وقد اتبعت هذه القواعد حتى نهاية عهد الأمبراطورية الجديدة ، وأهم ما يميز هذا التخطيط أن الطرق الكبيرة كانت موازية جميعاً للطريق المقدس متعامدة مع الطرق الأخرى ، في حين أن بيوت المدن السومرية القديمة كانت مجتمعة دون ترتيب ، كما أنه لم يكن للطرق اتجاه ثابت .

ويشتهر حمورابي في التاريخ بتشريعاته الإدارية والقانونية ، ولقد بدأ في إصدار هذه التشريعات منذ العام الثامن من حكمه إلا أنها لم تكتمل إلا بعد ذلك بعدة سنوات ، وقد سجلت هذه القوانين على عدة نصب اشتهر منها نصب كبير من الديوريت يبلغ طوله ٢٢٥ سم ، وقد كتب في السنوات الأخيرة من عهد حمورابي ، وصور حمورابي في جزئه العلوي وهو يتلقى الإذن بإصدار تشريعاته من رب العدالة ورب الشمل المعبود «شمش» .

وتتألف المواد الباقية في تشريعات حمورابي من ٢٨٢ مادة تناولت أمور القضاء والأمن وحقوق المحاربين ومسؤولياتهم ، وعقود الزراعة ، وشروط القروض ، والأحوال الشخصية من زواج وطلاق ومواريث ، والقصاص والتعويضات ، وأجور أصحاب المهن ومسؤولياتهم(٢) .

ولقد وصلت بابل في أخريات أيام حمورابي إلى قمة عالية من المجد ، وتمثل فترة حكمه التي بلغت ثلاثة وأربعين عاماً أزهى عصور العراق ، ولقد خلفه على العرش ابنه «سامو ايلونا» .

ولقد نعم «سامو أيلونا» في السنوات الأولى من عهده بفترة وسلام وهدوء

---

(١) Ibid., p. 22ff.

(٢) انظر:

Wiseman, D. J., "The Laws of Hammurabi again", In J.S.S., vol. 7 (1962), p. 161ff

وكذلك عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٦١ ـ ٤٦٧ .

استغلها في الإنشاءات والتشييدات، فتسجل الوثائق المتخلفة من عهده قيامه بشق قناتين في العامين الثالث والرابع من حكمه، كما قام بتجميل المعابد الكبرى وتزيينها وبخاصة في بابل وسيبار.

ولقد بدأت المتاعب تهدد دولته بدءاً من العام التاسع من حكمه، ففي ذلك الوقت بدأ الكاشيون يثيرون القلاقل على حدوده الشرقية حيث اندفعوا في طريقهم إلى بابل، ، ورغم تمكنه من هزيمتهم إلا أنهم بدأوا يتسربون إلى بابل كعمال واستمر هذا التسرب طيلة قرنين من الزمان حتى استطاعوا في نهاية الأمر أن يستولوا على السلطة في بابل.

ولم يكن الحال في جنوب بابل بأسعد حالاً إذ خرجت المناطق الجنوبية على سلطان سامو ايلونا منتهزة فرصة تقدم الكاشيين، إلا أن سامو إيلونا تمكن من استعادة لارسا إلى نفوذه، وبعد ذلك توجه نحو أور والوركاء حيث قضى على الثورة فيهما.

ولقد اضطر في حروبه هذه إلى استدعاء جزءاً من الحاميات العسكرية البابلية الموجودة في الأقاليم البعيدة، مما كان له أثره في ثورة بعض هذه الأقاليم في العام الثاني عشر من حكمه، وبخاصة القطر البحري الذي أعلن استقلاله بزعامة «ايلوما ايلوم» وذلك في إقليمه الواقع حول الخليج العربي، ولم يتمكن سامو ايلونا من إخماد ثورة القطر البحري نهائياً لانشغاله بالعديد من الاضطرابات في أماكن أخرى من دولته، وكان من أخطر هذه الاضطرابات ما حدث في مدينة بابل نفسها من محاولة خلعه عن عرش بابل وتنصيب شخص آخر مكانه. وأتاحت هذه المشاغل الفرصة لـ «أيلوما أيلوم» بتوسيع رقعة نفوذه فامتدت شمالاً حتى نيبور ولارسا.

ولقد أقدم سامسو ايلونا بعد إخماده ثورة بابل ضده على إعادة بناء الأسوار التي تهدمت في بعض مدن دولته، وتقوية قلاعها مثل سيبار وايسين التي كانت تمثل أقصى حدود دولته جنوباً بعد امتداد نفوذ ايلوما ايلوم شمالاً إلى جنوب ايسين.

وحاول سامسو ايلونا تعويض خسائره في الجنوب باستعادة سلطانه على الطريق التجاري إلى سورية ودعم علاقته التجارية معها ، ولقد قضى سنوات حكمه الأخيرة في الاهتمام بالمناطق الشمالية والغربية من دولته لعجزه عن السيطرة على الجنوب(١) .

ويعتبر سامسو ايلوما آخر الملوك العظام في الأسرة البابلية الأولى ، إذ لم يستطع خلفاؤه المحافظة على دولتهم ، فانصرفوا إلى رعاية المعابد والمعبودات أكثر من اهتمامهم بالحروب ، ودب الضعف في كيان ما تبقى من الدولة حتى تمكن الحيثيون في نهاية عهد الأسرة البابلية من القضاء نهائياً على دولتهم بعد أن حكم فيها إحدى غشر ملكاً لمدة تقرب من مائتين وخمس عشرة سنة .

---

(١) Feigin, S. I., and lands berger, B., "The date - list of the Babylonian king Samsuditana", in J. N. E. S, vol. 14 (1955), p. 137 ff.,

(٢) Thureau - Dangin, f., "L'inscription bilingue B de Samsu - iluna', In R. A., 39 (1942 - 1944) P. 5ff.

٢ ـ مملكة بابل الثانية
(أسرة القطر البحري الأولى)

نشأت أسرة القطر البحري كما سبقت الإشارة في الشواطىء الشمالية للخليج العربي وحكم ملوكها حوالي ٣٦٨ عاماً، جلس على العرش خلالها عشر أو أحد عشر ملكاً، كان أولهم ايلوما ايلوم[١] الذي تمكن من مد نفوذه إلى عدد من المدن التي كانت خاضعة لبابل مثل لارسا ونيبور، واحداث الملوك الذين خلفوا ايلوما ايلوم في القطر البحري غامضة إلى حد يصل إلى الندرة، فلا توجد من عهودهم غير شذرات ضئيلة تلقى بعض الضوء الخافت عن أحداث قليلة تمت في عهود بعضهم وتتصل بعلاقاتهم العدائية تجاه بابل سواء كانت تلك الإشارات تتصل بمحاولات ملوك بابل استعادة الجنوب لسلطانهم وقيام ملوك القطر البحري بصد هذه المحاولات.

وتوضح المصادر الأثرية انهيار هذه الأسرة في العهد الكاش حيث استسلم الحاكم «ايا جميل» للكاشيين دون جهد كبير وهرب إلى عيلام، إلا أن أهل القطر البحري لم يستسلموا بسهولة للكاشيين فاستمرت ثوراتهم حتى استطاع الملك الكاشي «اجوم» من إنهاء عهد هذه الأسرة بالاستيلاء على أهم مدنها وهي مدينة «دور أيا» وتدمير معبد الإله «ايا» المعبود الرئيسي على الأغلب.

ولقد عاصرت أسرة القطر البحري الأسرة البابلية الأولى منذ عهد سابع أو ثامن ملوكها، كما عاصرت الأسرة الكاشية في قرابة نصف عهدها الأول.

(١) King, L. W., Chronicles concerning Early Baby lonian kings, vol II, London, 1907, P 21.

٣ ـ مملكة بابل الثالثة
(الدولة الكاشية)

بعد أن قضى الحيثيون على مملكة بابل الأولى وجد الكاشيون الفرصة سانحة لاخضاع بابل فأخذت جموع متتالية من رجال القبائل الجبلية الواقعة في شرق نهر دجلة تهبط من السهول لمهاجمة بلاد بابل وقد استطاعت بعد انسحاب الحيثين أن تكون دولة قوية عرفت باسم الدولة الكاشية[1] أو دولة بابل الثالثة، ومع أن حكمها يعد أطول احتلال مشهدته أي دولة قديمة، إذ استمر ما يقرب من ٤٣٠ سنة، إلا أن معلوماتنا قليلة نظراً لقلة الوثائق التاريخية المتخلفة عنه.

والكاشيون من العناصر الآسيائية التي امتزجت في النصف الأول من الألف الثاني بالعناصر الهندوأوروبية وربما اكتسب الكاشيون اسمهم من إقليم في شمال عيلام يدعى «كاش ـ شن» وأطلق عليهم اليونان التسمية «كاسيوي».

وتعوز المؤرخ الأدلة النصية الكافية التي تتيح له التعرف على كيفية استيلاء أول ملوك الأسرة الكاشية وهو «جانداش» على العرش في بابل، ويرى المؤرخون أن ذلك قد تم في عام ١٧٥٠ ق. م أو ١٧٤٦ ق. م.

ويتميز عصر هذه الدولة بحدوث الكثير من الغزوات والقلاقل في منطقة الشرق الأدنى القديم، وقد كثرت السلطات المتنازعة على السيادة الدولية في أثنائه وكانت بعض القوى الجديدة تظهر ثم لا تلبث أن تختفي لتحل محلها

(١) Gadd, C. J., op. cit., pp. 224 - 227.

قوى أخرى ـ وهكذا نجد دولة البحر في جنوب العراق والكاشيين في الوسط والأشوريين في الشمال والشمال الشرقي ، وبينما كان الأشوريون يجاهدون في الانفصال عن الكاشيين نجدهم لا يلبثون أن يخضعوا للميتانيين ـ ومن جهة أخرى كان الميتانيون ينافسون الحيثيين الذين استطاعوا القضاء على دولة بابل الأولى والسيطرة على شمال العراق وسوريا واتسعت إمبراطوريتهم تدريجياً حتى اصطدموا بالمصريين في عهد الدولة الحديثة التي كانت حينئذ تسيطر على أكثر مناطق العالم القديم المعروفة ، أما عيلام فإنها لم تتمكن من أن تعيد قوتها مباشرة بعد أن قضى عليها حمورابي ـ وفي نهاية هذا العهد تعقدت العلاقات الدولية وتبادل الملوك الرسائل وكانت بينهم المعاهدات والمصاهرات الدولية[1] .

ورغم تمكن الكاشيون من السيطرة على أجزاء كبيرة من مملكة بابل في سرعة كبيرة ، إلا أنهم لم يتمكنوا من السيطرة على دولة القطر البحري بمثل هذه السرعة ، إذ ظل ملوك القطر البحري يتمتعون بكيانهم المستقل لفترة طويلة ولم يتمكن الكاشيون من السيطرة عليهم إلا بعد جهود مضنية ، وكان ذلك في عهد ملكهم «أولام ـ بورياش» .

ونظراً لقلة أعداد الكاشيين بالنسبة لأهل بابل ، فقد اعتبروا أنفسهم طبقة أرستقراطية حاكمة بين السكان الأصليين واعتبروا اللغة البابلية لغتهم الرئيسية وذلك إلى جانب لغتهم الخاصة ، ومن المظاهر الجديدة التي تنسب لهم تأريخهم الأحداث بسني حكم ملوكهم بعد أن كان العراقيون يؤرخون بالأحداث الرئيسية أكثر من غيرها ، كما شيدوا بعض المدن الجديدة والتي من أهمها مدينة «دور كوريجا لزو» وهي تبعد عن بغداد الحالية بحوالي ٣٢ كيلو متر وقد اتخذوها عاصمة لهم .

وقد عمل الملوك الكاشيون على ترميم المعابد البابلية وإعادة ما تهدم منها ، وظهر ذلك بشكل واضح في مدينة الوركاء حيث رمموا معبداً للإلهة إنانا

---

(١) محمد أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٣٦٨ ـ ٣٧٠ .

كما قاموا بإحداث بعض التطورات والإضافات لمحاور المقاصير الرئيسية وتشكيل الواجهات الخارجية، وظهر ذلك في معبد الوركاء، فقد دعمت أركانه الخارجية بأكتاف ذات مستويين لم يمارسها العراقيون إلا قبيل عصورهم التاريخية ثم هجروها بعد ذلك، وأضافت العمائر المدنية الكاشية تجديداً آخر تمثل في بناء صفات ذات أعمدة حول أبنيتها الكبيرة وظهر لها ما يماثلها في عمائر الحيثيين في الأناضول[1].

وفي مجال العلاقات الخارجية فيلاحظ وجود علاقات ود وصداقة بين مصر وبابل خلال القرن الرابع عشر قبل الميلاد وتمثلت هذه العلاقات الطيبة في زواج الفرعون امنحتب الثالث بابنة الملك البابلي المعاصر له، وبعد ذلك وفي عهد الفرعون اخناتون استنجد الملك البابلي به لتأمين تجارته في سورية وذلك نظراً لوجود اضطرابات في هذه المنطقة خلال هذه المرحلة وكان من نتيجتها تهديد التجارة البابلية.

ولقد تحكم الأشوريون في المناطق الشرقية والشمالية الشرقية من نهر دجلة. بينما تحكم الحوريون في المناطق الغربية والشمالية الغربية من نهر الفرات. وفيما يتصل بعلاقة الكاشيين بأشور فقد ساد الحذر العلاقات بينهما في أول الأمر، ولم يمنع ذلك من حدوث تصاهر بين البيتين الحاكمين في بابل وأشور، أما دولة ميتاني فقد تعرضت بعد فترة من الزمن لهجوم الحيثيين الذين كادوا يقضون عليهم لولا حدوث بعض الاضطرابات في الأملاك الحيثية في شمال الشام مما اضطر الحيثيون إلى الانسحاب بجيوشهم من العراق واستغل الأشوريون الفرصة فهاجموا العاصمة الميتانية واستردوا الكنوز التي كان قد اغتصبها الميتان من أرضهم. واكتفى الأشوريون بذلك إلا أن الأحداث سرعان ما أدت إلى نهاية دولة الميتان في منتصف القرن الرابع عشر قبل الميلاد.

وفى ذلك الوقت واجهت بابل قوى دولية ذات وزن كبير على حدودها

---

(١) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص ٤٨٥ - ٤٨٦.

فكان هناك العيلاميون والأشوريون والخاتيون ودخلت بابل في صراع مسلح مع كل من عيلام وأشور لم تكن نتائجه حاسمة لطرف من الأطراف. أما بالنسبة للحيثيين فقد سادت علاقات الود الظاهري بينهم وبين البابليين وذلك نظراً لانشغال الحيثيين بصراعهم مع كل من أشور ومصر(1).

وفي أواخر القرن الثاني عشر قبل الميلاد هاجم العيلاميون بابل وقضوا على الحكم الكاشي فيه ودمروا بابل نفسها ونقلوا معظم أثارها الفنية إلى عاصمتهم سوسة، إلا أن الاحتلال العيلامي لبابل لم يدم طويلاً إذ انتقل الحكم فيها إلى أسرة قوية من أمراء ايسين تعرف باسم الأسرة البابلية الرابعة أو أسرة ايسين الثانية، واستطاع ملكها نبوخذ نصر الأول من مهاجمة عيلام وتحقيق نصراً عليها إلا أنه كان غير حاسماً.

ولم تنعم بابل بالاستقرار بعد ذلك إذ جاء على عرشها أحد الأراميين وكان ذلك بداية فوضى شاملة في أرجاء الدولة حكم خلالها سبعة ملوك أسسوا ثلاث أسرات هي الأسرة البابلية الخامسة وأسسها كاش والأسرة البابلية السادسة وأسسها أرامي والأسرة البابلية السابعة وأسسها عيلامي، وبتولي أسرتها الثامنة العرش انحدرت بابل إلى الهاوية، ولم يصبح لها نفوذ خارج حدودها وظل الأمر كذلك إلى أن استولى الأشوريون على بابل وذلك خلال العصر الأشوري الحديث.

---

(1) King, L. W., op. cit., p. 22.

الفَصْلُ السَّادِس

الأشوريون

أطلق إسم «أشور» في النصوص القديمة على كل من المدينة وإلهها والدولة نفسها، وقد وردت كلمة «أشور» في المصادر الأرامية والعربية تحت اسم «أثور» وأما المصادر السومرية فقد عرفت بلاد الأشوريين باسم «مات أشور» أي بلاد أشور، كما وردت كلمة أشور في هذه المصادر من القرن ١٣ ق. م» «اش شر» كما وردت قبل ذلك تحت صورة «آ- شو- ار» و «اشر».

ويقع الإقليم الأشوري على طول دجلة من خط عرض ٢٧° شمالاً حتى مصبه جنوباً على صورة مثلث يحصره دجلة والزاب الأعلى والزاب الأسفل، وتحاده من الشمال والشرق جبال عالية وهضاب وأراضي تتخللها النجاد والأغوار، فهي ليست أرضاً منبسطة، بل هي بلاد ذات طبقة جبلية في أغلب الأمر تحصر بينها الرقعة الخصبة التي تمثل وديان الأنهار سالفة الذكر، وهذه الرقعة الخصبة من الأراضي صالحة للزراعة عرفت بها بضعة سهول من بينها سهل اربيل وسهل كركوك، وكان وجود الجبال من ناحية الشمال والشرق بمثابة حدود طبيعية للأقاليم، أما من الجنوب والغرب فالطريق مفتوح، إلى الجنوب بغير حدود طبيعية حتى الخليج العربي، وإلى الغرب حتى الفرات وروافده وما ورائه، ومن ثم فالحدود السياسية جنوباً وغرباً خاضعة لمدى التوسع الاستعماري فهي تتقلص مرة، وهي تمتد مرة أخرى تبعاً لمدى السلطان السياسي للإقليم، وكانت عاصمة أشور هي مدينة «أشور» كذلك،

وتعرف خرائبها اليوم باسم القلعة أو «قلعة شرقاط» على مبعدة ١١٠ كيلو مترا من الموصل[1].

والأشوريون في الأصل فرع من الأقوام السامية التي هاجرت من مهد الساميين الأصلي، وهو جزيرة العرب على ما يقول به جمهور الباحثين، إلا أنهم لم يأتوا رأساً من جزيرة العرب إلى شمالي العراق وهم بدو غزاة، وإنما حلوا في موطن مؤقت بعد هجرة أجدادهم من الجزيرة وانتقلوا منه إلى البلاد التي صارت فيما بعد موطناً ثابتاً لهم. ويفترض العلماء لذلك فرضين أولهما: إن الأشوريين جاؤا من الجنوب من أرض بابل - وربما في العهد الأكدي - معتمدين في ذلك على التقارب بين اللغتين الأشورية والبابلية، رغم وجود بعض الاختلافات بينهما، وثانيهما: إن الأشوريين موجه أرامية جاءت من سورية، أي أنهم من السامين الغربيين، وربما كان الرأيان صحيحان، بمعنى أن الأشوريين فرع من الساميين الذين جاؤا من سورية، كما أنهم فرع من الساميين الذين جاءوا من الجنوب من بابل. بل إن «ول ديورانت»[2] يرى أنهم خليط من هؤلاء الساميين، ومن قبائل غير سامية جاءت من الغرب (ولعلهم من الحيثيين أو من قبائل تمت بصلة إلى قبائل ميتاني) ومن الكرد سكان الجبال الآتين من القوقاز، وأخذ هؤلاء كلهم لغتهم المشتركة وفنونهم من سومر، ولكنهم صاغوها فيما بعد صياغة جديدة جعلتها لا تفترق في شيء عن لغة أرض بابل وفنونها.

ويقسم المؤرخون تاريخ أشور القديم إلى ثلاثة عصور متميزة هي:

١ - العهد الأشوري القديم ويبدأ من فجر التاريخ الأشوري إلى نهاية حكم أسرة بابل الأولى.

٢ - العهد الأشوري الوسيط أو عصر المملكة الأشورية ويبدأ من نهاية مملكة بابل الأولى وذلك في عهد الملك «أشور أو بلط الأول» وينتهي في بداية القرن التاسع قبل الميلاد وذلك بنهاية عهد الملك «أشور دان الثاني».

(١) نجيب ميخائيل إبراهيم: المرجع السابق، ص ٢٣٧ - ٢٣٨.

(٢) ول ديورانت: قصة الحضارة، الجزء الثاني من المجلد الأول، الشرق الأدنى، ترجمة محمد بدران، القاهرة ١٩٦١، ص ٢٦٥ - ٢٦٦.

٣ ـ العهد الأشوري الحديث أو عصر الأمبراطورية ويمكن أن يقسم بدوره إلى قسمين :

أ ـ الأمبراطورية الأشورية الأولى وتمتد من حوالي عام ٩١٣ ـ ٧٤٥ ق . م وتبدأ بعهد الملك «ادد نيراري الثاني» وتنتهي بعهد الملك «أشور نيراري السادس» .

ب ـ الأمبراطورية الأشورية الثانية وتمتد من حوالي عام ٧٤٥ ـ ٦١٢ ق . م وتبدأ بالملك «تجلات بلاسر الثالث» وتنتهي بالملك «أشور أو بلط الثاني» .

وسنقوم فيما يلي بتتبع تاريخ دولة أشور في هذه العهود الثلاثة :

ـ العهد الأشوري القديم

حكم أشور خلال هذه المرحلة سبعة عشر ملكاً وذلك حسبما ورد في القائمة التي عثر عليها في خور سباد ، إلا إنه يرجح أن بعض هؤلاء الملوك كان يعاصر بعضهم البعض ، ومن الناحية السياسية فقد خضع الأشوريون في بداية هذه المرحلة لحكم ملوك أسرة أور الثالثة ، ولكن بعد سقوط أسرة أور انتهز الأشوريون الفرصة واستقلوا وذلك مثلهم مثل كثير من المدن الأخرى ، وفي ذلك الوقت بدأ الملك الأشوري «بوزور ـ أشور الأول» الذي حكم حوالي عام ٢٠٠٠ ق . م من إقامة سلسلة جديدة من الملوك الأشوريين الذين يحملون أسماء أكدية بحتة .

وفي عهد الملك «ايلوشلوما» تمكن الأشوريون من التوغل في جنوب بلاد النهرين وذلك أثناء حكم مملكة ايسين . ومن المحتمل أنه وسع مملكته حتى شملت نينوى ، ولكن المؤسسين الحقيقيين لقوة أشور كانوا من الساميين الغربيين الذين تدفقوا على شمال وجنوب بلاد النهرين في القرون الأولى من الألف الثاني ق . م حيث بدأ أحد زعماء الأموريين في الاستقرار في المنطقة ما بين نهري الخابور والدجلة وحكمها خلفاؤه كاتباع للأشوريين ، ثم تمكن أحدهم من الاستيلاء على آشور واعتلاء العرش ، وفي نفس الوقت تقريباً

تمكن أموري آخر من أن يصبح ملكاً في ماري ـ ومنذ ذلك الحين ارتبط مصير المملكتين الشماليتين العظيمتين كل منهما بالأخرى، فقد بدأت بينهما علاقات حسن الجوار أولاً ولكنها سرعان ما انفصمت ـ وتمكن الأشوريون بفضل «شمس أدد» من وضع يدهم على ماري[1]. ولقد توسع بعد ذلك ناحية الغرب حتى وصل إلى ساحل البحر المتوسط، ولكن لم يستمر الحال طويلاً إذ تمكن الملك حمورابي في العام الحادي والثلاثين من عهده وبعد أن انتهى من حروبه مع العيلاميين من اخضاع أشور لسلطانه، واستمر ذلك الوضع فترة من الزمن حتى تمكن الأشوريون من استعادة استقلالهم وبدأوا مرحلة جديدة من تاريخهم هي العهد الأشوري الوسيط.

٢ ـ العهد الأشوري الوسيط

استغرقت هذه المرحلة أكثر من أربعة قرون ونصف القرن (١٣٨٠ ـ ٩١٣ ق. م تقريباً) حكم خلالها ستة وعشرون ملكاً وذلك منذ نهاية أسرة بابل الأولى وحتى بداية العهد الأشوري الحديث ويعاصر العهد الأشوري الوسيط في مصر عصر الدولة الحديثة، وفي خاتى عصر الأمبراطورية الحيثية وفي جنوب العراق كان هناك الكوشيون.

ويبدأ العهد الأشوري الوسيط باستقلال آشور من نفوذ البابليين بعد سقوط دولة بابل الأولى في أيدي الحيثيين الذين ما إن تراجعوا عنها حتى احتلها الكاشيون. ولقد انتهز الأشوريون الفرصة وأعلنوا استقلالهم وكان ذلك في عهد الملك «شمش أداد الثاني» الذي جعل من الأشوريين قوة لها كيان في ذلك الوقت، إلا أن خلفاءه لم يستطع الحفاظ على القوة التي حققها شمش أداد الثاني وذلك نظراً لتطور الأحداث الخارجية بجوار دولة أشور تطوراً سريعاً.

تكونت بجوار الأشوريين في ذلك الوقت من جهة الغرب قوة فتية جديدة هي

(١) Kupper, J. R., "Northern Mespotamia and Syria", In C. A. H., 1973, P.1 ff.

قوة الميتانيين التي أنشأها الحوريون في منتصف الألف الثاني ق. م، ولقد أخذت قوة الميتابيين تزداد حتى أصبحت لهم اليد الطولي في أحـداث الشـرق الأدنـى القديم خلال هذه المرحلة، ولقد تمكن الميتانيون من فرض سيطرتهم ونفوذهم على دولة أشور واستمرت تلك السيطرة زهاء قرن من الزمان.

ولقد ساعدت الظروف آشور في التخلص من ميتاني بل والقضاء عليهـا، وتمثلت تلك الظروف في الصراع الذي نشب ما بين الميتانيين والحيثيين مما أرهق الطرفين، وزاد الأمر سوءاً بالنسبة للميتانيين انقسام البيت المالك الميتانـي إلـى فريقين متناحرين، وعاصر هذه الأحداث الملك الأشوري **«أشور ـ أوبلط الأول»** الذي انضم لأحد الفريقين المتنازعين.

وكنتيجة للمؤامرات والدسائس بين الفريقين قتل الملك الميتاني **«توشراتا»** المعـارض للفـريق المـوالـي للأشوريـيـن، وفـر ولـده إلـى بابـل ولـكن ملكهـا **«بورنابورياش»** تمسك بمبدأ الحياد ورفض منحه حق اللجوء السياسي، فاضطر إلى الذهاب إلى البلاط الحيثي، بينما اقتسمت أشور، ودولـة صغيرة في حوض دجلة الأعلى تدعى «الشي» بلاد ميتاني، وهكذا تمكن «أشـور أوبلـط» دون أن يدخل في أي معركة حربية من أن يحرر بلاده من سيطرة الميتانيين، بل وتمكن كذلك من أن يتسبب في القضاء على الدولة التي كان أباؤه يدفعون لها الجزية وقد اتبع سياسة حكيمة مع جيرانه فتصاهر مع ملك الكاشيين الذي تزوج بابنته أملاً في أن يصبح حفيده يوماً ملكاً على بابل[1].

وسارت الدولة الأشورية في نموها وتوطيدها ثم توسعها في عهـد الملـوك الذين خلفوا «أشور أوبلـط» وكان هؤلاء الخلفـاء من طراز مؤسس الدولـة حيث التزموا السياسـة الحكيمـة في تقـوية الدولـة دون الدخـول في مغامـرات حربية وفتوحات جديدة تستنزف قوى الدولة فنهجوا نهجه وعمل بعضهـم علـى توسيع سلطان الأشوريين إلى جهات الشرق الأوسط فنشأت بذور الأمبراطورية الأشورية التي نمت ونضجت فيما بعد منذ القرن التاسع ق. م وكان أول ـ هؤلاء الذين خلفوا

---

(١) محمد أبو المحاسن عصفور. المرجع السابق، ص ٣٧٦.

أشور أوبلط الملك **«إنليل نيراري»** الذي خلفه **«أداد نيراري الأول»** الذي تمكن من ضم مساحات من أرض الجزيرة إلى مملكته ثم خلفه **«شلمنصر الأول»** (١٢٦٦ - ١٢٤٣ ق. م) والذي يعد واحداً من ملوك أشور العظام ولقد قام بعدة حملات في الغرب والشرق وحين استقرت له الأمور واتسعت دولته اتخذ عاصمة جديدة هي «كالح» (نمرود الحالية) بدلاً من العاصمة القديمة أشور.

وخلف شلمنصر الأول ابنه **«توكلتي - ننورتا»**[1] (١٢٤٣ - ١٢٢١ ق. م) الذي عمل على توطيد حكم الأسرة وتوسيع حدود بلاده، ونجح في أن يضم إلى أشور مملكة بابل وأن يهزم ملكها «كاشتيلياش» وحق له حينئذ أن يتخذ لقب «ملك سومر واكد» ثم أقام لنفسه عاصمة جديدة هي «كار - توكلتي - ننورتا» في مواجهة أشور.

ولكن أخريات أيام توكلتي - ننورتا لم تكن طيبة إذ طمع ابنه في عرشه فقتله وكان من أثر ذلك اضطراب شؤون الأسرة فتعاقب عدد من الملوك الضعاف (١٢٣٢ - ١١٧٥ ق. م) مما يسر لبابل أن تخرج عن سلطان أشور وتستعيد استقلالها بل وتعكس الأية وتفرض نفوذها على أشور فترة من الزمن.

واستمرت فترة الانتكاس هذه في أشور حتى اعتلى عرشها **«تجلات بلاسر الأول»** (١١١٦ - ١٠٩٠ ق. م) الذي قام بغزوات ناجحة في الشمال الشرقي والشمال ووصل إلى البحر الأسود ثم اتجه غرباً نحو سواحل آسيا الصغرى وفينيقية وبعد ذلك أخضع بابل فأصبح يحكم معظم أنحاء الشرق الأدنى من البحر الجنوبي إلى البحر الشمالي وساحل البحر المتوسط.

وأدت حروب «تجلات بلاسر الأول» إلى إحضار جزى كثيرة إلى آشور مما كان له أثره في انتعاش الحركة المعمارية، فشيدت العديد من معابد الآلهة، كما أعاد تعمير أسوار العاصمة القديمة «أشور»، واتخذها عاصمة لدولته مرة ثانية بعد أن نقل منها «شلمنصر الأول» مركز الحكم إلى عاصمته «نمرود».

---

(١) Weidner, E. F., "Studien zur Zeitgeschichte Tukulti - Ninurtas I", In Arch. F. or 13 (1939 - 41), P. 109 ff.

ولقد خلف «تجلات بلاسر» أحد عشر ملكاً بلغوا حداً من الضعف والاستكانة جعل الانحلال يدب في جسم أشور ولم يستطيعوا الصمود أمام هجمات الأراميين القوية وانتهى الأمر بأن أصبحت سلطة الدولة الأشورية لا تتعدى المدن الأشورية نفسها.

وكان الآراميون يستوطنون المنطقة ما بين آشور والساحل الفينيقي، فوجد فرع منهم في وسط الشام وشرقه من دمشق إلى حماة، وقد كون هذا الفرع فيما بعد دويلات تجارية ازدهرت ولكنها اصطدمت بالتوسع الأشوري منذ القرن التاسع ق. م. واستوطن فرع ثاني من الأراميين منطقة الفرات الأوسط والمراعي الواقعة في شمال العراق، وكان هذا الفرع الأخير هو الذي اصطدم به الأشوريون في أول مرة بعد «تجلات بلاسر الأول»، وتمكن هذا الفرع من الآراميين من التضييق على الأشوريين وهدد دولتهم بالزوال.

ولقد كانت هذه المرحلة من أخطر ما تعرض له الأشوريين وهدد دولتهم بالزوال.

ولقد كانت هذه المرحلة من أخطر ما تعرض له الأشوريون في تكوينهم السياسي، ولقد استطاع الأشوريون مع نهاية القرن العاشر ق. م ومطلع القرن التاسع ق. م من الخروج من أزمتهم، بل واستطاعوا خلال القرن التاسع من تكوين امبراطورية عظيمة، وهي المرحلة التي تعرف باسم «العهد الأشوري الحديث».

٣ ـ العهد الأشوري الحديث

استغرق العهد الأشوري الحديث ما يقرب من ثلاثة قرون، وينقسم إلى امبراطوريتين تخللتهما فترة ركود وضعف، وتبدأ الأمبراطورية الأولى بعهد «أدد نيراري الثاني» وتنتهي بعهد «أشور نيراري السادس» وذلك من حوالي عام ٩١٣ ق. م ـ ٧٤٥ ق. م وحكم خلالها تسعة ملوك، وتبدأ الأمبراطورية الثانية بعهد الملك «تجلات بلاسر الثالث» وتنتهي بعهد الملك «أشور أوبلط الثاني» وذلك من حوالي عام ٧٤٥ ـ ٦١٢ ق. م وقد حكم خلالها عشر ملوك.

أ ـ الأمبراطورية الأشورية الأولى :

تمكن «**أدد نيراري الثاني**» (٩١٣ ـ ٨٩٠ ق . م) من تثبيت قواعد حكمه واسترجع الإشراف الفعلي لدولته على تخومها الغربية حول نهري الخابور والفرات ، وإشعار أهل هذه التخوم وبخاصة الأراميين بسلطانه ، ويبدوا أن هؤلاء الأراميين الشرقيين وإن أخذوا بحضارة العراقيين وعمل بعضهم بالزراعة واستطاعوا أن يرهبوا دولة أشور فترة طويلة وكادوا يسيطرون على طرق تجارتها إلا أنهم ظلوا يؤثرون النظام القبلي وحياة التنقل في جماعات منفصلة ، فشجع تفرقهم الأشوريون على محاولة إخضاعهم .

وفيما يتصل بحدوده الجنوبية ، فقد حارب بابل مرتين ، وانتهت حربه معها بانتصاره عليها ، ووقعت معاهدة حدودية معها اعترفت فيها بابل بسيادته على أرض السواد من الخابور في الغرب إلى ما يجاور بغداد الحالية في الجنوب الشرقي[١] .

وخلفه ابنه «**توكلتي ننورتا الثاني**» (٨٩٠ ـ ٨٨٤ ق . م) على عرش أشور ، وقد سار على نهج أبيه فوجه همته لإقامة الحصون على الحدود حيث وضع حاميات قوية يستطيع بها السيطرة على المنافذ المختلفة إلى الشمال والغرب لتأمين طرق التجارة عبر طوروس والي سورية ، ولضمان عدم حدوث تسرب من القبائل من هذه المنافذ ، وقد قام بعدة حملات حربية كان الهدف منها استعراض قوته لتأمين الدولة التي أقامها والده ، فقام بعدة حملات ضد الأراميين في وسط العراق وغربها ثم اتجه إلى الشمال بغية إرهاب الجماعات الجبلية والوصول إلى مناطق يسهل احتلالها أو يسهل الدفاع عنها .

ومنذ ذلك الحين اتجهت سياسة أشور نحو توطيد سلطان الدولة على حدودها الغربية وإخضاع القبائل الجبلية في الشمال والشرق ومحاولة السيطرة الكاملة على الطرق التجارية والحربية التي تتجه غرباً إلى سورية

---

(١) Smith. S. M. A.."The Foundation of the Assyrian Empire", In C. A. H..vol. III, the Assyrian Empire. Cambridge. 1965. PP. 7 - 9.

وشمالاً وغرباً إلى جبال طوروس وآسيا الصغرى مع محاولة إضعاف الفروع الأرامية الغربية التي استمرت في شرق سورية وأواسطها وامتد نفوذها إلى موانيها البحرية[١].

وجاء بعده ابنه «**أشور ناصر بال الثاني**» (٨٨٣ ـ ٨٥٩ ق. م) وهو يعتبر من أعظم ملوك الأشوريين رغم شهرته بالقسوة وقد شغل حكمه بعدد من الحملات في الشرق والغرب لتوطيد دولته وقد سجل أعماله الحربية في لون من الزهو والمبالغة أحياناً وهي سنة بدأها والده واتبعها ملوك أشور بعد ذلك، ولقد عثر على هذه الحوليات في معبد ننورتا في كالح، ويفهم مما ورد فيها. أن فتوحاته قد وصلت إلى شواطىء البحر المتوسط وإلى جبال أمانوس وأنه قد استطاع أن يخضع كل البلاد الواقعة بين أشور وبين البحر وأن يسيطر بذلك على الأقاليم الغربية.

ولقد أدخل تحسينات كثيرة في الجيش والإدارة حيث استخدم الخيالة على نطاق واسع وقسم بلاده إلى ولايات يحكم كل منها أحد الولاة، وجدد بناء مدينة كالح (نمرود) وبنى فيها قصراً فخماً زينه بألواح كبيرة من الرخام نقشت عليها مناظر تمثله في حروبه وصيده وقدوم الأمراء الخاضعين له ومعهم هداياهم وجزيتهم[٢].

وخلف «**شلمنصر الثالث**» (٨٥٨ ـ ٨٢٤ ق. م) أباه على العرش الأشوري ولم يكن أقل اعتزازاً بجبروته من أبيه فوصفته نصوصه بأنه «الأفعوان الكبير» (أوشوم جال» وأنه طحن أعداءه جميعاً كما لو كانوا من طين وأنه المقتدر الذي لا يعرف الرحمة في الحروب... الخ كما أنه لم يكتف بامبراطورية أبيه الواسعة، بل أضاف إليها مستعمرات جديدة وصلت إلى منابع دجلة والفرات كما ساعدته الظروف فتدخل في عرش بابل ولم يكن ذلك بغير ثمن لصالحه وصالح دولته فقد أصبحت له اليد العليا على صاحب عرشها بعد أن ناصره وسمح له ذلك بأن يتعداها بجيوشه إلى كلديا حتى الخليج العربي ويتلقى هدايا ملوكها أو جزاهم على حد قول نصوصه وقد قام

---

(١) Ibid., PP. 9 - 10.

(٢) Ibid., PP. 12 - 18.

بسلسلة من الحملات الحربية في سورية وفلسطين.

وقد دون شلمنصر أخبار حروبه على مسلة تعرف باسم «المسلة السوداء» وهي توجد بالمتحف البريطاني حالياً، وقد سجلت بها الحروب التي قام بها شلمنصر حتى العام الحادي والثلاثين من حكمه، وبالإضافة إلى هذه المسلة توجد نقوش أخرى سجلت على البوابات البرونزية أو على اللوحات الطينية التي عثر عليها في أشور، أو على تماثيل لثيران عثر عليها في كالح، كما عثر على نقوش أخرى له سجلت على بعض الألواح الحجرية وكذلك على قطع من الرخام، ويلاحظ أن بعض الأحداث قد سجلت على أكثر من مصدر، وعلى ذلك فلدينا عن بعض الأحداث أكثر من نسخة.

ولقد تجرأ شلمنصر الثالث في العام السادس من حكمه على مهاجمة دمشق ـ أكبر الإمارات الأرامية الغربية ـ بعد أن أرهب هو وأبوه الإمارات الأرامية الأخرى التي توزعت بين الفرات وقلب الشام ولكن دمشق لم تكن صيدا سهلاً على الرغم من طول منافستها مع جيرانها من الأراميين والبدو والعبرانيين فعزمت على الوقوف في وجه الأشوريين وهناك وفي قرقر عام ٨٥٣ ق. م تجمع حلف من الملوك السوريين يضم اثني عشر ملكاً على رأسهم «بنحدد» (حدد عزر) الذي كان جيشه كما يقول نص شلمنصر الثالث نفسه: ـ

«للخصم ١٢٠٠ مركبة، ١٢٠٠ فارساً، ٢٠ ألف من المشاة من قبل (حدد عزر) الدمشقي وكذلك ٧٠٠ عجلة ٧٠٠ من الفرسان، ١٠ الاف من المشاة من (ارخوليني) صاحب حماة وكذلك ألفين من العجلات وعشرة الآف من المشاة من قبل اخاب الإسرائيلي وكذلك ٥٠٠ جندي من «قي» وألف جندي من «موصري» وكذا عشرة الآف جندي من ارقناتا وكذا ٢٠٠ جندي من «متينو بعلو» الأروادي وكذا ٢٠٠ من أوزاناتا وكذا ٣٠ عربة وعشرة آلاف جندي من ادونوبعلو» آل«شياني» وكذا ألف راكب جمل من«جنديبو» من بلاد العرب. . وعدتهم اثني عشر ملكاً دخلوا ضدى في معركة حاسمة وحاربتهم بعون «أشور» وقوى أشور التي أمدني بها وأسلحة ترجال قائدي الذي أهداني إياها وأوقعت بهم الهزيمة بين مدن قرقارة وجلزوار وذبحت

أربعة عشر ألفاً من جنودهم واجتحتهم كسيول «ادد» حين يبعث بها ونشرت جثثهم في كل مكان وملأت السهل كله بجثثهم الفارين وقد جعلت دماؤهم تسيل خلال المعركة في «خور بالو» في تلك الناحية وكان السهل أصغر من أن يجعل كل أرواحهم تنزل إلى العالم السفلي وأما ساحة الوغى فقد ضاقت عن أن يدفنوا بها، وعبرت الأورنت فوق جثثهم قبل أن يكون هناك معبر بل إنني خلال المعركة أخذت منهم عرباتهم وخيولهم المدجنة».

هذه هي معركة قرقارة أو «قرقر» الشهيرة في العام السادس من حكم شلمنصر الثالث (٨٥٣ ق. م) التي تعد إحدى المواقع الحاسمة تم خلالها اندحار حلف من اثني عشر ملكاً تكتلوا جميعاً للوقوف في وجه قواته المنتصرة ولكنهم لم يفلحوا بل حاقت بهم جميعاً الهزيمة ومع ذلك ورغم تفاخر شلمنصر الثالث بالنصر في قرقر ـ فإن الحقائق التاريخية تقول إن نصره لم يكن حاسماً ولم يؤد أبداً إلى استسلام دمشق بل كان على الأشوريين أن ينتظروا سنين طويلة أخرى قبل أن يتمكنوا من إخضاع دمشق على أيام تجلات بلاسر الثالث في عام ٧٣٢ ق. م.

ورغم الانتصارات الواسعة التي حققها شلمنصر الثالث والحملات الكثيرة التي قام بها إلا اننا نجد أن الأحوال في أخريات عهده تنذر بتهديد العرش من الداخل حين طمع فيه أكبر أبنائه المدعو «أشور دان ايلي» وكان من نتيجة ذلك نشوب الحرب الداخلية إذ استطاع هذا الابن أن يضم إلى جانبه بعض الناقمين على أبيه وقد مات شلمنصر الثالث خلال هذه الاضطرابات الخطيرة التي هددت ـ لا العرش وحده بل الأمبراطورية كلها ـ بالانقسام والتفكك(١).

ذلك أنه رغم أن ولي عهده المدعو «شمش اداد الخامس» (٨٢٤ ـ ٨١٠ ق. م) تغلب على أخيه الثائر، إلا أن تلك الظروف كانت سبباً في فقدان

---

(١) Ibid., PP. 18 - 31,

وكذلك نجيب ميخائيل إبراهيم: المرجع السابق، ص ٢٥٩ ـ ٢٦٢.

أشور لبعض مستعمراتها البعيدة، وفي تلك الأثناء ظلت بابل على ولائها لأشور،، وتحسنت العلاقات بينهما بزواج ملك أشور من أميرة بابلية تدعى «شمورامات» حظت بشهرة كبيرة حتى عرفها اليونان باسم «سميراميس» وقد صارت وصية على ولدها «اداد نيراري الثالث» (٨١٠ - ٧٨٢ ق. م) الذي اعتلى العرش وهو صغير بعد وفاة والده. وكان حكمها هو الأساس التاريخي الراهن لأسطورة «سميراميس» اليونانية، والتي تجعل منها نصف إلهة ونصف ملكة، وقائدة باسلة، ومهندسة بارعة، وحاكمة محنكة مدبرة، وتلك الأسطورة هي كل ما نعرفه عن هذه الملكة، وقد وصفها «ديودور الصقلي» وصفاً مفصلاً بديعاً.

وجاء بعد ذلك على العرش الأشوري ملوك ضعاف من أمثال «شلمنصر الرابع» (٧٨٢ - ٧٧٢ ق. م)، أشور دان الثالث (٧٧٢ - ٧٥٤ ق. م)«وأشور نراري السادس» (٧٥٣ - ٧٤٦ ق. م) الذي قامت ضده ثورة أهلية في مدينة «كالح» (نمرود) قتل فيها وتولى العرش بعده «تجلات بلاسر الثالث» الذي بدأ عهد جديداً في تاريخ الأشوريين تكونت فيه آخر وأعظم أمبراطورية أشورية وبدأ كذلك عهد الأمبراطورية الثانية.

ب - الأمبراطورية الأشورية الثانية:

بدأ عهد الأمبراطورية الأشورية الثانية بالملك «**تجلات بلاسر الثالث**» (٧٤٥ - ٧٢٧ ق. م) وبعد توليه الحكم عمل على توسيع رقعة دولته وإحلال هيبتها في نفوس الشعوب المجاورة له. وبدأ أعماله العسكرية ضد الميديين في فارس، وبعد ذلك اتجه نحو بابل التي أعلن نفسه ملكاً عليها في عام ٧٢٩ ق. م تحت اسم «پولو».

وتشير حوليات «تجلات بلاسر الثالث» إلى أن جهوده الحربية الفعلية كانت موجهة ضد الأقاليم الواقعة غرب دولته، حيث قضى سنوات حكمه في توجيه الحملات إلى هذه المناطق، فحارب اربد أربع مرات، وتدخل في شؤون مملكة يهوذا، ووصلته الجزية من العديد من البلدان مثل صور وصيدا

ودمشق وسبأ وكذلك من بعض المناطق في آسيا الصغرى، ولقد تمكن من إخضاع دمشق عام ٧٣٢ ق. م ولم يكتف بتبعيتها لنفوذه، بل قام بنقل أهلها إلى مناطق أخرى، وبذلك قضى على المملكة الآرامية فيها، ثم عين بها حاكماً أشورياً، وهو بهذا العمل إنما قد استن سنة نقل الشعوب وتشريد أهلها من مواطنهم، وهي السياسة التي سار خلفاؤه على نهجها.

وقام بتنصيب «هوشع» (٧٣١ - ٧٢٢ ق. م) ملكاً على إسرائيل ولكن قامت ضده ثورة جعلت أشور تتدخل وتجتاح الجليل، وقد نزل «تجلات بلاسر» إلى عسقلان التي كان ملكها قد مات واضطر خلفه أن يتنازل عن جانب من مدينته للملك الأشوري اتقاء لشره، وهكذا ينتهز «تجلات بلاسر» كل فرصة ليتدخل في الشؤون الداخلية للبلاد المتاخمة، بل إنا نراه يسعى جاهداً لتعيين حكام من أشور في كل مكان، ، حتى في بلاد العرب، أما في فينيقيا فنرى اهتمامه بها يبلغ حد تعيين ابنه الأكبر «شلمنصر» حاكماً عليها منذ حملة عام ٧٣٣ ق. م وهكذا قضى «تجلات بلاسر» الثالث معظم حكمه في الحروب، ولكنه ترك من بعده لأبنه امبراطورية واسعة الأرجاء[١].

ويخلف «**شلمنصر الخامس**» (٧٢٧-٧٢٢ ق. م) أباه على عرش أشور وقد نحى منحى أبيه تجاه العرش البابلي حيث توج نفسه ملكاً على بابل وعرفه البابليون باسم «أولولاي» - كما ورد في إثبات ملوكهم - وذكر المؤرخ اليهودي يوسفيوس أن شلمنصر حاصر مدينة صور وأخضعها بعد أن ثارت عليه ونزل شلمنصر ليتسلم الجزية من «هوشع» ولكن هوشع كان قد غير ولاءه للأشوريين، ويقال أنه نفذ مكيدة سرية مع هذا أو ذاك من الملوك، أو بالأحرى مع «سوا» ملك مصر، وهنا رأى «شلمنصر الخامس» أن يؤدب هوشع هذا، فاستمر ليحاصر السامرة، حيث استمر حصاره لها أعواماً ثلاثة، ولكنه لم يفلح في الاستيلاء عليها إذ عاجلته المنية، ويبدو أنه لم يمت ميت طبيعية،

(١) Smith, S. M. A., "The Superemacy of Assyria", In C. A. H., vol. III, PP. 32 - 42.

بل يظهر أن العرش تعرض لمحنة نتيجة لثورة في الداخل فانتقل العرش إلى خلفه الذي يعرف باسم «سرجون» ـ وهو أخوه ـ الذي دخل المدينـة ونفـى أغلبية أهلها وسباهم .

ويعتبر «**سرجون الثاني**» (شـاروكين ـ الملك الصـادق) (٧٢٢ ـ ٧٠٥ ق . م) في نظر بعض المؤرخين مؤسساً لأسرة جديدة ، والواقع أنه ليس كذلك فهو عضو من الأسرة التي حكمت في أشور ، وهو أخ للملك السابق ، علـى الأرجح .

ولقد انتهزت مصر وبابل فرصة قيام ملك جديد على آشور لتثير المتاعب ، وكانت الأولى تستهدف إعادة نفوذها الذي ضاع في فلسطين ، أما الأخرى فكانت تسعى لرفع النير عن كاهلها وينتهز «مردوخ بلادان الثاني» (مردوك ـ ابـل ـ دين) ملك بيت ياكين في إقليم البحر الفرصة[1] ، فيتزعم القوم ويوحد القبائل الكلدانية للثورة ضد البابليين ، وقد بدأ «مردوخ بلادان» ، نشاطه في بداية حكم سرجون ، فعاهد العيلاميين وحصل منهم على مساعدة عسكرية ، فهجم على البابليين في عام ٧٢١ ق . م، وعزم سرجون على تأديب الثائرين فقاد حملة بنفسه وسـار لمنازلـة العيلاميين في مدينة «الدير» (القريبة من بدرة الان) ، وقد جاءوا من إيران (إقليم خوزستان) لمساعدة حليفهم «مردوخ بلادان» الذي لم يحضر في الوقت المناسب فالتحم بالعيلاميين ، ويؤكد كلا الفريقين انتصاره ، ولعل الواقع أن سرجون فضل الانسحاب لمشاغل أخرى طرأت ، وإن لم ينتصر أحد الفريقين على الآخر، وأياً ما كان الأمر، فقد ظفر «مردوخ بلادان» بتاج بابل وتمتع بالسلطة فيها عشر سنوات ، ولم يتسن لسرجون أن يعيد منازلته إلا في عام ٧١٠ ق . م بعد انتهاء حملاته في الغرب (الشام) والتجأ «مردوخ بلادان» إلى العيلاميين ، ولكن يبدو أنه لم يحصل منهم على مساعدة عسكرية ، فهرب إلى منطقة الأهوار في الجنوب ، ومن العجيب أن سرجون عفا عنه وعينه حاكمـاً علـى ولاية «بيت ياكينـي» الجنـوبية ، ثم توج سرجون ملكاً على بابل ـ كما فعل تجلات بلاسر وشلمنصر من قبـل ـ وبـذلك

---

(١) Ibid., PP. 49 - 50.

حلت المشكلة البابلية حلاً مؤقتاً في أيام سرجون واستتب الهدوء في بلاد بابل طوال أيام حكمه الباقية.

وأما في الغرب فإنه استمر في محاصرة السامرة حتى سقطت في نفس العام الأول من حكمه (٧٢٢ ق. م) وحينئذ سقطت دويلة إسرائيل وانتهت من الوجود كدولة. ووضعت البلاد تحت أمرة ضابط أشوري. ويسجل سرجون في حولياته أنه «في بداية حكمي وفي السنة الأولى منه حاصرت السامرة واستوليت عليها ونقلت من أهلها ٢٧,٢٩٠ مواطناً واستوليت على خمسين عربة من السلاح الملكي، ثم ملأتها بسكان أكثر مما كان بها فأحللت بها مواطنين جدداً من بلاد كنت قد استوليت عليها، وعينت حكاماً عليها وفرضت الجزية والضرائب كما يفعل الأشوريين».

وفي عام ٧٢٠ ق. م نشبت ثورة عاتية بتحريض ملك مصر، وقد اشترك فيها ملك حماة وملوك دمشق والأراضي الساحلية والعربية و «سيبة» (أوسوا) ملك مصر، وتقابل الفريقان في معركتين حاسمتين، الواحدة في الشمال عند «قرقر» (المشهورة منذ معركة ٨٥٣ ق. م)، والأخرى عند «رفح» على الحدود الجنوبية، جنوب غزة وقد أسر فيها «حانون» (أوهنو) ملك غزة، وفر «سيبة» واستلمت الجزية من «بيرو» (فرعون) ملك مصر - كما يزعم - وهي من الذهب والجمال والخيول، وكذلك من «سامسي» ملكة بلاد العرب، و - «ايتامارا» ملكة سبأ، ولكن الثورة استمرت بين القبائل الصحراوية، وبعد بضعة سنوات، وفي عام ٧١٥ ق. م أمكن لـ «سرجون» أن يؤمن طرق التجارة الجنوبية، ثم هزم وهجر أهالي بيت عمري «افرايم» - كما ذكرنا - وقبائل «ثمود» و «ابايدي» و «مارسيمان» و «خياما» وعرب أقصى الصحراء. ولعل الهدف من حملاته الحربية هذه، هو تأمين طرق المواصلات التجارية والحربية المارة بسورية وكانت بعض هذه الطرق تصل إلى اليمن وحضرموت[1].

---

(١) Ibid., PP. 56 - 60.

وأما في الشمال[1] فإن ملك «شنوكتو» في طوروس، رفض دفع الجزية، وانضمت له ولاية «اتونا» ورأى سرجون أن هذا الحلف يسند دعوى «ميداس» واستطاع أن يهزمهم وأن يمنح إقليم «كومانو» إلى حاكم ملاطيه في عام ٧١٨ ق. م وفي العام التالي ضم قرقميش وكان ملكها حليفاً لـ «ميداس» كذلك فسجنه، ثم ركز جهوده في الأعوام التالية ضد إقليم «اوراتو» (ارارات) ومجاوراته وبخاصة «روشا» التي ظلت تحيك المؤمرات مدى عشر سنوات سابقة لهذه المرحلة وفي عام ٧١٤ ق. م قام بغارة على «اورارتو» ونهب المدينة، وفي العام التالي احتل «تابال» التي تحولت إلى ولاية أشورية ثم احتل قبرص وأقام في «ستيون» إحدى المستعمرات اليونانية، لوحة نصر وكأنما يتحدى العالم اليوناني، وفي عام ٧١٢ ق. م خلع ملك ملاطية ودمر مدينته. . . ثم تحول إلى «اشدود» في فلسطين على الحدود المصرية فجعل منها مدينة أشورية.

وبعد أن فرغ من شؤون الشمال والغرب تفرغ لشؤون الجنوب، لينهي ـ كما رأينا ـ صراعه مع «مردوخ بلادان» وبعد انتصاره نقل أهل «بيت ياكين» بعد اجتياحها إلى «كوماجين» ثم حصن الحدود بينه وبين عيلام، واضطر ملك دلمون (جزر البحرين) أن يرسل بهداياه لـ «سرجون» اتقاء قوته وخشية عدوانه واجتياح مدينته.

وفي أخريات عهده نراه يشغل مرة أخرى بالشمال إذ تعرضت «تابال» للكمريين المهاجرين من القوقاز إلى آسيا الصغرى، ولكن سرجون مات ميتة عنيفة في الشهور الأولى من عام ٧٠٥ ق. م. حين كان يتأهب لحملة على الحدود الشرقية وإن كان قد نجح في السنوات الثلاثة السابقة في تثبيت الحدود عند آسيا الصغرى من الغرب ثم ضم «كوماجين» نهائياً في عام ٧٠٨ ق. م. والواقع أن ميتة المفاجئة غدراً جاءت مبكرة لأن الأمور في جميع الأطراف كانت تحتاج إلى جهود أخرى متتابعة من ناحيته لتثبيت أقدام

(١) Ibid., PP. 55 - 57.

الأمبراطورية في الأطراف البعيدة وللقضاء على كل محاولة للانفصال أو الخروج على حكمه.

ورغم حروبه المتصلة في شمال وجنوب وشرق وغرب دولته، فقد لقى بعض الوقت ليعنى بالتعمير في الداخل ويؤسس لنفسه عاصمة جديدة هي مدينته المشهورة «خرسباد» ولقد استقر في أول الأمر في مدينة «أشور» ثم انتقل منها إلى «كالح» (نمرود) وقبل منتصف الحكم انتقل إلى «نينوى»، وفي العام التاسع (عام ٧١٣ ق. م) بدأ في تشييد عاصمة جديدة له هي «دور شروكين» أي «مدينة سرجون» على مبعدة ١٦ كيلو متر شمال شرقي «نينوى» وهي «خرسباد» الحالية، وقد أحاطها بسور حصنه بالأبراج العالية التي بلغت أكثر من ١٥٠ برجاً، وكان للمدينة ثماني بوابات عرفت كل منها باسم معبود أشوري وزين كل مدخل بوابة بثيران مجنحة ذات رؤوس بشرية لتحرس المدينة وتقيها المخاطر، وكان يؤدي إلى المدينة طريق مرصوف كما كانت شوارعها متعامدة مستقيمة وقد تم بناء المدينة في سبع سنوات فانتقل منها ليجعل منها عاصمة له في عام ٧٠٦ ق. م، ولكن المنية عاجلته في العام التالي دون أن يكمل بعض المباني التي كان قد ارتأي تجميل المدينة بها، وبموته هجرت المدينة، بل عمل بعض خلفائه ـ فوق إهمالها ـ على تشويه كثير من التماثيل والنقوش التي كانت تزينها.

خلف **سنحريب** (سين أخي ريبا) (٧٠٥ ـ ٦٨١ ق. م) أباه سرجون الثاني على العرش الأشوري وقد أرجع مركز المملكة إلى العاصمة المقدسة نينوى فجدد أبنيتها وبنى فيها قصوره وجعلها مركز الأمبراطورية وجملها بالمنحوتات الكثيرة.

ولقد سار «سنحريب» على نهج الملوك الأشوريين السابقين في إعادة إخضاع الأقاليم التابعة للأمبراطورية ولا سيما تلك التي ثارت في بداية حكمه، وعلى ذلك فقد قام بإخضاع مدن قيليقية وفتح المستعمرات الإغريقية على سواحل آسيا الصغرى واتصل بالإغريق الأيونيين، وبنى في طرطوس مدينة أشورية ليحكم منها مستعمراته الجديدة، وكذلك أعاد فتح المدن

الفينيقية والسورية ومملكة يهوذا، حيث أبدت في أوائل حكمه بوادر العصيان.

وكانت مصر وبابل تحرضان ولايات سورية وفلسطين على التخلص من الحكم الأشوري حتى تشغل الأشوريين عنها، فتوجه سنحريب أولاً إلى بابل حيث قام بدك حصونها وخربها وعين ابنه «أسرحدون» حاكماً على جنوب العراق، وبعد ذلك توجه إلى أقصى الجنوب حيث توجد دويلات أهل البحر والذين كانت لا تهدأ ثوراتهم، واستعان في القضاء عليهم بسفن صنعها له الفينيقيون واليونان.

وبعد أن أمن جانبه من ناحية الجنوب توجه إلى الولايات السورية والفلسطينية حيث استولى على مدنها، ثم حاصر مدينة بيت المقدس وأخضعها، واضطر ملكها «حزقيا» إلى دفع ضريبة ضخمة كان من جرائها أن جردت المعابد من كنوزها، وبعدئذ عاد الأشوريون إلى بلادهم حيث يبدو أن وباء انتشر في صفوف جيشهم.

وأما نهاية «سنحريب» فقد كانت نهاية محزنة، إذ اغتيل بواسطة أحد أبنائه، مما أدى إلى اضطرابات داخلية وتنافس بين أبنائه على العرش الأشوري، حتى تمكن أحد هؤلاء الأبناء وهو «أسرحدون» من القضاء على الفتنة وتولى العرش خلفاً لوالده. وقد وجه اهتمامه للانتقام من مصر لتدخلها في شؤون مستعمراته في سورية وفلسطين[1].

أسرحدون (أشور أخادين) (٦٨٠ - ٦٦٩ ق. م):

تمكن «أسرحدون» من القضاء على الفتنة التي أعقبت اغتيال والده، وبعد ذلك أعاد الهدوء والاستقرار إلى دولته وبدأ في إعادة تنظيم الخدمات العامة بعد أن أصابها التوقف نتيجة للاضطرابات وأعاد جمع الضرائب بعد أن توقف دفعها.

---

(١) Smith, S. M. A., "Sennacherib and Esarhaddon", In C. A. H., vol. III, PP. 61 - 79.

وبعد ذلك وجه «أسرحدون» اهتمامه للخارج، وكان أول ما قام به في هذا المجال هو قضائه على ثورة أرض البحر، ثم توجه نحو الغرب للقضاء على الحلف الذي تكون ضده من صيدا وقيليقيا وكوندي وذلك بتحريض من مصر، ولقد تمكن من الاستيلاء على صيدا عام ٦٧٧ ق. م حيث أباد المدينة وسبى أهلها وبنى إلى جوار مكانها مدينة سميت «كار أشور أخادين» أي مدينة أسرحدون. ولما رأى ملك صور ما حل بمدينة صيدا، فإنه أعلن ولاءه للعاهل الأشوري وبذلك أصبح الساحل الفينيقي تحت سيطرة الأشوريين.

وفي أعقاب ذلك قام بسلسلة من العمليات الحربية في الصحراء، إذ قام بغزو بعض المناطق في شمال الجزيرة العربية وذلك بهدف تأمين طريق جيوشه إلى مصر، ومن هذه المناطق التي قام بغزوها منطقة ورد ذكرها في الأخبار الأشورية باسم «أدمو» الواقعة في الواحات، ولعلها دوقة الجندل المذكورة في أخبار الفتوحات الإسلامية، وكان قد سبق لأبيه أن حاربها لتأمين حدود الأمبراطورية والمحافظة على طرق مواصلاتها البرية.

ثم وجه «أسرحدون» جهوده للانتقام من مصر لتدخلها المستمر في شؤون مستعمراته في سورية وفلسطين، وقد استعد الملك طهراقا لمقابلتهم، ولقد خرج «أسرحدون» في عام ٦٧٥ ق. م متوجهاً نحو مصر حيث تمكن من الوصول إلى شرق الدلتا، ولكن المصريين استماتوا في الدفاع عن بلادهم حتى تمكنوا من هزيمة الأشوريين وردوهم عنها، واضطر الملك الأشوري إلى العودة إلى بلاده لإعادة الاستعداد لمصر، كما يبدو كذلك أن الأمور في دولته كانت تتطلب عودته، إذ تعرضت حدوده لتهديد الماديين والإسكيزيين، فدخل معهم في حرب أبعد تهديدهم عن بلاده، كما أجبر الحكام على دفع الجزية التي كانوا قد امتنعوا عن دفعها.

وبعد أن تم له تأمين حدود بلاده، أسرع بالعودة إلى مصر حيث تمكن من دخول منف في صيف عام ٦٧١ ق. م، واضطر طهراقا إلى الهرب إلى الجنوب، وبعد أن نظم «اسرحدون» الإدارة في الأقاليم وثبت بعض الحكام

في أماكنهم واستبدل بعضهم بغيرهم من الوطنيين عاد إلى بلاده. وبمجرد عودته بدأ المصريون في الثورة ضد الحكم الأشوري، وحالت وفاة «اسرحدون» المفاجئة دون العودة لقمع الثورة المصرية، فوقع عبئها على خليفته أشور بانيبال(١).

ويخلف «**أشوربانيبال**» (٦٦٨ - ٦٢٦ ق. م) أباه على العرش وإن كان ذلك لم يكن أمراً سهلاً، إذ حدث في بلاط أسرحدون خلاف على وراثة العرش لأن الملك الأشوري لم يختر أكبر أولاده «شمش شوم - أوكين» لولاية العهد والأمر كذلك بالنسبة للابن الثاني وإنما كان ذلك من نصيب الابن الثالث «أشور بانيبال» على أن يكون أخوه الأكبر ملكاً على بابل.

وقد كان «أشور بانينال» قد نال تهذيباً وتربية في صغره فاق بهما سواه من الملوك الأشوريين. ومن هنا نشأ أديباً ميالاً للعلوم بجانب كونه محارباً من الطراز الأول، وقد تعلم إلى جانب ذلك ممارسة السياسة والإدارة حتى اتقنها على خير وجه، وقد فرغ لهذه الشؤون خلال خروج أبيه إلى حروبه وساعده على ذلك أن الملكة الأم «نيكووا» كان يترك لها عبء إدارة الشؤون أثناء غيبة زوجها، فكانت تشرك معها «أشور بانيبال» أشراكاً فعلياً في إدارة البلاد.

وهكذا ورث «أشور بانيبال» عرش أبيه عقب وفاته وكان أخوه الأكبر «شمش - شوم - أوكين» قد عين عقب الحملة على مصر وريثاً شرعياً للمملكة في بابل، ولم يكن من الممكن أن تقسم الدولة على هذه الصورة دون أن تثور المطامع في نفس كل من الأخويين فيحاول كل منهما أن يغتال نصيب الآخر من هذه الدولة المترامية الأطراف، وهو أمر كان له أثره لا في تمزق الدولة فحسب، بل وفي ضياعها نهائياً، ولم يكد أشور بانيبال يجلس على العرش حتى وصلته أنباء ثورة المصريين ضد الأشوريين، فجهز حملة كبيرة سارت إلى مصر ودخلت العاصمة المصرية طيبة وخربتها، ولم يبق الأشوريون بمصر طويلاً، بل عادوا إلى بلادهم واكتفوا بأخذ الجزية،

---

(١) Ibid., PP. 79 - 87.

واضطر أشور بانيبال إلى إرسال حملة أخرى إلى مصر نتيجة لحدوث ثورة أخرى فيها، فدخل الجيش الأشوري طيبة مرة أخرى.

واستمر التعاون قائماً بين أشور بانيبال وأخوه ملك بابل مدة عشرين عاماً إلى أن ثار عليه أخوه ملك بابل.

وقد بدت بوادر ذلك بعد فراغ «أشور بانيبال» من حروب له في عيلام، ومما شجع ملك بابل على تحدي سلطة أخيه، انحياز الزعماء الكلدانيين إليه بعد أن عرفوا ما بين الأخوين، وعلى هذا فقد أخذ ملك بابل يتهيأ للصدام، فبدأ بالمفاوضات السرية مع ملك عيلام واتصل بأمراء العرب وكثير من أمراء فلسطين وبملك مصر (نخاو).

وفي عام ٦٥٢ ق. م نشبت بين الأخويين حرب قاسية طويلة، لعلها كانت أخطر الحروب الأهلية في تاريخ الأشوريين، وقد أظهر فيها «شمشي - شوم - أوكين» مزايا عسكرية فذة ونصره البابليون بحرارة وانضم إليه بعض الأمراء الأشوريين وحكام المناطق، واشترك معه العيلاميين ضد أخيه، ولكن كل ذلك لم يجد نفعاً تجاه جيوش أخيه المتفوقة، فاضطر إلى الاعتصام في عاصمته بابل حوالي سنتين، حتى عملت المجاعة والحصار الشديد فعلهما في سقوط المدينة بيد الجيش الأشوري بعد أن لحقها كثير من التخريب والتدمير، وقضي «شمش - شوم - أوكين» نحبه وسط النيران التي نشبت في قصره.

وهكذا اختتمت حوادث النزاع بين الأخوين في عام ٦٤٨ ق. م، وتلا ذلك أن وجه «أشور بانيبال» همه لتأديب القبائل العربية التي اشتركت في مساعدة أخيه ضده، ثم التفت إلى عيلام وكان غضبه شديداً، فقضى على المدن العيلامية ودمر عاصمة البلاد «سوسة» ونبشت قبور الموتى وأرسلت عظام ملوك عيلام وأمرائها إلى (نينوى) وبهذا انتهت حياة مملكة عيلام.

وظل «أشور بانيبال» يحكم حتى عام ٦٢٦ ق. م، ولكن أخباره الرسمية انقطعت عنا قبل ما يزيد عن عشر سنوات من هذا التاريخ، وكانت ظواهر الأمور جميعها تدل على أن الأمبراطورية كانت وطيدة الأركان في

سائر أنحائها، ولكن مع كل هذا فإن الملك «أشور بانيبال» نفسه قد أخبرنا في نصوصه بأن أياماً سودا حلت في أرجاء مملكته وأنه كان يقاس آلاماً جسمية وروحيه سلبت راحته، ولقد حدث بعد وفاته مشاكل واضطرابات حول وراثة العرش ووقع عبء ذلك على ابنه وخليفته «أشور ـ اتل ـ ايلاني»(١).

أشور - إتل - إيلاني:

خلف والده على عرش أشور، وقد قضى سنوات حكمه التي لم تتجاوز ست سنوات (٦٢٦ ـ ٦٢١ ق. م) في محاولات مستميتة للدفاع عن عرشه ضد الطامعين فيه، حتى تمكن أخوه الأصغر «سن شار اشكون» من اقصائه عن العرش واستأثر به لنفسه مدة تقرب من ثماني سنوات (٦٢٠ ـ ٦١٢ ق. م).

وقد أثرت هذه الحروب الداخلية على سمعة الدولة الأشورية وهيبتها، فانفصلت كثير من ولاياتها عنها، فانفصلت مصر وكثير من المدن الساحلية في فلسطين وسوريا وأرمينية وفي بابل تكونت أسرة جديدة تعرف باسم «الأسرة البابلية الأخيرة» أو «المملكة الكلدانية»، واستطاع الملك الميدي «كي اخسار» الاستيلاء على شمال إيران وشمال العراق ثم توغل إلى سهول آشور حيث قامت بينه وبين الجيش الأشوري حروب طاحنة، وبعد أن اتفق مع ملك بابل هاجما العاصمة الأشورية نينوى فسقطت في أيديهما بعد حروب عنيفة، واقتسما مملكة أشور، حيث استولى الميديون على قسمها الشمالي الشرقي واستولى البابليون على جنوبها، وبذلك دمرت العاصمة الأشورية نينوى ونهبت وأحرقت، ولم يستطع آخر ملوك أشور «أشور ـ أوبلط الثاني» (٦١١ ـ ٦٠٩ ق. م) الذي استقر في حران أن يفعل شيئاً، فقد زال مجد الدولة الأشورية وانتهى ودخل العراق القديم في آخر مراحله السياسية، وهو الذي يعرف باسم «العهد البابلي الأخير» أو «المملكة الكلدانية»(٢).

---

(١) Smith, S. M. A., "Ashurbanipal and the fall of Assyria", In C. A. H., vol. III, PP. 113-126.

(٢) Ibid., PP. 131.

الفصل السابع

العهد البابلي الأخير
المملكة الكلدانية

كان الكلدانيون فرعاً من الأموريين استوطنوا جنوب العراق منذ النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد وعرفوا بالكلدانيين. وقد رأينا من قبل كيف انهار كيان البابليين السياسي منذ أواخر الألف الثاني ق. م. وصاروا مرة تحت النفوذ الأشوري ومرة تابعين للدولة الأشورية، ولكن البابليين كانوا يثورون ويتحينون الفرصة للتخلص من الأشوريين، فجاءت هذه الفرصة الأخيرة في أواخر أيام الدولة الأشورية.

وكان يحكم بابل في حوالي عام ٦٢٦ ق. م الأمير الكلداني **«نبو بولاسر»** (٦٢٦ - ٦٠٥ ق. م)، وقد تزعم الثورة ضد الأشوريين ولم تتمكن القوات الأشورية الموجودة في نيبور من هزيمته فأعلن نفسه ملكاً على بابل ومؤسسا الأسرة الحادية عشرة البابلية وهي التي تعرف باسم «الأسرة البابلية الأخيرة» أو «المملكة الكلدانية».

وحمل «نبو بولاسر» لواء تحرير بابل من سيطرة الأشوريين، واستمرت الحرب قائمة ضد الأشوريين نحو إحدى عشر عاماً، تمكن بعدها من الاستيلاء على نيبور وتحرير كل بلاد سومر وأكد، واستمر في فتوحاته شمالاً على طول الفرات حتى وصل إلى منطقة حران، ومنها تقدم على طول دجلة إلى كركوك وأشور، وتمكن من فرض حصاره على أشور ولكنه لم يتمكن من الاستيلاء عليها، وفي ذلك الوقت كان الميديون قد بدأوا غزو الأراضي الأشورية، فتحالف «نبو بولاسر» مع الملك الميدي. «كي أخسار» ودعم هذا التحالف بزواج «نبوخذ نصر» بن «نبو بولاسر» من ابنة الملك

الميدي. وساعد هذا التحالف على سقوط دولة أشور، ويبدو أن الميديين لم يهتموا بامتلاك أشور فقنعوا بنصيبهم من الغنائم ثم حولوا أطماعهم إلى أرمينيا وآسيا الصغرى، أما البابليون فقد امتلكوا أشور ولكنهم لم يحتلوها، ولم يحاولوا إصلاح ما أتلفوه فيها حيث كرسوا جهودهم لإعادة إحياء المجد الديني والثقافي لجنوب العراق.

ويتفق المؤرخون على عدد ملوك الأسرة البابلية الأخيرة وعدتهم ستة ملوك حكموا لمدة ثمانية وثمانين عاماً.

ولعل من أهم الأحداث السياسية في عهد نبو بولاسر بعد تخلصه من أشور، هي تلك الحملة التي أرسلها بقيادة ابنه «نبوخذ نصر» لاسترجاع سورية وفلسطين من النفوذ المصري، وحتى يبقى طريقهم إلى البحر المتوسط مفتوحاً.

فلقد تحرك الملك المصري «نخاو الثاني» لنجدة الملك الأشوري، وفي طريقه إلى العراق هزم الجيش اليهودي وذلك في موقعه عند «مجدو» واضطر أورشليم إلى دفع الجزية وبعد ذلك تمكن «نخاو الثاني» من فرض نفوذه على فينيقيا وسورية وبلاد العرب الشمالية وأدوم التي دفعت له الجزية، وبعد ذلك بعامين، وبعد أن وطد «نبو بولاسر» نفوذه في العراق أرسل ابنه «نبوخذ نصر» على رأس جيشه لاستعادة النفوذ الأشوري في سورية وفلسطين حيث قابل الملك المصري عند قرقميش، واضطر «نخاو الثاني» إلى الانسحاب إلى وادي العريش بعد هزيمته من «نبوخذ نصر»، وقام «نبوخذ نصر»، بالتقدم نحو مصر، ولكن والده «نبو بولاسر» مات في ذلك الوقت، فقام «نبوخذ نصر» بالإسراع بالعودة إلى بابل حيث خلف والده على العرش(١).

---

(١) Thompson, R. C.,"The New Baby lonian Empire", In C. A. H., vol. III, Cambridge. 1965, 206-212.

نبوخذ نصر الثاني (٦٠٥ - ٥٦٢ ق. م):

يعد «نبوخذ نصر الثاني» من أبرز ملوك العهد الكلداني، ويستغرق حكمه قرابة نصف حكم هذه الأسرة. ولقد عمل منذ توليه العرش على إعادة تجميل بابل وإعادتها إلى سابق مجدها، واستخدم في ذلك كل الإمكانيات الفنية والمادية المتاحة في عصره.

ووجه اهتمامه لجميع معابد الآلهة فجددها وزينها وأوصل ما بين منطقة المعابد ومنطقة القصور بشارع واسع ينفتح على بوابة «عشتار» الذي يقع من ورائها قصره الملكي ودواوين الحكومة ثم ترتفع فوق الجميع مباني «الزاقورة» وقد خصص جزءاً من حدائق القصر لزرع الأشجار والنباتات في طبقات تعلو بعضها البعض حتى تصل إلى مستوى بوابة عشتار فتزيد المنظر بهجة وجمالاً كما قام بعمل حدائق فوق القصر الملكي هي التي عرفت باسم «حدائق بابل المعلقة» والتي عدها اليونان من عجائب الدنيا السبع.

ولقد خدمت الظروف «نبوخذ نصر» ليتفرغ لأعماله العمرانية وذلك لأنه كان لا يخشى جانب الميديين فقد كانوا أصهاره، وبالنسبة لمصر فقد رأيناه في أواخر عهد والده ينهي حربه معها بمعاهدة استعادت بابل بموجبها أملاك أشور في الناحية الغربية، وهكذا فقد تلقى جزية هذه المنطقة منذ بداية عهده مما كان له أثره في تفرغه لشؤونه الداخلية.

ولكن ما لبثت الأمور أن تطورت في فلسطين عندما رفضت ولاية يهوذا أداء الجزية لنبوخذ نصر مما حدا بالملك البابلي إلى محاصرة يهوذا حتى اضطر الملك اليهودي إلى التسليم مع أمه وزوجاته وكل أهل بيته حيث نقلوا إلى المنفى وكان ذلك في عام ٥٩٧ ق. م، وتعتبر هذه أول عبودية كبيرة لمملكة يهوذا لابعاد الرؤساء والحرفيين، وكان من بينهم النبي الكاهن (حزقيا) ونُهب المعبد جزئياً، وبقي الملك اليهودي أسيراً في بابل حوالي أربعين سنة، وعين نبوخذ نصر أخوه مكانه وكان اسمه «متانيا» وغير نبوخذ نصر اسمه إلى (صدقيا) وجعله يقسم على أن يكون حليفه وقد بقي «صدقيا»

مخلصاً لفترة ما ثم يعمل للتخلص من الحكم البابلي وحنث بالقسم الذي أقسمه، وفي ذلك الوقت كانت مصر في عهد بسمايتك الثاني تعمل على اسعادة نفوذها في فلسطين واستمر الحال في عهده خلفه «ابريس» وهو الأمر الذي شجع بعض حكام فلسطين بزعامة صدقيا على مناوئه الحاكم البابلي.

واضطرت الأحوال المضطربة في فلسطين الملك نبوخذ نصر إلى القيام على رأس جيشه لاخماد هذه القلاقل حيث حاصر أورشليم وحاول صدقيا الهرب بجشيه عبر الأردن ولكن محاولته فشلت وتمكنت جنود نبوخذ نصر من أسره حيث أحضر أمام العاهل البابلي وذبح أبنائه أمامه ثم سملت عينيه وحمل بعد ذلك أسيراً إلى بابل. وبعد ذلك دمرت أورشليم فهدم معبدها والقصر والمباني الهامة وأشعلت النار في المدينة وأبعد خدم المعبد وجميع الأسرى استعداداً لترحيلهم عن المدينة.

وبعد أن فرغ نبوخذ نصر من مملكه يهوذا وجه عنايته الحربية إلى المدن الفينيقية التي شقت عصا الطاعة عليه فاستطاع إخضاعها جميعاً إلا مدينة «صور» التي حاصرها فترة طويلة حتى عقد صلح بين الطرفين - على ما يبدو - قبلت بموجبه صور دفع الجزية للعاهل البابلي. وهكذا تم توطيد الأمبراطورية البابلية الأخيرة وأصبحت حدودها تمتد من الخليج العربي جنوباً حتى تخوم مصر[١].

وتوفي نبوخذ نصر بعد أن حكم بابل ما يقرب من ثلاثة وأربعين عاماً، وخلفه على العرش ابنه «**أوبل مردوك**» (٥٦٢ - ٥٦٠ ق. م) وقد أظهر رحمة واضحة بالملك صدقيا اليهودي فعامله كأمير وليس أسير، كما سمح لليهود بممارسة طقوسهم الدينية بحرية وعلى نطاق واسع، فكان لذلك أثره في ثورة الكهنة عليه فقتلوه وجاء مكانه على العرش صهره. «**نرجال شار أوصر**» (**٥٥٩ - ٥٥٦** ق. م) وكان أحد القواد العسكريين في عهد والده، ولم يعمر طويلاً، ولا يوجد من عهده ما يستحق الذكر، ولما مات خلفه ابنه الصغير الذي لم

---

(١) Ibid., Pff. 212.

يحكم سوى أسابيع قليلة حيث تتدخل الكهنة وأبعدوه عن الحكم بعد أن ذبحوه[1] ، وعينوا في مكانه أحد أبناء طائفتهم ويدعى **«نبونيد»**.

ويمثل عهد **«نبونيد»** (٥٥٦ ـ ٥٣٩ ق. م) خاتمة المطاف لسيادة بابل في التاريخ القديم. ولقد اهتم نبونيد في أول عهده بالجانب الغربي من امبراطوريته، كما حالف الملك الفارسي كوروش ضد الميديين، ولقد قضى السنوات من السابعة وحتى الحادية عشرة من حكمه في مدينة تيماء في بلاد العرب وكانت هي المركز السياسي الذي أدار منه شؤون الحكم في الشطر الغربي من دولته، بينما ترك ابنه يدير شؤون الحكم في بابل.

ولقد عرف نبونيد بورعه وتقواه واهتمامه بجمع أخبار الملوك السابقين، فقام بالعديد من أعمال الحفائر بهدف البحث عن الأحجار المنقوشة وبخاصة أحجار أساسات المعابد القديمة.

ولقد جاءت نهاية بابل على يد الملك **كوروش** الفارسي الذي تمكن من دخول بابل عام ٥٣٩ ق. م حيث استقبلته جميع الطبقات وبخاصة الكهنة والنبلاء واعتبروه محرراً لهم. ولقد أعاد كوروش تماثيل المعبودات إلى أماكنها بعد أن كان قد جمعها نبونيد من معابدها بالأقاليم وجاء بها إلى العاصمة مما أغضب الكهنة ضده وجعلهم يرحبون بـ كوروش وينضمون إلى جانبه، ولقد أصدر كوروش أوامره بإعادة ترميم المعابد المختلفة كما تشير إلى ذلك نقوشه.

ولم يغير سقوط بابل شيئاً من مظاهر الحياة بها حيث ترك الفرس للبلاد المغزوة حرية ممارسة عقائدها والاحتفاظ بعاداتها، واستمر الأمر على ذلك حتى انتشرت الثورات في الأمبراطورية الفارسية في عهد الملك الفارس **«دارا»** ومنذ ذلك العهد أخذت بابل في الانحدار، وفي عهد الملك الفارسي «خشيا رشا» (كسركسيس) هدم أسوارها ونهب معابدها وحول كثير من مبانيها إلى خراب.

---

(١) Ibid., PP. 217 - 218.

وهكذا زالت اخر سلالة بابلية وانتهى رمز الحضارة البابلية رغم بعض محاولات الفرس لاحياء مجد مدينة بابل ومن بعدهم حاول الإسكندر أن يجعلها مركز إمبراطوريته ولكنها سرعان ما أهملت بعد وفاته وتحولت إلى أطلال[١].

(١) Thompson, R. C.,"Decay and Fall of Baby lonia under Nabonidus", In C. A. H., vol.III, PP. 218 - 225.

الباب الثالث

تاريخ إيران القديم

مقدّمة

استخدم تعبيرا «فارس» و «إيران» للإشارة إلى منطقة جغرافية واحدة، ولكنهما ليسا مترادفين تماماً. وتسمية «إيران» هي الأقدم، فقد وردت في الأوستاك «إيريانا فيجا» أي موطن الأريين والإيرانيين، ثم تطورت التسمية فصارت بلاد إيران[1]، واستخدم الجغرافي «اراتوسيثنيز» الذي كان مديراً لمكتبة الإسكندرية في القرن الثالث قبل الميلاد مصطلح «بلاد إيران» (اريانا». والآرى بمعناها الذي يفيد «نبيل» أو «سيد» يبدو أنها تسمية عامة لهؤلاء الناس الذين يتحدثون اللغة الهندو أوربية الشرقية والذين جاؤا إلى هذه المنطقة الواقعة بين نهر الجانج والفرات عند نهاية الألف الثاني وبداية الألف الأول قبل الميلاد[2].

أما تعبير «فارس» فأول من أطلقه هم الإغريق، واستمد هذا الإسم من إقليم بارساParsa في الجزء الجنوبي الغربي من الهضبة الإيرانية، وحرف هذا الإسم عند الإغريق ليصبح برسيسPerses ثم أطلق عليها العرب فارس. وعلى الرغم من أن «بارسا» تكون إقليماً واحداً في امبراطورية عظيمة إلا أنها استمدت شهرتها من كونها مسقط رأس الملوك الهخشامنيين الذين كونوا البيت

---

(١) Herzfeld, E., Iran In the Ancient East, Oxford, 1944, P. 192.

(٢) طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، الجزء الثاني، بغداد، ١٩٥٦، ص ٣٧٣ هامش ١.

الحاكم الفارسي، وأطلقت هذه التسمية بواسطة الإغريق على الأمبراطورية كلها بشكل عام[1].

وأدرك المؤرخون القدامى أن الفرس والميديين يرجعون إلى أصل آري، فظهر في مصادرهم تعبير «آري» للدلالة على كليهما[2]. ومهما كان الأمر فإن فارس إحدى أقاليم إيران، وإطلاقه هو من قبيل إطلاق الجزء على الكل. أما سكان هذه المنطقة فيسمون بلادهم «إيران»، ويطلقون عليها أحياناً التسمية «إيرانشهر» بمعنى (إقليم إيران). وكذلك التسمية «إيرانزمين» بمعنى (أرض إيران)، وهي مشتقة جميعها من كلمة «آري» Aryan.

ولقد ظل تعبيري «فارس» و «إيران» مستخدمان لعدة قرون مع بعضهما، فكان يطلق أهل البلد عليها «إيران» بينما يطلق عليها الغربيون المتأثرون بشكل رئيس باليونان «فارس»، وظل الوضع على ذلك حتى عام ١٩٣٥م / ١٣٥٤هـ حينما طلبت الحكومة الإيرانية من الدول الأجنبية مراعاة للتنسيق والتوحيد أن يطلق على البلاد رسمياً إسم «إيران» فظفرت هذه التسمية ذات الدلالة الصحيحة بالاستعمال العام[3].

وسنقوم فيما يلي باستعراض لتاريخ إيران القديم، وذلك منذ بداية الاستقرار البشري على الهضبة الإيرانية.

(١) Dichs, B., The Ancient Perisians, How They lived and Worked, London, 1979, P. 14

(٢) Herodotus, The Persians wars, Translated by George Rawlinson, N. Y., 1942, P. 523.

(٣) دونالد ولبر: إيران ماضيها وحاضرها، ترجمة عبد النعيم محمد حسنين، مراجعة وتقديم أمين الشواربي، القاهرة، ١٩٥٨، ص ١.

الفصل الأول

المرحلة الحضاريّة الأولى

(بداية الاستقرار البشري على الهضبة الإيرانيّة)

اصطلح على تسمية مرحلة العصر الحجري الحديث في إيران بأسم المرحلة الحضارية الأولى، وهي تمثل أقدم مراحل الاستقرار في منطقة الهضبة الإيرانية، أي مرحلة العصر الحجري الحديث أو مرحلة انتاج الطعام وما يتصل بها من الصناعات اللازمة للزراعة وبناء القرى والاستقرار.

ويمكن تتبع العديد من المواقع الأثرية التي ترجع إلى العصر الحجري الحديث في إيران سواء في الأودية أو على سفوح الهضاب، وتختلف التطورات الحضارية من منطقة إلى أخرى، بل أحياناً من موقع إلى آخر وذلك لأسباب بيئية وبشرية، فبينما تمكن بعضها من التوصل إلى مرحلة العصر الحجري الحديث تقريباً، في الوقت الذي توصلت إليه كل من عصر حضارة جرمو وحسونة في العراق القديم والفيوم أ ومرمدة بني سلامة وحلوان العمري ودير تاسا في مصر أو قبلها بقليل، فأن بعضها الآخر لم يصل إلى مرحلة العصر الحجري الحديث إلا في وقت متأخر عن ذلك. ويلاحظ كذلك أن الكثير من هذه المواقع قد توقف انتاجها الحضاري بعد مرحلة العصر الحجري الحديث، كما تباين الإنتاج الحضاري فيما بينها بشكل كبير.

واستمر الإنسان في العصر الحجري الحديث في سكنى الكهوف والمآوي الصخرية، وبالتدريج اصبحت المناطق المفتوحة مألوفة لديه.

وكان للرغبة الإنسانية في المحافظة على القديم وعدم التجديد أثره في أن ظلت بعض المواقع تشغل لعدة قرون، وبمرور الزمن أدى تراكم المخلفات إلى تكوين ما يسمى «بتة» أو «تل».

وتعتبر منطقة زاجروس من المناطق الرئيسية التي لها اعتبارها في مجال نشأة المراحل الأولية للزراعة، حيث ظهرت في هذه المنطقة المراحل الأولى المبكرة لاستئناس النبات والحيوانات التي وجدت في حالة برية. ففي الجانب العراقي، كشفت الحفائر الأثرية التي أجريت في بعض المواقع مثل شانيدار وجرمو وحسونة، وجود هذه التطورات الحضارية دون وجود أية فجوات، والتي بدأت بنشأة المجتمعات الزراعية المبكرة بدءاً من مرحلة التنقل والاستقرار البدوي وأخيراً إلى مرحلة القرى الزراعية المستقرة. ويشابه ذلك في إيران القرى التي وجدت في خوزستان ولورستان، وكذلك في منطقة فارس وشمال إيران وشرقها[1].

وتمكن الإنسان خلال هذه المرحلة من التوسع في الإنتاج الزراعي، وكذلك استئناس الحيوان وبخاصة الأغنام والماعز والثيران، مع استمراره في ممارسة حرفة الصيد. وفيما يتصل بالصناعات الفخارية المميزة لهذه المرحلة بشكل عام، فيلاحظ أن الفخار في بداية أمره كان ذو لون أسود، وربما يرجع ذلك إلى عدم القدرة في التحكم في النيران المعدة لحرقه في هذه المرحلة المبكرة، ثم ظهر نوع جديد من الفخار يتميز بأن حافته حمراء وعلى سطحه بقع سوداء ناتجة عن اشعال النار. وتمت الخطوة التالية من التقدم في صناعة الفخار، وهي التي تسمى بالتمهيد للفخار الملون، وقد غطيت الأواني بشرائط بيضاء في خطوط أفقية ورأسية، ويبدو أن هذه الزينة تحاكي السلال التي صنعها الإنسان في أول أمره، وقد أظهر بالألوان جدائل

(١) Dicks, B., **The Ancient Persians,** U. S. A, 1979, P. 19

الأغصان[1] . إلا أن ذلك لا يمنع من وجود بعض التطورات الخاصة والمميزة لبعض المناطق ، والتي قد تختلف مع هذه التطورات أو تتفوق عليها ، وسيتضح ذلك من دراستنا لبعض المواقع الإيرانية التي ترجع إلى هذه المرحلة .

وقرب نهاية هذه المرحلة أخذت الأدوات القزمية في التطور ، وبدأ الإنسان يفهم خواص المعدن ، فقد تعرف على طرق النحاس ، ولكنه ظل جاهلاً بفن صبه . ويتضح مما كشف عنه من أعداد كبيرة من قطع الصلصال التي لها شكل المسند ، وكذلك فلكات المغازل الحجرية المستدقة ، أن صناعة النسيج الأولية البدائية قد عرفت بالفعل[2] .

ويظهر الإنجاز الفني لهذا العصر في أتم صورة في النحت على العظم ، فكان يشكل أيدي أدواته على هيئة قرون الغزلان أو الحيوانات البرية ، ومن أجمل القطع التي عثر عليها ، يد سكين تمثل رجل من هذا العصر يرتدي غطاء للرأس وثوب أسد ثبت بواسطة حزام[3] . (شكل ٣٣) وأحب الرجال والنساء الزينة الشخصية ، فصنعوا عقوداً من الأصداف ، ونحتوا خواتم وأساور من الأصداف الكبيرة أو الأحجار ، وكانوا يصحنون طلاء الوجه في هواوين صغيرة بواسطة مدقات صغيرة الحجم[4] .

ومن أهم المظاهر الحضارية التي تميز هذه المرحلة الأولى من مراحل الاستقرار في الهضبة الإيرانية بناء المنازل ، وكانت المنازل في أول أمرها عبارة عن أكواخ بسيطة شيدت من أغصان الأشجار وكسيت بالكتل الطينية

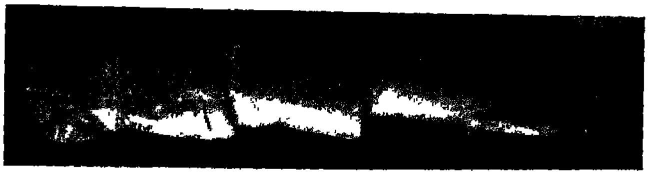
---

(١) Ghrishman, R., **op. cit.**, p. 29

(٢) **Ibid.**, p. 29.

(٣) Ghirshman, R. **Fouilles De Sialk**, vol, Paris, 1938, P. 17, Pl. VII, LIV.

(٤) انظر على سبيل المثال:
Schmidt, E. F. **Excavations at Tepe Hissar Damghan**, Philadelphia, 1937, P. 61



(شكل ٣٣) يد سكين مصنعة من العظم

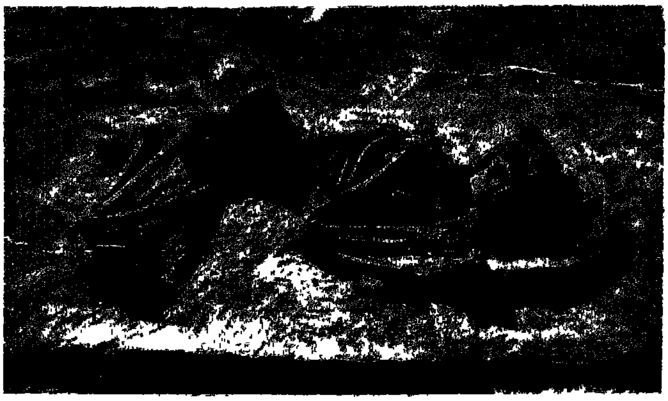
حتى تساعد على تماسكها، وبالتالي تكون بمثابة حيطان لهذا المنزل الأول، ثم استخدمت كتل الطين في تشييد هذه الجدران، وفي بعض المواقع الإيرانية كان لهذه الجدران أساس حجري، وقد اتخذت هذه المنازل الشكل المستطيل في تخطيطها.

وفيما يتصل بدفن الموتى، فقد دفن الموتى اسفل أرضية المنازل في وضع مقرفص، ووضع على عظام المتوفي التراب الأحمر، وهي الممارسة التي عرفت في أماكن آخرى، ويبدو أن ذلك راجعاً إلى تغطية جسد الإنسان باللون الأحمر، أو يحتمل أن ذرات أوكسيد الحديد كانت تنثر فوق جسد الميت قبل دفنه، ومن ثم فإنه عندما يبلى الجسد تكون العظام قد صبغت باللون الأحمر[١]. ويتجه بعض المؤرخين في تفسير وجود اللون الأحمر إلى احتمال فائدته في اعطاء الحياة لصاحب تلك الجثة، وذلك على اعتبار أن هذا اللون الأحمر يرمز إلى الدم الذي يعتبر جريانه في جسد الإنسان دليل على أن هذا الإنسان يتمتع بالحياة، ويمكن الاستدلال من ذلك على إيمان أصحاب تلك الحضارة بالحياة الأخرى[٢]. ومما قد يشير إلى هذا الأمر كذلك ـ وهو الإيمان بالحياة الأخرى ـ وأن الحياة في العالم الأخر ستكون مطابقة للحياة الدنيا، ما عثر عليه في المقبرة رقم (T. 5) في التل الشمالي في تبة سيالك، فقد وضعت فأس حجرية مصقولة بجوار الهيكل العظمي، وقد

(١) Childe, C. **New Light on The Most Ancient East,** London, 1964, P. 192.

(٢) رشيد الناصوري: المرجع السابق، ص ١٥١ ـ ١٥٢.

وضعت الفأس بطريقة تشير إلى أنها في متناول يد المتوفي ، بينما يوجد إلى القرب من رأسه زوج من فكي الماعز[1] . (شكل ٣٤) وزودت المقابر بتجهيزات جنزية كانت توضع في أغلب الأمر بالقرب من رأس المتوفي ، وأحياناً فوق جسده ، وتكونت هذه التجهيزات من الأواني الفخارية والدبابيس النحاسية والسكاكين والخناجر وأدوات الزينة[2] . وسنقوم فيما يلي بتتبع التراث الأثري في بعض المواقع التي ترجع إلى هذه المرحلة وذلك حسب ترتيبها الزمني .



(شكل ٣٤) هيكل عظمي وقد وضعت الفأس بجوار اليدين

تبة جوران : [3]

من أولى المواقع الإيرانية التي توضح بقاياها الأثرية بداية اتجاه الإنسان في إيران نحو الاستقرار البشري على الهضبة الإيرانية . وتقع تبة

(١) Ghirshman, R. op. cit., P. 11. Pl. X,4.

(٢) Schmidt, E. F. op. cit., P. 302.

(٣) قامت بالحفائر فى هذا الموقع بعثة دانمركية عام ١٩٦٣ . انظر

Meldgaard, J. Mortensen, P., Thrane, H, "Excavations at Tepe Guran, Luristan" In Acta Arch; 34 (1964), PP. 110 - 121.

جوران على نهر الكرخة جنوب كرمنشاة بحوالي ٦٧ كيلومتر، ويصل ارتفاعها إلى حوالي ٩٥٠ قدم فوق مستوى سطح البحر. وتغطى بقايا الموقع الأثري مساحة تبلغ ١١٠ × ٨٠ متراً. ويبلغ سمك الطبقات الأثرية حوالي ثمانية أمتار، وهي تمتد من الناحية الزمنية من حوالي منتصف الألف السابع قبل الميلاد وحتى منتصف الألف السادس قبل الميلاد، وهي تعاصر عصر حضارة جرمو في العراق القديم، ويلاحظ أن تتابع الطبقات اتخذ نفس النظام الذي يمكن ملاحظته في العديد من المواقع التي ترجع إلى العصر الحجري الحديث، ويتكون الموقع من احدى وعشرين طبقة أثرية. وحددت الطبقات بالحروف الهجائية من A وحتى V، والطبقة A هي أعلى الطبقات.

وكشف في الطبقات الأثرية الوسطى من تبة جوران وذلك في بداية الألف السادس ق. م تقريباً عن بعض الأدوات المتصلة بالإنتاج الزراعي مثل الهواوين والرحى والمناجل، كما عثر كذلك على بعض حبوب الشعير المتكربنة، وثبتت المناجل المصقولة على امتداد حافتها في مقابض خشبية، وأصبحت الأدوات الزراعية شائعة في الطبفات الأثرية العليا، وعمل الإنسان على استئناس الحيوان، وفي هذه المرحلة كانت الماعز هي الحيوان الوحيد الذي تمكن من استئناسه، ولكنه اعتمد في حياته على صيد بعض الحيوانات الضخمة مثل الماشية البرية.

وفيما يتصل بالمساكن، فلقد أوضحت الحفائر في هذه المنطقة أن المساكن التي شيدت في الطبقات الأولى كانت عبارة عن أكواخ بسيطة من الخشب، وكانت جدرانها مستقيمة أو مقوسة قليلاً، وهي كانت تستخدم للسكن الموسمي وليس الدائم، وكان السكان في هذه الفترة من الرعاة الذين يعيشون في الموقع في فصل الشتاء فقط، وكانوا يصطادون كذلك الغزال والطيور، ثم شيدت المنازل من الكتل الطينية وذلك فوق أساس من الحجر.

وبدأ ظهور هذا النوع من البنـاء في الطبقـة الأثـرية (P)، وإن ظل استخدام الأكواخ الخشبية كذلك، واستمـر وجـود النـوعين معـاً في ثلاث طبقات أثرية متعاقبة، ويستدل من ذلك على أن النشاط الإنساني في هذه المرحلة كان يجمع ما بين حرفة الرعي والصيد وبداية الزراعة المستقـرة، حيث اختفت الأكواخ الخشبية بعد ذلك، وأصبحت تشيد المنازل على نحو أكثـر انتظامـاً، إذا أخـذت تبنـى بقوالـب اللبـن فوق أسـاس من الحجر وغطيت أرضية الحجرات بملاط من الجص الأبيض والأحمر، واستخدمت أفـران مقببـة مثـل تلك التـي استخدمـت فى عصـر حضـارة جرمـو في العراق القديم، وقد عثر فيها على حبوب متكربنـة وبعض أعـواد الشـعير، وكذلك حبوب قليلة لشعير بري. وعلى ذلك فإنه يمكن القول أن الذين استقروا في جوران كانوا في أول الأمر رعاة يعيشون في أكواخ خشبية، ثم توصلوا إلى الحياة الزراعية التي أخذت في التطور ببطء، وواكب هذا التطور الزراعي بنائهم للقرى التي أخذت في التطور كذلك حتى اصبحت جدرانها تشيد من قوالب اللبن الصلد.

وفيمـا يتصـل بالصناعـات الفخـارية في هذا الموقـع، فيلاحـظ أن الطبقات الثلاث الأولى من الموقع لم يعثر فيها على بقايا فخارية، ثم ظهرت بعد ذلك أولى الصناعات الفخارية في هذا الموقع، وهي عبارة عن أواني ذات لون رمادي داكن غير مزينة، مصنوعة بشكل خشـن، وكانـت جدران الأواني سميكة وجوانبها أفقية أو مقوسة قليلاً، ثم أصبح الفخار مصقولاً، وبدأ يظهر الفخار الملون منذ الطبقة الأثرية (R) وقد خلط الصلصال بالتبن حتى تزداد صلابة الأواني، وقد زينت الأواني باللـون الأحمـر وذلك فوق أرضية صفراء أو برتقـالية، وزينـت بأشـكال بسيطـة، وملئـت مسطحـات الأواني بزينات مشتقة من الخطوط المستقيمة، كان بعضها يحاكى السـلال والشباك، وتشبه هذه الخطوات الأولى من تلوين الفخار، ما ظهر في العراق

القديم وبصفة خاصة في نينوى. وكانت أشكال الأواني يغلب عليها الأقداح والكؤوس التي كانت جوانبها عمودية أو مقوسة وقواعدها مسطحة.

واعتباراً من الطبقة الأثرية (O) بدأ يظهر فخار من النوع الذي يطلق عليه مستوى الفخار الملون، وقد زين سطحه كله بخطوط منقطة في صفوف، وهو يشبه ما ظهر في جرمو، وفي الطبقة الأثرية (L) اصبحت أسطح الفخار أكثر زينة، واستبدلت النقط ببقع قائمة الزوايا أو متعددة الجوانب، وأحياناً اقتصرت هذه الزينات على شرائط أفقية أسفل الحافة وفوق خط منتصف الآنية.

وتمثل الطبقات الأثرية (J - D) أخر مراحل العصر الحجري الحديث، وكشف في هذه الطبقات عن بقايا فخارية مزينة بأشكال مرتبة في صفوف متعاقبة، وزينت كذلك بزينات على هيئة خطوط هندسية مائلة، وذلك بالإضافة إلى نموذج أخر من الزينة التي زينت بها أسطح الأواني، وذلك باستخدام مادة مقاومة مثل الشمع أو الصلصال، وبعد ذلك تعالج الآنية بوضعها في الدخان أو تغمس في سائل أسود، وفي هذه الحالة فأن اللون الأسود لا يصل إلى المناطق الموضوع عليها الشمع أو الصلصال، وعندما يتم نزع الشمع أو الصلصال، فإن الزينات تظهر بلون الفخار الأصلي في مقابل الأرضية السوداء.

وامدتنا الطبقات الأثرية (H. D) بفخار أحمر مصقول وعليه طبقة لامعة، وهو يشبه بعض أنواع الفخار في مرحلة سيالك الأولى، وهو يعاصر عصر حضارة حسونة ـ سامراء في شمال العراق.

وبالإضافة إلى الصناعات الفخارية، فقد توصل الإنسان في هذه المنطقة إلى العديد من الصناعات الحجرية والعظمية، فبجانب الشظايا والمدى والأدوات القزمية، صنع بعض الأواني الحجرية والمدقات،

والأجران الحجرية، كما صنع من العظام بعض المخاريز والدبابيس والسكاكين الصغيرة. وكان حجر الصوان هو الحجر الرئيسي الذي صنع منه معظم أدواته، إلا أنه استخدم أيضاً حجر الأوبسيدان الذي جلبه من الشمال. واستخدم الأصداف والطين المجفف في عمل أدوات الزينة. وتجدر الإشارة إلى أنه لم يعثر على أية أدوات معدنية في هذا الموقع.

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أنه قد عثر في طبقات موقع جوران على تماثيل طينية تمثل نساء وحيوانات، وربما يشير ذلك إلى أهمية المرأة كأم في هذه المجتمعات المبكرة، ويشبه ذلك ما ظهر في بعض مناطق الشرق الأدنى القديم، وبصفة خاصة في عصر حضارة جرمو في العراق القديم[(١)].

وفيما يتصل بدفن الموتى، فلم يعثر في تبة جوران إلا على دفنة واحدة في الطبقات الأولى، وهي موضوعة في قبر بيضاوي الشكل، وقد وضعت الجثة في هيئة مقرفصة.

تبة ساراب:

تقع تبة ساراب Tepe Sarab شمال شرق كرمنشاة بحوالي سبعة كيلومترات. وتوضح المادة الأثرية المكتشفة في هذا الموقع اتصالها بشكل قوي بالمجتمعات الزراعية القروية، وهي تشبه تلك التي كشف عنها في جرمو بالعراق القديم، وإن كانت تظهر تفوقاً في بضع المصنوعات وبخاصة الفخار والأواني الحجرية والأدوات الحجرية المصنوعة من حجر الظران والأوبسيدان، والتماثيل الطينية الصغيرة عن تلك التي ظهرت في جرمو[(٢)]، ومن الأشياء التي وجدت بكثرة في تبة ساراب شجر الفستق وكذلك القواقع إذ كشف عن بقايا كثيرة لهما، ويذكر J. Mellaart أن الطعام المعتمد على

(١) رشيد الناضوري: المرجع السابق، ص ١٣٢.

(٢) Braidwood, R. J., Howe, B., Reed, C. A., op. cit., P. 2008.

الحبـوب قد عرف أيضـاً وتمثـل ذلك في القمح البدائـي Emmer Wheat ثم يشير إلى أنه تبعاً لذلك فقد مارس إنسان هذه الحضارة العمل الزراعي[1]، ومع ذلك فيشير R. J. Braidwood إلى أنه لا توجد أدلة مؤكدة على وجود القمح أو الشعير، وإن كان من المحتمل العثور على بقايا متكربنة من هذه الحبوب في الأكوام الترابية[2]. وكشف في هذا الموقع عن الكثير من العظام الحيوانية، حيث تمكن الإنسان من استئناس الماعز على الأقل. ويلاحظ أيضاً وجود كميات صغيرة من البراز المتحجر في هذا الموقع[3].

ويتطابق الفخار الذي عثر عليه في تبة ساراب ـ والمتمثل في الفخار اللامع والمصقول ذا اللون الأحمر والأصفر الضارب للحمرة، وكذلك نماذج زينة الفخار ـ مع مستوى الأواني الفخارية في تبة جواران وذلك في الطبقات الأثرية (M. D) وقد يشير ذلك إلى معاصرة ساراب للمراحل الأخيرة للعصر الحجري الحديث في جوران[4]. وتشبه الأدوات الحجرية في ساراب ما كشف عنه في جوران. وبالإضافة إلى الصناعات الفخارية والأدوات الحجرية فقد اظهر موقع ساراب تقدماً ملحوظاً في صناعة الأواني الحجرية، والتي كان بعضها ذا شكل بيضاوي.

وفيما يتصل بشكل المنازل في تبة ساراب، فيلاحظ أن المساكن كانت عبارة عن أكواخ مصنوعة من البوص أو أغصان الأشجار، مما قد يشير إلى أنها قد استخدمت كمسكن في بعض فصول السنة فقط، وليست بهدف الأقامة الدائمة، وأن الذين عاشوا فيها كانوا يجمعون ما بين الزراعة والرعي،

---

(١) Mellaart, J.. **op. cit.**, P. 262.

(٢) Braidwoodd, R. J, Howe B., Reed, C A.. **op. cit.**, P. 2009.

(٣) **Ibid.**, p. 2009

(٤) Mallowan, M.:"The Development of Cities from Alc Ubaid To The End of Uruk 5" **in** **C A H.**, vol I, Part II, Cambridge, 1970, P. 437.

وكانت توجد مساكنهم الدائمة في أسفل الوادي.

ومن المظاهر الفكرية المعبرة في هذه الحضارة الكشف عن بعض التماثيل الطينية الصغيرة التي تمثل إمرأة جالسة، ومن الواضح أنها تمثل «الإلهة الأم»، كما شكل كذلك العديد من التماثيل الصغيرة التي تمثل حيوانات مفترسة(1).

ومن الناحية الزمنية، فإن عصر حضارة تبة ساراب يقع حوالي نهاية الألف السابع وبداية الألف السادس قبل الميلاد.

موقع على كوش

يقع غرب موسيان بحوالي كيلومترين ونصف، وجنوب تبة جوران بحوالي كيلومتر ونصف، وهو عبارة عن رابية صغيرة في الربع الجنوبي الشرقي لوادي دي لوران Deh Luran الذي يشكل سهلاً غرينياً محصوراً في جنوب غربي إيران. ويعتبر هذا السهل جزءاً من منطقة خوزستان الإيرانية، والتي تعتبر من الناحية الجغرافية والبيئية امتداداً لجنوب بلاد النهرين. ويعتبر وادي دي لوران آخر أودية خوزستان الإيرانية وأقلها ارتفاعاً وذلك قبل بداية سهول بلاد النهرين. ويتصل وادي دي لوران بأنهار صغيرة من الشرق والغرب دائمة الجريان طوال العام(2). ونظراً لأهمية منطقة خوزستان الإيرانية في التوصل إلى مرحلة استئناس الحيوان والنبات، فقد اتجه بعض الباحثين(3) إلى الاعتقاد بأن هذه المنطقة كانت هي النواة التي انطلقت منها التطورات الحضارية التالية، إلا أنه من المبكر جداً في ضوء المعلومات

---

(1) Mellaart. J. **op. cit**, P. 262.

(2) Hole, F, Flannery, K. V, "Excavations at Alikosh. Iran, 1961" in **Iranica Antiqua**, Vol. II, 1962, PP. 99 - 103.

(3) **Ibid**, P. 136.

المتاحة لنا حالياً الموافقة على هذا الرأي بشكل تام. ويمكن تمييز بداية العصر الحجري الحديث في منطقة دي لوران في العديد من مناطق الاستقرار التي توصلت إلى مرحلة الزراعة المبكرة مثل موقع على كوش وتبة سابز وتبة موسيان. ولم يكن الاستقرار البشري كاملاً في المراحل الأولى من التوصل إلى الإنتاج الزراعي إذ جمع السكان مابين حرفة الرعي والزراعة حتى أصبح الإنتاج الزراعي يكفي متطلبات حياتهم. ويعبر عن هذه النقلة في التطور الحضاري استخدام الأواني الفخارية في الأغراض المنزلية، حيث لم يكن الإنسان المتنقل في حاجة كبيرة إليها. ثم أخذ الإنسان نتيجة لاستقراره في الاتجاه لترفية حياته وظهر ذلك في تعدد زينات الأواني، واستخدام العديد من المواد في صنع أدواته كالأحجار والنحاس والأصداف البحرية التي جلب بعضها غير المتوفر في بيئته من المناطق التي يتوفر فيها.

وتحتوي طبقات موقع علي كوش على بقايا أثرية تعتبر سجلاً أثريا متتابعا للتطور الحضاري منذ حوالي عام ٧٠٠٠ ـ ٥٧٠٠ ق. م. ومر هذا التطور الحضاري بثلاثة أدوار رئيسية⁽¹⁾، يعرف الدور الأول منها باسم دور Bus Mordeh » وهو يتضمن الفترة من ٧٠٠٠ ـ ٦٥٠٠ ق. م. إذ يبدو أن رعاة الماعز قد اختاروا هذا الموقع لرعي قطعان أغنامهم أثناء فصل الشتاء وذلك منذ بداية هذا الدور[2]، حيث اتجهوا إلى إقامة أولى مراحل الاستقرار البشري التي تم الكشف عنها حتى الآن في وادي دي لوران، وتمثل ذلك في بناء بعض المنازل الصغيرة التي شيدت جدرانها من كتل الطين، ولا توجد أية أدلة لتغطية الجدران بالملاط، وتوجد في أرضية المنازل بعض المواقد وكتل حجرية تستخدم لطحن الحبوب، وكميات كبيرة من الأدوات

---

(١) Hole, F. Flannery, K. Neely, J. "Early Agriculture and Animal Husbandry in Deh Luran, Iran", in Current Anthropology, Vol. 6. No. 1. February 1965. PP. 105 - 106.

(٢) Mellaart, J. Op. Cit., P. 260.

الحجرية. ومن الناحية الاقتصادية فقد اعتمد الإنسان في هذه المرحلة في سد حاجياته المعيشية على جمع الحبوب البقلية البرية، مع وجود محاولات أولية لزراعة القمح والشعير. واستمر الإنسان في رعي الماعز ولكن يبدو أنه لم يكن قد تم استئناسه بعد، وقام بصيد الغزال والحمير الوحشية والثيران البرية والخنازير، وقام كذلك بصيد بعض الأسماك النهرية[1]. ومن الناحية التعبيرية، فقد شكل من الطين بعض التماثيل الصغيرة. ومن ناحية أخرى فإنه لم يكشف عن أية أواني فخارية مما يشير إلى أن الفخار لم يكن معروفاً في هذه المرحلة[2]. وعلى ذلك فإنه يمكن القول - اعتماداً على مظاهر الانتاج الحضاري المكتشفة في هذا الدور وكذلك النواحي الاقتصادية - بأن هذا الدور يرجع إلى المرحلة السابقة مباشرة للعصر الحجري الحديث أو «ما قبيل العصر الحجري الحديث»..

وتعرف المرحلة الحضارية الثانية باسم «دور علي كوش» وتستمر هذه المرحلة من حوالي ٦٥٠٠ ق. م وحتى حوالي عام ٦٠٠٠ ق. م. وتم في أثناء هذه المرحلة استئناس الماعز وربما الأغنام كذلك، كما حدث تقدم في عملية الانتاج الزراعي، فبدلاً من الاعتماد بشكل كبير على الحبوب البقلية، أصبح ينتج بعض أنواع الشعير التي ساهمت إلى حد كبير في سد حاجياته الاقتصادية، وباستخدام كربون ١٤ يرجح أن يكون عمر بعض حبوب الشعير التي كشف عنها يرجع إلى حوالي عام ٦٢٩٠ ± ١٧٥ ق. م، وهي تعاصر حضارة جرمو في العراق القديم[3].

واستمر صيد الثيران البرية وكذلك الحمير الوحشية، وصاحب ذلك

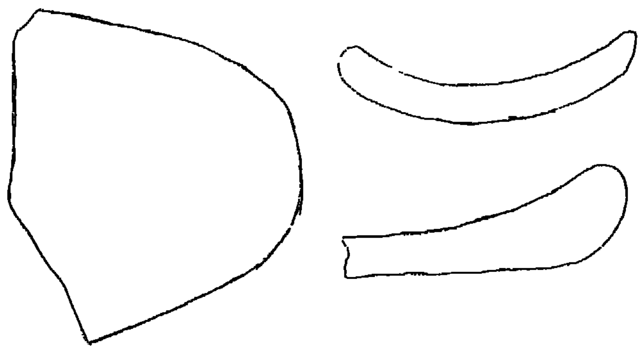
---

(١) Hole, F., Flannery, K., Neely, F., Op - Cit, P 106.

(٢) Mellaart, J., Op. Cit, P. 260.

(٣) Hole, F., Flannery, K. V., Op. Cit, P. 126.

تطور في بعض الأدوات التي استخدمت في ذبح الحيوانات . وأوضحت الأدلة الأثرية التي كشف عنها في هذه المرحلة تطوراً في بعض المصنوعات وزيادة في بعضها الأخر، فزاد عدد القطع الحجرية التي تستخدم لطحن الحبوب[1] (شكل ٣٥) . وارتبط ذلك مع أزدياد أهمية الحبوب في الغذاء .



(شكل ٣٥) قطع حجرية تستخدم لطحن الحبوب .

وظل حجر الصوان هو المادة الرئيسية المستخدمة في صناعة الأدوات والأسلحة ، ولكن وجدت كذلك بعض الأدوات المصنوعة من حجر الأوبسيدان الذي تم استيراده أثناء هذه المرحلة[2] (شكل ٣٦) . وتشبه الأدوات الحجرية في هذه المرحلة الأدوات التي ظهرت في عصر حضارة جرمو بالعراق القديم . ومن المظاهر الجديدة في هذه المرحلة استخدام معدن النحاس المتوافر محلياً في صناعة بعض الأدوات ، ولقد عثر فى البقايا الأثرية المتخلفة في هذه المرحلة على مطرقة نحاسية[3] . وظهرت كذلك بعض المنسوجات على هيئة الحصير المضلع والسلال المجدولة . (شكل ٣٧)[4] .

---

(١) **Ibid.**, p. 118, PL. X. no. 1.

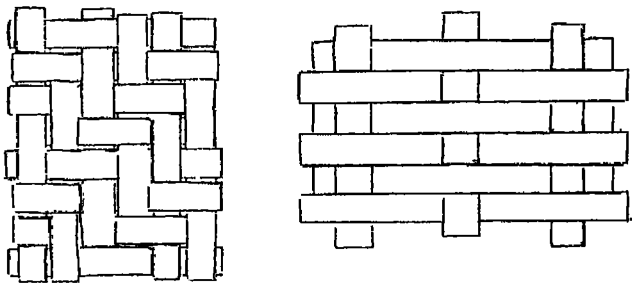
(٢) **Ibid.**, pp.118 - 119, PL. XI.

(٣) Mellaart, J. **op. cit.**, P. 261.

(٤) **Ibid.**, pl. X II.



(شكل ٣٦) بعض الأدوات الحجرية في موقع على كوش .



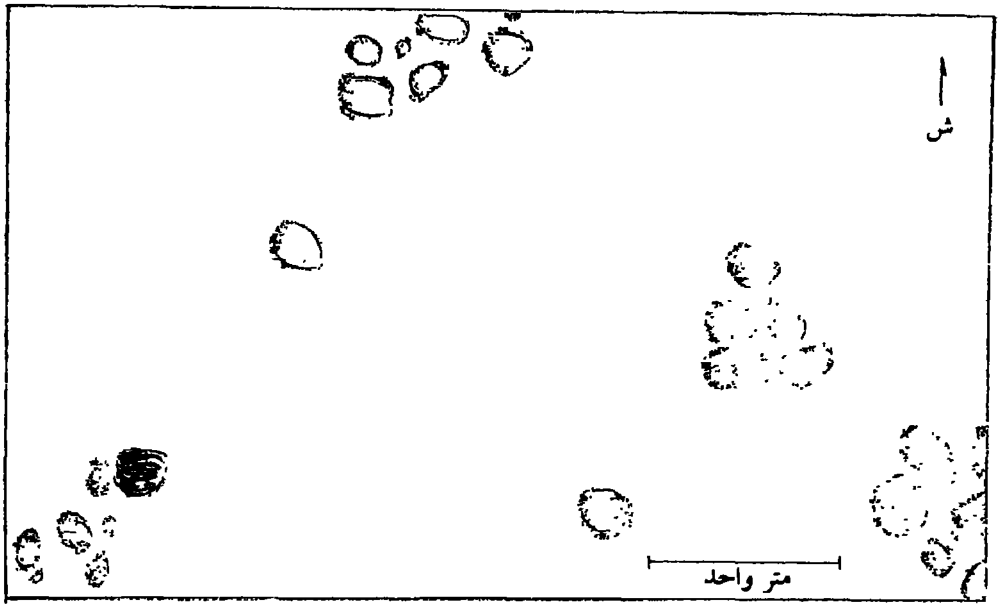
(شكل ٣٧) نماذج لبعض أنواع النسيج .

ومن ناحية أخرى فإن الصناعات الفخارية لم تظهر كذلك في هذه المرحلة . وشيدت المنازل بقوالب الطوب اللبن التي تتميز بكبر حجمها ، وغطيت الجدران من الداخل بملاط من الطين ، ودفن الموتى أسفل أرضية المنازل في وضع الجلوس ، ووضع معهم زيناتهم المصنوعة من التركواز والأحجار والأصداف ، ولوحظ وجود بعض التشوهات في الجماجم البشرية[1] .

أما المرحلة الثالثة فتعرف باسم «دور محمد جعفر Mohammed Jaffar » وهي تمتد من حوالي عام ٦٠٠٠ ق . م حتى حوالي عام ٥٧٠٠ ق . م . وربما بعد ذلك . وفيما يتصل بالمظاهر الحضارية المميزة لهذا الدور

(١) Hole, F., Fmannery, K., Neely, J., op. cit., p. 106.

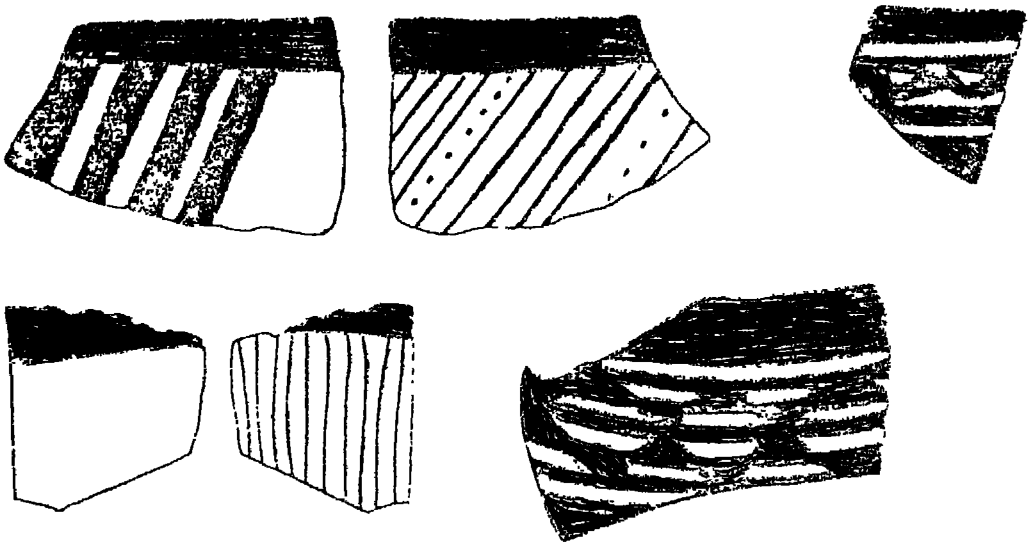
فيلاحظ أن المنازل ظلت تبنى بقوالب اللبن، ولكن التطور الذي حدث في هذا الدور هو أن الجدران أصبحت تبنى فوق أساس من الكتل الحجرية (شكل ٣٨)(١) وغطيت الجدران بالملاط ولونت باللون الأحمر. ومن



(شكل ٣٨) شكل يوضح أساس الجدران الحجري.

المظاهر المميزة لهذا الدور كذلك ظهور الأواني الفخارية التي تعددت نماذجها، فمنها الفخار المزين باللون الأسود (شكل ٣٩) إلا أنه لم يعثر من هذا النوع إلا على قطع قليلة لا يمكن الاستدلال منها بشكل كامل على هيئة الآنية أو على أشكال زينتها. ومنها ما يميل لونه من الداخل من اللون البرتقالي إلى اللون البني مع وجود شريط أحمر رقيق في الداخل والخارج. ولونت الأواني بشكل خشن، وتنوعت ألوانها من الخارج ما بين اللون

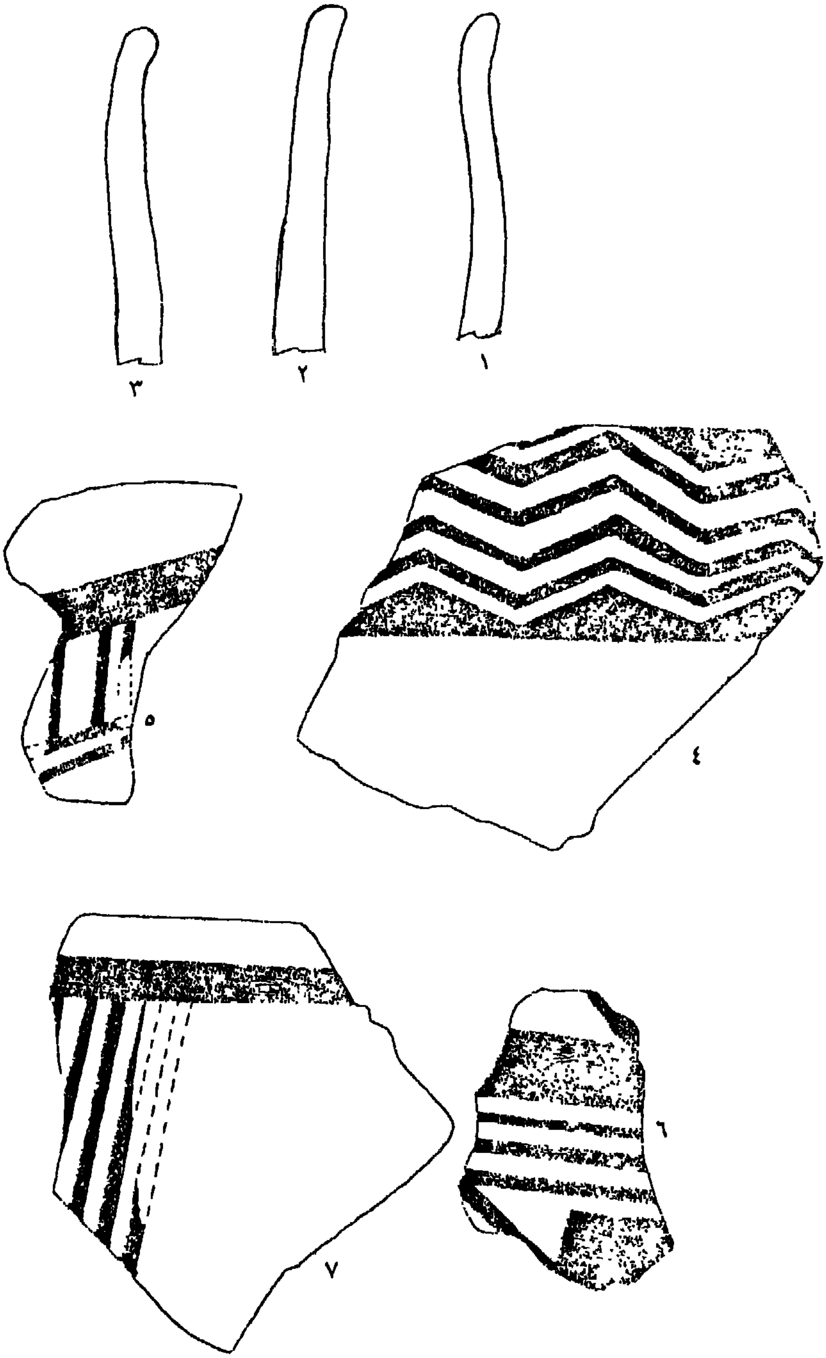
(١) Hole. E. Flanner. K. V.; "Excavations at Ali Kosh. Iran. 1961" in **Iranica Antiqua**, Vol. II (1962), P. 108, Fig. 5.



(شكل ٣٩) نماذج لبعض زينات الأواني في موقع على كوش .

البرتقالي والأحمر الداكن والبني ، ويلاحظ أن حافة الآنية مقلوبة قليلاً إلى الداخل . (شكل ٤٠ : ١) وهي نصف مدورة (شكل ٤٠ : ٣) ، ولم يعثر على أية قواعد للأواني ، ولكن يحتمل أنها كانت دائرية ، وذلك استنتاجاً من شكل بعض القطع التي عثر عليها . وكشف عن بعض الأواني التي ترجع إلى هذا النوع ، وهي تتميز بحوافها السوداء ، ولا يعرف على وجه التحديد ، هل هذا اللون الأسود يرجع إلى الطلاء أو إلى الدخان الناتج عن اشعال النار . أما النوع الثالث من الأواني الفخارية التي كشف عنها فهي خشنة الصنع لم يتم حرقها جيداً ، وعلى ذلك فيلاحظ أن لون الأواني أسود من الداخل ، بينما ظل لونها من الخارج يميل من البني الغامق إلى اللون الأسود . وهي تميل قليلاً نحو الخارج (شكل ٤٠ : ٤ ، ٧) وشفتها بسيطة وقمتها مسطحة (شكل ٤٠ : ٢) ، وهذا النوع من الأواني يتميز بسمكه الذي يصل إلى ٨، ١ سم ، وقد زين بعضها بزينات حمراء[1] (شكل ٤٠ : ٥ ، ٦) .

(١) Ibid., pp. 116 - 118, PL. VIII



(شكل ٤٠) نماذج لبعض أنواع وزينات الأوانى في موقع على كوش .

وفيما يتصل بالأدوات الحجرية ، فلقد كشف عن أنواع متعددة من الأجران ، ووجدت أنواع جيدة من الأدوات المعتمدة على الشظايا وبصفة خاصة المدى ، وكذلك بعض الأدوات القزمية المتضمنة رؤوس السهام ، واستخدم الإنسان أيضاً في هذه المرحلة الفؤوس اليدوية .

واستمرت عادات دفن الموتى كما هي في المرحلة السابقة ، ووضع معهم أدوات زينتهم المصنوعة من التركواز ، والخرز المصنوع من الأحجار والأصداف .

ومن الناحية الاقتصادية فيلاحظ ازدياد استئناس الماعز والأغنام ، وانخفاض مطرد في الاعتماد على النباتات المزروعة ، حتى توقفت زراعة الشعير في النصف الثاني من هذه المرحلة ، وصاحب الإتجاه نحو الحياة الرعوية غلبة الاعتماد على النباتات البرية ، حيث اعتمد على بعض النباتات ومنها Prosopis كغذاء في هذه المرحلة . ويشير ذلك إلى عدم الإستقرار التام في هذه المرحلة وعدم الاعتماد على الزراعة والانتاج الزراعي لسد حاجيات الإنسان الاقتصادية ، وأن الحياة الرعوية كانت تقوم في المقام الأول في هذا المجال ، وأدي ذلك في نهاية الأمر إلى هجر هذا الموقع ، وبعد فترة انقطاع انتقل التطور الحضاري إلى موقع أخر في نفس المنطقة ، وهو موقع تبة سابز Tepe Sabz .

تبة سيالك :

تقع تبة سيالك جنوب غرب كاشان بحوالي ثلاثة كيلومترات ، وهي توجد في وادي مرتفع يصل ارتفاعه إلى ما يقرب من ١٠٠٠ متر فوق سطح البحر ، وذلك على الحافة الغربية للصحراء الإيرانية الكبرى بالقرب من سلسلة الجبال التي تمد المنطقة بالمياه . وكان موقع تبة سيالك مهيئاً من الناحية الجغرافية لأن يصبح محطة هامة على الطريق التجاري الذي تتشعب منه

الصحراء، ويتصل بالمراكز المزدهرة في جبال البرز وكذلك بالمراكز الأخرى في غربي وجنوب غربي إيران. وكشفت الطبقات الأثرية في موقع تبة سيالك عن اتجاه السكان في هذا الموقع للتبادل التجاري مع المناطق الواقعة إلى الغرب منها، وذلك أثناء المرحلتين الحضاريتين الأولى والثانية من سيالك، ثم مع المناطق الواقعة إلى الشرق وذلك أثناء المرحلة الحضارية الثالثة من سيالك، ثم مرة أخرى مع المناطق الواقعة إلى الغرب منها وذلك أثناء المرحلة الحضارية الرابعة من سيالك .

ويبدو أن التدمير الذي لحق بالقرى المتتالية في هذا الموقع قد أدى إلى تكوين تلين متجاورين يفصل بينهما مسافة تبلغ ٦٠٠ متراً تقريباً[١]، وأوضحت الكشوف الأثرية أن التل الشمالي منهما كان أسبق في عملية الاستقرار الإنساني، إذ كشف فيه عن الأنتاج الحضاري للمرحلتين الحضاريتين الأولى والثانية، ثم انتقل النشاط الإنساني إلى التل الجنوبي حيث كشف عن الإنتاج الحضاري للإنسان في تبة سيالك أثناء المرحلتين الحضاريتين الثالثة والرابعة.

ويتكون التل الشمالي في موقع تبة سيالك من مساحة تصل إلى ٣٢٠ متراً طولاً و١١٠ متراً عرضاً. ويبلغ ارتفاع المخلفات الحضارية الإنسانية به إلى ما يقرب من أربعة عشر متراً، والشكل العام لهذا التل عبارة عن مستطيل اتجاهه شمالي جنوبي، وتنحدر جوانبه تجاه السهل بميل . أما التل الجنوبي فيصل طوله ٢٦٠ متراً وعرضه ١٩٠ متراً، وعلى ذلك فإن مساحته أكبر من المساحة التي يشغلها التل الشمالي. وهو يأخذ نفس اتجاه التل الشمالي، إلا أنه أقرب ما يكون إلى الشكل المثلث، ويبلغ ارتفاع المخلفات الإنسانية حوالى أربعة عشر متراً .

---

(١) **Ghirshman, R., Fouilles de Sialk, Pres de Kashan, 1933, 1934, 1937,** Vol. I, Paris, 1938, P. 5.

ولقد بدأت أولى مراحل الاستقرار البشري في تبة سيالك في التل الشمالي وذلك في بداية الألف الخامس قبل الميلاد، وتعرف هذه المرحلة باسم «المرحلة الحضارية الأولى» أو «عصر حضارة سيالك الأولى»، وتتكون هذه المرحلة من خمس طبقات أثرية، تبدأ الطبقة الأولى ببداية الاستقرار الإنساني، وكشف في هذه الطبقة عن بعض الأدلة الأثرية التي تتصل بالمسكن الذي اتخذه الإنسان في بداية أمره في هذا الموقع فكان عبارة عن أكواخ مصنوعة من البوص والأغصان، ولكن بدءاً من الطبقة الأثرية الثانية وحتى الطبقة الخامسة، كشف عن بقايا منازل طينية، ولكن يلاحظ أن جدران هذه المنازل لم تبنى فوق أساس حجري أو حتى أساس من الطوب اللبن، كما أنه لم يكشف عن أي أثر للطلاء، مما يشير إلى أنها لم تدهن سواء من الداخل أو الخارج[1].

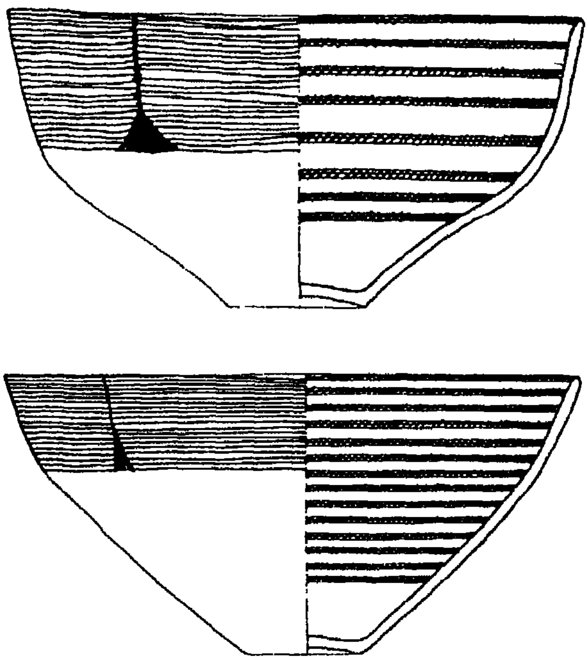
ولقد كشف في الطبقات الأثرية المنتمية إلى المرحلة الحضارية الأولى عن العديد من الأواني الفخارية التي أمكن تصنيفها إلى أربع مجموعات على النحو الآتي:

أ ـ أواني فخارية ذات لون داكن: ـ وتتضمن هذه المجموعة أواني يميل لونها إلى البياض أو الصفرة أو البني الفاتح. وهي خشنة وقد خلطت بالتبن وبعض أنواع الرمل، وفيما يتصل باشكال أواني هذه المجموعة، فقد كانت في أول الأمر بسيطة جداً، وكانت على هيئة أقداح كبيرة أو سلطانيات قواعدها ضيقة ومجوفة بشكل كبير، بينما قمتها واسعة جداً (شكل ٤١)[2]، وكانت هذه الأواني تثبت في تجاويف صنعت لها في أرضية الحجرات، ومنها كذلك ما كانت أجزاؤها السفلى مخروطية وواسعة، وتميزت فوهاتها

---

(١) Ibid., p. 10.

(٢) Ibid., pl. XXXVIII. S. 1513, S. 1687, S. 1568, PL. IV, 1 - 2.

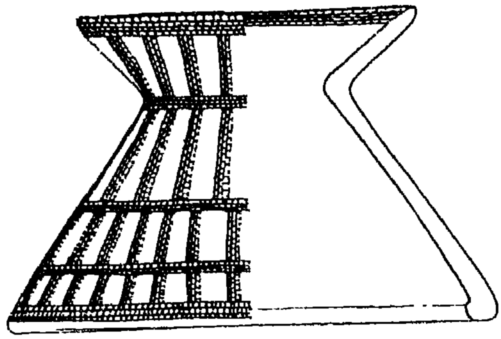


(شكل ٤١) بعض نماذج الأواني الفخارية من سيالك ١ الأولى.

بوجود شفة سميكة تنحدر لأسفل نحو الداخل بحيث يصبح الجزء الواقع أسفل الفوهة أضيق من الفوهة نفسها ثم يبدأ القسم السفلي على هيئة المخروط. (شكل ٤٢)[١].

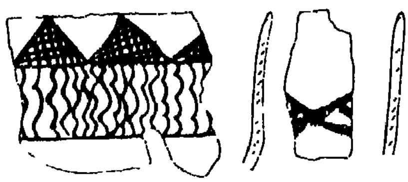
وزينت هذه الأواني في أول الأمر بمجموعة كبيرة من الخطوط الأفقية المتقاطعة، وكذلك خطوط مثلثة متقاطعة، أو خطوط مستقيمة. وفي الطبقة الثانية ظهرت زينة على هيئة خطوط أفقية متموجة وكانت الخطوط إما على مسافات من بعضها، أو كانت ترسم بحيث يكون كل خطين أو أربعة معاً، وظهرت في قواعد بعض هذه الأواني بقع سوداء في هيئة دوائر أو مربعات فوق بعضها. ومنذ الطبقة الثالثة أخذ دهان الأواني يتجه نحو اللون الأبيض تدريجياً، واصبحت الزينات تغطي معظم الآنية. وتعرف هذه المرحلة

(١) Ibid., pl. X X X VIII, 5. 1567.



(شكل ٤٢) نموذج لبعض الأوانى الفخارية من سيالك الأولى .

بالتمهيد للفخار الملون ، ولقد زينت الأواني بشرائط بيضاء في خطوط أفقية أو رأسية ، ويبدو أن هذه الزينة تحاكى السلال التي صنعها الإنسان في أول أمره ، وكانت عبارة عن أواني صنعها من الخوص أو الأغصان ووضع عليها طبقة من الطين المجفف في الشمس ، وقد اظهر بالألوان جدائل الأغصان . (شكل ٤٣)[١] .



(شكل ٤٣) نموذج لزينة الأواني التي تحاكى السلال .

ب ـ أواني فخارية حمراء[٢] :

تمتاز العجينة التي صنع منها فخار هذه المجموعة بأنها أكثر جودة وأقل شوائب من العجينة التي صنع منها فخار المجموعة السابقة . ويلاحظ أن

---

(١) **Ibid.**, pl. XL III, C. 2 - 3, PP. 11 - 14.

(٢) **Ibid.**, pp. 14 - 15.

أولى الأواني التي وصلتنا من هذه المجموعة من الطبقة الأثرية الأولى كان لونها أحمر معتم، ووجدت على بعض الأواني بقع سوداء ربما ترجع إلى عدم انتظام النار أثناء عملية الحرق.

ولقد صنعت أواني هذه المجموعة بواسطة الأيدي وليس عجلة الفخار وذلك مثلها مثل أواني المجموعة (أ)، وكانت أشكالها أكثر انتظاماً من سابقتها، والأشكال الشائعة التي كشف عنها كانت عبارة عن كؤوس وسلطانيات فوهاتها كبيرة وقواعدها مجوفة بجوانب مستقيمة، أو واسعة بانحدار بسيط (شكل ٤٤ : ١ ـ ٢)[١]، وأقداح حوافها مستقيمة (شكل ٢٩ : ٣)[٢] أو مفلطحة (شكل ٤٤ : ٤)[٣] وفي الطبقة الأثرية الرابعة صنعت السلطانيات والأطباق بحجم أكبر، وكانت جدرانها مرتفعة ومفلطحة (شكل ٤٤ : ٥)[٤]. واصبحت السلطانيات في الطبقة الأثرية الخامسة ذات شكل اسطواني وجدرانها مستديرة باستقامة منذ البداية. (شكل ٤٤ : ٦)[٥].

وفيما يتصل بزينات أواني هذه المجموعة، فيلاحظ أن الأواني المبكرة منها لا توجد عليها أي زخارف. ومنذ الطبقة الثانية بدأ استخدام الدهان الأسود في تزيين الأواني الفخارية الحمراء، وكانت هي نفسها الزينات التي استخدمت في أواني المجموعة الأولى. وزينت الأواني كذلك بخطوط في أشكال مثلثات أو معينات فوق بعضها. (شكل ٤٥ : ١ ـ ٢)[٦].

---

(١) **Ibid.**, pl. XXXIX, S. 1546, S 1515, Pl. VI Iet 2.

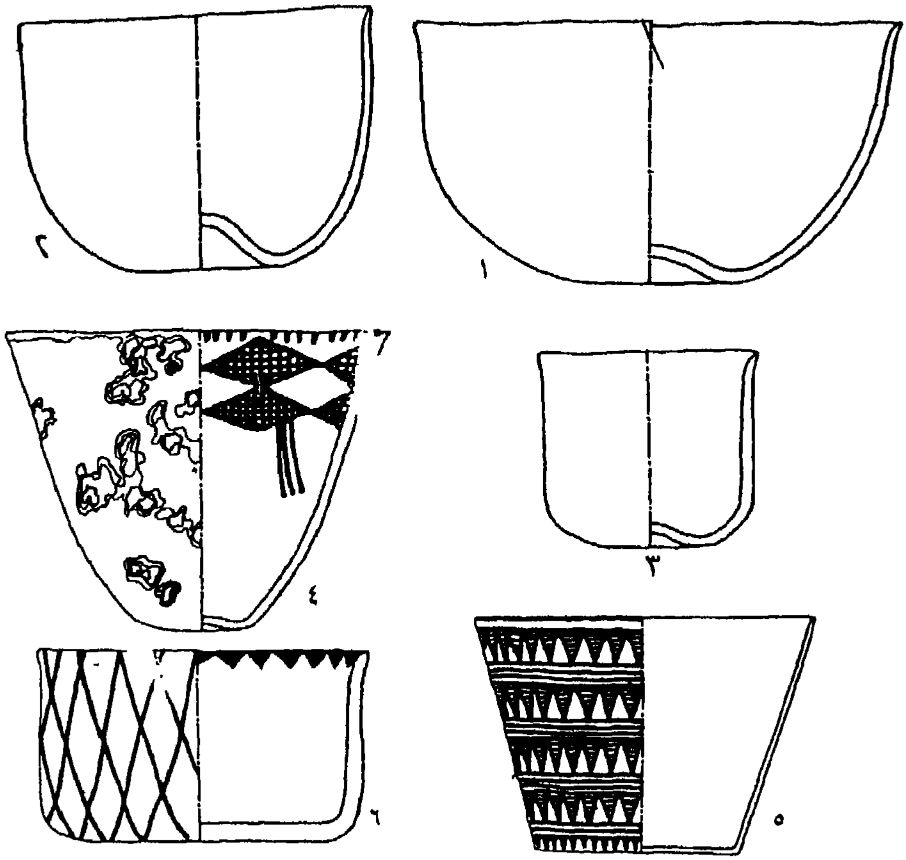
(٢) **Ibid.**, pl. XXXIX, S. 1514.

(٣) **Ibid.**, pl. XXXIX, S. 1426, et, Pl, V. 1 et 2.

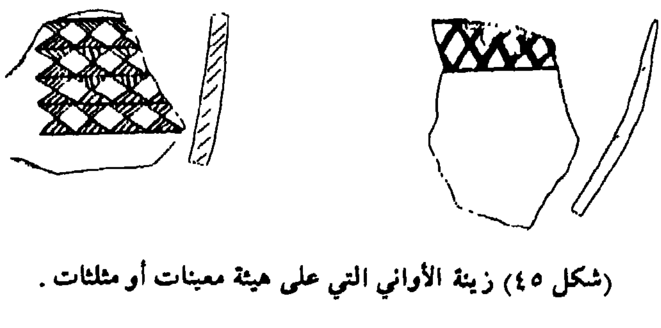
(٤) **Ibid.**, pl. XXXIX, S. 1647.

(٥) **Ibid.**, pl. XXXIX, S. 1274 et Pl. VI, 3.

(٦) **Ibid.**, pl. XLIII, B, 9, XLIV, A. 15.



(شكل ٤٤) بعض نماذج الأواني الفخارية الحمراء من سيالك الأولى .



(شكل ٤٥) زينة الأواني التي على هيئة معينات أو مثلثات .

ح ـ أواني فخارية سوداء :

هذا النوع من الأواني نادر جداً ، إذ لم يكشف كميات منه مثل النوعين السابقين ، ومن ثم فلا يمكن وصفه بكثير من التفاصيل ، وكل ما لدينا منه عشرة أواني عثر عليها في الطبقتين الأولى والثالثة ، ومن المؤكد أن العجينة التي صنع منها قد احتوت على نسبة من مسحوق الفحم ، ولم يظهر على القطع التي عثر عليها بقع سوداء ، كما يلاحظ أيضاً أن الدخان لم ينفذ تماماً إلى العجينة التي صنعت منها[1] .

د ـ أواني فخارية غير مزينة :

صنعت أواني هذه المجموعة بعجينة من الصلصال الغامق الذي خلط ببعض النباتات والجص المفتت . ويلاحظ أنه رغم سماكة جدرانها إلا أنها هشة إلى حد بعيد ، وذلك مثل أواني المجموعة الأولى . وشكلت اسطح هذه الأواني بواسطة الأيدي ، ومن الواضح أن أرضية الأواني قد صبغت بلون وردي فاتح . وفيما يتصل بأشكال الأواني فقد كانت على هيئة قدور بيضاوية أو أواني كبيرة يبلغ طول قطر فتحتها ٧٥ سم ، أما الأواني صغيرة الحجم فهي نادرة جداً ، إذ لم يعثر سوى على نموذج واحد كامل منها ، وهو لآنية ذات قاعدة مسطحة وحافتها تنزل نحو الداخل[2] .

وبالإضافة إلى الأواني الفخارية ، فلقد تمكن الإنسان أثناء المرحلة الحضارية الأولى من صنع أواني بسيطة من الحجر لم يصلنا منها إلا عدداً محدوداً جداً . فلقد عثر في الطبقة الأثرية الرابعة على قدح حجري أسود مصنوع بخشونة[3] ، وعلى قطعة من آنية مصنوعة من حجر أسود ، يبدو أنها

---

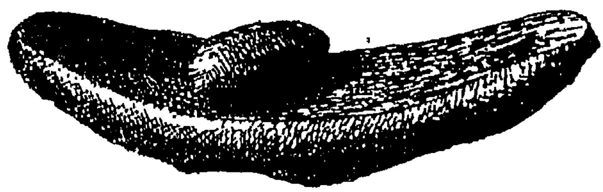
(١) **Ibid.**, p. 16.

(٢) **Ibid.**, p. 16, PL. XXXIX, S. 1310. PL. X, 2.

(٣) **Ibid.**, p. 21, pl. LII, 1.

ترجع إلى نهاية المرحلة الأولى في سيالك، حيث صنعت بشكل جيد لم يكن معروفاً من قبل[1].

وكشف في الطبقة الثانية عن جرن مصنوع من حجر الجرانيت الرمادي وهو يعتبر من أولى الأمثلة التي كشف عنها في المرحلة الحضارية الأولى بسيالك (شكل ٤٦)[2]. ويلاحظ كثرة الأجران التي كشف عنها ويدل ذلك على الاستقرار البشري في هذه المنطقة أثناء المرحلة الحضارية الأولى. ومما يشير إلى ذلك أيضاً الكشف عن عدد من الهواوين الحجرية، ويلاحظ أن



(شكل ٤٦) جرن حجري من سيالك الأولى.

التفكير في صناعة الهاون الحجري كان لاحقاً لصناعة الأجران الحجرية، إذ لم يكشف عن أية هواوين قبل الطبقة الأثرية الثالثة.

ولقد صنعت الهواوين من الأحجار السوداء بينما صنعت مدقاتها من أحجار الجوانيت (شكل ٤٧)[3].

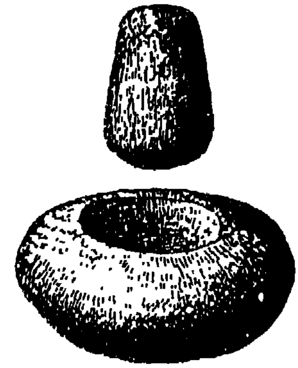
وإذا كانت الهواوين الحجرية ومدقاتها لم تظهر قبل الطبقة الثالثة، فإن الإنسان قد تمكن من تشكيل مدقات الهواوين من الطين الذي تم حرقه وذلك منذ الطبقة الأثرية الأولى، وازداد عددها بشكل خاص عند نهاية المرحلة الحضارية الأولى، وكانت تستخدم في سحق الحمرة في هواوين

---

(١) **Ibid.**, p. 21, pl. LIII, 15.

(٢) **Ibid.**, pl, LIII, 18.

(٣) **Ibid.**, p. 21, Pl. LIII, 14 et 17.



(شكل ٤٧) هواوين حجرية من سيالك الأولى .

صـغـيرة، ولقد عثر على بقايا من هذا المسحوق في بعض الهواوين (شكل ٤٨) [1]. ويتضح من الأعداد الضخمة من قطع الصلصـال التـي لهـا شكل مسنـد، وكذلك فلـكات المغـاز ل الحجـرية المستدقـة أن صناعـة النسيج الأولية، قد عرفت بالفعل أثناء المرحلة الحضارية الأولى بسيالك [2].



(شكل ٤٨) هواوين حجرية صغيرة من سيالك الأولى .

وقرب نهاية المرحلـة الحضـارية الأولـى بدأ الإنسـان يفهـم خواص المعدن، فقد وجد أن النحاس قابل للطرق، ولكنه ظل جاهـلاً بفـن صبـه (عمله في سبائك) . وكشفـ عن أقدم مثال لاستخـدام معـدن النحـاس في الطبقة الأثرية الثالثة، حيث عثر على مخراز مطروق وكشفـ في نفس الطبقة عن أداة نحاسية أخرى تشبه المخراز، وكرتين نحاسيتين صغيرتين يبلغ طول

---

(١) **Ibid.**, pp. 23 - 24, pl. L 11, 26, 31.

(٢) Huot, J, L., **Persia, I, From The Origins to the Achaemenids**, Translated from The French by. H. S. B. Harrison, London, 1970, P. 81.

قطر كل منهما خمس مليمترات. وعثر في الطبقة الأثرية الرابعة على دبابيس نحاسية صغيرة وابر تم تحديد ثقوبها[١].

ويظهر الأنجاز الفني لهذه المرحلة في أتم صوره في النحت على العظم، فكانت تشكل مقابض الأدوات المصنوعة من العظام على هيئة قرون الغزلان أو الحيوانات البرية. ومن أجمل القطع التي عثر عليها، يد سكين مصنوعة من العظام وقد شكلت على هيئة رجل يرتدي غطاء للرأس وثوب مصنوع من جلد أسد، وقد ثبت الثوب بواسطة حزام[٢] (شكل ١٢).

وأحب الرجال والنساء الزينة الشخصية، فصنعوا من الأصداف عقوداً وخواتم وأساور[٣]، وصنعوا من الأحجار العديد من أدوات الزينة مثل الأساور، وأمدتنا الطبقة الأثرية الرابعة في المرحلة الحضارية الأولى بسيالك عن أولى الأمثلة للأساور الحجرية التي صنعت من حجر الأردواذ الأسود أو الأحجار البركانية السوداء[٤]. وصنعوا من الأحجار كذلك الخواتم التي وصلنا منها نموذج وحيد مصنوع من المرمر الأبيض[٥]، وصنعوا من الطين بعض أدوات الزينة، ويرجح أن استخدامهم لأدوات الزينة المصنوعة من الطين كان سابقاً لأدوات الزينة المصنوعة من الحجر، وذلك اعتماداً على حقيقة العثور على أدوات الزينة الطينية منذ الطبقة الأثرية الأولى من المرحلة الحضارية الأولى بسيالك، بينما كانت أولى الأمثلة التي وصلتنا لأدوات الزينة الحجرية من الطبقة الأثرية الرابعة. ومن نماذج أدوات الزينة الطينية التي عثر عليها عقداً مصنوعاً من ثلاث كرات مربوطة مع بعضها[٦]، وخاتم

(١) Ghirshman. R., **op. cit.**, pp. 16 - 17.

(٢) **Ibid.**, pp. 17 - 20.

(٣) **Ibid.**, p. 24, Pl. L 11, 42, 44, 45.

(٤) **Ibid.**, p. 20, Pl. L 11, 5, 21.

(٥) **Ibid.**, pl. L 11, 3.

(٦) **Ibid.**, pl. L11, 32.

اسطواني[1]، وكشف كذلك عن بعض أدوات الزينة التي شكلت في شكل بيضي أو مخروطي[2]. (شكل ٤٩).



(شكل ٤٩) بعض أدوات الزينة من سيالك الأولى.

واستخدمت بعض مواد التجميل لتزيين الوجه، وكان يصحن الطلاء في هاون حجري صغير بواسطة مدقة صغيرة مصنوعة من الحجر، ولقد كشف عن أمثلة لها مصنوعة من الأحجار الرمادية أو السوداء، وعثر في بعضها على بقايا من لون أحمر كان يستخدم في تزيين الوجه[3]، وذلك بالإضافة إلى الهاونات الطينية التي سبقت الإشارة إليها.

وفيما يتصل بدفن الموتى، فيلاحظ وجود المقابر أسفل كل طبقة من المباني. وكان الموتى يدفنون أسفل المنازل أو بينها. ويرى جيرشمان أن هذه الملازمة قد أعفت الأحياء من ضرورة تقديم القرابين، حيث كان القوم يعتقدون أن روح المتوفي يمكنها أن تشارك في الطعام العائلي[4]. ودفن الموتى في مقابرهم على الأرض مباشرة في وضع مقرفص، وكانوا يدفنون

(١) Ibid., pl L 11, 41.

(٢) Ibid., pl. L 11, 24.

(٣) Ibid., p. 21, Pl L 11, 26, 31, 38, 39.

(٤) Ghirshman, R., Iran from the Earliest Times to the Islamic Conquest, P. 30.

بشكل عام في اتجاه محوره شرق ـ غرب [١]. ويبدو مرجحاً أن إنسان حضارة سيالك أثناء المرحلة الحضارية الأولى، قد اعتقد بالفعل أن هناك نوعا من الحياة بعد الموت، وأن حياته في العالم الآخر ستكون مشابهة لحياته على الأرض، ويستدل على ذلك مما كشف عنه في المقبرة رقم (T. 5) حيث وضعت فأس حجرية مصقولة بجوار الهيكل العظمي وبحيث تصل إلى يده، بينما يوجد إلى القرب من رأسه زوج من فكي الماعز[٢]. وكان يوضع مع المتوفي في قبره الطعام اليابس، ومن المحتمل كذلك طعام سائل، وفي الوقت الذي لم نعد نعثر فيه على أدوات، أو أواني في المقابر، فإنه يمكننا الافتراض بأنها كانت من أدوات سريعة التلف مثل الأسبتة.

ولوحظ وجود لون أحمر على عظام الموتى[٣]، ويبدو أن ذلك راجعاً إلى تغطية جسد المتوفي بغطاء أحمر اللون، والأكثر احتمالاً أنه كانت تنثر ذرات أكسيد الحديد بكثرة فوق جسد الميت عند دفنه، ومن ثم فإنه عندما يبلى الجسد تكون العظام قد صبغت باللون الأحمر، وقد عرفت هذه الممارسة في عديد من المناطق الأخرى[٤]. ويتجه بعض المؤرخين في تفسير وجود التراب الأحمر إلى احتمال فائدته في إعطاء الحياة لصاحب تلك الجثة، وذلك على اعتبار أن اللون الأحمر يرمز إلى الدم الذي يعتبر جريانه في جسد الإنسان دليلاً على تمتعه بالحياة[٥]، ويمكن الاستدلال من هذه

(١) Ghirshman, R., **Fouilles de Sialk**, Vol. I, P. 11.

(٢) **Ibid.**, pl. X, 4.

(٣) **Ibid.**, p. 10.

(٤) يذكر تشيلد أن هذه الممارسة قد وجدت في أوروبا خلال العصر الحجري القديم، ثم اتبعت بعد ذلك بانتظام في شمال شرق أوروبا وجنوب روسيا والصين. انظر:

Child, C., **op. cit.**, p. 192.

ولقد سبقت الإشارة إلى أن هذا التقليد قد وجد في بعض المواقع الإيرانية الأخرى مثل مثل موقع كهف بلت، وموقع حاج فيروز.

(٥) رشيد الناضوري: **المرجع السابق**، ص ١٥١ ـ ١٥٢.

الممارسة على وجود نوع من الاعتقاد في الحياة الأخرى.

ومن الناحية الاقتصادية فلقد استقرت في هذا العصر العناصر الأساسية للاقتصاد الإنساني من زراعة واستئناس الحيوان وصيد الأسماك والحيوان واستغلال المناجم والتجارة. وكانت مرحلة الانتقال إلى العمل الزراعي من أضخم (الثورات) التي حدثت في المجتمع الإنساني، وهي ما زالت مستمرة حتى اليوم، ويبدو أن إنسان حضارة سيالك الأولى قد تمكن من استئناس بعض أنواع النباتات وذلك اعتماداً على العثور على مناجل مصنوعة من عظام الحيوانات وكانت هذه المناجل مسننة وثبت فيها أسنان من حجر الظران، وهي تشبه تلك التي استخدمت في الحضارة النطوفية[1]. ونتيجة لعدم العثور على القمح المزروع في عصر حضارة سيالك الأولى، فقد اتجه بعض المؤرخون إلى الاعتقاد بعدم توصل مجتمع هذه الحضارة إلى مرحلة الانتاج الزراعي، ولكن تجدر الإشارة إلى أن هذا المتجمع قد توصل إلى صناعة الأدوات المتصلة بالزراعة مثل المناجل والفؤوس، ولكن هذه الأدوات الزراعية يمكن استخدامها كذلك لحصد وقطع النباتات البرية. وعلى ذلك فإنه لا يمكن الجزم بأن الإنسان في عصر حضارة سيالك الأولى قد توصل فعلاً إلى مرحلة الانتاج الزراعي، لعدم وجود المحصول الزراعي ذاته. ولكن تفوق هذه الحضارة في الصناعات الفخارية وصناعة الأدوات المتصلة بالزراعة، بجانب استخدامها لمعدن النحاس، يمكن أن يؤخذ دليلاً على احتمال توصلها إلى زراعة القمح رغم عدم العثور عليه حتى الآن، وربما يرجع عدم العثور عليه إلى مناخ هذه المنطقة وارتفاع الرطوبة في الجو. ويرجح أنه قد تم استئناس الماشية والأغنام، حيث عثر على بعض الأسنان الخاصة بهما[2]. إلا أن الإنسان قد استمر خلال هذه المرحلة في ممارسة

(١) Child, C., op. cit., p. 191.

(٢) Huot, J. L., op. cit., p. 81.

حرفة الصيد سواء كان صيد الحيوان أو الأسماك. وتبع ذلك استغلال المناجم، وخرج الإنسان من الحالة الذي كان يقتصر فيها على الصيد من أجل طعامه اليومي، واصبح يوجد لديه فائض من منتجاته، وكانت هذه هي الخطوة الأولى نحو تطوير اقتصاده، وهي وجود فائض يستطيع المقايضة عليه، وبالفعل فقد وجدت التجارة. فالأصداف التي استخدمها سكان عصر حضارة سيالك الأولى كأدوات زينة والتي سبقت الإشارة إليها، عثر على أنواع منها على ساحل الخليج العربي على مبعدة ما يقرب من ٦٠٠ ميل من سيالك، ويشير المتخصصون إلى أنهما من نوع واحد. وليس من الضرورة أن يكون هذا التبادل قد تم بواسطة الاتصال المباشر، إذ يرجح أنه قد تم بواسطة التجار المتجولون الذين كانوا يحترفون الوساطة التجارية في ذلك الوقت[١]. ويوجد كذلك نوع من التشابه في الانتاج الحضاري للطبقات الأثرية الأولى والثانية والثالثة في تبة سيالك وبصفة خاصة في مجال الصناعات الفخارية وبين الطبقات الأثرية الرابعة والخامسة في حسونة بالعراق القديم وذلك فيما يتصل بأسلوب تصميم الأواني، بينما يتشابه الانتاج الحضاري للطبقتين الأثريتين الرابعة والخامسة مع الانتاج الحضاري لحضارة حلف في العراق القديم[٢].

وقد اتجه المؤرخون إلى اعتبار إنسان حضارة سيالك الأولى ينتمي من الناحية البشرية إلى العنصر المعروف باسم «ما قبيل الإيرانية»، وأيضاً إلى العنصر المعروف باسم «ما قبيل البحر الأبيض المتوسط» ولهذه الحقيقة أهمية بالغة لارتباط هذه العناصر بالعناصر التي تعرف في العصر التاريخي وخاصة في الألف الثاني قبل الميلاد بالشعوب الهندية الإيرانية التي قطنت هضبة إيران[٣].

(١) Ghirshman, R., Iran from the Earliest Times to the Islamic Conquest, P. 35.

(٢) Dyson, R. H., op. cit., p. 236.

(٣) رشيد الناضوري: المرجع السابق، ص ١٥٢.

تبة جيان :

تقع تبة جيان Tepe Giyan على ارتفاع يصل إلى حوالي ١٨٠٠ م فوق سطح البحر، في أخر الأودية التي تتاخم الجزء الشمالي لجبال لورستان. وكانت تقع على الطريق الذي سلكته القبائل في هجراتها، وهو الطريق الذي كان يصل ما بين حارسين Harsin ودلفان Delfan وعلى شتار A lishtar . ويوجد في شمال غربها بحوالي ٢٥ ميلاً الطريق الرئيسي الذي يصل ما بين حمدان وطهران، حيث يكون من السهل الوصول إلى بلاد النهرين عن طريق قصري شيرين، وكذلك الوصول إلى سوسة عن طريق أودية لورستان. وأدى ذلك إلى اتصال حضارة جيان بحضارات عصور ما قبل التاريخ في العراق من ناحية وسوسيانا من ناحية أخرى. وظهر تأثير هذه الصلات في الإنتاج الحضاري لتبة جيان في عصور ما قبل التاريخ.

وتبة جيان عبارة عن قرية صغيرة تقع في جنوب غرب مدينة نهاوند، ويفصلها عنها سلسلة من التلال. ويوجد الموقع الأثري شمال القرية مباشرة ويصل ارتفاع التل الأثري حوالي ١٩ متراً، وهو على محور شمالي جنوبي، ويبلغ طوله ما يزيد على ٣٥٠ متراً[١]. وتشغل الجبانة معظم التل الأثري، ويلاحظ أن بناء الجبانة جاء لاحقاً لمرحلة الاستقرار والسكن في هذه المنطقة، وقد نتج عن ذلك تركز المقابر في الجزء العلوي من التل، حيث كشف عن ١١٩ مقبرة في النصف العلوي من التل (حوالي $\frac{1}{2}$ ٩ م) وفي النصف الأسفل من التل والذي يصل ارتفاعه إلى حوالي عشرة أمتار ينقطع تسلسل المقابر، وأصبح وجودها أمراً نادراً، فمثلاً كشف عن مقابر لثلاثة أطفال، الأولى على عمق ١١ م والثانية على عمق $\frac{1}{2}$ ١٣م والثالثة على عمق ١٤ م[٢].

(١) Contenau, G., Ghirshman, R., **Fouilles Du Tepe - Gigan, Pres de Neha Vend** (1931 et 1932), Paris, 1945, PP. 1 - 3.

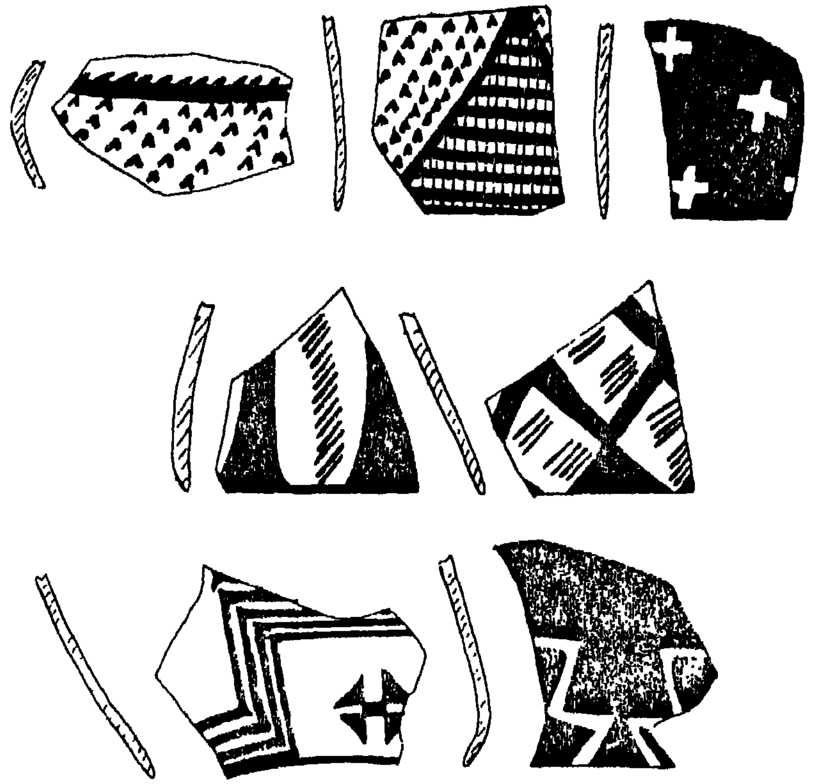
(٢) **Ibid.**, p. 7.

وتوجد التركة الأثرية الخاصة بعصور ما قبل التاريخ في الطبقات السفلى من التل ويصل سمكها إلى حوالي عشرة أمتار. ويطلق على الانتاج الحضاري لهذه الطبقات تسمية «جيان الخامسة»، ولقد صنفت هذه الطبقات حسب المادة الأثرية التي كشف عنها بواسطة Mc Cown [١] إلى أربع مراحل متتالية، وذلك حسب ترتيبها الزمني من الأقدم إلى الأحدث على النحو الآتي: ١ ـ مرحلة جيان الخامسة (أ) وهي أقدم المراحل وتوجد المادة الأثرية الخاصة بها في أسفل التل، ويبلغ سمك مخلفاتها الأثرية متر واحد، وذلك على ارتفاع من ١٩ ـ ١٨ م فوق مستوى سطح الأرض البكر، ٢ ـ مرحلة جيان الخامسة (ب) وذلك على ارتفاع من ١٨ ـ ١٤ م، ٣ ـ مرحلة جيان الخامسة (ح) وذلك على ارتفاع ١٤ ـ ١٠م، ٤ ـ مرحلة جيان الخامسة (د) من ١٠ ـ ٨ م. ويوجد الانتاج الحضاري الخاص بالعصر الحجري الحديث في أقدم الطبقات وهي طبقة جيان الخامسة (أ).

ومن البقايا الفخارية التي عثر عليها في الطبقة الخاصة بالعصر الحجري الحديث، أمكن تمييز نوعين من الصناعات الفخارية، النوع الأول: العجينة التي صنع منها خشنة ومسامية، وجدرانه سميكة وحوافه غليظة. أما النوع الثاني: فهو على النقيض من النوع الأول تماماً فهو يمتاز بأن العجينة التي صنع منها جيدة وخالية من الشوائب، وتم حرقه بشكل طيب، ولونت بلون أسود. وقد زينت هذه الأواني بزينات متعددة، فمنها ما زين بزينات تشبه رقعة الضاما، وزين بعضها بخطوط حلزونية، والبعض الآخر زين بزينات على هيئة رؤوس سهام صغيرة في خطوط متوازية،. بينما زينت بعض الأواني بزينات تتكون من قوائم متقاطعة على شكل (+)[٢] (شكل ٥٠). أما الزخرفة التي زينت بها معظم الأواني ووجدت بكثرة في

(١) Mc Cown, D.E., **The Comparative Stratigraphy of Early Iran**, Chicago - 1942, P. 13.

(٢) Contenau, G., Ghirshman, R., **op. cit.**, pp. 62 - 63, Pl. 42.



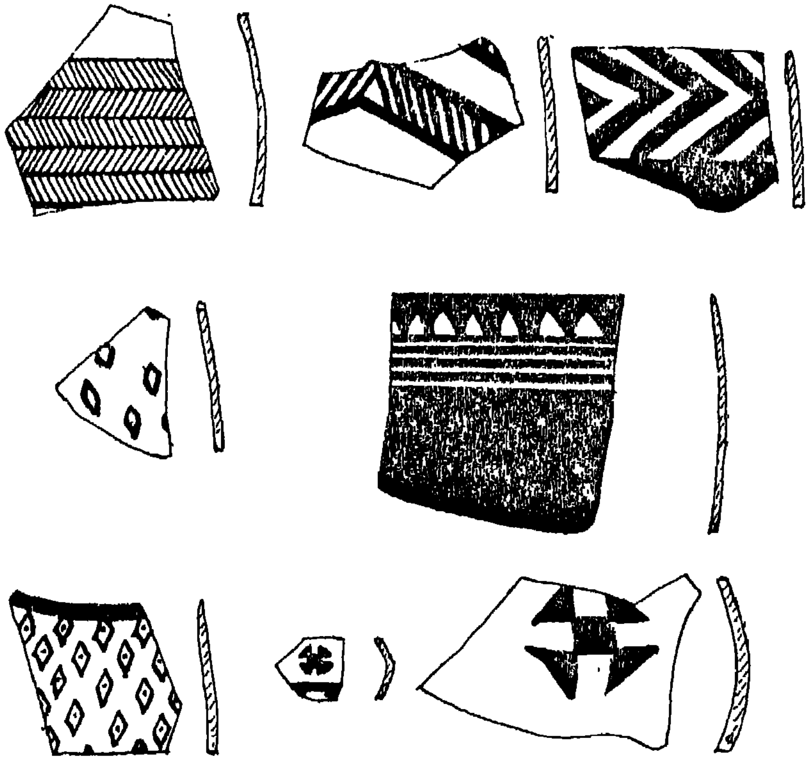
(شكل، ٥) بعض زينات الأوانى في موقع تبة جيان .

هذه المرحلة ، فكانت عبارة عن زينات على شكل مغزلي أو معينات ، وفي بعض الأحيان تكون على شكل مثلثات مفردة أو مجمعة بشكل متكرر (شكل ٥١)[١] . ويشبه ذلك زينات الأواني التي كشف عنها في تبة موسيان . ويلاحظ أن التركة الأثرية لهذه المرحلة تتشابه مع بعض نماذج الانتاج الحضاري لعصر حضارة حلف في العراق القديم[٢] .

ولقد كشف عن بعض قطع فخارية سميكة جداً على شكل حواف

(١) Ibid., p. 63, Pl. 43.

(٢) Dyson, R. op. cit., p. 231.



(شكل ٥١) بعض زينات الأواني في موقع تبة جيان .

الأواني ، ويتضح من هذه البقايا أنها تشبه الأواني التي استخدمت كتوابيت للأطفال وعثر عليها في المقابر أرقام ١٢٠ ـ ١٢٢(١) وذلك في الطبقة الأثرية الثالثة V C مما قد يشير إلى أنه قد استخدم كذلك أثناء مرحلة العصر الحجري الحديث لنفس الغرض ، وأن كان يقلل من احتمالية هذا الفرض عدم الكشف عن أدلة أثرية تشير إلى وجود دفنات في هذه المرحلة ، إذ أن أقدم دفنات تم الكشف عنها كانت على عمق ١٤ متراً وذلك في الطبقة الأثرية الثالثة .

وفيما يتصل بالتحديد الزمني لعصر حضارة جيان الخامسة (أ) ، فيرى ديسون أنه يمكن تحديدها بالفترة من ٤٨٠٠ ـ ٤٥٠٠ ق . م(٢) .

(١) Contenau, G.. Ghirshman, R . op. cit., p. 63.

(٢) Dyson. R.. op. cit., Fig. 1, P. 249.

الفصل الثاني

المرحلة الحضارية الثانية

تؤرخ المرحلة الحضارية الثانية بحوالي نهاية الألف الخامس وبداية الألف الرابع قبل الميلاد، وهي تعاصر المرحلة المعروفة باسم «عصر استخدام النحاس والحجر» Chalcolithic ، وهو عصر حضارة البداري[1] في مصر وعصر حلف[2] في العراق القديم.

وتعتبر المرحلة الثانية من التطور الحضاري لعصور ما قبل التاريخ في إيران استمراراً للمرحلة الحضارية السابقة، تقدمت فيها مناحي المظاهر الحضارية التي تتبعناها في المرحلة الحضارية الأولى وتوجد البقايا الأثرية لهذه المرحلة فوق المخلفات الأثرية للإنسان في المرحلة الحضارية الأولى مما أدى إلى وجود اشتراك في بعض طبقات التلال بين المرحلتين الحضاريتين الأولى والثانية.

ويستدل من الأدلة الأثرية المتخلفة من المرحلة الحضارية الثانية على استخدام الطوب اللبن في البناء مما أدى إلى ازدياد مساحة المنازل، وطليت جدران الحجرات بطلاء أحمر اللون مستخرج من أوكسيد الحديد المنتشر بكميات كبيرة على الهضبة الإيرانية. ويشير ذلك إلى تفاعل الإنسان وإمكانات البيئة المحيطة به، ومحاولته استغلالها وما يتفق ومطالب حياته،

---

(١) تقع البداري ـ وهي أحدى مراكز محافظة اسيوط ـ على الصفة الشرقية للنيل ـ فيما بين أبو تيج وطما، عبر النهر.

(٢) يقع تل حلف في أعلى نهر الخابور على مبعدة ١٤٠ ميلاً إلى شمال غرب نينوى.

ومما لا شك فيه انه لم يتوصل إلى ذلك إلا بعد فترات طويلة من الملاحظة والتجارب .

ولقد نمت القرى بسرعة واتسعت تجارب الإنسان في مجال الزراعة، فتمكن من التوصل إلى استخدام المحراث، وتمكن الإنسان من استئناس بعض الحيوانات ـ وذلك بالإضافة إلى الحيوانات التي استأنسها في المرحلة الحضارية الأولى ـ ومن هذه الحيوانات نوع من الكلاب السلوقية، وحصان من نوع Przewalski وكان هذا الحصان صغير الحجم قوي الجسم له عرف فرس منتصب سميك، ولقد استخدم هذا الحيوان في السفر والنقل، وفي نفس الوقت فأنه كان يستخدم في العمل في الحقول[1] .

واستمرت الأواني الفخارية تصنع بواسطة الأيدي، ومن المظاهر المميزة للمرحلة الحضارية الثانية ظهور نوع جديد من الفخار ـ وذلك بالإضافة إلى وجود الأنواع السابقة ـ ويمتاز هذا الفخار الجديد بكونه أصغر حجما، وأنه مصنوع بعناية كبيرة، ومحروق بشكل أفضل بكثير من الأنواع السابقة، والشيء الجديد في هذا الفخار والجدير بالانتباه يتركز في زينته التي نفذت بطلاء أسود على أرضية حمراء داكنة، وهي تتكون من صفوف من الحيوانات والطيور المليئة بالحركة، ولقد تمكن من رسمها بواسطة خطوط بسيطة، وبواقعية شديدة .

واستمر خام النحاس يطرق ولا يصب، وصنع منه في هذه المرحلة العديد من الأدوات كالمخارز والدبابيس، واصبحت الحلى أكثر وفرة وثراء، إذ أضيفت إليها بعض المواد الجديدة مثل الفيروز والعقيق الأحمر.

وظل الموتى يدفنون في وضع مقرفص أسفل المساكن. وتجدر الإشارة إلى أن مصر في هذه المرحلة أي أثناء عصر حضارة البداري قد تمكنت من الوصول إلى مرحلة متفوقة فيما يتعلق بإيمان الإنسان بحياته في

---

(١) Ghirshman, R . op. cit., p. 34.

العالم الآخر، فقد تمكن البداريون من بناء منازل خاصة للموتى في مكان خاص بهم؛ أي جبانة، واعتنى البداري بالمحافظة على جثة المتوفي بصورة ملحوظة، فقام بتغطية المتوفي بالحصير والجلد والقماش للمساعدة في الحفاظ على جثته[1]، وقد اعطت هذه الحقيقة لمصر في تلك المرحلة تفوقاً حضارياً ملحوظاً في منطقة الشرق الأدنى القديم، لأن الاهتمام بحقيقة الموت ومصير الإنسان بعد الموت يعتبر تقدماً فكرياً يصل إليه الإنسان بعد تطوره المادي الدنيوي بصورة ملحوظة.

واعتمد الإنسان في سد بعض حاجياته الغذائية على القمح والشعير الذي كان ينمو برياً، ويحتمل كذلك أنه قد تمت زراعته بالفعل على بعض المسطحات الغرينية، ويتجه الاستاذ جيرشمان إلى القول بأن إيران قد ادخلت زراعة القمح إلى الأقطار المجاورة ومنها مصر[2]، ولكن هذا الرأي يصعب تقبله، حيث تثبت الأدلة الأثرية التي كشف عنها أن مصر قد توصلت إلى إنتاج القمح - أي إلى زراعته - توصلاً محلياً صرفاً في عصر حضارة الفيوم أ[3]. ومن ناحية أخرى فإنه يلاحظ أن الأبحاث الحديثة يتجه بعضها حالياً إلى اثبات أن مصر قد توصلت إلى زراعة القمح منذ الألف الثامن ق. م.

ونتيجة للتطور الحضاري المادي الذي حققه الإنسان في هذه المرحلة، فقد وجدت دوافع كبيرة للتجارة والتوسع، وكانت كل المنتجات التي ينتجها الإنسان تستخدم كعملة في التبادل التجاري في هذا المجتمع البدائي. وفي هذا العصر، وعندما كان الإنسان ما يزال في بداية استخدامه للمعادن، فإنه من المتفق عليه بشكل عام أن نشاطه التجاري كان يتضمن ما

(١) Baumgartel, E. J.;"Predynastic Egypt", **In C A H**, Vol. I, Part I, Cambridge, 1970, P. 469.

(٢) Chirshman, R., **op. cit.**, p. 35.

(٣) Caton - Thompson, G., and Gardiner, E. W., **The Desert Fayum** vol. I, London, 1934, pp.41-48.

في بئيته من نباتات وأشجار وحيوان ومواد طبيعية، كبعض أنواع الأحجار الجيدة والأصداف وغيرها.

ولقد ظهر الانتاج الحضاري لهذا العصر في العديد من المواقع على الهضبة الإيرانية، وسنقوم فيما يلي بتتبع المظاهر الرئيسية للانتاج الحضاري في بعض هذه المواقع.

تبة سيالك (خلال المرحلة الحضارية الثانية)

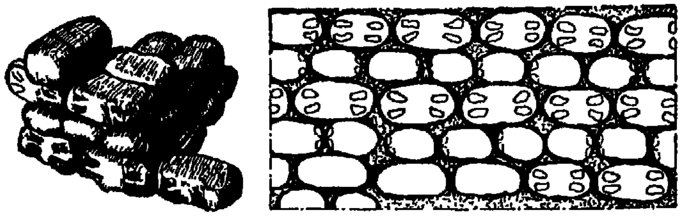
يوجد الانتاج الحضاري الممثل لهذه المرحلة في التل الشمالي في موقع تبة سيالك، ويتراوح سمك المخلفات الأثرية من ٦٥٠ سم إلى ٧٢٠ سم، وهي تقسم من الناحية الأثرية إلى ثلاث طبقات ولقد كشف في الطبقتين الأولى والثانية عن بعض البقايا المعمارية التي أمكن من خلالها معرفة التطور المعماري الذي توصل إليه الإنسان خلال المرحلة الحضارية الثانية في تبة سيالك.

فبينما كانت المنازل في المرحلة الحضارية الأولى في تبة سيالك عبارة عن أكواخ بسيطة مصنوعة من البوص والأغصان أو من جدران مصنوعة من كتل طينية غير منتظمة[١]، فإنها قد تطورت خلال المرحلة الحضارية الثانية، ويتمثل التطور الذي تم في هذه المرحلة في استخدام الطوب اللبن في البناء، ولكنه كان في هذه المرحلة عبارة عن كتل طينية غير منتظمة تشكل بخشونة بأصابع الأيدي ثم تجفف في الشمس، وتم عمل فجوات في كتل الطوب بواسطة إبهام اليد وذلك حتى يمكن تثبيتها ببعضها بواسطة الملاط (شكل ٥٢)[٢]. وأدى استخدام الطوب اللبن في المباني إلى جعل جدرانها أكثر انتظاماً وأقل عرضة للإنهيار، وطليت جدران الحجرات بطلاء أحمر

---

(١) Ghirshman, R., **Fouilles de Sialk, pres de Kashan,** Vol. I, P. 10

(٢) Ghirshman, R.,**Iran from the EarliestTimes to the Islamic Conquest,** Fig. 6, P. 33



(شكل ٥٢) الشكل المبكر لقوالب الطوب اللبن .

اللون مأخوذ من تراب أوكسيد الحديد المنتشر بشكل واسع على الهضبة الإيرانية وكذلك عصير الفاكهة أو قشرها، ويعتبر هذا من أفضل الأمثلة التي توضح اتجاه الإنسان لتعداد تجاربه وقدرته على الاختراع . ويلاحظ أن هذا الدهان كان منتشراً في كافة المنازل، ولذلك فإنه يغلب أنه قد استخدم فعلاً لأغراض الزخرفة والزينة وليس لأغراض أخرى(١) .

ويلاحظ أنه أثناء الطبقة الأولى من المرحلة الحضارية الثانية، قد بنيت أساسات المباني المصنوعة من الطوب اللبن على أساس وجود طبقة قائمة ملساء يقابلها طبقة عرضية، وأدى استخدام الطوب اللبن إلى زيادة طول الجدران وارتفاعها. وفي الطبقة الثانية من المرحلة الحضارية الثانية اصبحت الجدران تتكون من صفوف من الطوب اللبن، بحيث يرص صف تكون كتل الطوب اللبن فيه طولية يليه صف آخر تكون كتل الطوب اللبن عرضية، وهكذا إلى نهاية الجدران. وظلت الجدران تبنى في الطبقة الثالثة من كتل الطوب اللبن وطليت الجدران باللون الأحمر(٢) .

وعثر في أرضيات بعض المنازل على فجوات ضحلة محفورة كانت توضع فيها الأواني والجرار، ويرجح أنها استخدمت من أجل تخزين المواد الغذائية الضرورية لأهل المنزل من حبوب وزيوت .

---

(١) **Ibid.**, pp.32 - 33.

(٢) Ghirshman, R., **Fouilles de Sialk, pres de Kashan**, Vol I. PP. 26 - 27.

وفي المرحلة الحضارية الثانية ظل الموتى يدفنون ـ مثل المرحلة الحضارية الأولى ـ أسفل أرضيات المنازل بين الأحياء، ويلاحظ كذلك أنهم مثل المرحلة الحضارية السابقة لم يدفنوا في اتجاه محدد، وظلوا يدفنون في وضع مقرفص وكان وضع الأذرع ليس ثابتاً في كل الحالات، فقد كان مختلفاً بين حالة وأخرى. ونثر فوق الجثث أكسيد الحديد الذي ترك أثاراً حمراء عميقة على العظام. وتجدر الإشارة إلى أنه لم يعثر على أية تجهيزات جنازية مع المقابر التي تم الكشف عنها من هذه المرحلة[١].

وتصنف جميع الأواني الفخارية التي عثر عليها في الطبقات الأثرية الخاصة بالمرحلة الحضارية الثانية في مجموعة واحدة، ويتضح من طريقة صناعتها وزيناتها أنها متطورة من المرحلة الحضارية السابقة، ويلاحظ أن العجينة التي صنعت بها الأواني في المرحلة الحضارية الثانية كانت أكثر جودة من العجينة التي صنعت منها الأواني في المجموعة (ب) من المرحلة الحضارية الأولى، وتم حرق الأواني بشكل أفضل وذلك في أفران خاصة أعدت لهذا الغرض. وتتميز الأواني بصغر حجمها، وتعددت أشكال الأواني، وكان من أكثرها استخداماً الأقداح الصغيرة، والأطباق ذات القاعدة المنبسطة والأقداح ذات القاعدة المفرغة (شكل **٥٣**)[٢].

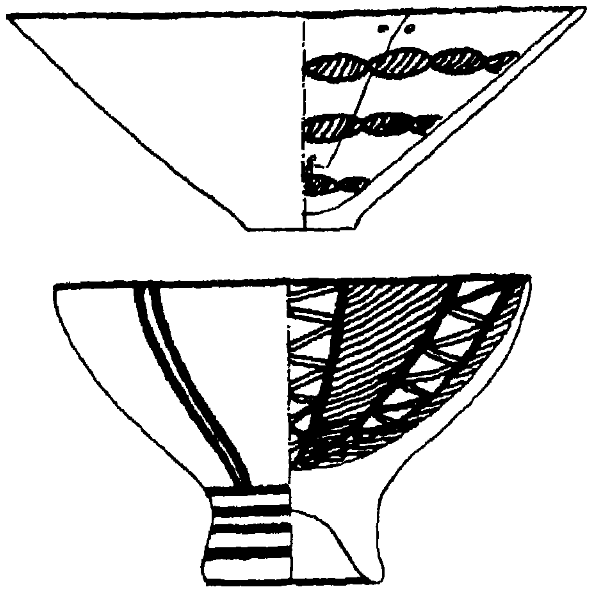
وفيما يتصل بزينة الأواني الفخارية في المرحلة الحضارية الثانية[٣]، فيلاحظ أن الأواني قد زينت بواسطة استخدام الطلاء الأسود بشكل سميك في أغلب الأحوال، وكان الطلاء بارزاً بروزاً بسيطاً. وتعددت زينات الأواني، فلقد أضيف إلى الزينات التي ظهرت في المرحلة الحضارية الأولى

---

(١) **Ibid.**, p 27.

(٢) **Ibid.**, pl. XLVI, S. 1747, S. 1736, S 1737.

(٣) **Ibid.**, pp 28 - 30.



(شكل ٥٣) بعض نماذج الأوانى من سيالك الثانية .

ـ والتي اتخذت أشكالاً هندسية على هيئة مثلثات أو معينات مظللـة بخطـوط وكذلك خطوط مموجة ـ موضوعات جديدة في المرحلـة الحضـارية الثـانية ، وتنوعت هذه الموضوعات ، ما بين البسيطة والمركبة ، ويأتي في مقدمة هذه الموضوعات الجديدة ، ترتيب المناظر فوق بعضها ، والزينة التي على شكل ضفائر (شكل ٥٤)[١] والدوائر المتتالية التي تدور حول مركز واحد أو الدوائر



(شكل ٥٤) زينات الأوانى على شكل ضفائر .

المظللة بخطوط. (شكل ٥٥)[٢] . ويلاحظ أن الزينة التي على هيئـة رقعـة الشطرنج والتي بدأ ظهورها في الطبقة الأثرية الأولى من المرحلة الحضارية

(١) Ibid., pl. XLV I I, D. 9.

(٢) Ibid., pl. XLIX, A.21.



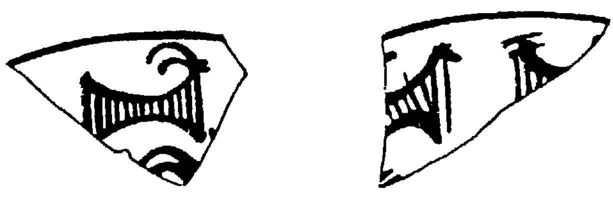
(شكل ٥٥) زينات الأوانى على شكل دوائر .

الثانية ، قد اصبحت شائعة في زينة الأواني عند نهاية هذه المرحلة الحضارية (شكل ٥٦)[1] . وبالإضافة إلى هذه الزينات التي أخذت في الظهور ، في



(شكل٥٦) زينات الأوانى على شكل رقعة الشطرنج .

المرحلة الحضارية الثانية ، فإن الابتكار المميز لأساليب الزينة في المرحلة الحضارية الثانية بموقع سيالك يتمثل في ظهور الزينات التي على أشكال حيوانية ونباتية (شكل ٥٧)[2] . ومن الأشكال الحيوانية التي ظهرت على



(شكل ٥٧) زينات الأواني على هيئة أشكال حيوانية .

---

(١) **Ibid.**, pl. L 1. D. 11. 14. 16. 17

(٢) **Ibid.**, Fig 3. 1 - 2. P. 28.

الأواني أشكال الماعز، وحيوانات ذات رقبة طويلة يحتمل أن تكون حمير[١] .

وفي مجالات الصناعات المعدنية[٢] ، فيلاحظ أنه لم يحدث تطور ملحوظ فيها خلال المرحلة الحضارية الثانية بسيالك ، ومع ذلك فإن المصنوعات النحاسية الصغيرة التي عثر عليها خلال هذه المرحلة الحضارية تفوق بكثير، من ناحية الكمية ، المصنوعات النحاسية التي كشف عنها في المرحلة الحضارية الأولى . ويستدل كذلك من كثرة القطع النحاسية الخام التي عثر عليها وبخاصة في الطبقة الأثرية الثالثة من المرحلة الحضارية الثانية ، أن الحصول على معدن النحاس قد اصبح يتم بسهولة أكثر، وإن الإنسان في إيران عند نهاية المرحلة الحضارية الثانية كان قد خطى خطوات كبيرة في مجال الحصول على هذا المعدن .

ولقد أخذت الأدوات المصنوعة من معدن النحاس تحل تدريجياً مكان الأدوات المصنوعة من مواد أخرى ، فلقد بدأت المثاقيب النحاسية (شكل ٥٨)[٣] تحل مكان المثاقيب العظمية ، كما اصبحت بعض أدوات الزينة

(شكل ٥٨) بعض المثاقيب النحاسية .

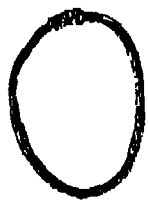


(١) Mellaart, J.. op. cit., p. 293

(٢) Ghirshman, R .op. cit., p. 30.

(٣) Ibid., pl. L 11. 46. 48 et 57.

تصنع من النحاس وبخاصة الأساور (شكل ٥٩)[١] ، وبالإضافة إلى هذه المصنوعات ، فلقد عثر كذلك على العديد من المصنوعات النحاسية الأخرى مثل الدبابيس ، ومع ذلك فإن تقنية صناعة الأدوات النحاسية لم تختلف عن المرحلة الحضارية الأولى ، ومن ثم فإن كل الصناعات النحاسية التي عثر عليها من المرحلة الحضارية الثانية ، كانت مصنوعة بواسطة الطرق ، حيث لم يتوصل الإنسان في إيران حتى نهاية هذه المرحلة إلى طريقة صهر النحاس وصبه .



(شكل ٥٩) نموذج للأساور النحاسية .

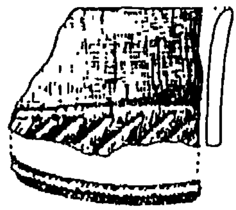
ونظراً لزيادة استخدام الأدوات النحاسية وحلولها مكان الأدوات العظمية فقد قل استخدام الأدوات المصنوعة من العظام إلى حد كبير . واصبحت المخارز العظمية صغيرة جداً في حجمها ، كما قلت الأعداد التي كشف عنها بالمقارنة بالكميات التي عثر عليها في البقايا الأثرية الخاصة بالانتاج الحضاري للمرحلة الحضارية الأولى ، وعند نهاية المرحلة الحضارية الثانية في موقع سيالك لم يكشف عن أية مخارز عظمية وذلك في الطبقة الأثرية الثالثة من هذا الموقع[٢] .

وتشير كسر الأواني الحجرية التي عثر عليها إلى حدوث تطور في صناعة الأواني الحجرية ، وربما كان ذلك راجعاً إلى تقدم الأدوات

(١) Ibid., pl. L 11, 52.

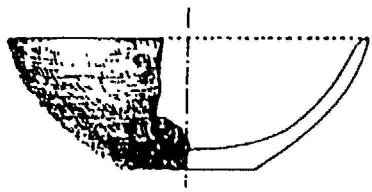
(٢) Ibid., p. 30.

المستخدمة في هذه الصناعة. ويستدل من البقايا التي كشف عنها إلى قيام الإنسان في المرحلة الحضارية الثانية بصناعة العديد من الأواني الحجرية المختلفة الأحجام والأشكال، واستخدم في صناعتها الحجر الأسود الصلد، وقام بتزيين بعض الأواني بخطوط مائلة في بروز (شكل ٦٠)[١]، ومن هذه



(شكل ٦٠) زينات الأوان الحجرية المائلة في بروز.

الأواني الحجرية المصنوعة من الحجر الأسود التي كشف عنها، كوب يتضح من صناعته أنه قد صقل بمهارة كبيرة، وما زال يبدو عليه أثار التشذيب (شكل ٦١)[٢].



(شكل ٦١) كوب مصنوع من الحجر الأسود.

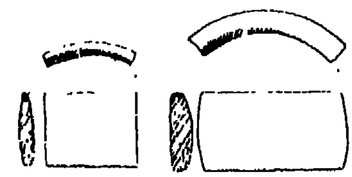
واستخدم الحجر كذلك في صناعة بعض أدوات الزينة والحلي ومن هذه الحلى، الأساور، ولقد تعددت أنواع الأحجار التي استخدمها الإنسان لهذا الغرض، ففي بداية المرحلة الحضارية الثانية يلاحظ أن الأساور قد

---

(١) **Ibid.**, pl. L 111, 13.

(٢) **Ibid.**, pl. L 11, 6.

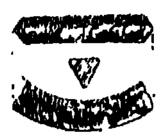
صنعت من الأحجار الرمادية وذلك مثل المرحلة الحضارية الأولى، ولكن بمرور الوقت لا يلبث أن يحل مكانها حجر المرمر الشفاف المعرق وكان أكثر جمالاً وفخامة، واستخدمت كذلك الأحجار البيضاء التي يشبه لونها أحجار المرمر. وتنوعت أشكال الأساور، فمنها ما هو مربع الشكل، أو اتخذ الشكل الذي يميل للبيضاوي، وذلك مثل المرحلة الحضارية الأولى (شكل ٦٢)[١] ووصل قطر بعض هذه الأساور إلى ٨٠ مم. ومنها ما اتخذ شكل



(شكل ٦٢) أساور حجرية بيضاوية ومربعة.

مثلث (شكل ٦٣)[٢] وكان لبعضها زخرفة في وسطها.

وصنع الإنسان من الأحجار كذلك، العقود، وكانت الأحجار المستخدمة في صناعتها أكثر تنوعاً وثراء. فبينما صنع بعضها من أحجار



(شكل ٦٣) أساور حجرية مثلثة الشكل.

الديوريت نجد البعض الأخر قد صنع من الفيروز والعقيق، وتوضح الأدلة الأثرية التي كشف عنها أن بداية استخدام أحجار الفيروز والعقيق في أدوات

---

(١) Ibid., pl L 11, 20.

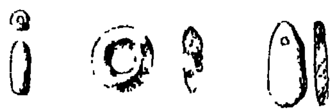
(٢) Ibid., pl. L 11, 16.

الزينة وبخاصة العقود كان أثناء الطبقة الأثرية الثالثة من المرحلة الحضارية الثانية في سيالك (شكل ٦٤)[١].



(شكل ٦٤) بعض حبات العقود المصنوعة من الفيروز والعقيق.

وبجانب أدوات الزينة المصنوعة من الأحجار النفيسة، وجدت بعض أدوات الزينة المصنوعة من الفخار، فلقد عثر على بعض العقود والدلايات المصنوعة من الفخار، ولكن يلاحظ أن وجودها غير شائع، إذ لم يعثر سوى على كميات ضئيلة جداً منها، ولقد صنعت من عجينة صفراء وطليت بطلاء أحمر. (شكل ٦٥)[٢].



(شكل ٦٥) دلايات وحبات عقود فخارية.

ولقد عثر في الطبقة الأثرية الثالثة من المرحلة الحضارية الثانية على بعض أدوات الزينة المصنوعة من الأصداف، ولقد جلبت هذه الأصداف من الخليج العربي، ووجدت أثار التهذيب على الأصداف التي قصد أن تستخدم كعقود، وعثر كذلك في هذه الطبقة على خاتم مصنوع من الصدف (شكل ٦٦)[٣]. وبالإضافة إلى ذلك فقد عثر على كميات كبيرة من الدلايات الصدفية الصغيرة[٤].

(١) Ibid., pl. L 11.8.12.

(٢) Ibid., pl. L 11.18.40.25.

(٣) Ibid., pl. L 11.6.

(٤) Ibid., p. 33.



(شكل ٦٦) خاتم مصنوع من الصدف .

ويبدو محتملاً أن عصر حضارة سيالك الثانية كان معاصراً لحضارة سامراء في شمال السهل العراقي حيث يرجح Mellaart [١] تأثر موقع سامراء بزينة الفخار الذي ظهر في عصر حضارة سيالك الثانية ، وبخاصة الرسوم الحيوانية ، مما دعا بعض الباحثين إلى ارجاع أصل حضارة سامراء إلى منطقة غرب إيران[٢] . إلا أن هناك من الدارسين من يرى أنه يصعب الأخذ بهذا الرأي نظراً لعدم إمكانية الجزم بأسبقية الانتاج الإيراني من حيث التاريخ ليكون مصدراً شرقياً أخذت عنه حضارة سامراء ، ويرى أصحاب هذا الرأي أن موضوعات الزينة ذات الأشكال الحية في فخار سامراء كانت انعكاساً للمظاهر البيئية في موقع سامراء[٣] .

ومن ناحية أخرى فإنه يلاحظ أن قوالب الطوب اللبن التي شيدت بها الجدران في سيالك الثانية تشبه بشكل كبير نظيراتها التي وجدت في أريدو ، وبخاصة في جدران المعبد الذي كشف عنه في الطبقة الخامسة عشرة بأريدو ، وربما يوضح ذلك وجود نوع من الصلة ما بين موقع سيالك في المرحلة الحضارية الثانية وما بين موقع أريدو في مراحله الحضارية المبكرة[٤] .

---

(١) Mellaart, J.. op. cit., p. 293.

(٢) Mallowan, M.. op. cit., p. 448.

Frankfort, H., **The Birth Of Civilization in the Near East**, London, 1951, N. 3, P. 44.

(٣) محمد عبد اللطيف : تاريخ العراق القديم حتى نهاية الألف الثالث ق . م . الاسكندرية ، ١٩٧٧ ، ص ٥٦ - ٥٨ .

(٤) Mallowan, M., op. cit., p.448.

تبة جيان (مرحلة جيان الخامسة ب)

توجد المخلفات الأثرية الخاصة بالمرحلة الحضارية الثانية في تبة جيان في سمك يصل إلى حوالي أربعة أمتار، وذلك على ارتفاع من ١٨ - ١٤م من سمك ارتفاع مخلفات الطبقات الأثرية بالمنطقة، ويطلق على هذه المرحلة التسمية «مرحلة جيان الخامسة (ب)».

وتبدأ بقايا المباني المعمارية في الظهور منذ بداية المرحلة الحضارية الثانية في تبة جيان، وصنعت جدران هذه المباني من الطوب اللبن، ويلاحظ أنه بينما شيدت بعض هذه الجدران فوق أساس من الحجر، نجد بعضها الأخر شيد بدون أساسات.

وكان الفخار الذي عثر عليه في الطبقات الأثرية الأولى من هذه المرحلة يختلف قليلاً عن الفخار الذي وجد في الطبقات الأثرية التي تنسب إلى المرحلة الحضارية الأولى، فكان معظمه ذا لون أبيض ضارب إلى الصفرة، وأحياناً كان ذو لون أبيض ضارب للخضرة. وزينت الأواني بزينات هندسية متعددة وأن كان يغلب عليها شكل المعين (شكل ٦٧)[١].

وبعد ذلك ظهرت الأواني الفخارية المزينة بزينات سوداء على أرضية حمراء، وهي تشبه تلك التي ظهرت في مرحلة سيالك الثانية، وعند نهاية مرحلة جيان الخامسة (ب) ظهرت الأواني التي اتخذت من رسوم الحيوانات زينة لها.

ولقد أثبتت الحفائر التي اجريت في العديد من المواقع الإيرانية وجود

---

(١) Contenau,G., Ghirshman, R., **Fouilles du Tepe - Giyan,** pres de Nehavend (1931 Et 1932), PP. 63 - 64, Pl. 62.



(شكل ٦٧) بعض زينات الأواني في تبة جيان .

الانتاج الحضاري الممثل للمرحلة الحضارية الثانية ، وأن كان ذلك متفاوتاً من حيث الكمية والنوعية من موقع لآخر، ويلاحظ كذلك بشكل عام تناقض الانتاج الحضاري الممثل للمرحلة الحضارية الثانية بشكل واضح عن الانتاج الحضاري للمرحلة السابقة لها وهي المرحلة الحضارية الأولى أو المرحلة التالية لها ، وهي المرحلة الحضارية الثالثة .

الفَصْلُ الثَّالِث

المرحلة الحضاريّة الثّالثة

يتمثل التطور الحضاري التالي لعصور ما قبل التاريخ في إيران في المرحلة الحضارية الثالثة، وهي تتضمن الجزء الأكبر من الألف الرابع قبل الميلاد. وتعاصر هذه المرحلة حضارة العبيد والجزء المبكر من حضارة الوركاء في العراق القديم، وفي مصر تعاصر حضارة جرزه الأولى وحضارة العمرة وعصر حضارة نقادة الأولى.

وتوضح الأدلة الأثرية التي كشف عنها في العديد من المواقع الإيرانية خلال المرحلة الحضارية الثالثة وجود تقدم ملحوظ في مجالات النشاط الإنساني أثناء هذه الفترة على الهضبة الإيرانية. ففي مجال العمارة يلاحظ اختفاء الجواليص الطينية التي كانت تستخدم في بناء المساكن، وحل مكانها قوالب مصنوعة من الطمى ذات شكل مستطيل، ويلاحظ مما تبقى من هذه المباني أن أبواب المنازل كانت ضيقة ومنخفضة فكان ارتفاعها عادة أقل من ثلاثة أقدام، وكانت النوافذ تقع على الشارع، ووضعت في الجدران أواني فخارية لتحمي المنازل من الرطوبة، وظلت الجدران الداخلية للمنازل تزين باللون الأحمر، ولكن يلاحظ أنه قد استخدم إلى جواره اللون الأبيض كذلك. وقسمت أحياء القرية بواسطة شوارع ضيقة وملتوية.

ومن نتائج هذا التقدم الحاسمة في مجال صناعة الأواني الفخارية، اختراع عجلة الفخار وحرق الأواني في أفران معدة لذلك. وكان من نتائج

التوصل إلى اختراع عجلة الفخار ظهور العديد من الأواني الفخارية ذات الأشكال المختلفة، مثل الكؤوس الكبيرة والأقداح ذات القواعد المرتفعة والأواني التي تستخدم كأدوات زينة وغيرها. وأدى إعداد أفران خاصة بحرق الأواني إلى التمكن من التحكم في ضبط قوة النيران، وتنوعت ألوان الأواني ما بين الرمادي والوردي الأحمر والأخضر.

وفيما يتصل بزينة الأواني خلال المرحلة الحضارية الثالثة، فيلاحظ أن الفنان قد اتجه في أول الأمر نحو الواقعية في زخرفة أوانيه، فقام برسم الحيوانات الموجودة في بيئته مثل الأفاعي والنمور والوعول والنعام، وأدي هذا العمل بمهارة كبيرة، فلم يعد يعبر عن أجساد الحيوانات بواسطة الخطوط المستقيمة، بل أخذ في اعطاء اعتبار لحجم الحيوان الذي يقوم برسمه، وبعد ذلك أخذ الفنان في رسم ذيول الحيوانات ورقابها وقرونها وقد استطالت بشكل سيء، ثم اصبح يرسم قرون الحيوانات ملتفة حول نفسها في عدة دوائر وقد اتصلت بالجسد، وفيما بعد، وجدت رغبة في العودة للواقعية مرة أخرى، ويلاحظ أن المناظر قد اصبحت تفيض بالحياة والحركة. وتعددت موضوعات هذه المناظر فكان منها مناظر الصيد التي تتعاقب مع المناظر الخلوية التي تمتلىء بمناظر الصراع مع الحيوانات، ومنها ما يظهر فلاحاً وهو يقود ثوره بواسطة حلقة موضوعة في أنفه، ومن هذه المناظر ما يمثل مواكب الراقصين وهم يقومون برقصة مقدسة(١).

وكان صانع الفخار فناناً تشكيلياً كذلك، فلقد شكل نماذج للحيوانات وصنع لعباً للأطفال وقرابين نذرية للآلهة المسؤولة عن حماية قطعان ماشيته وقد وضعت أمامها تماثيل للحيوانات التي يرغب في حمايتها. ولقد عثر على أعداد كبيرة من التماثيل تمثل إلهة الإخصاب، ولقد عثر عليها غالباً بدون

---

(١) Ghirshman, R., **Iran from the Earliest Times to the Islamic Conquest**, P. 36.

رأس ، وهذا البتركان يتم عمداً ، ويتجه الأستاذ جيرشمان إلى الاعتقاد بأنهم كانوا يهدفون من وراء ذلك منع أي شخص آخر من استخدام هذه التماثيل الصغيرة بعد موت صاحبها[1] .

وواكب هذا التقدم الذي شهدته الهضبة الإيرانية خلال المرحلة الحضارية الثالثة ، تقدم صناعة المعادن ، فتوصل الإنسان خلال هذه المرحلة إلى عملية صهر النحاس وصبه ، وأدي ذلك إلى زيادة المصنوعات النحاسية وتنوعها بشكل كبير ، وأخذت تحل تدريجياً محل الأدوات الحجرية ، فاستبدلت الفأس الحجرية بأخرى مصنوعة من النحاس ، كما عثر في المنازل التي ترجع إلى هذه المرحلة على سكاكين مصنوعة من النحاس كذلك .

واصبحت الحلى أكثر تنوعاً وثراء ، فبالإضافة إلى الأصداف والعقيق الأحمر والفيروز ، وجدت كذلك القلادات والخرز المصنوع من أحجار الكريستال واللازورد ، كما بدأ الصناع في صناعة بعض الأدوات الخاصة بالزينة مثل اسطوانات مسطحة للمرايا ذات حواف مرتفعة قليلاً ، ودبابيس كبيرة برؤوس نصف كروية .

ونظراً لازدياد النشاط التجاري فقد ظهرت الحاجة لتأمين كميات الأواني وضمان صيانة البضائع ، وحتى يستطيعوا تمييز ملكية هذه الأشياء ، فقد بدأوا في استخدام الأختام التي اصبحوا يختمون بها السدادة التي تغلق فتحة الآنية ، وفي بعض الأحيان كانوا يقومون بختم قطعة من الطين تتصل بالآنية بواسطة حبل . وهذه الحقيقة لها أهميتها من الناحية الإجتماعية ، فهي تدل على شعور الفرد بشخصيته الذاتية وملكيته الفردية في المجتمع . وكان شكل الأختام المبكرة ، التي ظلت بدون تغيير لفترة طويلة ، عبارة عن قطعة

---

(١) Ibid., p. 40.

حجرية ذات شكل كمثري مزودة بشريط، وكانت النقوش التي عليها في أول الأمر عبارة عن زينات هندسية، ولكن سرعان ما حل مكانها أشكال إنسانية ونباتية ثم رموز، ويمكن القول أن هذه الرموز قد استلهمت من الزينة الملونة التي ظهرت على الأواني الفخارية[1].

وفيما يتصل بالاعتقاد في الحياة في العالم الآخر، فلم يحدث تقدم فكري ملموس على الهضبة الإيرانية خلال هذه المرحلة، حيث ظل الموتى يدفنون أسفل أرضية المنازل، واستمرت الممارسة التي اتبعت من قبل وهي نثر التراب الأحمر فوق أجساد الموتى.

ولقد ظهر الانتاج الحضاري للمرحلة الثالثة في العديد من المواقع على الهضبة الإيرانية، مثل موقع تبة سيالك وذلك خلال المرحلة الحضارية الثالثة بطبقاتها الأثرية السبع، وتبة حسار خلال المرحلة الحضارية الأولى بطبقاتها الأثرية الثلاث، وموقع تل باكون أ من الطبقة الأولى وحتى الرابعة، وموقع بسيدلي وتبة جوى Geoy وتبة يانيك Yanik وموقع تبة جيان خلال المرحلة الخامسة، وأخيراً فمن أهم المواقع التي ترجع إلى هذه المرحلة موقع سوسة في جنوب غرب إيران.

تبة سيالك (خلال المرحلة الحضارية الثالثة):

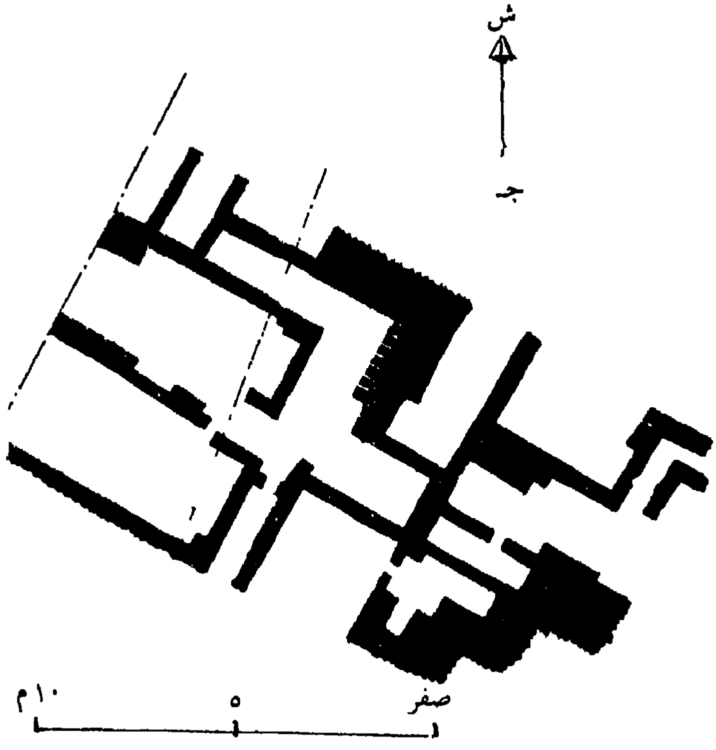
تمثل المرحلة الحضارية الثالثة في سيالك، نقطة تحول كبيرة في التطور الحضاري لعصور ما قبل التاريخ في هذه المنطقة. ولقد هجر الإنسان في سيالك خلال هذه المرحلة التل الشمالي الذي عاش فيه خلال المرحلتين الحضاريتين الأولى والثانية، وانتقل إلى موقع جديد في هذه المنطقة يعرف الآن بالتل الجنوبي وهو يقع جنوب التل الأول بحوالي نصف ميل، وتغطي المخلفات الإنسانية في هذا التل مساحة تصل إلى ٢٦٠ متراً

---

(١) **Ibid.**, pp. 41 - 42.

طولاً، ١٩٠ متراً عرضاً، وهي تأخذ نفس اتجاه التل الشمالي(١)، وتقسم إلى سبع طبقات أثرية، أقدمها الطبقة الأولى وأحدثها الطبقة السابعة.

وكشفت المخلفات الأثرية عن وجود بعض التخطيطات الخاصة بالمباني، ويتضح مما تبقى من جدر هذه المباني أنها قد شيدت بشكل غير متقن وغير منتظم، واستخدم في بنائها قوالب الطوب اللبن وكذلك جواليص الطين، ولونت الحوائط بالطلاء الأحمر. وابتداء من الطبقة الأثرية الثانية كشف عن سلسلة من الحجرات المتتابعة والتي شيدت على محور شمالي غربي وجنوبي شرقي (شكل ٦٨)(٢)، وقد شيدت الجدران من جواليص الطين

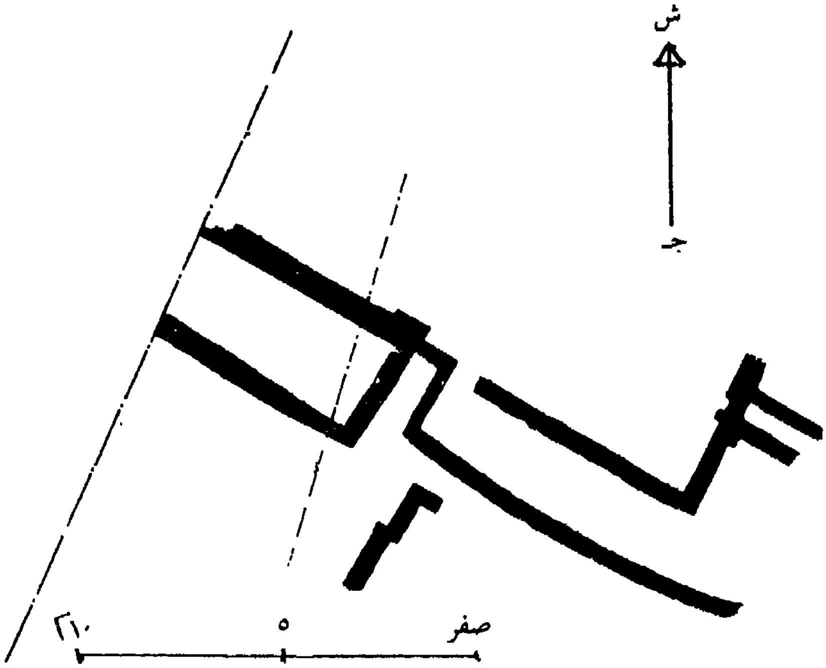


(شكل ٦٨) رسم تخطيطي للمنازل في الطبقة الأثرية الثانية من سيالك الثالثة.

(١) Ghirshman, R.,**Fouilles De Sialk, Pres de Kashan,** vol. I , P. 34.

(٢) **Ibid.,** pl. LXI.

وقوالب الطوب اللبن، وتبلغ أحجام قوالب الطوب اللبن المستخدمة ٣٠× ٣٠× ١٠ سم[١]. وكشف في الطبقة الأثرية الثالثة عن بقايا جدران طويلة رجح أنها كانت سوراً يحيط بحظيرة مواشي[٢]. (شكل ٦٩).



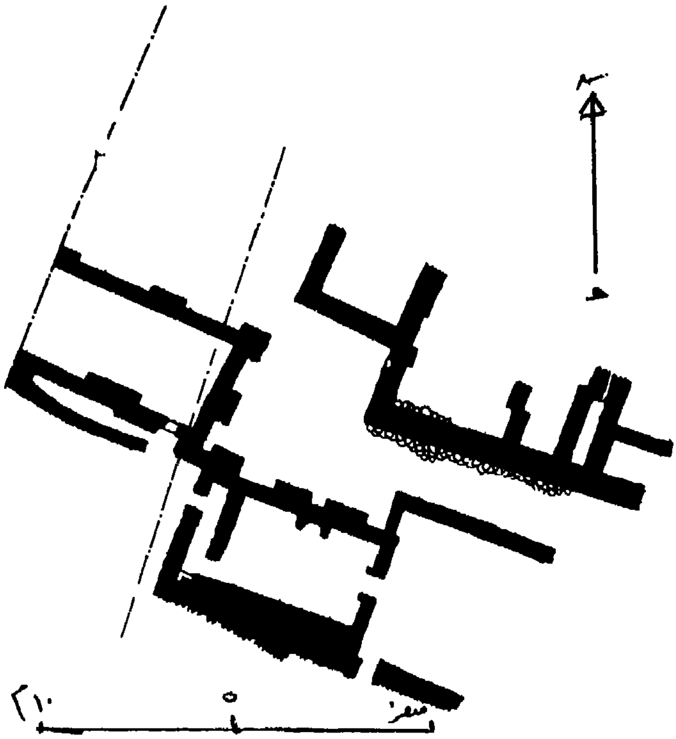
(شكل ٦٩) رسم تخطيطي لبقايا بعض المباني في الطبقة الأثرية الثالثة من سيالك الثالثة.

وابتداء من الطبقة الأثرية الرابعة وجدت بعض جدران المباني وقد اقيمت فوق كتل حجرية صغيرة يتراوح ارتفاعها ما بين ١٥، ٣٠ سم، وهذه هي المرة الأولى التي يعثر فيها في موقع تبة سيالك على أساسات جدران مقامة من الحجر. ومنذ هذه الطبقة الأثرية كذلك يلاحظ استخدام النتوءات المنتظمة في جدران بعض المباني من الخارج، وكان متوسط طول هذه

(١) Ibid., p. 40.

(٢) Ibid., p. 40, PL. LX.

النتوءات ٩٥ سم وسمك البروز ٢٠ سم (شكل ٧٠)[١] . وربما كان الغرض



(شكل ٧٠) رسم تخطيطي للمنازل في الطبقة الأثرية الرابعة من سيالك الثالثة .

من استخدام هذه النتوءات في المباني هو قطع رتابة الامتداد الكبير للجدران ، كما كان لها ناحية جمالية أخرى ، وهي أنها كانت تلقى بمجموعة من الظلال على الجدران فيما قبل وقت الظهيرة منذ طلوع الشمس وفيما بعدها حتى غروب الشمس . وتشبه هذه الواجهات في كثير من مظاهرها واجهات المباني الدينية التي ظهرت في عصر حضارة العبيد في العراق . ولكن لا توجد أدلة على أن هذه المباني في سيالك كانت مباني دينية نظراً لعدم وجود أية براهين على وجود مقاصير بها ، ومن ناحية أخرى فلقد عثر في مخلفاتها على بقايا إنسانية وحيوانية ، مما يشير إلى أنها قد استخدمت كمنازل

(١) Ibid., p. 41, PL. LX.

وليست مباني دينية[1] . وكانت قوالب الطوب اللبن المستخدمة في مباني هذه الطبقة ذات حجمين مختلفين ، الأول وتبلغ أحجامه ١٨× ٣٠× ١٠ سم ، أما الآخر فكانت أحجامه ٢٢ × ٤٥ × ١٠ سم ولقد غطيت الجدران بملاط الطين[2] .

ووضعت في أسفل جدران الطبقة الأثرية الخامسة شقف فخارية كبيرة خشنة الصنع ، وكانت أبواب المباني منخفضة وضيقة إلى حد بعيد ، فكان ارتفاع باب إحدى الحجرات ٨٠ سم بينما لا يزيد اتساعه عن ٤٠ سم[3] . ولقد عثر في ركن إحدى الحجرات على هيكل عظمي لسيدة ممداً بالقرب من النافذة ، وهي تحمي بين ذراعيها طفلين[4] ، (شكل ٧١) ويبدو أن هذه المرأة وطفليها قد لقوا حتفهم نتيجة انهيار الجدران والسقف وربما كان ذلك من جراء زلزال ، وذلك فيما يذكر مالوان[5] ، وأن المرأة وطفليها ظلوا في مكانهم منذ حدوث الوفاة حتى لحظة الكشف عنهم ، ويلاحظ وجود حالات أخرى مشابهة ، فقد عثر على هيكل عظمي آخر توضح بقاياه أنه لشخص بالغ وقد تحطم أسفل قوالب الطوب اللبن نتيجة لانهيار جدار البناء فوقه[6] .

وفي الطبقة الأثرية السادسة بلغت أحجام قوالب الطوب اللبن المستخدمة في المباني ٣٠× ٣٠× ١٠ سم ووجدت على الجدران بقايا طلاء أحمر[7] . ووجد في هذه الطبقة بناء متميزاً من الناحية المعمارية غطيت جدرانه بالملاط الملون ووجدت أعمدة طينية ضخمة في الردهة المؤدية

---

(١) Mallowan, M.. **op.cit.**, P.450.

(٢) Ghishman, R.. **op.cit.**, P. 41.

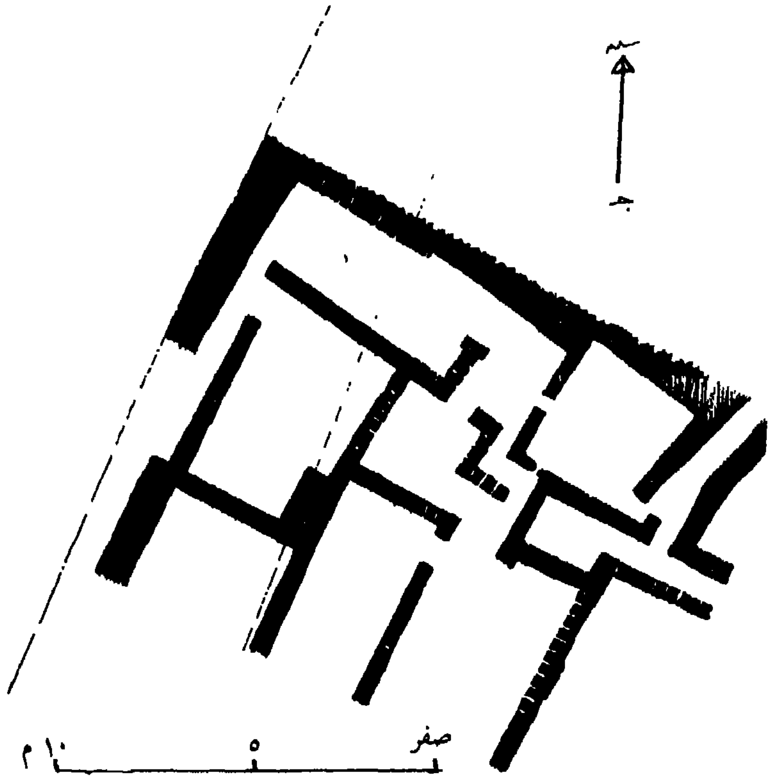
(٣) **Ibid**, P. 42.

(٤) **Ibid**, PP. 41 - 42, PL. LXI.

(٥) Mallowan, M.. **op.cit.**, P. 450.

(٦) Ghirshman, R.. **op.cit.**, P. 44.

(٧) **Ibid.**, P. 42.



(شكل ٧١) رسم تخطيطي للمنازل في الطبقة الأثرية الخامسة من سيالك الثالثة .

إليه، ويرجح أن يكون هذا المبنى خاصاً بالزعيم المحلي لهذه المنطقة(١) .

وتشبه مباني الطبقة الأثرية السابعة مباني الطبقة السادسة، ولقد وجدت قبل اعتاب أبواب بعض الحجرات بقايا مواقد، يبدو أنها كانت تستخدم لطهي الطعام أمام الحجرات، وبلغت أحجام قوالب الطوب اللبن المستخدمة في جدران بعض مباني هذه الطبقة ٣٠ × ٣٠ × ١٠ سم، وقد لوحظ وجود بقايا طلاء أحمر على بعض جدران المباني الداخلية(٢) .

وتعرض موقع سيالك بعد الطبقة الأثرية السابعة لتدمير عنيف، وظهر

(١) Mallowan, M., op.cit., P. 450.

(٢) Ghirshman, R., op.cit., P. 43.

فوق رمادها استقرار من طراز جديد، على ما يبدو أنه يمثل البداية الأولى للحضارة العيلامية[١] .

وفيما يتصل بدفن الموتى، فلقد كشف في الطبقات الأثرية الخاصة بالمرحلة الحضارية الثالثة عن تسع عشرة دفنة، ثلاث منها لأشخاص بالغين وستة عشر لأطفال تتراوح أعمارهم ما بين ثلاث وخمس سنوات. ودفن الموتى في وضع مقرفص أسفل أرضيات المنازل. وكانت الهياكل العظمية المدفونة في الطبقات الأولى من الموقع تحمل أثار لون أحمر على الجماجم فقط وليس على العظام كلها مثلما كان موجوداً في المرحلتين الحضاريتين الأولى والثانية في سيالك . ومنذ الطبقة الأثرية الرابعة اختفت ممارسة وضع التراب الأحمر على أجساد الموتى تماماً، ولم يدفن الموتى في اتجاه واحد، ففي الطبقتيتين الأثريتين الأولى والثانية دفن الموتى في اتجاه جنوبي شمالي وكانوا يدفنون على الجانب الأيمن، أما في الطبقة الأثرية الرابعة فقد دفن الموتى في أوضاع متعددة فمنها ما دفن في اتجاه جنوبي شمالي أو في اتجاه شرقي غربي أو في اتجاه شمالي شرقي - جنوبي غربي، ودفن معظمهم على الجانب الأيسر[٢] .

وجهزت بعض الدفنات بتجهيزات جنزية غنية، فلقد عثر في الطبقة الأثرية الثانية بجوار الموتى على أواني وكؤوس مصنوعة من المرمر (شكل ٧٢)[٣] وكانت هذه الأواني توضع أمام فم الميت أو وراء الجمجمة. ووجد في رقاب بعض الموتى قلادات صغيرة مصنوعة من اللؤلؤ والعقيق والنحاس[٤] . وعثر في الطبقة الأثرية الخامسة على ثلاث أواني عادية،

---

(١) Childe, C., **New Light On The Most Ancient East**, P. 196.

(٢) Ghirshman, R., **op.cit.**, P. 43.

(٣) **Ibid.**, PL. LXIII, S. 369.

(٤) **Ibid.**, P. 43.



(شكل ٧٢) بعض الأكواب والكؤوس التي جهزت بها المقابر في سيالك الثالثة .

وخاتم ودبوس كبير ذو رأس مخروطي .

وبداية المرحلة الحضارية الثالثة يلاحظ ازدياد كميات الأواني الفخارية زيادة كبيرة عن المرحلة الحضارية السابقة ، واصبحت صناعتها أكثر اتقاناً عن ذي قبل . وحرقت الأواني الصغيرة بمواصفات متقنة نظراً لاستخدام أفران الفخار التي نظمت استخدام النيران أثناء عملية حرق الأواني ، مما جعل الأواني تحرق جميعها بنسبة واحدة مهما كانت سماكة جدرانها ، كما أدى ذلك أيضاً إلى أن اصبح لون الأواني الفخارية بنياً زاهياً(١) . ولقد عثر على أحد الأفران المستخدمة في حرق الأواني الفخارية في الطبقة الأثرية الأولى من المرحلة الحضارية الثالثة ، ولقد شيد هذا الفرن من الطين وكان على هيئة بيضاوية ، وتبلغ مساحة مكان حرق الأواني ١٠٥× ١١٠× ٤٥ سم ، أما مساحته الخارجية فتصل إلى ١٢٠ سم ، وتوجد في واجهته ثلاث فتحات لتزود مكان الحرق بالهواء المتجدد وذلك بواسطة مجرى دائري . (شكل ٧٣)(٢) .

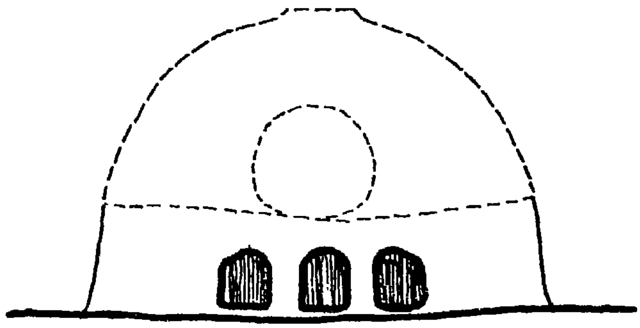
وكانت الأواني تصنع بواسطة الأيدي وذلك خلال الطبقات الأثرية الثلاث الأولى ، ولكن بدءاً من الطبقة الأثرية الرابعة تم استخدام عجلة

---

(١) **Ibid.**, PP. 44 - 45.

(٢) **Ibid.**, PP. 36 - 39, Fig. 5. P 37.

الفخار في صناعة الأواني، وكان لذلك أثره الكبير والواضح في تعدد أشكال الأواني وزيادة كمياتها.



(شكل ٧٣) رسم تخطيطي لأفران حرق الفخار في سيالك الثالثة.

ويمكن تصنيف الأواني الفخارية التي كشف عنها في الطبقات الأثرية الخاصة بالمرحلة الحضارية الثالثة حسب أشكالها إلى اربع مجموعات رئيسية على النحو الآتي: [١]

أ ـ **الأقداح**: تتميز الأقداح التي كشف عنها في الطبقات الأثرية الثلاث الأولى بصغر أحجامها وقلة غورها، وكانت جدرانها عمودية (شكل ٦٦: أ)[٢]، أولها شفة واسعة قليلاً (شكل ٧٤: ب)[٣]، ثم أخذت تتطور لتصبح فوهتها أوسع بكثير من قاعدتها (شكل ٧٤: جـ)[٤] وفي الطبقة الأثرية الرابعة بدأت تظهر الأقداح ذات الأحجام الكبيرة (شكل ٧٥: أ)[٥]، واستمر هذا النموذج ذو الفوهة الواسعة في الطبقة الأثرية الخامسة (شكل

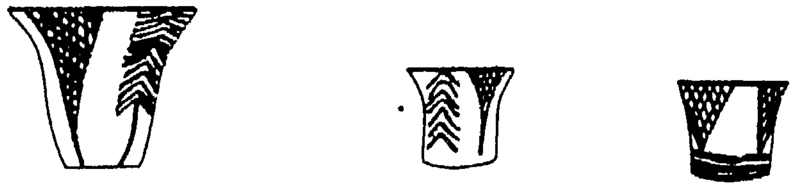
(١) **Ibid.**, pp. 45 - 48.

(٢) **Ibid.**, pl LXII, S. 1811 B.

(٣) **Ibid.**, pl. LXII, S. 1811 A.

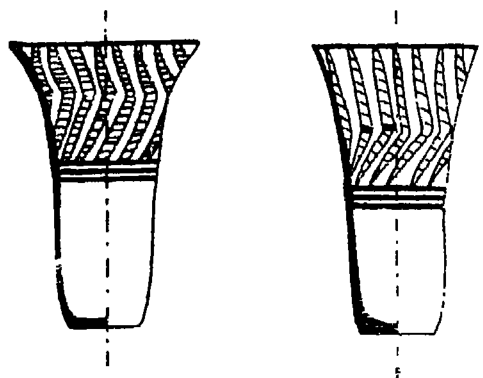
(٤) **Ibid.**, pl. LXII, S. 395.

(٥) **Ibid.**, pl. LXIV, S. 258.



(شكل ٧٤) بعض أشكال الأقداح التي ظهرت في الطبقات الأثرية الثلاث الأولى من سيالك الثالثة .

٧٥ : ب)[١] وفي الطبقة الأثرية السادسة كانت جوانب الأقداح أكثر استقامة



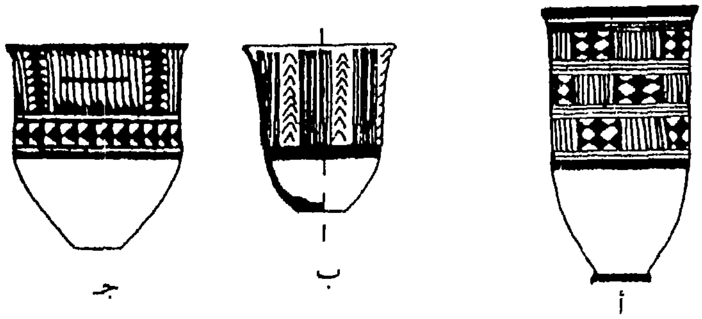
(شكل ٧٥) بعض أشكال الأقداح في الطبقتين الأثريتين الرابعة والخامسة من سيالك الثالثة .

ولكن يوجد فيها التواء خفيف ، وكانت قواعدها صغيرة على شكل دائري (شكل ٧٦ : أ)[٢] ووجدت في هذه الطبقة الأثرية كذلك بعض الأقداح التي لم يتغير شكلها الخارجي (شكل ٧٦ : ب ، حـ)[٣] . وفي الطبقة الأثرية السابعة ، عند نهاية المرحلة الحضارية الثالثة اصبحت قواعد الأواني

(١) **Ibid.**, pl. LXVI, S. 1758

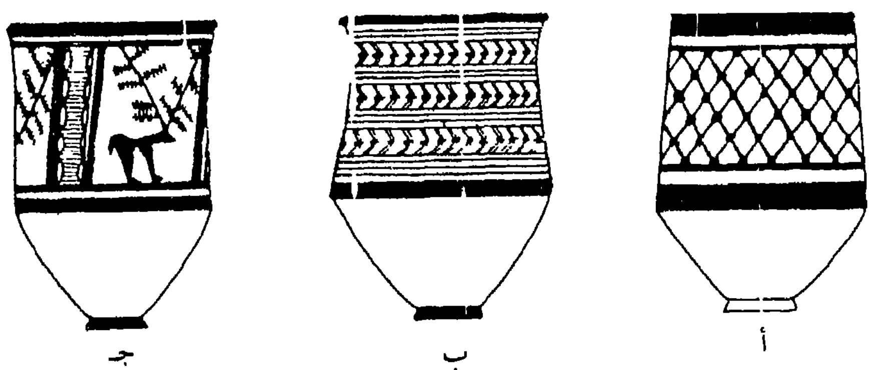
(٢) **Ibid.**, pl. LXIX, S. 158.

(٣) **Ibid.**, pl LXIX, S. 147, S. 156.



(شكل ٧٦) بعض أشكال الأقداح فى الطبقة الأثرية السادسة من سيالك الثالثة .

الصغيرة الدائرية شائعة الاستخدام (شكل ٧٧)[1] .



(شكل ٧٧) بعض أشكال الأقداح في الطبقة الأثرية السابعة من سيالك الثالثة .

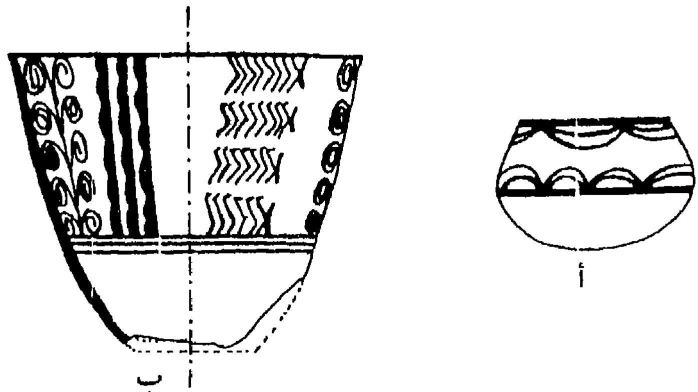
ب ـ **الزبديات (السلطانيات)** : كشف في الطبقات الأثرية الثلاث الأولى على نوعين من الزبديات ، الأول وجد منه مثال واحد، وهو الزبديات ذات الشكل المنتفخ (شكل ٧٨: أ)[2] . أما النموذج التقليدي فكان عبارة عن إناء عميق جدرانه مستقيمة تقريباً ، وهي تميل قليلاً نحو

---

(١) **Ibid.**, pl. LXXII, S. 1765, S, 1778, S 154.

(٢) **Ibid.**, pl. LXII, S. 394.

القاعدة المدورة (شكل ٧٨ : ب)[١] ومنذ الطبقة الأثرية الرابعة أخذ



(شكل ٧٨) بعض أشكال الزبديات في الطبقات الأثرية الثلاث الأولى من سيالك الثالثة .

التصميم يميل نحو تصغير حجم القاعدة واصبحت جدران الزبديات منتفخة في الوسط ثم تميل بشكل كبير نحو الداخل إلى القاعدة (شكل ٧٩ : أ ، ب)[٢] ويلاحظ أنه في الطبقة الأثرية السادسة (شكل ٨٠)[٣] ، والطبقة الأثرية السابعة (شكل ٨١)[٤] حافظت الزبديات على الشكل المحدب قليلاً واصبحت أحجامها أقل مما سبق . وكانت آخر أنواع الزبديات التي ظهرت خلال المرحلة الحضارية الثالثة ، هي الزبديات التي كان جزؤها السفلي محدباً ، وجزؤها العلوي مجوفاً . (شكل ٨٢)[٥] .

جـ ـ **الكؤوس** : بدأت محاولات صنع الكؤوس منذ المرحلة الحضارية الأولى في سيالك ، وأثناء المرحلة الحضارية الثانية ، تم صناعة

---

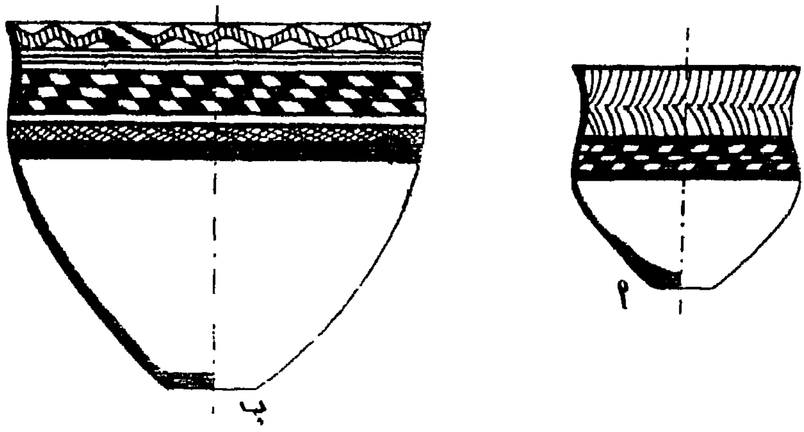
(١) **Ibid.**, pl LXII, S. 418.

(٢) **Ibid.**, pl. LXIV, S. 228 S. 1821.

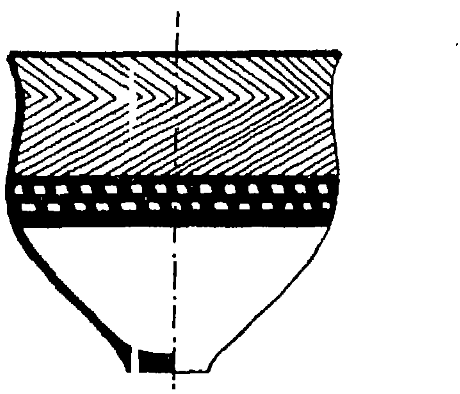
(٣) **Ibid.**, pl. LXIX, S. 1695.

(٤) **Ibid.**, pl. LXXIII, S. 26, S. 1688.

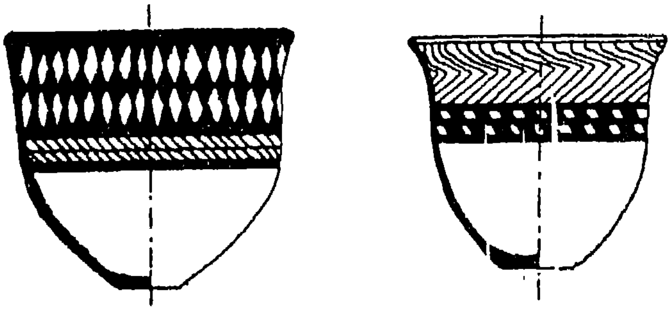
(٥) **Ibid.**, pl. LXXIII, S. 1738.



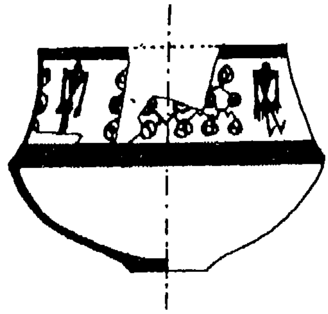
(شكل ٧٩) بعض أشكال الزبديات في الطبقة الأثرية الرابعة من سيالك الثالثة .



(شكل ٨٠) نموذج للزبديات في الطبقة الأثرية السادسة من سيالك الثالثة .



(شكل ٨١) بعض أشكال الزبديات في الطبقة الأثرية السابعة من سيالك الثالثة .



(شكل ٨٢) نموذج لأخر أنواع الزبديات في سيالك الثالثة .

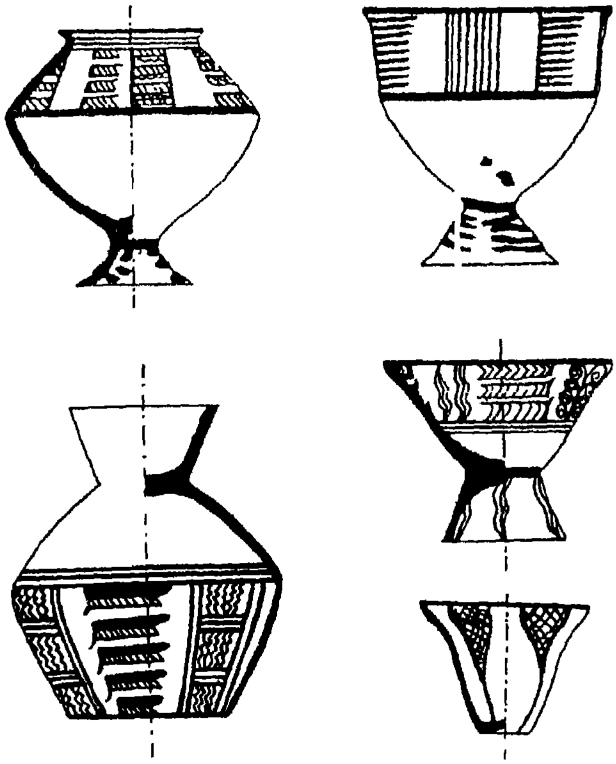
نوع من هذه الكؤوس اطلق عليه «الأكواب ذات الحامل» ومنذ بداية المرحلة الحضارية الثالثة أخذت صناعة الكؤوس في الانتشار واستمر ذلك حتى نهايتها . وتعددت أشكال الكؤوس ، فكان منها ما يتميز بفوهته الواسعة ، بينما يميل الأخر نحو الفوهة الضيقة ، ومنذ الطبقة الأثرية الخامسة بدأت حوامل الكؤوس في الصغر بينما أخذت الكؤوس نفسها في الاتجاه نحو زيادة طولها وأحجامها ، وعند نهاية المرحلة الحضارية الثالثة ظهر نوع جديد من الكؤوس جمع ما بين القدح والكأس (شكل ٨٣)[١] .

د ـ **الجرار**: أقدم أشكال الجرار التي وصلتنا من الطبقة الأثرية الأولى كانت على شكل كروي ويتميز جزؤها السفلي بضيقه الشديد في اتجاه القاعدة المنبسطة ، وفتحتها لها شفة (شكل ٨٤)[٢] وفي الطبقة الأثرية الرابعة تغير شكل الجرار فأصبحت تأخذ الشكل الاسطواني وصنعت قاعدتها على هيئة بيضاوية (شكل ٨٥)[٣] وربما كان هذا النوع من الجرار يثبت في سطح الأرض لعدم انبساط قاعدته . وفي الطبقة الأثرية الخامسة اصبح هذا

(١) **Ibid.**, pl. LXIII, S.368, S.257. PL LXIV, S. 1782, PL LXIII, S. 18 17, PL. LXVIII, S. 174. 163, PL LXVII, S. 152, PL. LXXI, S. III.

(٢) **Ibid.**, pl. LXII, S. 1693.

(٣) **Ibid.**, pl. XIV, I.



(شكل ٨٣) تطور نماذج الكؤوس خلال مرحلة سيالك الثالثة .

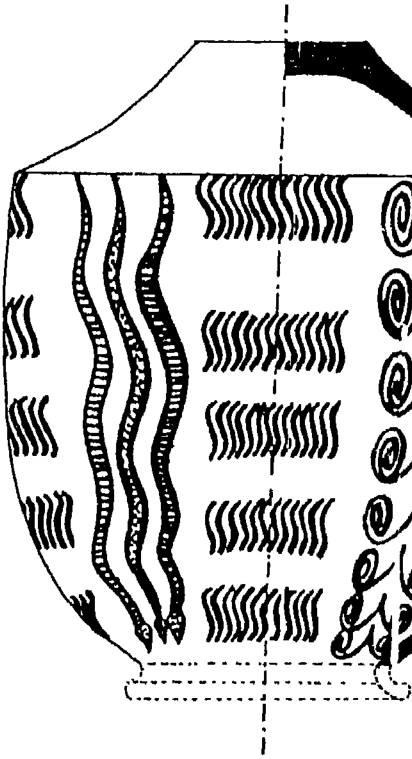
النموذج أكثر ارتفاعاً (شكل ٨٦ : أ)[١] ، أو أكثر تحديباً (شكل ٨٦ : ب)[٢] وكانت قاعدته منبسطة ، ومنذ الطبقة الأثرية السادسة عادت الجرار لتتخذ الأشكال المبكرة التي ظهرت في الطبقات الأثرية الأولى .

ومن ناحية زينة الأواني[٣] فتتميز زينة الأواني في المرحلة الحضارية الثالثة بكونها تحتوي على زينات أكثر تعقيداً وزخرفة من المرحلة الحضارية الثانية ، فبجانب الزينات الهندسية ، يلاحظ أنها قد التزمت بالخط الواقعي ،

(١) Ibid., pl LXVIII, S. 1396.

(٢) Ibid., pl. LXVIII, S. 1397.

(٣) Ibid., pp.48 - 53.



(شكل ٨٤) نموذج للجرار التي عثر عليها في الطبقات الثلاث الأولى من سيالك الثالثة .

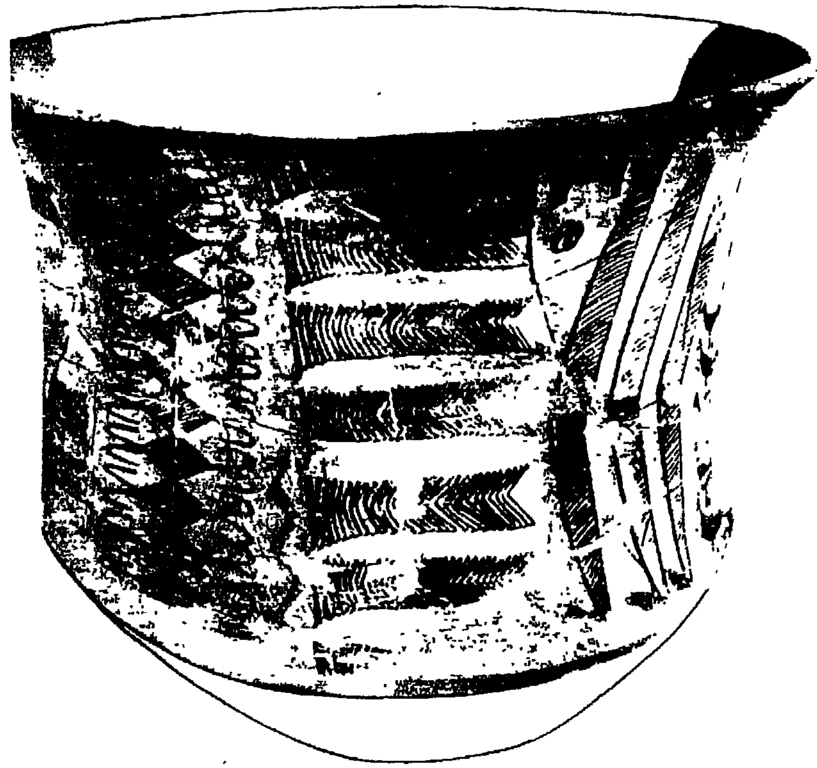
فصورت بعض المظاهر البيئية والحياتية السائدة في المجتمع الإيراني وبخاصة في منطقة سيالك خلال هذه المرحلة ، ولقد اتخذت جميع الأواني اللون الأسود الزاهي في زينتها .

ويلاحظ أن زينات الأواني التي كشف عنها بدءاً من الطبقة الأثرية الأولى ، يغلب عليها الزينات الهندسية ، فمنها ما زين بزينات تشبه رقعة الشطرنج التي رسمت في شكل مربعات سوداء وبيضاء (شكل ٨٧: أ)[١] أو مربعات مخططة (شكل ٨٧: ب)[٢] أو مثلثات سوداء (شكل ٨٧: جـ)[٣] أو

(١) Ibid., pl. LXXVI, A. 19 - 20

(٢) Ibid., pl. LXXVI, A. 21, 22.

(٣) Ibid., pl. LXXVI, A, 8, 18.



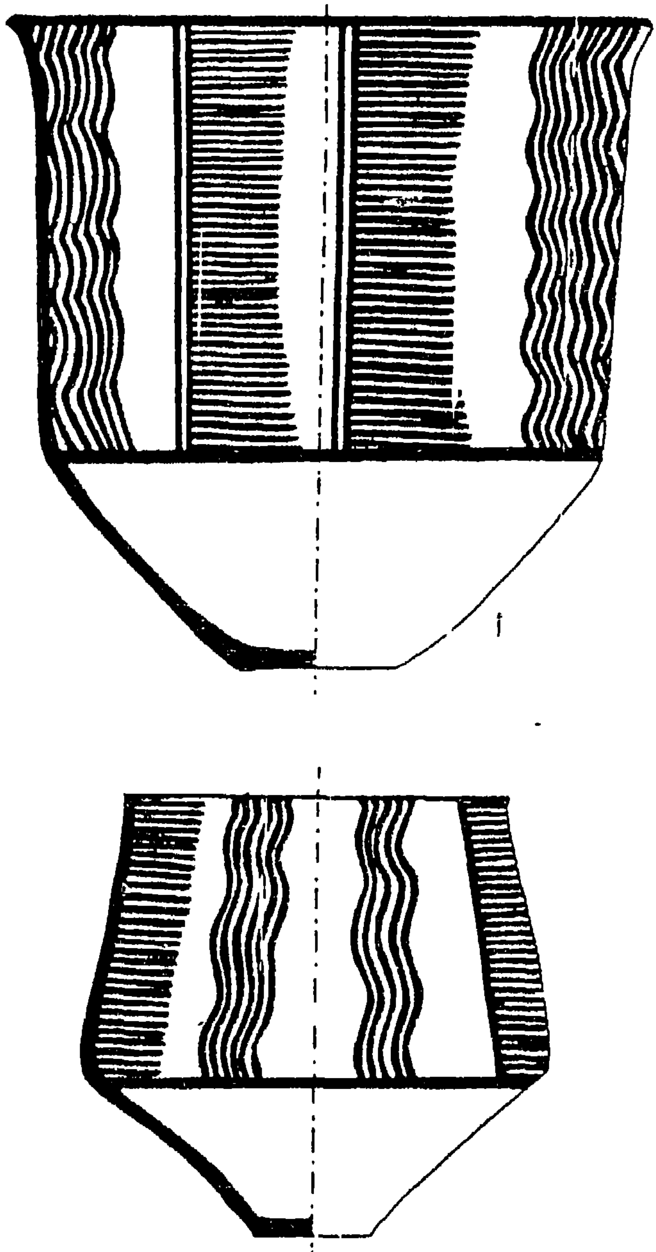
(شكل ٨٥) نموذج للجرار التي عثر عليها في الطبقة الأثرية الرابعة من سيالك الثالثة .

خطوط مموجة أفقية أو رأسية (شكل ٨٧ : د)[١] ، ولكن هذه الزينات الهندسية التي تتطابق تماماً مع زينة الأواني في المرحلة الحضارية الثانية ، قد تطورت خلال المرحلة الحضارية الثالثة ، ويمكن تتبع بعض أنواع زينات الأواني في المرحلة الحضارية الثالثة فيما يلي .

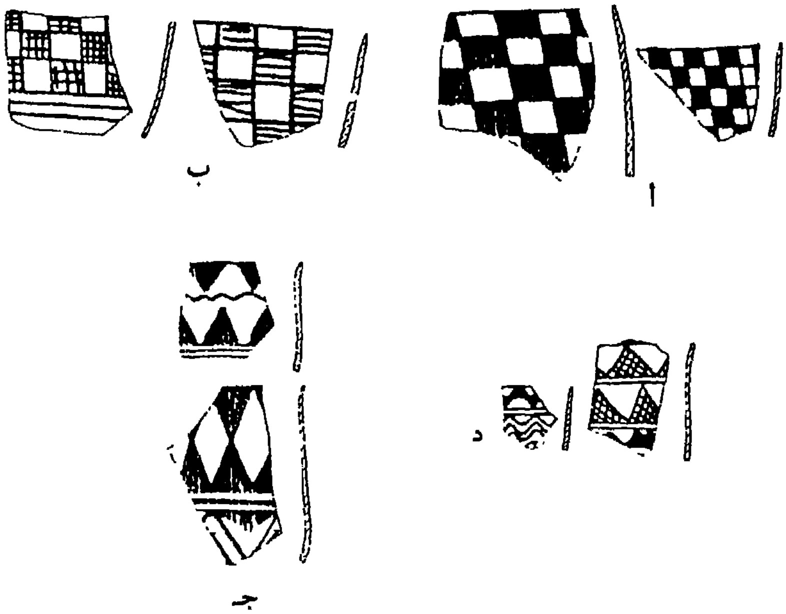
من هذه الزينات ، زينة الطيور المتتابعة ، وهي الزينة التي اشتقت من زينات الأواني في المرحلة الحضارية الثانية ، ومنها رسوم نباتية شكلت على هيئة خطوط حلزونية متتابعة (شكل ٨٨)[٢] .

(١) **Ibid.**, pl LXXVI, A. 11, 16.

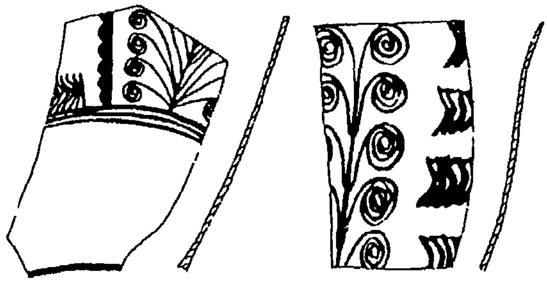
(٢) **Ibid.**, pl LXXVI, B. 19 - 20.



(شكل ٨٦) بعض نماذج الجرار في الطبقة الأثرية الخامسة من سيالك الثالثة .



(شكل ٨٧) بعض زينات الأواني التي اتخذت الأشكال الهندسية في سيالك الثالثة .



(شكل ٨٨) زينات الأواني التي على هيئة خطوط حلزونية .

ويلاحظ أن كل الشقف الفخارية التي استخرجت من الطبقة الأثـرية الثالثة قد زينت بأشكال تمثل كائنات حية ، ويمثل ذلك تطوراً كبيراً في هذه المرحلة ، وفي الطبقة الأثرية الخامسة زينت الأواني بأشكال تموج بالحيوية والحركة وهي تشهد بغناها وتنوعها علـى نبـوغ الفنـان وقدرتـه علـى تخيل

واستلهام المظاهر البيئية المحيطة به في الهضبة الإيرانية، وما بها من أشجار ونباتات، وطيور، وحيوانات سواء كانت برية أو مستأنسة، وكذلك بعض مظاهر الحياة البشرية، ومن تلك المناظر التي سجلها الفنانون على شقف الفخار، رسم إنسان وقد تبعه ثور لم يتبق منه سوى رأسه وقرنيه الطويلين اللذين رسما بشكل يفوق الحجم الطبيعي، ويهم الثور أن يشرب من قناة ماء أمامه (شكل ٨٩)[١] . وقد كشف عن أنية فخارية زينت بنقوش تمثل مناظر



(شكل ٨٩) رسوم إنسانية وحيوانية من سيالك الثالثة .

متعددة، فقد زين أعلى الإناء بمناظر تمثل فهود، وفي وسط الإناء ظهرت أشكال نباتية وقد رسمت الأوراق على هيئة دوائر حلزونية متتابعة وظهر في أسفل الإناء مستنقع يعج بالطيور (شكل ٩٠)[٢]، وتعددت أشكال الطيور التي ظهرت في رسوم الأواني الفخارية، فمنها طيور ذات سيقان طويلة (شكل ٩١: أ)[٣] وأخرى ذات سيقات قصيرة تشبه طائر الأوز (شكل ٩١: ب)[٤] أو البط (شكل ٩١: جـ)[٥] .

ورسمت الثعابين في هيئتين، في الحالة الأولى كان يقوم برسم ثعبان واحد طويل يزين المحيط العلوي للآنية كلها وبحيث يتقابل رأسه مع ذنبه، أو مجموعة من الثعابين الصغيرة الملتفة حول نفسها (شكل ٩٢)[٦] .

(١) Ibid., pl. LXXX, A. 1.

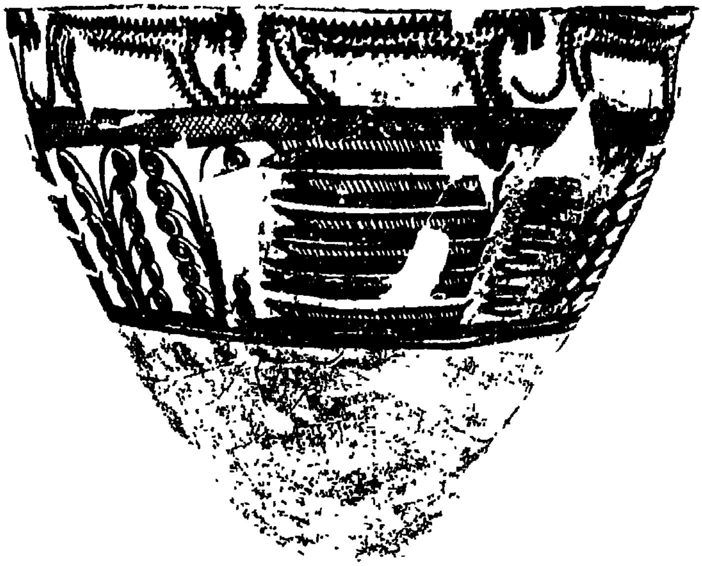
(٢) Ibid., pl. XV, 1.

(٣) Ibid., pl LXXX, A. 4.

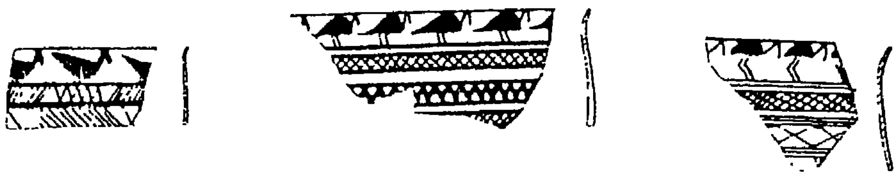
(٤) Ibid., pl. LXXX, A. 8.

(٥) Ibid., pl. LXXX, A. 5.

(٦) Ibid., pl. LXXX, B 2.



(شكل ٩٠) أنية فخارية مزينة ترجع إلى الطبقة الأثرية الخامسة بسيالك الثالثة .



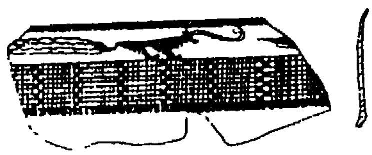
جـ ب أ

(شكل ٩١) بعض مناظر الطيور التي رسمت على الأواني الفخارية في الطبقة الأثرية الخامسة في سيالك الثالثة .



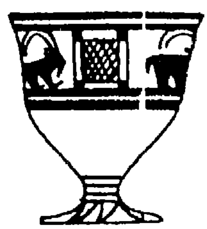
(شكل ٩٢) نموذج لزينة الأواني التي على شكل ثعابين .

وحتى الطبقة الخامسة كان الفنان قريباً جداً من البيئة الطبيعية المحيطة به، فقام برسم مظاهرها كما رآها على جدران أوانيه الفخارية، ولكنه بعد ذلك بدأ يتجه إلى المبالغة في رسومه، فبعد عن تمثيل الأشياء على حقيقتها، وربما كان ذلك بتأثير من الرسوم التي ظهرت خلال ذلك الوقت في بداية مراحل حضارة موقع سوسه (سوسه أ)، فاستطالت قرون الحيوانات بشكل كبير بينما صغرت أجسامها واصبحت ذيولها طويلة جداً (شكل ٩٣)(١).



(شكل ٩٣) نموذج لزينات الأواني وقد بولغ في رسوم الحيوانات.

ولم يتوقف تطور زينة الأواني الفخارية عند هذا الاتجاه الجديد، فهناك الكثير من الأدلة التي تثبت وجود تطور أكثر حداثة في الطبقة الأثرية السابعة، وهي تشير إلى أن الفنان في محافظته على التقدم الذي يتم التوصل إليه كان يستحدث موضوعات أخرى جديدة، ومن هذا المنطلق، فإن الحيوانات التي كانت ترسم من قبل في صفوف، اصبحت الآن تحاط بأطار، واصبح محيط الآنية مقسماً إلى أقسام (شكل ٩٤)(٢). وازدادت الرسوم

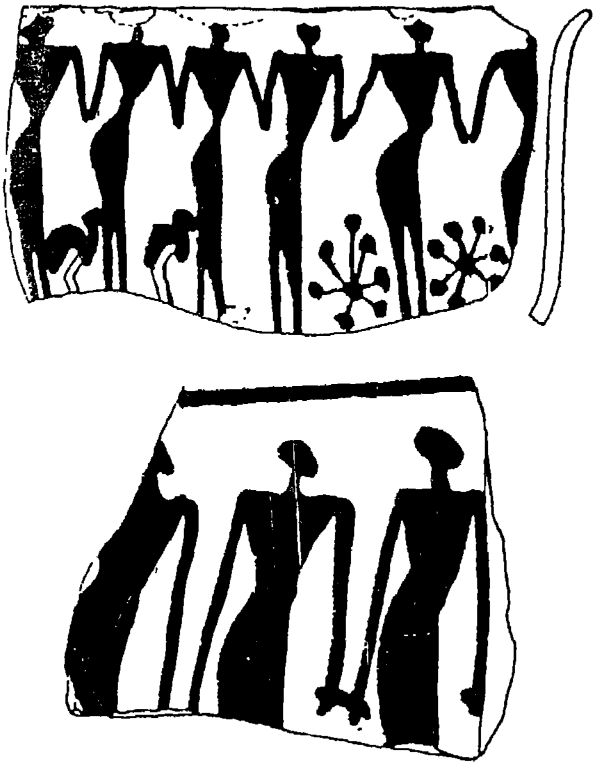


(شكل ٩٤) نموذج لزينة الأواني في الطبقة الأثرية السابعة.

(١) **Ibid.**, pl. LXXXII, 15, 16.

(٢) **Ibid.**, pl. LXX, S. 119, PL LXXI, S. 1800.

الإنسانية بكثرة في زينة الأواني، واصبحت تفاصيل الرسوم أكثر دقة وجمالاً وأن رسمت الاكتاف أحياناً بشكل أكبر من الواقع (شكل ٩٥)[١].



(شكل ٩٥) نموذج للرسوم الإنسانية في الطبقة الأثرية السابعة.

ولقد لوحظ وجود بعض أوجه الشبه في زينة بعض الأواني الفخارية بمرحلة سيالك الثالثة وزينة بعض الأواني في العراق القديم[٢]، ومنها على سبيل المثال آنية فخارية كشف عنها في الطبقة الأثرية الأولى (شكل ٧٨: أ) تشبه في شكلها وزيناتها الأواني العراقية التي عثر عليها في جبانة

(١) Ibid., pl. LXXV.

(٢) Mallowan, M., op. cit., pp. 450, 452.

أريدو[1] عند نهاية مرحلة حضارة العبيد. ويوجد كذلك العديد من أوجه الشبه بين زينات فخار مرحلة سيالك الثالثة وموقع تبة جاورا[2] في العراق القديم، ومن تلك المناظر، القطعة الفخارية التي عثر عليها في سيالك وتمثل منظراً خلوياً[3]، يوجد ما يشابهها في الطبقة الثانية عشرة من تبة جاورا[4]، كما أن طراز الآنية (شكل ٨٤) التي ظهرت في سيالك، وجد ما يشابهها في الطبقة الأثرية ١٣ في تبة جاورا، وتظهر المشابهة كذلك في رسوم بعض الثعابين، ويضاف إلى ذلك أيضاً أن الرسوم المصورة على بعض القطع الفخارية في سيالك والتي تصور - على ما يبدو - رجالاً يقومون ببعض الرقصات (شكل ٩٥) قد ظهر منظر مشابه له على ختم عثر عليه في الطبقة الأثرية ١٣ في تبة جاورا[5].

وذهب بعض الباحثين إلى الاعتقاد بأن هذا التشابه راجع إلى التأثير الإيراني في هذه المواقع بشمال العراق[6]، بينما يرفض البعض الأخر التأثير الإيراني في حضارات العراق القديم[7]. ومهما يكن الأمر، فربما كانت البيئة الطبيعية في كلتا المنطقتين هي التي أوحت للفنان بما قام به من رسوم وزينات، وبخاصة أن البيئة تتشابه فيهما في كثير من أوجه مظاهرها، ولا يستلزم الأمر بالضرورة، في حال وجود بعض أوجه شبه، أن يكون ذلك

---

(١) تقع مدينة أريدو إلى الجنوب العربي من مدينة أور بحوالي تسعة عشر كيلو متراً في أقصى جنوب السهل العراقي وهي تسمى حالياً «أبو شهرين».

(٢) تقع تبة جاورا شمال شرق مدينة نينوى بحوالي ١٤ ميل.

(٣) **Ibid.**, pl LXXXIII, C. 3.

(٤) Tobler, A. J., **Excavations At Tepe Gawara 11**, Philadelphia, 1950, PLS, CXXXIX, No 309, LXXVIII (a).

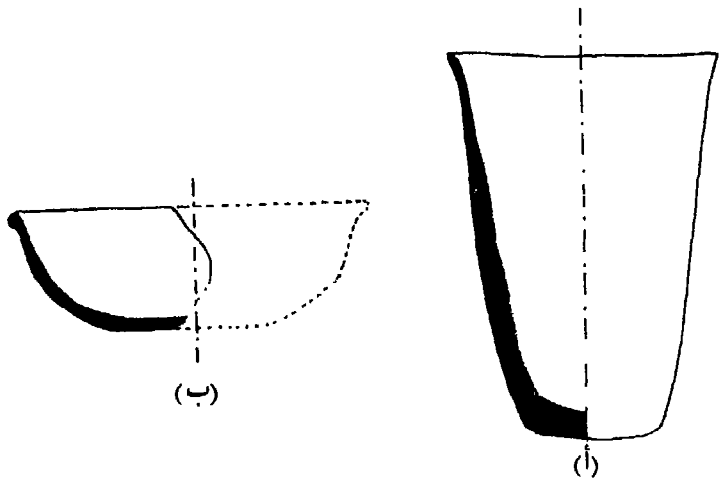
(٥) **Ibid.**, pl, CLXII, No. 82.

(٦) Frankfort, H., **The Birth of Civilization in the Near East**, London, 1951, P. 45.

(٧) محمد عبد اللطيف: المرجع السابق، ص ٧٩ - ٨٠.

ناتجاً عن تأثير مباشر أو غير مباشر، نظراً لامكانية تشابه الرسوم والزينات.

وبجانب الأواني الفخارية، قام الإنسان خلال مرحلة سيالك الثالثة بصناعة بعض أوانيه وأدواته من الأحجار[1]. فلقد عثر في الطبقة الأثرية الخامسة على قدح مرمري مصنوع بشكل جيد، ويلاحظ من طريقة صناعته الاعتناء الفائق بتشذيبه (شكل ٩٦ : أ)[2]، وعثر في الطبقتين الأثريتين السادسة والسابعة على بقايا حجرية لأكواب صغيرة (شكل ٩٦ : ب)[3]



(شكل ٩٦) بعض الأواني الحجرية.

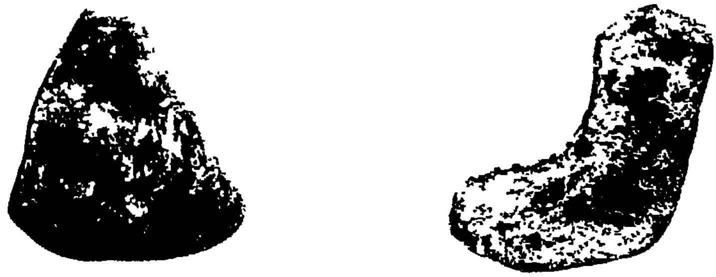
وكذلك بعض البقايا لأكواب كبيرة. وعثر في الطبقة الأثرية السابعة على بلطتين حجريتين مصقولتين صقلاً جيداً، يبلغ طول كل منهما ٢١ سم وهما ملونتان بلون بنفسجي (شكل ٩٧)[4]. وصنعت بعض أدوات الزينة وبخاصة الدلايات من الحجر، ومن هذه الدلايات، دلاية حجرية مصنوعة من حجر

(١) Ghirshman, R., **op. cit.**, pp. 54 - 56.

(٢) **Ibid.**, pl. LXXXV, S 1799.

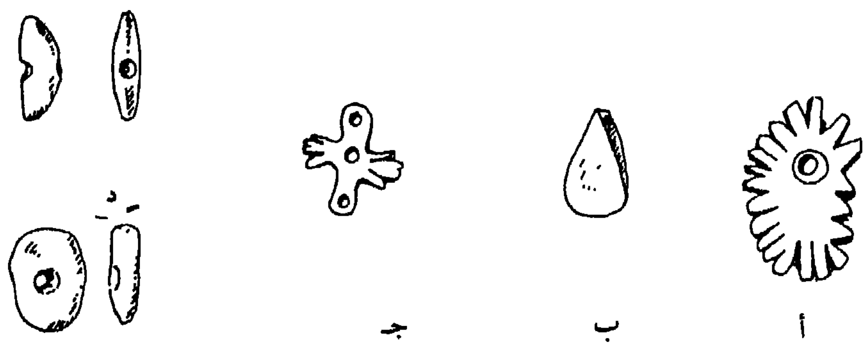
(٣) **Ibid.**, pl. LXXXV, S. 1734.

(٤) **Ibid.**, pl. XXIII, 5. a et b.



(شكل ٩٧) بعض الأسلحة الحجرية .

أسود خشن (شكل ٩٨: أ)[١] ، ودلاية مصنوعة من حجر الكريستال (شكل ٩٨ : ب)[٢] ومنها ماأخذ كشل الصدفة (شكل ٩٨: جـ)[٣] ، كما صنعت دلايات من حجر أبيض (شكل ٩٨ : د)[٤] .



(شكل ٩٨) نماذج لبعض أدوات الزينة .

ومن المظاهر الحضارية الهامة التي كشف عنها في الطبقات الأثرية للمرحلة الحضارية الثالثة ، بعض الأختام الأسطوانية المصنوعة من الحجر[٥] . ولقد عثر على

(١) **Ibid.**, pl. LXXXVI, S. 160.

(٢) **Ibid.**, pl. LXXXVI, S. 99.

(٣) **Ibid.**, pl. LXXXVI, S. 86.

(٤) **Ibid.**, pl. LXXXVI, S. 401.

(٥) **Ibid.**, p.57.

أقدم ختم في هذه المرحلة في الطبقة الأثرية الأولى (شكل ٩٩ : أ)(١). ولم يعثر على أختام في الطبقتين الأثريتين الثانية والثالثة، وفي الطبقة الأثرية الرابعة يظهر نوعين من الأختام، الأول (شكل ٩٩: ب)(٢) من الحجر الرمادي، وهو على هيئة قرص مثقوب من الوسط، وقد نحتت فيه خطوط مزدوجة، أما النوع الآخر (شكل ٩٩: حـ، د، هـ)(٣) فهو أكثر تطوراً، وقد زين بزينات اتخذت الأشكال الهندسية. وفي الطبقة الأثرية الخامسة عثر على العديد من الأختام (شكل ٩٩ : و)(٤) . وعثر في الطبقة الأثرية السادسة على العديد من الأختام، لعل من أبرزها الختم المبين في (شكل ٩٩: ز)(٥) لأنه يعتبر من أكبر الأختام التي عثر عليها خلال الطبقات الأثرية للمرحلة الحضارية الثالثة، وهو مصنوع من حجر يميل لونه إلى الأخضر الضارب للزرقة، وقد زين بخطوط وفتحات دائرية صغيرة، ومن أحدث هذه الأختام، الختم المبين في (شكل ٩٩: ح)(٦) وهو مصنوع من حجر ضارب للخضرة، وهو على شكل الزر ولكنه أكثر سمكاً، وقد زين بخطوط مموجة.

ويتجه بعض الباحثين إلى الاعتقاد بأن وجود الأختام الأسطوانية يشير إلى زيادة النشاط التجاري، حيث استخدم التجار الأختام لختم بضائعهم وتمييزها عن بضائع التجار الآخرين، ويشير ذلك من الناحية الاجتماعية إلى شعور الفرد بشخصيته الذاتية وملكيته الخاصة في المجتمع(٧).

---

(١) **Ibid.**, pl. LXXXVI, S. 417.

(٢) **Ibid.**, pl. LXXXVI, S. 220.

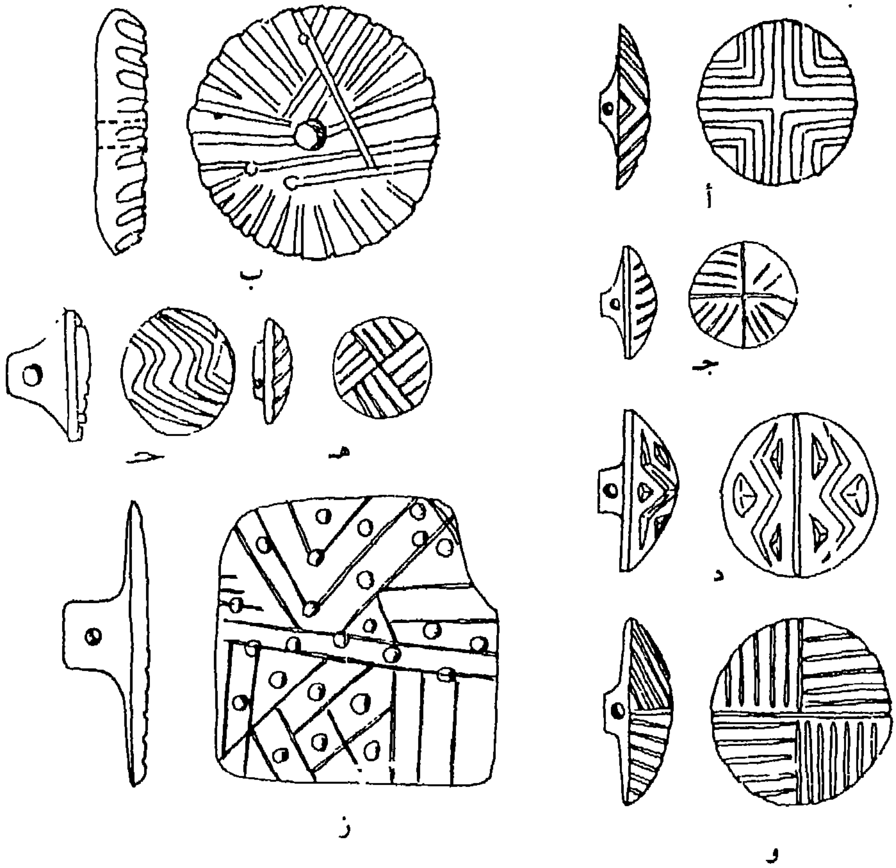
(٣) **Ibid.**, pl. LXXXVI, S. 231, 232, 259.

(٤) **Ibid.**, pl. LXXXVI, S. 117.

(٥) **Ibid.**, pl. LXXXVI, S. 129.

(٦) **Ibid.**, pl. LXXXVI, S. 78.

(٧) رشيد الناصوري: المرجع السابق، ص ١٩٣.



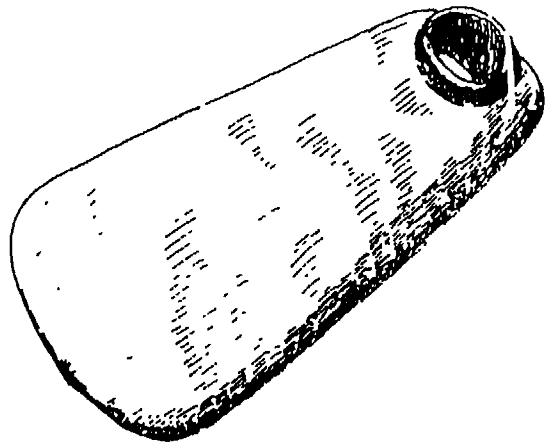
(شكل ٩٩) نماذج لبعض الأختام الحجرية .

وفيما يتصل بصناعة المعادن[1] ، فإن المرحلة الحضارية الثالثة بسيالك تتميز بالتقدم الكبير في مجال هذه الصناعة . ويعبر عن ذلك الاستعمال الكبير للمعادن الذي حل نهائياً مكان بعض المصنوعات العظمية والحجرية ، ويعبر عن هذا التقدم أيضاً الإتقان الواضح الذي تم في فن صناعة المعادن . وظل معدن النحاس يستخدم نقياً دون خلطه بمعادن أخرى ، ما عدا بعض الحالات العارضة ، وكان ذلك راجعاً إلى عدم نقاوة المعدن الخام . ومنذ الطبقة الأثرية الرابعة توصل الإنسان إلى عملية صهر النحاس وصبه في

(١) Ghirshman, R., op. cit., pp. 53 - 54.

قوالب ، وقد ساعد ذلك على زيادة استخدامه وتنوع أشكاله والأغراض التي استخدم من أجلها .

ومن الأدوات النحاسية التي كشف عنها في الطبقة الأثرية الرابعة ، الدبابيس الكبيرة ذات الرؤوس المخروطية والتي تجاوز طولها ٢٠ سم ، ولقد كشف في هذه الطبقة لأول مرة عن مطرقة نحاسية (قدوم) كبيرة الحجم ، ولقد ظهر فيها فجوة عند طرفها (شكل١٠٠)[١] ويرجح أنه كان يثبت فيها



(شكل١٠٠) مطرقة نحاسية من الطبقة الأثرية الرابعة .

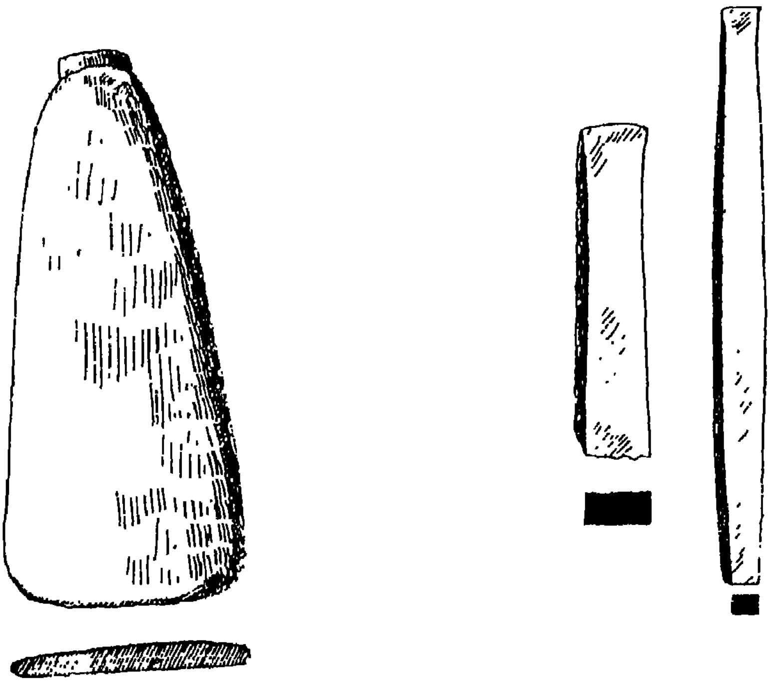
مقبض خشبي . وفي الطبقة الأثرية الخامسة اصبحت الأدوات والأسلحة النحاسية أكثر تنوعاً وأكبر حجماً ، فعثر على دبابيس يصل طولها إلى ٣١ سم ، واصبحت الأزاميل المربعة طويلة وأكبر حجماً (شكل١٠١: أ)[٢] ، كما كشف في هذه الطبقة كذلك عن أول فأس نحاسية منبسطة (شكل١٠١: ب)[٣] ، ولقد كسف عن إناء مصنوع من النحاس في الطبقة الأثرية السابعة .

---

(١) **Ibid.**, pl. LXXXIV, S. 251.

(٢) **Ibid.**, pl. LXXXIV, S. 178, 161.

(٣) **Ibid.**, pl. LXXXIV, S. 171.



ب   أ

(شكل١٠١) نموذج للأزاميل والفؤوس النحاسية من الطبقة الأثرية الخامسة .

وفيما يتصل بالمعادن النفيسة ، فيلاحظ أن استخدامها ظل نادراً جداً ، فلم يعثر على أية أدلة تثبت استخدام الذهب ، أما الفضة فقد عثر على ذرين رقيقين مصنوعين منها ، وهما المثالان الوحيدان لاستخدام الفضة خلال المرحلة الحضارية الثالثة .

وبجانب صناعة الأدوات الحجرية والنحاسية ، فلقد تفوق أصحاب تلك المرحلة الحضارية في صنع التماثيل الفخارية الصغيرة ، فلقد عثر على بعض التماثيل الطينية الصغيرة في بعض الطبقات الأثرية لمرحلة سيالك الثالثة[1] .

(١) **Ibid.**, pp. 57 - 58.

تبة حسار:

تقع تبة حسار Tepe Hisar في شمال إيران جنوب شرق مدينة دمغان بثلاثة كيلو مترات، وهي ترتفع عن مستوى سطح البحر بحوالي ٤٠٠٠ قدم، على الجانب الجنوبي لسلسلة جبال البرز التي تحيط ببحر قزوين، ويتكون الموقع الأثري من مجموعة من الروابي، يصل قطر بعضها إلى ٦٠٠ متر. ويتميز موقع تبة حسار طوال العصور التاريخية بأهمية كبيرة نظراً لكونه يقع على الطريق التجاري الذي يمر بشمال إيران.

وتصنف المخلفات الأثرية بموقع تبة حسار إلى ثلاث مراحل حضارية رئيسية اصطلح على تقسيمها على النحو التالي:

١ ـ المرحلة الحضارية الأولى في حسار، وتنقسم إلى ثلاث طبقات أ، ب، حـ. ٢ ـ المرحلة الحضارية الثانية في حسار وتنقسم إلى طبقتين أ، ب. ٣ ـ المرحلة الحضارية الثالثة، وتنقسم إلى ثلاث طبقات أ، ب، جـ. ويقابل الانتاج الحضاري في تبة حسار المرحلة الحضارية الأولى بفتراتها الثلاث، الانتاج الحضاري لتبة سيالك خلال المرحلة الحضارية الثالثة، إذ تقابل المرحلة الحضارية الأولى في تبة حسار «أ» الطبقات الأثرية من ١ ـ ٣ في عصر حضارة سيالك الثالثة، وتقابل المرحلة لحضارية الأولى في تبة حسار «ب» الطبقات الأثرية ٤ ـ ٥ في عصر حضارة سيالك الثالثة، وتقابل المرحلة لحضارية الأولى من حسار «جـ» الطبقات الأثرية ٦ ـ ٧ ب في عصر حضارة سيالك الثالثة، وهي المرحلة الحضارية التي سنقوم بدراسة مظاهرها الحضارية الرئيسية فيما يلي:

تعتبر المرحلة الحضارية الأولى أقدم المراحل الحضارية في تبة حسار، ويتشابه الانتاج الحضاري لهذه المرحلة مع الانتاج الحضاري لموقع تبة سيالك خلال المرحلة الحضارية الثالثة تشابهاً كبيراً، حتى أنه

ليمكن القول بأن كلا الموقعين كانا متعاصرين من الناحية الزمنية، ويشير ذلك إلى أن الاتصال بين الموقعين كان قوياً، ويحتمل أن ذلك الاتصال قد تم بواسطة الطريق الذي يخترق جبال البرز في المنطقة التي تعرف باسم «بوابات قزوين»[1].

ويصل سمك المخلفات الأثرية بالمرحلة الحضارية الأولى في تبة حسار من ٤ ـ ٥ أمتار، ولقد كشف عن بقايا معمارية في أولى الطبقات الأثرية بالموقع[2]، وشيدت المباني بقوالب الطوب اللبن، التي خلطت بالتبن للعمل على تقويتها، وكانت توضع قوالب اللبن في أول الأمر بشكل مستعرض، ثم اصبحت توضع بشكل رأسي، وغطيت الجدران بطبقة من الطين يصل سمكها من سنتمتر واحد إلى نصف السنتيمتر، وقويت الجدران بواسطة دعامات، ويلاحظ أن هذه الجدران المدعمة كانت توجد دائماً بجوار الفتحات الصغيرة الموجودة في أسفل جدران الحجرات، والتي كانت فتحتها تسمح للشخص البالغ بالزحف من خلالها. وتراوحت أحجام قوالب الطوب اللبن بين ٤٧ × ٢٦ × ١١ و٤٩ × ٢٣ × ١١، وكانت الأبواب منخفضة جداً إذ لا يتعدى ارتفاعها متراً في معظم الأحوال، أما الشبابيك فكان اتساعها أكثر من نصف المتر بقليل، وعثر على أفران صغيرة كانت تستخدم في أعداد الطعام، وكذلك على أواني كانت توضع فيها النيران.

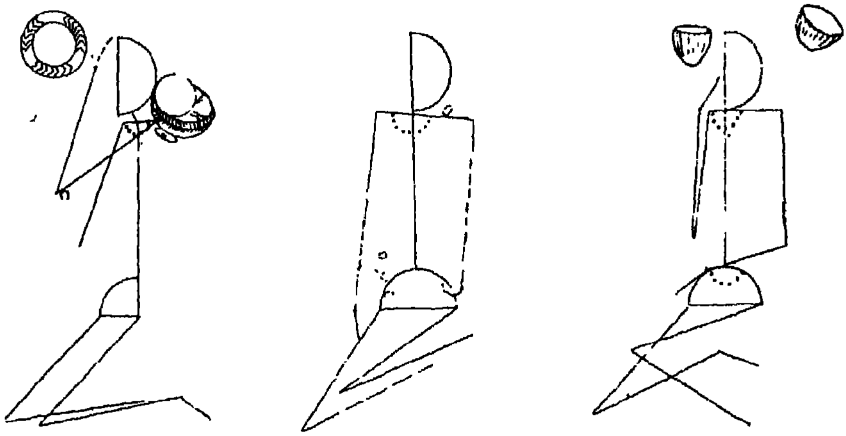
ولقد اثمرت عمليات البحث الأثري في موقع تبة حسار عن الكشف عن العديد من الدفنات التي ترجع إلى المرحلة الحضارية الأولى، فلقد عثر على ٤١ دفنة ترجع إلى مرحلة حسار الأولى (أ) و ١٢ دفنة ترجع إلى مرحلة حسار الأولى (ب) و ٩١ دفنة ترجع إلى مرحلة حسار الأولى (جـ)[3]. وكان الموتى

(١) Mallowan, M., **op. cit.**, p. 456.

(٢) Schmidt, E.F., **Excavations At Tepe Hissar Damghan**, Philadelphia, 1937, PP. 25 - 39.

(٣) **Ibid.**, p. 62.

يدفنون على الجانب الأيمن، وفي بعض الحالات وجدت الأيدي ممتدة في وضع يوحي بأنها كانت ممسكة بكوب أو إناء، ولكن بشكل عام كانت تترك الأذرع والأيدي في وضعها الطبيعي وقت الوفاة، وكانت الأرجل دائماً منثنية (شكل١٠٢)(١)، ولوحظ أن الموتى خلال المرحلة الحضارية الأولى كانوا



(شكل١٠٢) رسم تخطيطي لوضع الهياكل العظمية في تبة حسار الأولى «أ».

يدفنون ووجوههم تتجه ناحية الشمس وذلك وقت الدفن، ولقد أثار هذا الأمر اهتمام الباحثين الذين قاموا بدراسة أوضاع واتجاه الهياكل العظمية المنتمية لهذه المرحلة، وانتهوا من هذه الدراسة إلى ترجيح أن يكون هؤلاء القوم كانوا يقومون بدفن موتاهم في الصباح والمساء ويتجنبون الدفن في أوقات شروق الشمس والظهيرة والغروب(٢).

ومن دراسة الهياكل العظمية التي عثر عليها في تبة حسار خلال المرحلة الحضارية الأولى تبين أن نسبة الوفيات بين الأطفال كانت مرتفعة وبصفة خاصة في المرحلة الحضارية الأولى (أ) ويلاحظ أن النسبة الكبيرة من

(١) **Ibid.**, Fig. 50, P. 68.

(٢) **Ibid.**, p. 64.

الوفيات كانت بين عامي ٢١ ـ ٤٥ . بينما عاش البعض إلى ما بعد سن الخمسين .

وتبين من هذه الدراسة كذلك ، أن نسبة الإناث كانت منخفضة جداً ، فلقد كانت في المرحلة الحضارية الأولى (أ) ٤١ , ٢٩٪ ، وفي المرحلة الحضارية الأولى «ب» ٥٧ , ٢٨٪ ، وفي المرحلة الحضارية الأولى «جـ» ٥ , ٢١٪ وحتى مع وجود بعض الأخطاء في تحديد نوع بعض الهياكل فإن ذلك لا يغير من النسبة شيئاً والتي لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تقل عن نسبة امرأة في مقابل ثلاثة رجال[١] .

وفي محاولة لتفسير هذا الانخفاض الكبير في نسبة الإناث ، فلقد اتجه Erich, F. Schmidt إلى احتمالية قيام سكان تبة حسار بو أد الإناث وهن في سن الطفولة بنفس الطريقة التي كانت متبعة في الشرق الأقصى ، وكذلك بعض مناطق الشرق الأدنى ، ولكن يحول دون تأكيد هذه الاحتمالية ، عدم امكانية تحديد جنس الهياكل العظمية للأطفال ، إلا أنه يذكر أنه ربما كانت أجساد الإناث المقتولة تترك للطيور الجارحة والحيوانات المفترسة ومن ثم لم يتبق منها شيء ، ثم يعود مرة أخرى ويذكر أن النسبة المنخفضة للإناث تقف في وجه نظرية وأد البنات ، حيث أنه من الصعب الشك في أن الأحوال الاجتماعية كانت معقدة نظراً لانخفاض نسبة الإناث ، ثم يذهب في النهاية إلى احتمالية وجود تعدد الأزواج بالنسبة للمرأة في مثل هذه الحالة[٢] ، إلا أن Max Mallowan يذكر أنه لا توجد أدلة تكفي للقول بأن تعدد الأزواج كان موجوداً أو مسموحاً به[٣] .

ولا يستبعد الباحث وجود عادة وأد البنات في مجتمع تبة حسار ، وذلك

(١) **Ibid.**, pp. 64, 67.

(٢) **Ibid.**, p 67.

(٣) Mallowan, M., **op. cit.**, p. 458.

اعتماداً على ارتفاع نسبة الوفيات بين الأطفال، فربما كان ذلك راجعاً إلى وأد النبات وهن في سن الطفولة كنوع من أنواع التضحية البشرية، حيث لوحظ أن دفنات الرجال والنساء قد زودت على التساوي بتجهيزات جنزية متشابهه، مما يشر إلى عدم وجود تفاوت بين وضع المرأة والرجل في مجتمع تبة حسار[1]، وتجدر الاشارة إلى أن هذه الممارسة كانت موجودة لدى العديد من المجتمعات في منطقة الشرق الأدنى القديم[2]، وفي ظل هذه

---

(١) Schmidt, E.F.. **op. cit.**, p. 67.

(٢) عرفت العديد من مجتمعات الشرق الأدنى القديم عادة التضحية البشرية، فقد كان الفينيقيون والكنعانيون في عصورهم المبكرة يضحون بالطفل البكر. انظر. محمد بيومي مهران: دراسات **في تاريخ الشرق الأدنى القديم، إسرائيل، ٧، الكتاب الأول - التاريخ**، الإسكندرية ١٩٧٨، ص ١٦٥ - ١٦٦.

وظهرت هذه الممارسة بشكل أكثر وضوحاً في المستعمرات الفينيقية الغربية مثل قرطاجة وموتيا ونورا وسردينيا حيث عثر على عظام أطفال محترقة موصوعة في جرار، وكانت تقدم الأضاحي البشرية عند تأسيس المعابد، والأعياد الدينية، أو لابعاد الكوارث عن أنفسهم. انظر:

Moscati, S., **The World of the Phoenicians**, London, 1973, PP. 77, 182 - 185.

وظهرت هذه الممارسة في المدن الإسرائيلية وكذلك المدن الخاضعة لهم، حيث كان يضحى بالأبناء لدفع الأخطار المحيطة بهم، واستمروا في ممارستها حتى عصر «أرميا النبي» (٦٢٦ - ٥٨٠ ق. م). انظر: محمد بيومي مهران: **المرجع السابق**، ص ١٧٠، ومارس العرب في الجاهلية عادة وأد البنات، واتجه الباحثون في تفسير ممارستها اتجاهات متعددة، منها العامل الاقتصادي، والأسباب الاجتماعية التي من أهمها خشية لحوق العار بالإنسان من السبى والغارات، أو لدلفع ديني يتمثل في تقديم الضحايا البشرية إلى الآلهة للسعي لإرضائها لضمان خير المحتمع وسلامته، وأحياناً كان يتم الوأد لصفات في الموؤدة، إذ كان بعض العرب يتشاءمون من البنت الزرقاء أو الشيماء (السوداء) أو الكحساء، انظر: جواد علي: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، جـ٥، بيروت، ١٩٧٨، ص ٨٨ - ٩٨. ويلاحظ كذلك وجود التضحية البشرية عند السومريين، إد كشفت الحفائر التي أجريت في أور عن وجود هذه الممارسة ولكنها كانت بالأشخاص البالغين، إذ كان الملوك يدفنون ومعهم أفراد حاشيتهم وخدمهم، ولا يبدو من هيئة أجسادهم أنهم قد ماتوا على الرغم منهم. انظر:

Woolley, L. **Excavations At UR**, London. 1963.

وظهرت هذه العادة في مصر أثناء عصر التأسيس، وربما يرجع ذلك إلى رغبة الملوك، أو رغبة =

الظروف الاجتماعية فقد انتشرت عادة الزواج بين الأخ وأخته، وهي العادة التي كانت منتشرة في غرب آسيا ثم ظلت بين الفرس[1]، ولا يستبعد كذلك وجود عادة زواج المرأة بأكثر من زوج لوجود أمثلة مشابهة لها في بعض مناطق الشرق الأدنى القديم، وأن كانت الأدلة تعوزنا بالنسبة لوجود هذه العادة في مجتمعات إيران في العصور القديمة.

وفيما يلي جدول يوضح معدل الوفيات خلال المرحلة الحضارية الأولى في تبة حسار[2].

= الأشخاص المضحى بهم في مصاحبة الملك في العالم الأخر حتى يقوموا بخدمته هناك، كما كانوا يفعلون أثناء الحياة الدنيا. انظر: أحمد أمين سليم: **دراسة تاريخية للحضارة المصرية القديمة أثناء عصر الأسرتين الأولى والثانية**، رسالة ماجستير غير منشورة، الإسكندرية، ١٩٧٧، ص ٢٢٥ - ٢٢٧.

(١) أحمد فخري. **دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، القاهرة، ١٩٥٨، ص ٢١٢ - ٢١٣.**

(٢) Schmidt, E.F , **op. cit.**, Fig. 165, P. 314.

المرحلة	حتى سن ٧ سنوات	من ٨ - ١٤ عام	من ١٤-٢١ عام	من ٢١-٤٥ عام	من ٤٥-٦٥ عام	بعد سن ٦٥	الاجمالي
المرحلة الحضارية الأولى «أ»	٢٠	٤	-	١٥	٢	-	٤١
المرحلة الحضارية الأولى «ب»	٢	١	٢	٥	٢	-	١٢
المرحلة الحضارية الأولى «جـ»	١٨	٧	٩	٤٦	٩	٢	٩١

جدول يوضح نسبة الذكور للإناث خلال المرحلة الحضارية الأولى في تبة حسار[1]

المرحلة	ذكور			إناث		
	من ٢١ - ٤٥ عام	من ٤٥ - ٦٥ عام	بعد سن ٦٥	من ٢١ - ٤٥ عام	من ٤٥ - ٦٥ عام	بعد سن ٦٥
المرحلة الحضارية الأولى «أ»	١٠	٢	-	٥	-	-
المرحلة الحضارية الأولى «ب»	٤	١	-	١	١	-
المرحلة الحضارية الأولى «جـ»	٣٨	٦	١	٨	٣	١

---

(١) Ibid., fig. 165, P. 314.

ودفن الموتى أسفل حجرات المنازل والأفنية، حيث لم يخصص لهم مكان مستقل للدفن، بل دفنوا في وسط منازل الأحياء، ويرجح أنهم كانوا يدفنون في حفر قليلة الغور كانت أرضياتها تغطي بالحصير ويلف الجسد في بعض الحالات بالأقمشة، وذلك اعتماداً على حقيقة العثور على بقايا بعض الحصير والأقمشة مع بعض الدفنات[١].

وزودت دفنات الرجال والنساء بالتجهيزات الجنزية، وتضمنت هذه التجهيزات الأواني الفخارية والدبابيس النحاسية، وكذلك الأختام التي شكلت لتكون أدوات زينة، وأعداد كبيرة من الخرز المصنوع من الجص والمواد الأخرى، وتعددت أدوات الزينة التي كشف عنها كالقلادات والأساور التي تلبس في الأيدي، وكذلك أساور تلبس في أعلى الذراع، وأكاليل وأحزمة وخلاخيل. وكانت أدوات الزينة توضع بشكل عام بالقرب من الرأس وفوق جسد الميت[٢]. (شكل١٠٢).

ويلاحظ أن المادة الرئيسية التي صنع منها الخرز كانت الجص وذلك بالإضافة إلى أحجار أخرى مشابهة له في لونه الأبيض المائل للون الرمادي، وكانت أقل المواد استخداماً هي التي يميل لونها للسواد. ووجدت كذلك بعض أنواع الخرز القليلة التي صنعت من اللون الأحمر، واستخدمت كذلك أحجار المرمر، وحجر الحية (نوع من أنواع الصخور خضراء اللون وأحياناً تكون مرقطة كجلد الأفعى) وصنعت بعض حبات الخرز من النحاس، وشكلت بعض أدوات الزينة من الأصداف الطبيعية.

وكان العقيق الأحمر هو الحجر الوحيد النصف كريم الذي استخدم في عصر حضارة تبة حسار الأولى. وطليت بعض حبات الخرز المصنوعة من الأحجار الجيرية باللون الأخضر أو البني[٣].

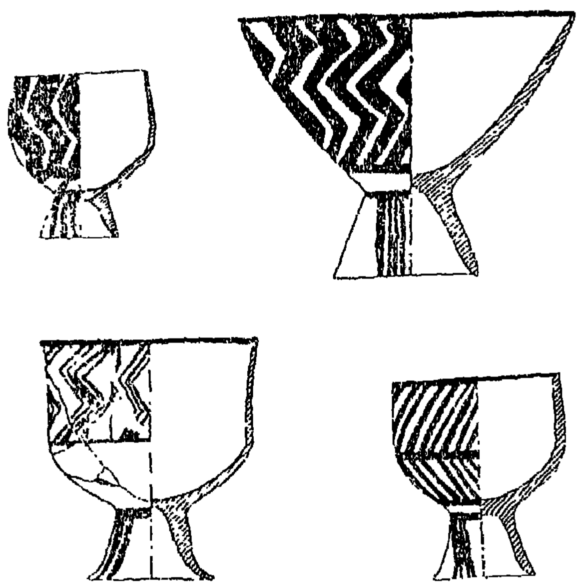
(١) **Ibid.**, p. 67.

(٢) **Ibid.**, p. 67, figs. S. 50 - 60.

(٣) **Ibid.**, pp. 16, 301.

وفيما يتصل بالصناعات الفخارية خلال المرحلة الحضارية الأولى في تبة حسار، فيلاحظ أنه في أقدم طبقات هذه المرحلة وهي المعروفة بتبة حسار «أ» كانت الأواني الفخارية تشكل بواسطة الأيدي، وزينت الأواني بزينات هندسية بسيطة، ولونت الزينات بلون رمادي غامق بينما كانت أسطح الأواني ذات لون بني يميل للون الأحمر، ولم تظهر خلال هذه المرحلة الزينات الحيوانية.

ولقد زينت بعض الأواني بزينات حلزونية بسبطة، أو بواسطة خطوط متوازية أو متقاطعة أو مموجة (شكل١٠٣)(1). وتعددت أشكال الأواني التي



(شكل١٠٣) بعض زينات الأواني في تبة حسار الأولى «أ».

---

(1) Ibid., H.3446, H.5196, H.2046, H.4243.

ظهرت خلال هذه المرحلة ما بين الجرار والأقداح والسلطانيات والكؤوس والأكواب الملونة، وكذلك الأكواب ذات القاعدة المخروطية، واستمرت هذه الأشكال حتى نهاية آخر المراحل الحضارية في تبة حسار (شكل ١٠٤)[١]، هذا وتعتبر الأواني الفخارية التي ظهرت خلال مرحلة تبة حسار



(شكل ١٠٤) نموذج للأواني الفخارية في تبة حسار الأولى «أ».

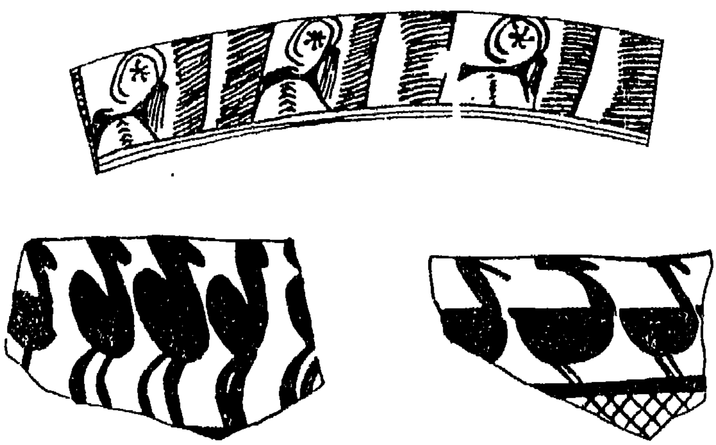
الأولى «أ» هي أول الأشكال المبكرة للأواني الفخارية في تبة حسار، ونظراً لعدم الكشف عن مراحل ممهدة لهذه الصناعات الفخارية، فقد اتجه بعض المؤرخين إلى الاعتقاد بأن طراز الأواني الفخارية وبخاصة الكؤوس قد أخذت من المواقع الموجودة إلى الغرب من تبة حسار[٢] وبخاصة موقعي

(١) Ibid., Figs. 32 - 33, PL. III.

(٢) Ibid., p. 298.

تبة جاورا وبيلا Billa [1] ، ثم تفوق سكان تبة حسار في صناعتها ، حتى اصبحت الكؤوس تمثل الشكل الرئيسي من الصناعات الفخارية حيث صنعت منها كميات كبيرة .

وفي الطبقة الأثرية الثانية وهي المعروفة باسم حسار الأولى «ب» ظهرت تطورات كبيرة في الصناعات الفخارية ، ومن أبرز هذه التطورات استخدام عجلة الفخار وتزيين الأواني برسوم حيوانية وطيور وأحياناً رسوم إنسانية ، وتميزت ألوان الأواني خلال هذه المرحلة باللون البني الداكن فوق أرضية لونها بني فاتح (شكل ١٠٥) [2] ، ولقد عثر على العديد من الأواني



(شكل ١٠٥ بعض زينات الأواني الفخارية في تبة حسار الأولى «ب» .

المصنوعة بالأيدي والتي ترجع إلى الطبقة الأثرية الأولى مع الأواني المصنوعة بعجلة الفخار مما يرجح أن الانتاج الحضاري للإنسان في تبة حسار قد انتقل من الطبقة الأثرية الأولى «أ» إلى الطبقة الأثرية الثانية «ب» دون انقطاع أو فجوات [3] .

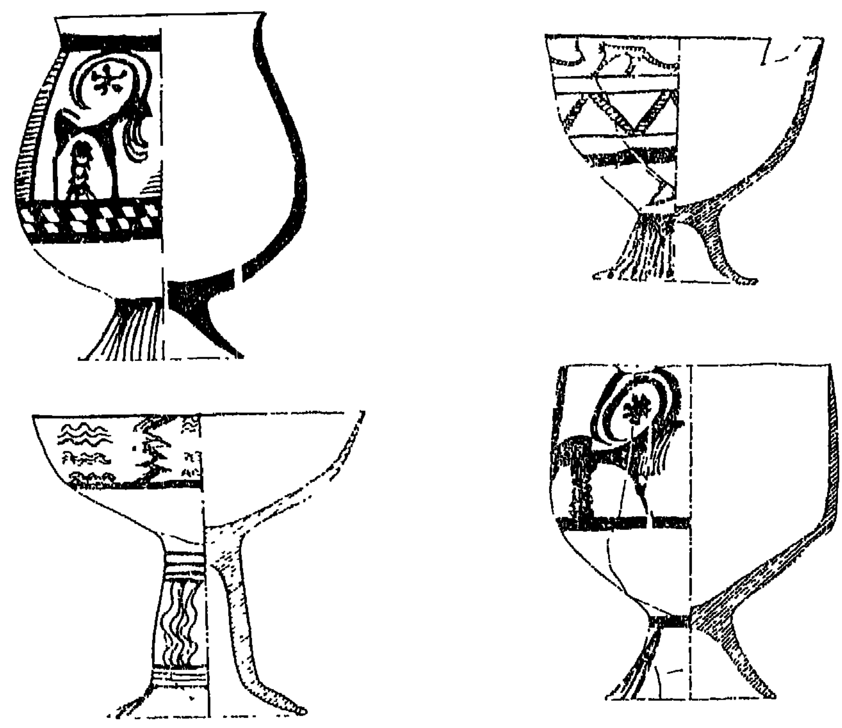
---

(١) Dyson, H., **op. cit.**, p. 239.

(٢) Schmidt, E.F., **op. cit.**, Figs. 34 - 36, PLS. IV - VI.

(٣) **Ibid.**, pp. 42 - 46, 299.

وفي الطبقة الأثرية الثالثة : حسار الأولى «جـ» استمرت الأواني تصنع بواسطة عجلة الفخار، ومع أن أشكال الأواني قد استمرت بشكل عام كما كانت عليه في الطبقة الأثرية الأولى «حسار الأولى (أ)»، إلا أنها فد اصبحت أكثر تنوعاً وجمالاً، ولونت زينات الأواني باللون البني الغامق فوق أرضية بنية فاتحة أو رمادية، وأحياناً كانت الأرضية رمادية فاتحة، وزينت الأواني بزينات على هيئة أشكال حيوانية وطيور وأشكال إنسانية، واستخدمت كذلك الزينات الهندسية (شكل١٠٦)[1].

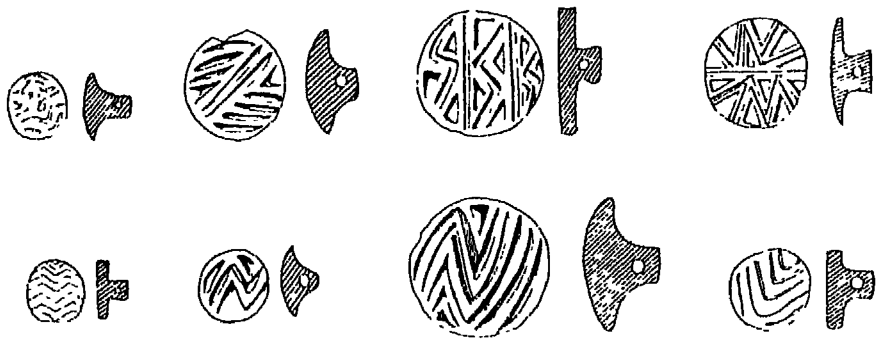


(شكل١٠٦) بعض نماذج الأواني الفخارية في تبة حسار الأولى «جـ».

(١) Ibid., Figs, 37 - 43, PLs VII - XIII, PP. 46 - 53.

ومن الناحية الزمنية فإن مرحلة حسار الأولى «جـ» تبدأ في أواخر عصر حضارة الوركاء وتمتد حتى عصر جمدة نصر في العراق القديم[1] .

وعثر في جميع فترات المرحلة الحضارية الأولى في تبة حسار على العديد من الأختام، ولكن يلاحظ أنه لم يعثر على أية طبعات أختام خلال هذه المرحلة، مما يرجح أن تكون هذه الأختام قد استخدمت لأغراض الزينة، ويؤيد ذلك تكرار الأختام في مقابر الأفراد، حيث عثر في العديد من المقابر على أكثر من ستة أختام في المقبرة الواحدة، ولوحظ أنها توضع بجوار أذرع بعض الهياكل العظمية البشرية. ومعظم الأختام التي عثر عليها ترجع إلى مرحلة تبة حسار الأولى «ب» و «جـ»، حيث لم يكشف إلا على أعداد قليلة جداً في مرحلة تبة حسار الأولى «أ». وصنعت معظم الأختام من الجبس أو الحجر الجيري، وصنعت بعض الأختام من أحجار الحية وكذلك من الطين، كما عثر على ختم نحاسي واحد. ورسمت على هذه الأختام زينات هندسية، ومنذ مرحلة تبة حسار الأولى «جـ» اصبحت ترسم الأشكال الإنسانية والحيوانية والطيور والنباتات (شكل١٠٧)[2] .



(شكل١٠٧) بعض نماذج الأختام في تبة حسار الأولى.

(١) Dyson, H., op. cit., p. 239.

(٢) Schmidt, E.F., op. cit., pp. 54 - 56, PL. XV.

ولقد كشف في أولى الطبقات الأثرية بتبة حسار عن أدوات نحاسية، ورغم أنها كانت في أول أمرها مجرد قطع صغيرة إلا أنها أوضحت أنه خلال المراحل الأولى للإستقرار البشري في تبة حسار كانت هناك معرفة بصناعة الأدوات النحاسية، ويوضح ذلك أن أولى المراحل الحضارية في تبة حسار (حسار الأولى «أ») كانت ترتبط ببداية عصر استخدام النحاس في شمال الهضبة الإيرانية[١].

وتتضمن المصنوعات النحاسية[٢] التي عثر عليها في تبة حسار أنصال الخناجر والسكاكين والدبابيس والمسامير الصغيرة والإبر وبعض أدوات الزينة مثل الخواتم، وذلك بالإضافة إلى بعض المصنوعات الأخرى المتعددة. ويلاحظ أن المصنوعات النحاسية التي ظهرت خلال مرحلة تبة حسار الأولى «أ» كانت عبارة عن رؤوس مسامير صغيرة وبعض القطع النحاسية الصغيرة المتآكلة، وفي المرحلة التالية (حسار الأولى «ب») ظهرت الإبر والدبابيس ذات الحجم المتوسط، وخلال مرحلة حسار الأولى «جـ» ظهرت الخناجر والسكاكين والأزاميل (شكل ١٠٧) [٣]. ومن أفضل نماذج المصنوعات النحاسية التي كشف عنها خلال هذه المرحلة إزميل وجد في أرضية حجرة وهو يحمل رقم H. 4176 (شكل ١٠٨: ٣)[٤].

واستخدم الإنسان في تبة حسار الأحجار في صنع العديد من أدواته، فصنع المكاشط والمثاقيب ورؤوس السهام والأزاميل والمشاحذ والمدقات والهواوين وفلكات المغازل، كما عثر على بقايا احجار استخدمت لطحن

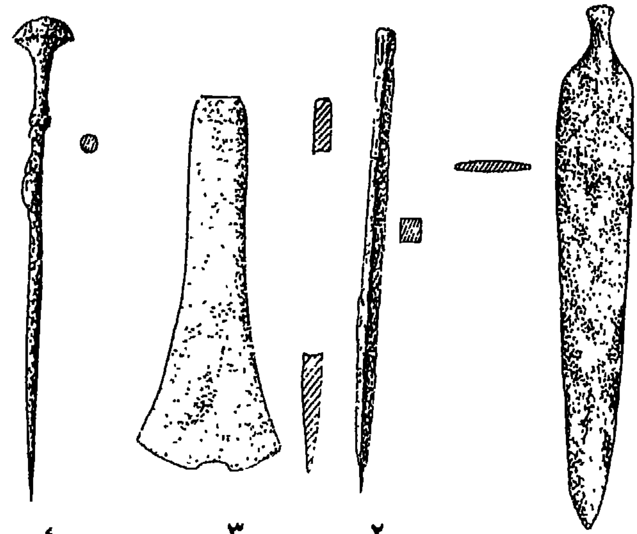
---

(١) **Ibid.,** p. 56.

(٢) **Ibid.,** pp. 56 - 57, 300 - 301.

(٣) **Ibid.,** pl. XVI.

(٤) **Ibid.,** pl. XVI, H. 4176.



(شكل ١٠٨) بعض نماذج الأدوات النحاسية في تبة حسار الأولى .

الحبوب (شكل ١٠٩)[١] ، ويشير ذلك إلى أن القمح أو حبوب مشابهة ربما الشعير كان هو الغلة الرئيسية في الطعام أثناء هذه المرحلة المبكرة من الأستقرار البشري في موقع تبة حسار[٢] .

وصنع الإنسان من عظام الماعز المدببة والحيوانات الأخرى مخارز ومثاقيب ، وعثر على نماذج لها في جميع طبقات الموقع . ومما لا شك فيه أنها كانت تستخدم لثقب المواد الطرية مثل الجلود ، ولقد عثر على مثقابين يرجح أنهما قد صنعا من عظام الغنم ، وصنع من العظام كذلك فلكات المغازل وكذلك بعض المكاشط (شكل ١١٠)[٣] .

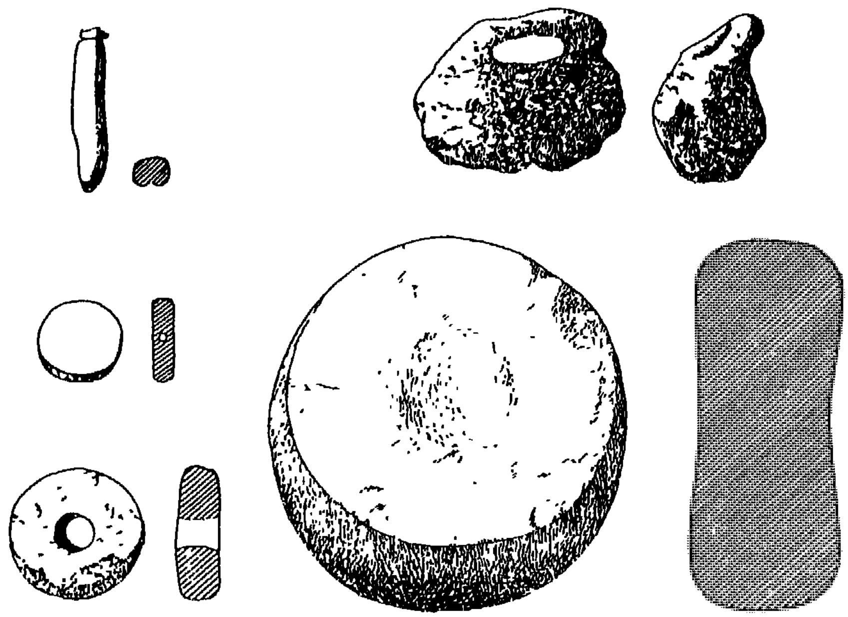
ومن الناحية التعبيرية فلقد قام إنسان حضارة حسار الأولى بصنع تماثيل

---

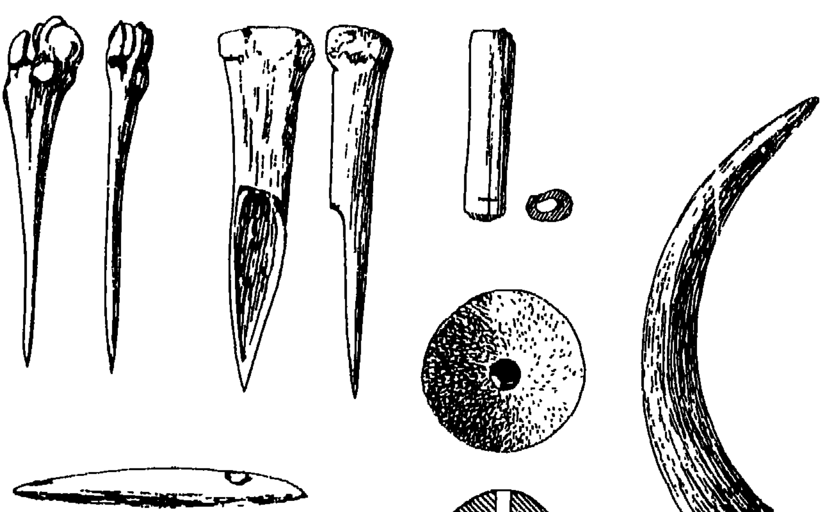
(١) Ibid., PLS. XVII, XVIII A.

(٢) Ibid., pp. 57 - 59, 301.

(٣) Ibid., p. 59, PL. XVIII B.

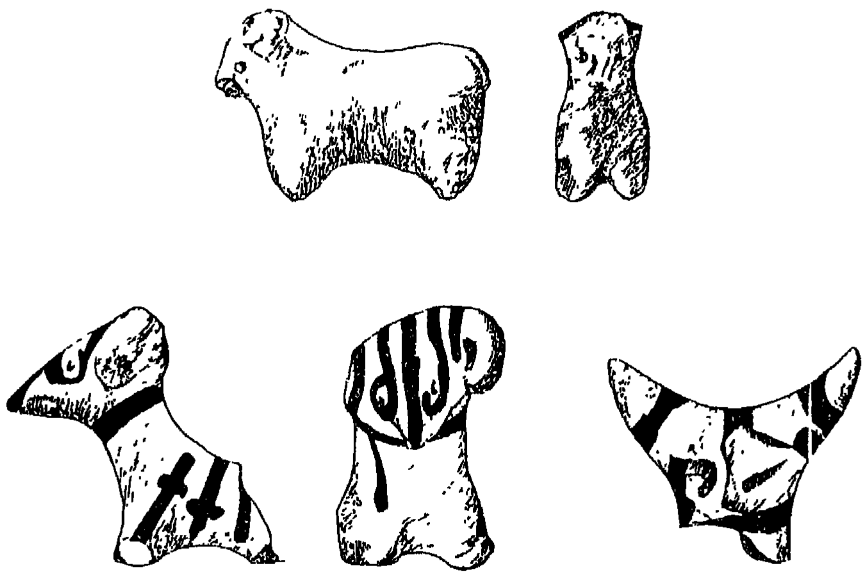


(شكل ١٠٩) بعض نماذج الأدوات الحجرية من تبة حسار الأولى .



(شكل ١١٠) بعض نماذج للأدوات العظمية في تبة حسار الأولى .

حيوانية صغيرة، وكانت الخرفان والماعز هي أكثر الحيوانات التي صنع تماثيل لها، ويشير ذلك إلى أهميتها الاقتصادية لدى الإنسان خلال هذه المرحلة المبكرة من الاستقرار البشري في تبة حسار، حيث مارس الإنسان حرفة الرعي بجانب استئناس الزراعة، كما عثر على بعض التماثيل الصغيرة التي يرجح أنها تمثل أبقار (شكل ١١١)[١].



(شكل ١١١) نماذج للتماثيل الحيوانية التي صنعها الإنسان في تبة حسار الأولى.

ويلاحظ أن المرحلة الأولى في تبة حسار تتميز نهايتها من الناحية الأثرية بظهور الفخار الرمادي الداكن غير الملون، وصاحب ذلك التقدم في استخدام المعادن. ويرجع السبب المباشر لنهايتها إلى غزو خارجي أنهى حضارة الفخار الملون، وفرض انماطه الحضارية التي تمثلت في وجود نوع جديد من الفخار. ومع ذلك، فلم يكن هذا الغزو مدمراً، ولم ينتج عنه أثاراً تخريبية، حيث عثر في المقابر التي ترجع إلى نهاية مرحلة تبة حسار الأولى وبداية

(١) Ibid., p. 54, PL. XIV, B.

مرحلةلا حسار الثانية على الفخار الملون بجانب الطراز الجديد من الفخار غير الملون والذي كان لونه رمادياً داكناً، وفي نفس الوقت استمرت صناعة الكؤوس بنفس نماذجها التي ظهرت خلال المرحلة الحضارية الأولى[١].

ويتجه بعض الباحثين[٢] إلى الاعتقاد بأن أصل هؤلاء الغزاة يرجع إلى الشمال وذلك من مراعي التركمان حيث تطورت حضارة الفخار الرمادي، ويؤيد ذلك من ناحية أخرى عدم وجود أدلة تثبت وجود علاقة بين مرحلة تبة حسار الثانية والمناطق الواقعة إلى الغرب منها[٣].

---

(١) **Ibid.**, p. 302.

(٢) انظر في ذلك:

Wulsin, F.R., "Excavations at Tureng Tepe, Near Asterabad", In **Bulletin American Institute For Persian Art And Archaeology, II,** 1 Bis, Supplement, 1932., Arme, T. J. "The Swedish Archaeological Expedition to Iran" In **Acta Archaeologica**, VI, 1935.

(٣) Schmidt, E.F., **OP. Cit,** PP. 302 - 303.

الفصل الرابع

إيران في الألف الثالث ق.م

في بداية الألف الثالث ق. م دخل السهل العراقي الغنى العصر التاريخي. ويرجع الفضل إلى السجلات التي كتبها سكانها عن تاريخ بلادهم، في اماطة اللثام عن تاريخ إيران الذي توجد الإشارات الأولى له والتي أزاحت الظلام الذي يكتنف تاريخ إيران منذ ٢٠٠٠ سنة فقطومع ذلك فإن هذا لا ينطبق على عيلام التي ما لبث أن أصبح لها دورها الخاص في تاريخ إيران. أما بقية المناطق الواقعة شمال سهل سوسة فإن معلوماتنا القليلة عنها تأتي من المصادر البابلية. وعلاوة على ذلك فإن هذه المصادر البابلية لا تذكر شيئاً عن الجهات الداخلية البعيدة في إيران، وإنما تكتفي فقط بالمناطق المتاخمة لها على الحدود والتي كان يعيش سكانها على التلال، وكانوا دائمي الاحتكاك بأهل بلاد النهرين السومريين والساميين.

وسكان التلال هؤلاء هم من الجنوب إلى الشمال العيلاميون والكاشيون واللولوبيون والجوتيون وهم ينتمون جميعاً إلى جنس واحد ويتكلمون لغات متشابهة. وقد أدى الضغط المستمر الذي كانت تفرضه عليهم الممالك المتحضرة في السهول إلى اتحادهم أحياناً وبصفة مؤقتة، إذ كان الكفاح مستمراً بين الأمم المتحضرة في السهول وبين البدو وأشباه البدو في المناطق الجبلية. وكانت كلما تكونت أسرة قوية في بابل تحاول مد نفوذها على حساب سكان المناطق الجبلية، ومن ناحية أخرى، كلما ضعفت بابل انحدر سكان المناطق الجبلية إلى مناطق السهول الغنية يحتلونها لفترات مختلفة[١].

(١) Ghirshman, R. Iran, From the Earliest times to the Islamic conquest. London, 1978, PP. 50-

ويشير بعض المؤرخين ومنهم طه باقر[1] أن السومريين قد سموا الإقليم الكائن إلى شرق وادي الرافدين الأسفل بمصطلح «نم» الذي يفيد معنى النجد المرتفع، وسماه الأكديون الساميون في العراق باسم «ايلامتو» ولا يعرف بالتأكيد هل الكلمة الأكدية ترجمة للمصطلح السومري أو هي تصحيف للكلمة السومرية «إنم» (NIM) وذلك بإبدال النون لاما وإن جاز احتمال اشتقاق الإسم السومري من الإسم السامي «عيلام - إيلام».

وأما العيلاميون فسموا أنفسهم «حاورتي» أو «حافرتي» وله قراءة أخرى هي «خاتمتي» التي ربما تفيد معنى «أرض الإله» وأما النصوص الفارسية المتأخرة فعرفت الإقليم «هوفاجا»، ومنه الكلمة العربية «خور» و «خويرة» وهو إقليم «خوزستان» وأما اليونان فسموه باسم عاصمتهم «السوس» (سوسا) وأطلقوا عليه إسم «سوسيانة» كما ورد جزء منهم من بلاد عيلام باسم «أنشان» و«انزان» وبلغ من شهرة هذا الإقليم أن عرفت به جميع بلاد عيلام، كما كانت هناك مدينة تحمل نفس الإسم إلى شمال غرب سوسة على نهر الكرخا، وقد وردت كلمة «ايلامتو» في التوراة تحت إسم «عيلام»[2] كما وردت «سوسا» تحت اسم «شوشان» أو «شوشن»[3].

ويجب استثناء عيلام من هذه الصورة العامة. ففي حوالي الربع الأول من الألف الثالث ق. م كانت هناك أسرة عيلامية قائمة بالفعل تحكم مساحة كبيرة من السهول والمناطق الجبلية وتضمنت كذلك جزءاً هاماً من ساحل الخليج العربي ومنطقة بوشير ولقد عثر على نقش في هذه المنطقة يحتمل أنه خاص بأحد الملوك. وقد كتب هذا النقش بالخط السومري، وهو الأمر الذي

---

(١) طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، جـ ٢، ص ٣٨١.
(٢) اعتبرت التوراة «عيلام» أكبر أبناء سام، وأنه إليه ينتسب العيلاميون، وأن الفرس من ذريته أيضاً. أنظر: سفر التكوين: ١٠: ٢٢، أخبار الأيام الأول. ١: ١٧، عزرا: ٤: ٩.
(٣) نحميا: ١: ١، دانيال: ٨: ٢، استير: ١: ٤ - ٦، وانظر في ذلك:
Poebel, A. "The Name of Elam in Sumerian, Akkadian, and Hebrew", In A. J. S. L., vol. 48 (1931 - 1932), P. 20 ff.

بشير أنه في ذلك الوقت ورغم أن العيلاميين كانت لهم كتابتهم الخاصة بهم إلا أنهم قد استخدموا لغة جيرانهم السومرية.

وباعتلاء سرجون الأكدي العرش (٢٣٧٠ ـ ٢٣١٥ ق. م) دخلت عيلام في كفاح مرير دفاعاً عن حريتها وكيانها. ولم تكن القوتين متكافئتين، فلقد تمكن سرجون من الانتصار على عيلام في موقعتين، ويحتمل أنه قد تمكن من ضم سوسة إلى ممتلكاته[١]. وسار ابنه مانيشتوسو على نفس دربه وكان موفقاً في حروبه ضد إيران فتمكنت جيوشه بالفعل من عبور الخليج العربي لتأمين الطريق المؤدي إلى المرتفعات التي كان يجلب منها المواد اللازمة للبناء. وفي عهد نارام سن تمكن من إخضاعها بشدة وعين نارام سن موظفاً كبيراً ليحكم سوسة، وجعل من سوسة مقراً له ورفعه إلى مرتبة «شاكاناكو» (محافظ) وتمكن هذا الموظف من تشييد بعض المباني الهامة في المدينة. وقد حلت اللغة الأكدية (السامية) محل العيلامية، حتى أن الأسماء الخاصة أصبحت في غالبيتها سامية أكثر منها عيلامية واستمالت سياسة القوة هذه الثقافة المحلية، التي أوشكت أن تختفي لولا أنها ظلت قائمة في المناطق الجبلية الوعرة.

ومع ذلك فقد تمكن بعض العيلاميين في ظل سياسة الاخضاع هذه من استعادة هذا المنصب ومن هؤلاء «كوتيك ـ انشو شناق Kutik - In - shushinak» والذي ظهر اسمه في الوثائق الأكدية ك «بوزور ـ انشو شناق[٢]» والذي عينه نارام سن حاكماً تابعاً له في عيلام خلفاً للحاكم السابق. وقد انتهز «بوزور ـ انشو شناق» كل فرصة للنهوض بعيلام من جديد، وكان قادراً على تبني الحركة الوطنية فيها، وسرعان ما أخذت عيلام بزمام المبادئة فعادت إلى الظهور من جديد في الوثائق العيلامية نقوش مكتوبة بنقوش الكتابة ما قبل العيلامية جنباً إلى جنب مع النصوص المكتوبة بالأكدية، وأكثر من ذلك، فقد تظاهر

(١) Hinz, W., "Persia C. 2400 - 1800 B. C." In C. A. H., vol. I part II, PP. 647 - 649.

(٢) Barton, G. A., The Royal Inscriptions of sumer and Akkad, New Haven, 1929, P. 156 ff.

«بوزور . انشوشناق» بالدفاع عن سيده نارام سن وأقدم على اتباع سياسة جديدة تقوم على التوسع ومد حدوده بعيداً نحو الشمال حتى وصل إلى الاحتكاك بقبائل الجوتيين. وقد أثرى بلاده بالغنائم التي حصل عليها وشيد الكثير من المعابد والمباني، وقدم الحكام المجاورين له فروض الطاعة والولاء.

وبموت «نارم سن» أعلن «بوزور ـ انشوشناق» استقلاله، وهاجم بابل نفسها على رأس جيشه حتى وصل أكد، التي رد عنها بصعوبة، ومع ذلك فقد احتفظ باستقلاله عن بابل، وعند عودته أعلن نفسه ملكاً على «أوان» وانتحل لقب «ملك الأنحاء الأربعة» وعلى أية حال فهو آخر حاكم على «أوان» لأن قائمة سوسة التي تقدم أسماء ملوك «أوان» تنتقل من بعده مباشرة إلى أسرة «سيماش» وبعد ذلك نرى بابل قد أخذت في الضعف تدريجياً. واتجهت إليها الأنظار وخاصة بعد نجاح «بوزور ـ انشوشناق» فغزتها قبائل الوللوبي والجوتي الواحدة بعد الأخرى فقد جاؤا من الأودية المرتفعة لغزو بابل.

وقد عاش الوللوبيون Lullubi في عبر الطريق القديم الذي لا يزال يصل إلى بغداد مخترقاً كرمنشاه إلى حمدان وطهران وذلك في الجزء الشمالي من مرتفعات زاجروس، وكانوا جزءاً من مجموعة الشعوب التي تنتمي لأصل آسياني أو ما سمي "Zagro Elamite" وقد امتد إقليمهم حتى بحيرة أورميا وربما إلى أبعد من ذلك شمالاً(١)، وهي المنطقة التي تقع على أحد الطرق الطبيعية القليلة التي شكلتها الطبيعة المؤدية إلى الهضبة منذ آلاف السنين. ولقد قام سرجون الأكدي بالفعل بهزيمة سكان التلال هؤلاء ولكن الملك نرام سن وجه إليهم ضربات أشد، فبعد الثورة التي قاموا بها وسبق ذكرها، قام الحاكم السامي بتوجيه ضربة شديدة إلى الوللوبيين المتحدين مع الجوتيين في معركة كبيرة خلد نتائجها على لوحة منحوتة في الصخر في نواحي شهرى زور، ومع ذلك فإن في هذه المعركة، مثلها مثل أي اتصال آخر حدث بين القبائل التي تعيش على التلال وبين سكان السهول لم تكن نتائجها حاسمة سوى في زمن المعركةفقط. ونظراً لطبيعة الموقع الجغرافي لبلادهم، وسيطرتهم على الجبال المتحكمة في الطريق المؤدي إلى غرب إيران،

(١) عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، القاهرة، ١٩٦٦، ص ٥٦١ ـ ٥٦٢.

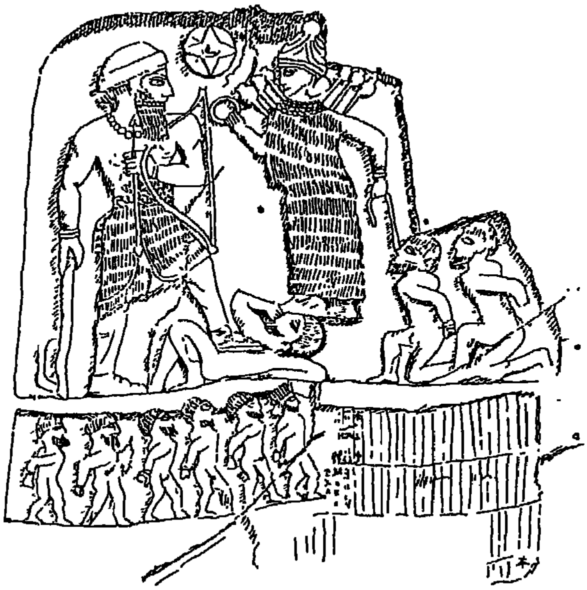
فقد تحكموا نتيجة لذلك في حركة القوافل التجارية والتجارة.

وعلى الرغم من وجود عداوة بينهم وبين بابل، فإنهم قد زودوا بابل في نفس الوقت بالبضائع ومن خلال زيادة المعاملات التجارية التي لابد منها، فقد وقعوا تحت التأثير الحضاري لجيرانهم الأكثر تحضراً. ومما يبرهن على ذلك نقشين بارزين نقشهما اثنين من ملوكهم على الصخور الجبلية في منطقة «سر - اي - بول - أي - زوهاب» ويحتمل أن أحد هذين الملكين على الأقل كان تابعاً للملك «نرام سن» وصور هذا الحاكم المحلي وهو يمسك بقوس ويطأ بقدميه أعداءه الراكعين تحت قدميه وهم يتوسلون إليه في ضراعة. ويبدو أن النقش المدمر جداً يعطينا اسمه وهو «تارلوني» Tar Lunni وتوجد هذه اللوحة في «الشيخ خان».

ويوجد نقش أخر أكثر أهمية، وهو مسجل في سطرين في نقوش بارزة في أعلى الصخر عند مدخل قرية سر - اي - بول الحديثة ويمثل هذا النقش الملك «انوبانيني» Annubanini أمير الوللوبي، وهو يقف بقدميه فوق أعدائه، ويرتدي لحية طويلة، وغطاء رأس دائرى، ونقبة قصيرة، ومسلح بقوس وبأحد أنواع السيوف. ويوجد أمامه المعبودة نيني وهي ترتدي تاجاً طويلاً وتمسك بأصابع قدميها أسير ملقى على ظهره أسفل قدميها، وهي تمد إحدى يديها للملك وتمسك بالأخرى نهاية حبل قيد فيه أسيرين في الصف العلوي، وستة آخرين في الصف السفلى، وجميعهم عرايا، وقد ربطت أيديهم خلف ظهورهم ويوجد في مواجهة الأعداء الأسرى نقش مكتوب بالأكدية يبتهل فيه إلى العديد من المعبودات التي يلاحظ أن معظمها معبودات أكدية[1] (شكل ٣٠).

ونظراً لندرة الآثار المتبقية بشكل عام من هذا العصر في إيران نفسها وعدم وجود أية نقوش في هذا الجزء من إيران، فإن الأثرين السابقين يعتبران ذا أهمية كبرى في امدادنا بالمعلومات عن مستوى الحضارة المحلية ويقودانا رغم كل شيء إلى نتيجة مؤداها أن ساكني هذه المنطقة لم تكن لديهم كتابة

(١) Ghirshman, R., op. cit., pp. 54 - 55, fig. 22.



(شكل ١١٢) نقش بارز للملك أنوبانيني ملك الوللوبى

خاصة بهم يعبرون بها عن لغتهم. ومع ذلك فإنه يبدو أنهم في ذلك الوقت قد تأثروا بالحضارة البابلية، ثم ما لبثوا أن استخدموا الكتابة واللغة الأكدية وذلك عند اتصالهم بجيرانهم الموجودين في الغرب ويمكننا القول كذلك أن فنانيهم القليلين قد تأثروا بشكل كبير بالفن الموجود في بلاد ما بين النهرين وحدث هنا مثلما حدث في عيلام. فقد انتقلت حضارة السهل العراقي إما بالطرق السلمية أو بقوة الجيوش. ومع ذلك فإن دور الإيرانيين في هذين النقشين كان كبيراً ومستمراً، فقد استمرت هذه الفكرة، ومن ثم فقد رأينا على امتداد تاريخ ايران الطويل أجيالاً من الحكام يتركون العديد من نقوشهم على كل جوانب الهضبة ويتضح من هذه النقوش الأخيرة تأثرها بهذه النقوش المبكرة.

وفي أواسط الألف الثالث قبل الميلاد، روعت بابل مرة أخرى بهجمات الجوتيين الذين جاؤا إليها من جبالهم الواقعة إلى الشرق من الزاب الأدنى واتجهوا إلى وادي ديالي الأعلى وقد ظلوا قروناً طويلة يهددون مدن

السهل. وقد كشف في وادي الخابور (شرق الفرات) على بقايا قلعة ترجع إلى عصر الملك نارام سن ملك أكد. ويبدو مرجحاً أن هذا البناء الذي شيد على الطريق التجاري بين أكد والأناضول، قد أقيم لحماية طريق التجارة من هؤلاء المتبربرين وسكان الجبال، الذين سرعان ما تحولت غاراتهم إلى غزوات قضت على أسرة أكد.

ولقد قضى الجوتيون على أسرة الوركاء الرابعة التي لم تعمر أكثر من ستة وعشرين عاماً حكم خلالها خمسة ملوك قوضت عاصمة ملكهم هجمات الجوتيين العنيفة، الذين نهبوا البلاد وفرضوا الضرائب الباهظة على الأهلين، وكان من أثر هجماتهم الوحشية المضنية شلل عام في مرافق البلاد وانهيار شامل في اقتصادها الزراعي والتجاري. وللأسف فإنه لا يوجد لدينا تفصيلات عن هذه المرحلة التي تتسم بزلزلة بنيان الحضارة ومحاولة القضاء عليها، فالقوائم الملكية قلما تتفق، ولعل مما يشير إلى الاضطراب قصر مدد الحكم، وأما النقوش القليلة الباقية فلا تكاد تقدم سوى أسماء لا تصحبها تفصيلات حيوية. فنجد أحد الملوك واسمه «لاسيراب» يسجل نقشاً بالأكدية. ونجد ملكاً آخر وهو «أريد ويزير» يشير إلى لقبه «ملك الأنحاء الأربعة» في نقش يكرسه للمعبود «انليل» رب «نيبور»، ومع ذلك فقد ظلت بعض المدائن مزدهرة، وربما يرجع ذلك إلى أنها كانت تؤدي الضريبة المفروضة عليها بانتظام كما هو الحال في مدينة «أوما» ويبدو أن «أور» و «لحش» قبلتا كذلك الاحتلال على مضض وبدأتا تباشران حياة تعمير هادئة بقدر الإمكان. وربما كان تقبلهما للأمر الواقع كرد فعل ضد أكد والوركاء.

ويبدو واضحاً أن عيلام هي الأخرى لم تنج من هجمات الجوتيين الذين ظلوا طوال أكثر من قرن من الزمان هم السادة المسيطرون وإن كان ذلك قد تم بشكل همجي، فاحتلوا القرى والمدن وقطعوا أوصال المملكة، ولم يتركوها إلا وهي إمارات صغيرة. وتشير قائمة ملوكهم الطويلة إلى هذا العصر المضطرب. وقرب نهاية عهد الاحتلال الجوتي، بدأت الثقافة البابلية يصبح لها دور السيادة، وبدأت تتكون ببطء حركة مقاومة لهم، وقادت الأسرة

الجديدة التي تكونت في أور حركة المقاومة ضدهـم . وتمـكن ملـوك بابـل المحاربين من تحطيم قوتهم ، وأصبحت سوسة وسهولهـا مرة أخـرى ولاية بابلية .

ولكن هذه الأسرة لم تستمر طويلاً ، إذ هزم ملكها بعد أقل من قرن من ظهورها ، واقتيد أسيراً إلى الجبال . وفي هذه المرة فقد جاء الغزو من اتجاه مغاير لاتجاه الجوتيين. وينتمي هؤلاء الغزاة إلـى مملـكة «سيمـاش» التـي تسكن الجبال الواقعة إلى الغرب من اصفهان . وهكذا دخلت أرض الصيد في جبال زاجروس الحـرب ضد المملـكة البـابلية وتمكنـت «سيمـاش» من السيطرة على كل من سوسة وعيلام إلا أن أسرة ايسـن تمكنـت من احتـلال «سيماش» واستولت على عيلام التي سقطت مرة أخرى في أيدي الاحتـلال الأجنبي .

وازداد دور إيران في حياة شعوب غربي آسيا خلال الألف الثالث قبل الميلاد ونظراً لازدياد حاجة الممالك الكبـرى في بلاد ما بين النهـرين إلـى المواد الخام اللازمة للمباني ، وكذلك الأسلحة وغيرها ، كما ازدادت كميات البضائع المصنعة ، مما اضطرهـم إلى البحث عن أسواق جديدة ، فنحن نعلم أنه منذ عهد سرجون الأكدي كان هناك تجار عراقيون ومراكز تجارية سامية في آسيا الصغرى[1] . وكانت إيران من بين البلاد التي اتجه إليها ملـوك ما بين النهرين ، وذلك نظراً لمتاخمتها لهم وغناهـا بالثـروات الـطبيعية المعـدنية ، أصبحـت مركـز جذب لكل من يملك بعض القوة ليحـاول ضم مقاطعاتهـم الغربية .

وهـدف ملـوك بابـل من حملاتهـم العسكرية ضد إيران خلال الألف الثالث ق . م إلى هدفين الهدف الأول سياسي ، وكان الغرض منه علم وجود دولة قوية منظمة في البلاد المتاخمة لحدودهـم والهـدف الثانـي اقتصـادي

(١) محمد عبد اللطيف محمد علي : المراكز التجارية الأشورية فى وسط آسيا الصغرى فى العصر الأشورى القديم ، الإسكندرية ، ١٩٨٤ ، ص ١١ - ١٢ .

والغرض منه الحصول على ثروات إيران ونقلها إلى المدن العـراقية. ومع ذلك فقد تمكنت إيران خلال الألف الثالث من القضاء على أسرتين بابليتين وهما أسرة سرجون الأكدي التي قضى عليها الجوتيون، وأسـرة أور الثالثـة التي تلقت ضربة قاضية من ملوك سيماش.

ولا تتوفر لدينا المعلومات عن الأحوال السياسية في الهضبـة الإيرانية كما أننا لا نعلم شيئاً عن مدى اتساع نفوذ أمراء العيلاميين أو ملوك الوللوبي أو الجوتيون. وفي سيالك توجد فجوة تصل إلى ألفي عام وأمـا في جيان فقـد استمرت الحياة فيها دون تغير كبير. واستمـر فن صناعـة الفخـار ممثـلاً في الفخار الملون، الذى يشبه بشكل كبير الفخـار الـذي عثـر عليه في سوسـة ويعرف بالنموذج الثاني وعثر في المقابر على حلى مصنوعة من البرونز والفضة والعقيق والدلايات وعثر كذلك على دبـابيس مصنوعـة من البرونـز، كانـت تستخدم لتثبيت الملابس وكان بعضها بدون رأس وعثر في مواقع أخرى على أدوات مصنوعة من البرونز، وهو المعدن الـذي كان شديد النـدرة في هذا الوقت، مما يرجح إنه كان أغلى ثمناً من الذهب والفضة. ويستدل من ذلك على أن إيران كانت تسير نحو عصر البرونز[١].

وهكذا أمضت الهضبة الإيرانية الألف الثالث قبل الميلاد، حسـب ما وصل إلينا من معلومات حتى الآن. وسـواء امدتنـا الحفائـر فى المستقبـل بمعلومات أهم أو بقينا على معلوماتنا الحـالية، فإنـه من المـؤكد أن سكان الهضبة الإيرانية لم يكونوا في الألف الثالث فبل الميلاد أو حتـى في الألف الثاني أي وحدة قوية كما حدث فيما بعد، بل ظلت قبائـل متفرقـة يحـارب بعضها البعض، ولا يهمهم إلا البقاء في أوطانهم، يحيا بعضهـا حياة سكان الجبال قانعين بوديانهم الخصبة القليلة، ومعتمدين على مراعيهـم وعلـى ما يجنونه من التجارة، فقد كانت إيران منذ أقدم عصورها تستخرج النحاس من مناجمها وتبيعه في بلاد الرافدين، ونشأت فيها مراكز هامة لصناعة الأدوات

(١) Ghirshman, R., op. cit., pp. 58, 60.

النحاسية أما الذهب واللازورد فكان يجلبهما التجـار من إقليم باكتـريا في افغانستان عن طريق إيران، كما كانت عيلام تمد بلاد الرافدين دائماً بأنواع الحيوانات لتبقى على سلالتها، لأن جو السهل لم يكن صالحاً لها.

الفصل الخامس

إيران في الألف الثاني ق.م

إن الحدث الذي يميز تاريخ غرب أسيا خلال الألف الثاني قبل الميلاد، هو ظهور عناصر من أصول هندو أوروبية في هذا الجزء من العالم القديم. وفي الحقيقة فإن الدور الذي قاموا به كان محدوداً في بداية الأمر. ويبدو أن هذه الشعوب قد تحركت من أماكنها الأصلية الموجودة في السهول الواقعة جنوب روسيا نتيجة ضغط شعوب أخرى عليهم.

وخرجت العناصر الهندو أوروبية في شعبتين: شعبة غربية دارت حول البحر الأسود (بعد أن عبرت البلقان والبسفور) ووصلت إلى آسيا الصغرى حيث كونت المملكة الحيثية، التي استطاعت أن تمد غاراتها فيما بعد حتى بابل، ثم نراهم بعد فترة يلاقون مصر وجهاً لوجه في عنفوان الأمبراطورية المصرية.

والشعبة الأخرى، فهي الشعبة الشرقية التي عرفت باسم الهندو ـ إيرانيين، وقد تحركت شرقاً حول بحر قزوين وخرجت منها بضعة فروع اتجه أحدها عبر القوقاز إلى أعالي الفرات حيث اختلط بالحوريين أهل البلاد السابقين وكونوا مملكة ميتاني التي سيطرت على شمال بلاد ما بين النهرين ووديان شمال زاجروس، وتحالفت هذه الدولة مع مصر، وارتبط ملوكها مع ملوك مصر بروابط المصاهرة، واختفت هذه الدولة من مسرح الاحداث بنهاية القرن الرابع عشر ق. م، نتيجة الخلافات الداخلية وهجمات الحيثيين عليها. واتجه فرع آخر وسط جبال زاجروس إلى المنطقة الواقعة في جنوب طريق القوافل حيث استقر فيها كأقلية نشيطة، (اشتهرت منطقتها فيما بعد

بتربية الخيول) ، عرفت باسم الكاشيين الذين يحتمل بأنهم هم الذين تسببوا في القضاء على مدينة حسار أثناء اندفاعهم غرباً للاستقرار في تلك المنطقة وذلك في حوالي منتصف الألف الثانية قبل الميلاد.

وقد انحدرت شعبة أخرى من هؤلاء المهاجرين إلى الشرق، فدخلت إلى ممرات «هند وكوش» متبعة الطريق القديم لغزاة الهند على طريق نهري «بنديشير» و«كابول» وقد خرجت من بين هذه المجاميع شعبة إلى الغرب قرابة منتصف الألف الثاني ربما كانت موجة تبعتها موجات أخريات جاءت في القرون التالية بالإيرانيين إلى الهضبة. كان السواد الأعظم من أولئك الهندو - أوربيين يعيشون حياة البداوة وكانوا يمتازون بالقوة والجلد ولديهم ميزة حب القتال، ويربط بينهم نظام قبلي وليس معنى حياة البداوة أنهم لم يعرفوا التقدم أو كانوا همجاً لم يصل إلى علمهم شيء من مقومات الحضارة، ولكنهم كانوا أقوياء يعرفون الكثير من الأشياء وعلى الأخص ما يتصل منها بالحرب أو الدفاع، كما عرفوا بعض الصناعات التي تناسب بيئتهم المتنقلة، وكانوا يحسنون الفروسية وصنع الأسلحة أو ما يماثلها من الأدوات المعدنية.

وأمثال تلك الشعوب لا ينقصها الذكاء، ولا تنفر من اقتباس كل ما يقع تحت أنظارها إذا وجدته نافعاً لها، ولكنها تنفر من ترك تقاليدها المتأصلة في نفسها وكثيراً ما يبقى زعماؤها قادة حربيين لشعوبهم يعيشون في حصون أو خيام ولا تحلولهم متعة في أوقات فراغهم مثل متعة الصيد الذين يرون فيه مراناً لهم، وميداناً تتجلى فيه مواهب الشباب من أبنائهم أو أتباعهم.

ومن الملاحظ أن الأجيال القليلة الأولى من أمثال تلك الشعوب تظل في هدوء نسبي ولا تسبب مضايقات لا مبرر لها مع أي سكان ينزلون بينهم، ولكن أبناءهم الذين يشبون على مرأى من مظاهر الحضارة وربما كانت أمهاتهم من بنات البلاد التي ينزلون بها يصبحون أمراء أذكياء ناجحين، ويطمحون نحو التوسع، وينجحون في ذلك بفضل تماسك قبائلهم وقوتهم الحربية، وبفضل من ينضم إليهم من أبناء البلاد أنفسهم طمعاً فيما ينالونه من مغانم في تلك الحروب.

عيلام:

ظهرت في عيلام في الألف الثاني قبل الميلاد أسرة وطنية من الحكام الذين أطلقوا على أنفسهم القاب «الرسول الإلهي، الأب والملك (لانزان وسوسه)» وسجلت الوثائق التي ترجع إلى هذا العصر بالكتابة الأكدية، التي ظهرت فيها الكثير من الكلمات الوطنية التي تشير إلى تطور الحضارة المحلية. ويتضح هذا الأمر كذلك في الديانة فالمعبودة «شالا» والمعبود «انشوشيناك» كانوا أكثر شعبية من الآلهة البابلية[1].

وفي أوائل الألف الثاني قبل الميلاد غزا العيلاميون بابل، وأسس أحد أمرائهم أسرة في لارسا. وبعد ذلك تغلب العيلاميون على أسرة أيسين وسيطروا على الوركاء وبابل ولكن قيام «حمورابي وضع حداً للتوسع العيلامي وتطلب ذلك منه قرابة ٣١ سنة حتى تمكن من هزيمة غريمه «ريم سن» وبعد هزيمة العيلاميين اختفوا من مسرح الأحداث قرابة قرن من الزمان، حتى عادوا إلى الظهور من جديد بزعامة أحد ملوكهم الوطنيين وهو «كوتير ناهونتي» الذي أعاد تأسيس الدولة من جديد. ويلاحظ أن الوثائق التي ترجع إلى عهده قد كتبت بالأكدية مما يشير إلى سيطرة الثقافة السامية خلال القرن السابق. ولكن سرعان ما تختفي عيلام، وكان ذلك خلال الغزوات الكبرى التي قام بها الكاشيون.

الكاشيون:

تسجل النصوص التي ترجع إلى أوائل عهد «سامسو إيلونا» بن «حمورابي» قيام هذا الملك بصد هجمات الجيش الكاشي. وبعد ذلك بحوالي مائة وخمسين عاماً تعرضت بابل إلى اختراق سلمي من ساكني الجبال هؤلاء الذين هبطوا إلى السهل ليعملوا كعمال زراعيين. واستطاعوا في حوالي منتصف القرن الثامن عشر أن يصلوا إلى مركز الصدارة والسلطان في بابل. ويعتبر احتلالهم أطول احتلال تعرض له العراق القديم، إذ استغرق

(١) انظر: Hinz, w., op. cit., pp. 665 - 667.

٥٧٦ سنة ولم ينته إلا في عام ١١٧١ ق. م.

ولقد سكن الكاشيون قبل مجيئهم إلى بابل، السلاسل الوسطى من زاجروس، وهي لورستان الحالية، ولكن نفوذهم كان يمتد إلى الشمال والشرق من إقليمهم ويتجه بعض الباحثين إلى الاعتقاد بأن هذا النفوذ قد شمل كذلك المنطقة المحيطة بهمذان. وفي بداية الألف الثاني قبل الميلاد، امتزجت مجموعة السكان التي ترجع إلى الأصل الأسيائي Asianic بالمهاجرين الهندو-أوروبيين الذين كونوا أقلية حربية أرستقراطية، ووصلوا إلى الحكم كطبقة حاكمة، ولكنهم سرعان ما تركوا لغتهم الأصلية بعد فترة قصيرة. وتوضح الوثائق البابلية التي تشير إلى الكاشيين أنهم قد مزجوا بين الآلهة، فمزجوا بين الآلهة ذات الأصل الأسيائي والآلهة البابلية وكذلك المعبودات الهندو أوروبية. فنرى في مجمع معبوداتهم «شورياش» و «مروت تاش» و «ماروت» و «بورياش». ويبدو أن الحصان كان الرمز المقدس لدى الكاشيين، ويحتمل أن الطبقة الحاكمة هي التي قامت بإدخاله، مثلما حدث في مملكة ميتاني. وكان إلههم الوطني يسمى «كاشو»، ومما لا شك فيه أنه قد حمل إسم الشعب، وهو الأمر الذي نعلم حدوثه بين القبائل الأسيائية الأخرى.

وتوجد أقدم إشارة عن الكاشيين في وثائق ترجع إلى القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد وتنتمي إلى عهد الملك بوزور-أنشو شناق. ويبدو أنهم لم يقوموا بدور هام خلال الألف الثالث قبل الميلاد. ولقد عرفهم الأشوريون تحت إسم «كاس» وذكر سترابو أنهم يوجدون إلى الشرق من بحر قزوين شمال طهران. ويرى البعض أن كلمة «كاس» تقرن بكلمة الصفيح باليونانية «كاسيتيروس» التي تعني «المعدن الذي يجلب من بلاد الكاسيين». وكان إسم همذان قبل مجيء الميديين «اكيسيا» Akessaia، وأسماها الأشوريون «كاركاس» التي تعني «مدينة الكاسيون».

ومع ذلك فإنه يبدو محتملاً أن اصطلاح «كاس - س» أو «كاس - بي»

كان له معنى جنسياً أكثر اتساعاً، أكثر من إشارته إلى شعب واحد، من شعوب عديدة سكنت في زاجروس، بل هو يتضمن المنطقة التي احتلتها كل الأسيائيين في إيران[1].

وترك احتلال الكاشيون لبابل آثاراً عميقة في نفوس البابليين، فارتبط في أذهانهم بالقوة غير العادية التي تمتع بها الغزاة الأجانب. ويمكننا أن ندرك الأرضية التي ساعدت على هذا الاعتقاد في طول مدة الاحتلال الكاشي للعراق. ورغم قلة المعلومات التي يمكننا الحصول عليها من الوثائق الكاشية، فإنها مع ذلك تثير الدهشة، فإنه يبدو أنه لم يتم اختراع شيء حيوي في عهدهم. ورغم أن هذه الوثائق لا تتضح فيها أحوال بابل وعيلام، إلا إننا نعرف من مصادر أخرى أن الكاشيين قد اتصلوا بالمصريين خلال عصر العمارنة إذ تشير وثائق وخطابات العمارنة إلى وجود علاقات ود وصداقة بين امنحتب الثالث والملك الكاشي المعاصر له، الذي يبدو أنه الملك «كادشمان خاربي».

وهدفت القوات البابلية إلى طرد الكاشيين، وجاءت الحركة الأولى من عيلام التي تمت على يديها الضربة الأخيرة كذلك. ذلك أنه في بداية القرن الثالث عشر قبل الميلاد، نشأت أسرة جديدة في عيلام تمثل عصرها الذهبي الذي يتمثل في مجموعة من ملوكهم هم «شوترك - ناهونتي» و «كوتير - ناهونتي» و «شلهاك - أنشوشناك». وأسس هذه الدولة «أونتاش حوبان» (أو أونتاش جال) الذي تميز بأنه كان بناء كبيراً، فبنى مدناً جديدة، وعمر المدن القديمة ورمم مبانيها. وفي مجال الفنون فقد وصلت الأعمال المعدنية إلى درجة عالية من الاتقان، وذلك إذا حكمنا عليها من التمثال الذي عثر عليه وهو خاص بزوجة الملك «أونتاش حوبان» الملكة «نابيراسو». وضعفت بابل في ظل السيطرة الكاشية، فلم تعد خصماً يخشى خطره، بل ربما جاء الخطر من أشور التي مدت يد الصداقة إلى بابل، وشبت الحرب، التي سجلت فيها عيلام أولى مراحل نجاحها.

(1) Ghirshman, R., op. cit., p. 65

ووصلت عيلام إلى ذروة مجدها في عهد الملك «شوترك ـ ناهونتي الأول» (١٢٠٧ ـ ١١٧١ ق. م تقريباً)، وقام هذا الملك بتشييد المعابد في كل المدن الهامة في مملكته. واتجه قدماً وغزا بابل، وطرد آخر ملوك الأسرة الكاشية ووضع مكانه ابنه «كوتور ـ ناهونتي» الذي حمل معه إلى سوسة تمثال المعبود مردوك معبود بابل الوطني.

ويلاحظ من ذلك أن بابل قد نجت من احتلال رجال الجبال الإيرانيين، لتسقط بين فكي رجال السهول الإيرانيين. واستطاعت عيلام في عهد «الملك شلهاك ـ انشوشناك» (١١٦٥ ـ ١١٥١ ق. م تقريباً) إن تمد فتوحاتها إلى الشمال في منطقة ديالي، فوصلت حتى إقليم كركوك، واستمرت في اندفاعها شمالاً حتى آشور. ثم نزلت إلى بابل وحاصرتها. وهكذا بسطت عيلام سلطانها على وادي دجلة كله، وكذا على معظم شواطىء الخليج العربي، وسلاسل زاجروس. وهكذا تكونت أول دولة موحدة تحت الحكم العيلامي، وشملت هذه الدولة كل غرب إيران الذي ضمت إليه أقاليم الجبال الجنوبية والغربية. وأدت هذه الانتصارات إلى بعث الروح الوطنية العيلامية، التي كان من مظاهرها عودة الكتابة بالكتابة «ما قبل العيلامية» وبدأ التعصب ضد الثقافة الأجنبية يزداد وضوحاً، وأصبح «أنشوشناك» إلهاً وطنياً، كما أله الملك وأسرته خلال حياتهم. وتعتبر الفنون والعمارة التي عثر عليها عن معالم تلك النهضة، ومن أكثر المدن التي تمتعت بثمار هذه النهضة مدينة سوسة.

ولكن مثلما حدث غالباً في تاريخ شعوب العالم القديم، فإن عصر قوتهم تلاه عصر من الانهيار السريع. وكان ذلك هو مصير عيلام عند نهاية الألف الثاني قبل الميلاد، وكان ذلك على يد أسرة بابلية جديدة استطاع أحد ملوكها وهو «نبوخذ نصر الأول» بعد عدة محاولات من القضاء على عيلام والاستيلاء على سوسة، وأعاد مرة أخرى تمثال المعبود «مردوك» في موكب النصر إلى معبده في بابل. وتختفي عيلام مرة أخرى من مسرح التاريخ، واستمر ابتعادها هذه المرة لمدة ثلاثة قرون. وانشغلت المملكتين الجديدتين في بابل وأشور في منافسة طويلة للسيطرة على السهل. وقلت أهمية الهضبة،

وعلى الرغم من استمرار قيمتها، فإنها قد اضطرت إلى انتظار الأحداث التي غيرت بعد عدة قرون تالية وجه العالم القديم[1].

واستمرت الفجوة التي وجدت في سيالك خلال الألف الثالث قبل الميلاد معظم الألف الثاني. واستؤنفت الحياة في هذا الموقع في وسط الهضبة نحو نهاية الألف الثاني. وسبق أن رأينا مصير حسار في الشمال الشرقي التي اختفت أخيراً خلال النصف الثاني من الألف الثاني.

أما جيان في الغرب فقد أمدتنا بمعلومات قيمة، وألقت الضوء على التيارات المتغيرة التي أثرت في إيران في هذا الوقت. ويستدل من البقايا الأثرية التي عثر عليها في الطبقة الثالثة التي بيد وأنها تمثل استمرار صناعة الأواني الفخارَية الملونة المحلية فإنها تتميز بظهور نوع جديد من الفخار له أشكال غريبة تميز بعضها بأن له ركيزة ثلاثية. ويبدو أن هذه الأواني كانت مألوفة في أجزاء معينة في زاجروس واستمرت مستخدمة فيها وبصفة خاصة في لورستان حيث عثر في المقابر التي ترجع إلى الألف الأول قبل الميلاد على عدد من هذه الأواني[2] (شكل ١١٣).



(شكل ١١٣) بعض نماذج الأوانى الفخارية فى موقع جيان (الطبقة الثالثة

واستمر فخار ما قبل الإيرانيين في الطبقة الثانية في جيان، ولكن وجدت عودة إلى تزيينه بزينة الحيوانات التي لم تستخدم في الطبقة الثالثة، ومع ذلك، فقد اتبعت هذه الزينة طرازاً جديداً، وانتشر هذا الطراز في

(١) Ibid, PP. 67.

(٢) Ibid, PP - 67 - 68.

منتصف الألف الثاني قبل الميلاد خارج إيران ووصل حتى فلسطين. ووجد بجانب هذا الفخار المحلي. نوع آخر من الفخار أكثر جودة، وهو مزين بأشكال هندسية دقيقة مرسومة بألوان عاتمة، وكانت في بعض الأحيان من نوعيات فقيرة وملونة باللون الأسود. ويسمى هذا النموذج فخار «خابور» وقد انتشر غرباً حتى وصل إلى منطقة البحر المتوسط. ويتطابق تاريخ هذه الطبقة مع غزو الهكسوس لمصر، وغزو الكاشيين لبابل.

ولقد تعرضت طبقة جيان الأولى التي ترجع إلى النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد إلى تأثيرات مختلطة ومضطربة. ومن الصعب فحص كل التغيرات التي أثرت على فخار هذه المرحلة دون الأخذ في الاعتبار الأحوال السياسية بين الجماعات المجاورة لزاجروس من الشرق والغرب. ويتميز فخار المستقرين القدامى بكونه على هيئة الكأس ومزين بزينه على هيئة الحيوان أو زخارف هندسية. وجلب هذا الفخار من ما يسمى بالفخار «الحوري» والذي وجد بصفة خاصة عند حكام ميتاني، الذين كانوا في هذا الوقت في القرنين الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد يمدون حدود مملكتهم نحو الشرق، وضموا إليهم منطقة زاجروس التي كان يسكنها الجوتيون. واحتوت المقابر التالية في جيان على فخار له صلة به. على الرغم من أنه يمكن القول من الوهلة الأولى أنه فخار محلي، فقد كان غير مزيناً. ولقد سبق التأكيد طويلاً على توحيد هذا الفخار والحلى وكل شيء عثر عليه مع الأشياء الموجودة في بابل، وذلك عند نهاية الحكم الكاشي في القرنين الثالث عشر والثاني عشر قبل الميلاد.

ويبدو أن المؤثرات الغربية التي كانت تؤثر على غرب الهضبة قد توقفت عند هذا الحد. ودخلت بابل وأشور في صراع طويل مع بعضهما. ويبدو أن هذا الصراع قد قطع الاتصال بين زاجروس والعالم الغربي، حيث ظهرت في هذا الوقت التأثيرات الشرقية. وتتضح أولى علامات التغير في توصل سيالك وجيان إلى الفخار الرمادي ـ الأسود، أو الفخار الأسود، والذي لم يكن يوجد من قبل فيهما. ومع ذلك فإنه كان قد ظهر بالفعل في الألف الثالث قبل الميلاد

في حسار، حيث تمكنت الجماعات التي ترتبط به من تكوين نفسها تدريجياً، ثم تمكنت بعد مدة من نبذ الفخار الملون، وانتشرت في شمال إيران. ووصلت هذه الحضارة واستعملت في سيالك وكان الفخار الأسود الرمادي مستخدماً في الجبانة. وبالنسبة إلى جيان فقد كانت متأثرة إلى حد ما بالفترة السابقة وأبقت على فخارها المميز وكذلك على شكله.

وتعد النظرية التي قدمت بشأن القبائل التي جاءت مطرودة من الشمال والشمال الشرقي نتيجة ضغط داخلي عليها من أفضل النظريات التي فسرت تدمير حسار، ولقد كون «الجبل الهلالي» من قبل ستاراً حامياً بين سكان الهضبة، وبين العالم الواقع إلى شمالها وشمالها الشرقي. ولكن بدأ الضغط من هذه المنطقة. وبالفعل فإنه يعد ذلك بفترة قصيرة ظهر فخار جديد محل الفخار الأسود الرمادي. ويميز هذا الطراز الجديد بالجبانة «ب» في سيالك، وهي تشبه مقابر «لورستان» في جيان ووجدت الرابطة بين هاتين الحضارتين في قرية خورفين (Khurvin) التي تقع إلى الغرب من طهران بحوالي خمسون ميلاً، على سفوح التلال الجنوبية لسلسلة البرز. وعثر على عناصر مميزة لكل من الجبانتين أ، ب في سيالك في هذه القرية ولكن الأواني الفخارية تكاد تقتصر على الفخار الأسود الرمادي (وذلك فيما عد بعض الأواني المصنوعة من الفخار الخشن الشائع الاستعمال). واستخدم الحديد بشكل أكبر من استخدامه في الجبانة، وعثر كذلك على العديد من الأواني ذات القاعدة الطويلة، ويحتمل أنها أواني جنزية.

الفصل السادس

إيران منذ بداية الألف الأول ق.م
وحتى مجيء الإسكندر الأكبر

١ - هجرة الميديين والفرس

في بداية الألف الأول قبل الميلاد تأثرت منطقة غرب آسيا بحادثين بالغي الأهمية تركا تأثيراً كبيراً وفعالاً في تاريخ شعوب هذه المنطقة. ويتمثل الحدث الأول في الغزو الهند أوروبي، أما الحدث الثاني فكان زيادة استخدام الحديد. ومع ذلك، فإنه بالرغم من هذه الموافقة فإنه لا يوجد أي سبب يجعلنا نفترض بأن هؤلاء القادمين الجدد قد أدخلوا استخدام هذا المعدن.

ويبدو أن هذا الغزو الهندو أوروبي - يشبه في طبيعته بشكل كبير هجماتهم المبكرة كما يحتمل كذلك أنهم قد جاؤا من نفس المناطق وتحركو في نفس الطرق فأخذوا طريقهم عبر البلقان والبسفور. فمنذ حوالي عام ١٢٠٠ ق. م. دفع «الألليريون» القبائل «التراقية الفريجية» إلى آسيا الصغرى وتوجه البلقانيون والفرجيون والأرمن والتراقيون والميسينيون إلى الأمبراطورية الحيثية التي قاموا بتدميرها، وألحقوا الدمار بالموالى والأعداء على حد سواء. وضمت هذه الموجة الفلسطينيين الذين استقروا في فلسطين فحملت الأرض التي استقروا بها منذ هذه المرحلة اسمهم. وقد حلت هذه الجموع التي عرفناها باسم «شعوب البحر» تصحبها العربات والفرسان وتسندها قوة بحرية من الشواطىء على شواطىء سورية وفلسطين ووصلت حتى حدود مصر، حيث تمكن الفرعون رعمسيس الثالث من إنقاذ مصر من عدوانهم المدمر. فعادت أدراجها إلى سوريا وآسيا الصغرى، حيث أنشأت «الدويلات الحيثية الجديدة» في حلب وحماه وقرقميش وملاطية. وضمت

ملاطية مملكتين الفريجيين في الغرب ومملكة الموشكى في الشرق.

وكان دخـول الإيرانيين لإيران في بداية الألف الأول قبـل الميلاد يخالف الشكل الذي عهدناه قبل الألـف عـام. فقد دخل الغزاة بالقوة وفي موجات متتابعة. ويبدو أنهم قد اتخذوا نفس الطريقين اللذين اتخذوهما في المرة الأولى، وهما طريق القوقاز وطريق «ترانسوكسيانا» Transoxiana ومع ذلك فإنهم في هذه الموجة لم يندمجوا بالسكان الأسيائيين، كما حدث بالنسبة للحوريين، والميتانيين والكاشيين. فبعد دخولهم البطيء استمروا عدة قرون، حتى تمكنوا من جعل أنفسهم سادة للبلاد، ثم بدأوا منها غزو العالم المحيط بهم.

ولم تتمكن الشعبة الشرقية من هؤلاء الإيرانيين القادميين عن طريق «ترانسوكسيانا» أن تتوغل إلى الجنوب من هند وكوش، لأن ما وراء هذه البقعة من البنجاب كانت تحت أيدي شعبة أخرى من الآريين الذين أصبحوا الهنود فيما بعد، وقد استقرت هذه الشعبة في هذه المنطقة منذ الغزو الهندو أوروبي الأول. وعلى ذلك فقد اضطر القادمون الجدد إلى أن يتجهوا ناحية الغرب إلى الهضبة عبر الطريق الطبيعي الذي يؤدي من «بكتريا» إلى قلب إيران(١).

وارتبطت هذه الهجرة الكبرى الهندو وأوروبية في آسيا مع العناصر التراقية الفريجية في آسيا الصغرى، والإيرانيين في الهضبة الإيرانية بشكل ما مع التحركات الواسعة جداً التي غزت وسط غرب أوروبا والتي حدثت في نفس الوقت تقريباً. ويتشابه النوماديون الذين غزوا أوروبا مع الإيرانيين في كونهما يحيون حياة البداوة معتمدين على قطعانهم ولم يكونوا من الشعوب الزراعية. وفوق كل ذلك فقد كانوا يحسنون تربية الجياد ويجيدون ركوبها واستخدامها في الحروب. وكانت مقابرهم، مثل مقابر الإيرانيين القدامى

---

(١) Ghirshman, R., op. cit., pp. 73 - 74.

ذات سقف مدبب على شكل جملون مثل سقوف منازل الشعوب الشمالية.

وكانوا يضعون إلى جوار الميت أسلحته وحليه وملابسه وكثيراً من الأواني وغير ذلك من الأشياء الخاصة. وقد عثر جيرشمان على آلاف من تلك الأشياء من الحراب والسيوف والخناجر وأنواع الأسلحة المختلفة. ومنها أطقم الخيل. كما وجد أيضاً كثيراً من الحلى مثل الأساور والعقود والأقراط والخلاخيل، وبعض ما كان يتحلى به النساء والرجال من أحذية وصديريات وما كان النساء يضعنه في شعورهن من دبابيس معدنية طويلة لها رؤوس حيوانات. أما المعادن التي صنعت منها تلك الأسلحة والحلى والأواني فإنها كانت في الغالب من النحاس والبرونز. ولكن أكثر أسلحة الزعماء كانت من الحديد أما الحلى فكان بعضها من النحاس والبعض من الفضة والحديد أو الذهب.

ولقد شكلت سلاسل جبال زاجروس عقبة أمام تقدم الإيرانيين. وكان يوجد وراءها شعوب لها ماضي عريق وحضارة متطورة عبر مئات بل آلاف السنين. فقد كانت هناك عيلام وبلاد ما بين النهرين. ثم كان هناك إلى الشمال والشمال الشرقي حول بحيرة فإن مملكة «اورارتو» التي أصبحت أرمينيا بعد أربعة قرون.

وعلى ذلك فلم يتمكن الإيرانيون في ذلك الوقت من اقتحام هذه التخوم. وقنعوا بالاستقرار في وديان زاجروس. وعملوا طوال أربعة قرون تالية على امتصاص السكان الأصليين. وقد تخلى الإيرانيون الغزاة عن الكثير من مظاهرهم السياسية والثقافية بل وبعض عقائدهم الدينية، وبدأوا يتخذون حضارة القوم الذين نزلوا بينهم.

ويعتبر النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد نقطة تحول كبيرة في تاريخ الإنسانية فقد انتقل مركز «السياسة الدولية» من الأودية التي ظهرت فيها أقدم الحضارات مثل وادي النيل، أو بلاد ما بين النهرين، وانتقل شمالاً إلى مناطق ذات مظاهر طبيعية قاسية، حيث تركز الصراع على القوة الدولية.

ووجدت ثلاث قوى رئيسية: الأشوريون الساميون بامبراطوريتهم الواسعة. ومملكة أورارتو المملكة الناشئة القوية ذات الأصل الآسيوي، والتي كانت خصماً وعدواً لدوداً للأشوريين، وأخيراً الآريون، الإيرانيون الذين تمكنوا بعد كفاح طويل وشاق من الانتصار على كلا القوتين السابقتين واستطاعوا بما غنموا من أسلاب أن يقيموا على أنقاضهما إمبراطورية ضخمة.

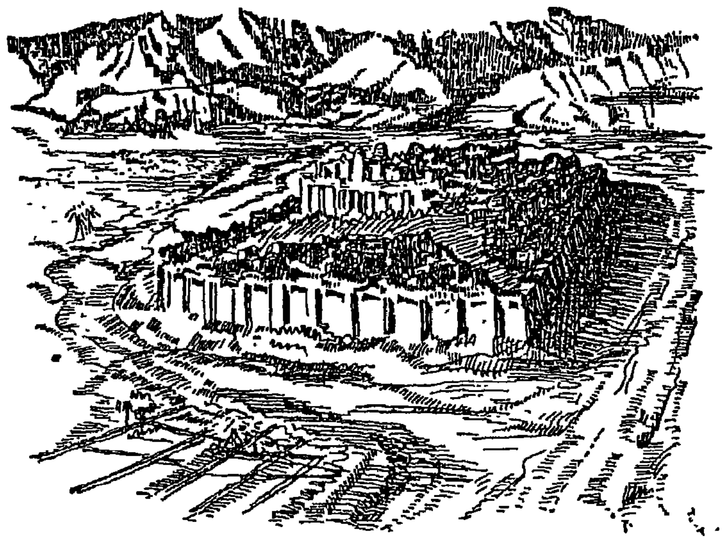
وجاء الفرسان الإيرانيون ومعهم نساؤهم وأطفالهم وقطعان ماشيتهم وكان لانقسام الهضبة إلى ولايات متعددة صغيرة فرصة كبيرة لهم فقد دخلت معظم هذه الولايات في خدمة الأمراء المحليين وتمكن رجال الحرب الذين يتعيشون من ورائها وكذلك الجنود المرتزقة من إزاحة الأمراء الذين كانوا يخدمونهم وحلوا في الرئاسة مكانهم. وبهذه الطريقة انتقلت هذه الولايات الصغيرة التي لم تكن أكثر من مدن يحيط بها الحدائق والحقول إلى أيدي القادمين الجديد. وتمت عملية إحلال بطيء بمرور القرون، أثرت على مختلف مناطقة الهضبة بصورة غير متكافئة. وأرغم السكان المحليين تدريجياً على تسليم ممتلكاتهم إلى الجيش الغازي.

ومن الصعب كتابة تاريخ هذه التطورات وذلك نظراً لقلة المعلومات المتاحة لنا والناجمة عن ندوة المصادر إلى حد بعيد. وتعتبر الحوليات الملكية الأشورية هي السجلات الوحيدة المتاحة لنا. وتعتبر عملية توحيد ومطابقة أسماء الأمراء والمدن والبلاد التي ذكرت فيها غير مؤكدة حتى الآن.

وفيما يتصل بحضارة هؤلاء المحاربين وبصفة خاصة تلك القبائل التي تمكنت من السيطرة على سهول كاشان. فتجدر الإشارة إلى أنه قد شيد أحد هؤلاء الأمراء في سيالك مقراً ضخماً له على قمة تل صناعي وبنى مدينة شيدت منازلها على سفح هذا التل، وأحاط بها سور ضخم تطوقه أبراج. (شكل ١١٤)[١].

---

(١) Ibid, Fig. 28, P. 77.



(شكل ١١٤) رسم تخطيطي للمدينة التي شيدت في سيالك

ووجد تغير هام في طريقه الدفن، ويعتبر هذا التغير علامة لتغيير جوهري لعادة قديمة بواسطة شعب جديد. فلم تعد المقابر تبنى تحت أرضية المنازل، ولكن شيدت جبانة تبعد عن المدينة بعدة مئات من الأمتار وأطلق عليها «مدينة الموتى» ووضع الميت على أرضية المقبرة، ووضع بجواره الكثير من الأدوات والمصنوعات. فقد عثر في إحدى المقابر على عدة مئات من الأشياء. ووضع على رؤوس الموتى خوذات من الجلد، وقد اختفت هذه الخوذات الآن، ولكنها نقشت على اللوحات الفضية الصغيرة كزينة وعثر على العديد من أدوات الحلي وبصفة خاصة الفضة وكذلك البرونز، ومن بين هذه الحلي دبابيس لها رؤوس الحيوانات، والأساور والحلقان وزينات الشعر، والخواتم وكان الرجال والنساء يستخدمون هذه الزينة وصنعت الخلاخيل عادة من البرونز، ولكنها صنعت أحياناً من الحديد كذلك. وصنعت معدات القتال من السيوف والخناجر والدروع ورؤوس السهام من البرونز والحديد. واحتوت مقابر المحاربين عدة الحرب المصنوعة من البرونز أو الحديد، واحتوت كذلك على ألجمة خيول محطمة، وعناصر متعددة لتزيين رأس وصدر الحصان.

ومع ذلك، فإن الفخار يعتبر من أكثر الأدوات شيوعاً في هذه المقابر، وكان هذا الفخار أما ملوناً، أو ذا لون واحد، وكان هذا اللون أما رمادي مسود أو أحمر أو ذات لون عسلي، وكانت هذه الأواني أما ذات غرض جنازي أو استخدام شخصي، ويستدل منها على التقدم الذي حدث في صناعة الفخار.

ومن أكثر أشكال الأواني جذباً للانتباه تلك التي تتميز بصنابير مستطيلة وكانت هشة بشكل كبير وسهلة الكسر مما يوحي بعدم استخدامها في الحياة العادية، وإن الغرض من صناعتها هو أن توضع مع الميت ووجد طراز هذا الفخار في جميع أنحاء إيران فقد عثر عليه في سيالك وجيان ولورستان وغرب طهران، وبالقرب من كاراج وجنوب بحيرة أورميا وكذلك في سولدوز.

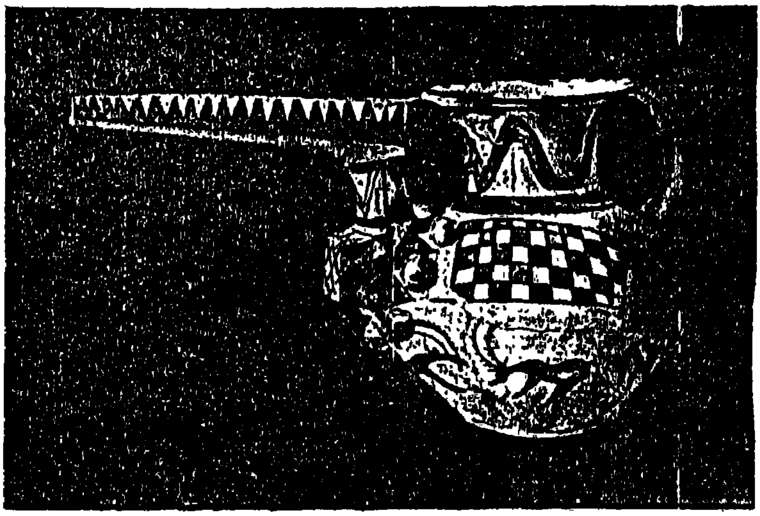
ويتميز الفخار الذي عثر عليه في سيالك بكونه مزيناً برسوم قيمة ومثيرة للانتباه ومن المؤكد أن أصول تلك الزينة ترجع إلى فن رسوم الأواني على الهضبة، والذي لم يتوقف إنتاجه، ولكن يلاحظ أن الأواني التي عثر عليها في سيالك تعكس هذا الاتجاه الجديد. وبالإضافة إلى الأشكال الهندسية فقد احتل قرص الشمس مكاناً بارزاً في هذه الزينة وكذلك الوعل الجبلي (شكل ١١٤)[١] الذي سرعان ما حل مكانه الحصان (شكل ١١٥)[٢]. وارتبط رمزي الشمس والحصان بصفة خاصة بكل الشعوب الهندو أوروبية وأصبحا بالتدريج موجودين بكثرة في الفن. فقد عثر في سيالك على أواني رسم عليها حصان بجناحين (شكل ١١٦)[٣] وكذلك على بعض المصنوعات البرونزية.

ولقد جاء أول ذكر للإيرانيين في حوليات الملك شلمنصر الثالث، إذ كانت توجد مواقع إقامتهم في طريق الجيش الأشوري أثناء قيامه بغزو زاجروس. ففي حوليات عام ٨٤٤ ق. م جاء ذكر إسم الفرس (بارسوا). وفي عام ٨٣٦ ق. م جاء ذكر الميديين (ماداي). ولكن لا يوجد لدينا أية أدلة

(١) Ghirshman, R., Perse, Proto - Iraniens, Medes, Achemenides, 1963, P. 291, Fig. 349.

(٢) Ibid., p. 15, Fig. 13.

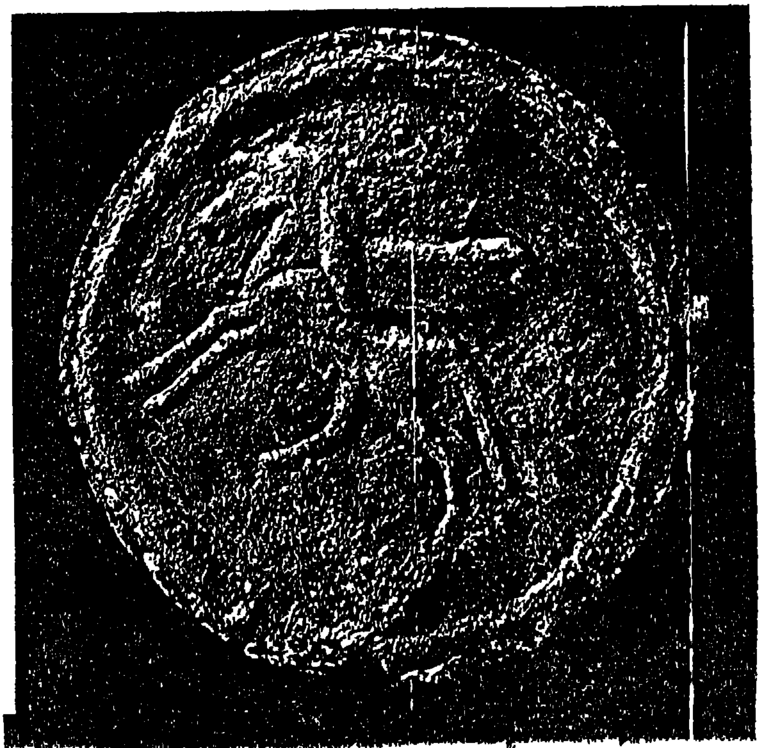
(٣) Ibid., P. 291, Fig 350



(شكل ١١٥) نموذج لزينة الأوانى التى صور عليها الوعل الجبلى



(شكل ١١٦) نموذج لزينة الأوانى التى صور عليها الحصان



(شكل ١١٧) نموذج لزينة الأواني التي صور عليها حصان بجناحين

تجعلنا نعتقد أن الفرس وصلوا إلى هذه المناطق قبل الميديين.

وإذا وافقنا على ما ذكره الكتاب الأشوريين، فإن الفرس في هذا العصر كانوا يستقرون في المنطقة الواقعة إلى غرب وجنوب غرب بحيرة أورمية. أما الميديون فكانوا يستقرون في الجنوب الشرقي في مجاورات همذان. ومع ذلك، فإنه لا يمكن الاعتقاد بأن هذه الأسماء (الفرس والميديون) تشير إلى أصول جنسية. وإن يرجح أنها تشير إلى المناطق التي استقروا فيها منذ منتصف القرن التاسع قبل الميلاد.

ومن أضخم وأهم القبائل الإيرانية قبيلة «زيكيرتو» Zikirtu التي سماها اليونان «ساجارتيون» Sagartians وقد استقرت بعيداً في الشرق، ووصلوا حتى تبريز وحدود مملكة أورارتو وانتشرت شعبة من الميدين حتى أصفهان حيث صدهم العيلاميون. وقد استقر الـ «بارثانا» وهم البارثيون فيما بعد

حول بوابات بحر قزوين، بينما شغلت قبيلة «هارليفا» الواحات الواقعة في المقاطعة الجنوبية لخراسان(١).

وتشير حوليات الملك الأشوري «شمس أداد الخامس» إلى هزيمته لأحد القواد الإيرانيين من إقليم شمال بحيرة أورمية واستيلائه على ١٢٠٠ مدينة من مدنه. وهذه الإشارة لها مغزاها العميق، فقد انتشرت المدن المحصنة التي يحكمها أمراء إقطاعيون في غرب إيران، وكان يوجد بكل مدينة قوات صغيرة من الفرسان يصل عددها من ٢٠٠٠ ـ ٣٠٠٠ رجل. وكان تنافسهم وعدم وجود وحدة منهم الورقة الرابحة في يد الأشوريين الذين استولوا عليهم الواحدة بعد الأخرى.

ومن المؤكد في هذا العصر أنه قد أطلق على الإيرانيين لقب «ملوك» وذلك كما أطلق عليهم الكتاب في ذلك الوقت، حيث أنهم كانوا أقلية. ويبرهن ذلك على أن هجرتهم كانت لا تزال قائمة، أو أنهم قد استقروا بالفعل في أماكنهم، حيث تمكنوا من الإمساك بزمام السلطة تدريجياً فلم يدخل الإيرانيون غزاة بجيوش، وإنما كان يدخل الفرد منهم ـ بعد التسرب البطيء ـ في خدمة أحد الأمراء ويظهر تفوقه كفارس وجندي ثم يعمل على خلع من استخدمه ويأخذ لنفسه قصره وأملاكه وضياعه.

وظهر إسم الإيرانيين في هذا العصر كذلك في جيوش ملوك أورارتو. وكانت توجد في الداخل، جنوب بحيرة أورمية مملكة ما ناي Mannai التي شملت منطقة كبيرة من كردستان الحالية وكان سكان هذه المملكة من الأسيائيين، وكانت لديهم القوة الكافية لإيقاف توسع الميديين.

ويبدو أن الفرس لم يستقروا طويلاً في الشمال الغربي من إيران أو هم لم يستطيعوا الاستقرار في هذه المنطقة كنتيجة لضغط الأشوريين من ناحية ولمملكة أورارتو التي تقع إلى شمالهم من ناحية أخرى أو تعرضهم لضغط قبائل أخرى. وعلى ذلك فقد أخذوا خلال القرن الثامن قبل الميلاد يتحركون

---

(١) Ghushman. R., Iran. P. 90.

إلى الجنوب الشرقي على امتداد ثنيات زاجروس وفي حوالي عام ٧٠٠ ق. م. استقروا في غرب جبال بختياري إلى الشرق من مدينة شوستار الحالية وقد أطلقوا على المنطقة التي أقاموا بها «بارسواش» أو «بارسوماش» وقد ورد هذا الإسم في الحوليات الأشورية. ومثلما حدث غالباً في هذا العصر، فقد كانت القبائل تطلق اسمها على كل من المنطقة التي تقيم بها وكذلك على المدينة الرئيسية فيها.

وبحلول نهاية القرن التاسع قبل الميلاد، وفي النصف الأول من القرن الثامن قبل الميلاد، بدأت قوة الأمبراطورية الأشورية في الضعف وهو أمر استطاعت مملكة أورارتو المجاورة لها من الإفادة من آثاره، وتمتد مملكة أورارتو إلى الشرق من التقاء رافدين للفرات، بما في ذلك بحيرة فان، وتمتد حتى وادي أراكس.

واستمر الكفاح بين مملكتي أورارتو والأشوريين خلال عهد الملك الأورارتي أرجيستيس Argistis الذي كان يعاصر الملك الأشوري شلمنصر الرابع (٧٨٢ - ٧٧٢ ق. م) وتمكن الملك أرجيستيس من ضم كل المناطق الواقعة حول بحيرة أورمية، ثم اتجه غرباً وفرض سلطانه على معظم الولايات الموجودة في شرق آسيا الصغرى والتي كانت تابعة من قبل للأشوريين ويبدو أن الأشوريين ظلوا في هذا الضعف أمام مملكة أورارتو حتى تولى الملك الأشوري تجلات بلاسر الثالث عرش أشور. وحينئذ فقد تمكن من تغيير ميزان القوى بين المملكتين.

فقد تمكن تجلات بلاسر الثالث بعد عدة حملات سريعة من أن يستعيد الإقليم الواقع بين الفرات والبحر المتوسط، وأن يهزم ملك أورارتو المدعو «ساردورس الثاني» Sarduris بل أنه نقل ميدان المعركة إلى قلب دولة أورارتو وحاصر عاصمتها الواقعة على شواطىء بحيرة فان، ثم تابع حملاته في زاجروس، وانتصر هناك - كما تشير حولياته - على بعض الأمراء الإيرانيين واستطاع أن يعود بالعديد من الأسلاب والغنائم فلقد قدمت إحدى المدن

المهزومة عشرة أطنان من أحجار اللازورد. ثم تابع انتصاراته في ميديا إلى شمال غرب حمدان، وكانت «بارسوا» من بين الأقاليم التي ذكر في حولياته انتصاره عليها ودفع تجلات بلاسر الثالث بجيوشه بعيداً حتى وصلت إلى جبل يكنى أو عند حدود صحراء الملح(١).

ومن بين أسماء المدن التي ذكرت حوليات الملك الأشوري استيلاءه عليها جاء أسم شيركاري Shirkari أو شيكا (كي) Shika (Ki) التي يبدو أنها سيالك. وتتحدث الحوليات كذلك عن أرض نشاي Nishai وسهل نيسيان، Nisaeai، جنوب طريق حمدان الكبير الذي يشتهر بخيوله وهذه هي مقاطعة جيان.

وقام الملك الأشوري بتنظيم المناطق التي استولى عليها تنظيماً إدارياً، وأعاد بناء المدن التي دمرت أثناء حصارها. ويبدو أن ذلك قد تم في جيان، حيث عثر في قمة جبل فيها على بقايا قصر أشوري محصن فلقد كان تجلات بلاسر الثالث إدارياً ممتازاً مثلما كان محارباً عظيماً.

ويتميز عهد سرجون الثاني (٧٢٢ ـ ٧٠٧ ق. م) بإفراغ السامرة من اليهود وبعثرتهم في أنحاء دولته، وبلغ عدد اليهود ما يقرب من ٣٠,٠٠٠ كان نصيب الميدين منهم أعداداً كبيرة، أحلهم سرجون في المدن الميدية. وهكذا نجد جنساً جديداً في نهاية القرن الثامن قبل الميلاد يمتزج بأهل زاجروس. ونتيجة لضم بابل إلى الأمبراطورية الأشورية، فقد أصبحت عيلام تقع على حدودهم، وسرعان ما دخل سرجون في حرب مع عيلام ولكنه لم يحقق أي نجاح في هذه الحروب وربما كان هذا من الأسباب التي دفعت إلى اشتعال نيران الثورة ضده في الأقاليم الواقعة بين عيلام وآسيا الصغرى، ورغم أنه حارب في أكثر من جبهة فقد ظلت ميديا الشوكة التي تؤلمه، وقد ثارت «مناي» تحت إمرة حاكمها الإيراني بايعاز من «روساس» ولكنها لم تكن ثورة ناجحة، وقد تعرضت «براسوا» عقب ذلك لحملة أشورية جديدة كان من

(١) Ibid., pp. 93-94.

أثرها أن اعترف ثمانية وعشرون من أمراء الميديين بسلطان أشور.

وفي عام ٧١٥ ق. م تحرك ملك أورارتو لدخول «مناي» وهو مطمئن إلى استجابتها له وقد دعم ذلك «دايوكا» حليف وارتو الذي أرسل ابنه رهينة إلى عاصمته «روساس» ـ ليؤكد ولاءه وليطمئنه على أنه يعمل في صفه. ولكن سرجون استطاع أن يتدخل في الوقت المناسب وأن يقضي على هذه المؤامرة وأن يحمل «دايوكا» أسيراً وقام بنفيه هو وأسرته إلى حماة في سورية. ومهما كان الأمر فإن سياسة روساس التي كانت تهدف بالتأكيد إلى خلق دولة حاجزة مع العناصر الإيرانية قد فشلت.

واضطر سرجون في العامين التاليين أن يشغل بأمر الميديين ليحطم امراءهم ويقضي على قواتهم فقام بحملة عليهم عام ٧١٣ ق. م. أخضع فيها ١٤٢ أميرا ميديا، كان بعضهم يعيش فيما وراء مقاطعة همدان. ولقد تباهى الملك الأشوري في حولياته بانتصاراته على قوة الملوك الميديين ولكن في الواقع لم يكن هؤلاء أكثر من رؤساء قبائل أحاط بهم تابعين حكموا مدن ميديا المتعددة. وكان أحد هؤلاء الحكام «دايوكا» الذي نفاه سرجون الثاني، الذي كانت قبيلته بيت دايوكا تأخذ بزمام الزعامة بين القبائل الأخرى وفي عهد ابنه «حشاثريتا» تحقق أخيراً الأمل الذي يبدو أن «ديوسيس» قد حارب من أجله وهو تحقيق وحده الميديين.

ويبدو أن السياسة الصارمة التي اتبعتها أشور ضد الميدين في عهد سرجون الثاني قد تراخت في عهد خليفته سنحريب (٧٠٥ ـ ٦٨١ ق. م) الذي انشغل بحروبه في عيلام ومصر ويهودا. وكان هذا من الأسباب التي دفعت القوى الإيرانية إلى الالتفاف حول أسرة «دايوكا» بزعامة ابنه «حشاثريتا» الذي كان له مركزه المرموق حتى نرى «أسرحدون» يعني فيما بعد بإرسال سفارة له. ولقد تمكن بالفعل من أن يضم الميديين ويجمع شملهم، كما استطاع كذلك أن يضم إليه إقليم «مفاي» والـ «كيمريين» وكان الكمريون من أصل إيراني وقد استطاعوا مع الاسكيذيون أن يعبروا القوقاز في موجة

جيدة وأن يظهروا في أفق النزاع بين أورارتو وأشور[1] .

٢ ـ الكيمريون والاسكيذيون Cimmerians and Scythians :

ظلت القبائل الإيرانية تثير الاضطرابات في شمال غرب إيران منذ نهاية القرن الثامن قبل الميلاد وهي المنطقة التي تعرضت من قبل لحروب الأشوريين والأورارتيين والميديين وقد برز في الأفق عنصران جديدان هما «الكيمريون» و «الاسكيذيون» .

وقد أثار هذين العنصرين القلاقل والاضطرابات في آسيا الصغرى وفلسطين وكان غزوهم يخالف كثيراً ما عرفناه من تسرب بطيء مارسه من قبلهم الفرس والميديين منذ ثلاثة أو أربعة قرون . فقد كانوا من العشائر الحربية التي تتألف من المغول والهنود وآريين ، وكانوا جبابرة متوحشين ، يقيمون في عربات ، ويركبون الخيل البرية بدون سرج وكانت الحرب تجرى في دمائهم ، فكأنهم خلقوا لها من أجلها . وقد نزلوا في موجات كالسيل على المنحدرات الجنوبية للقوقاز يجتاحون ما يلقون في ليديا فهزموها وساروا بعد ذلك إلى كيليكيا ، ولكن آشور بانيبال استطاع أن يطفىء تلك النار المستعمرة وينقذ آسيا الصغرى وسوريا منهم فهزمهم واضطرهم إلى الرجوع إلى الهضبة ليعيشوا مع أقربائهم الاسكنيذيين .

أما الأسكيذيون أنفسهم فلهم أيضاً تاريخ آخر . فقد كانوا فرعاً من عائلة كبيرة عثر على كثير من مقابر ملوكهم في جنوبي الاتحاد السوفيتي . ويظهر أن ملوك هؤلاء القوم كانوا يدفنون في مقابرهم التي احتوت على كنوز من الحلى الذهبية والأواني وغيرها التي كانت توضع معهم .

وفي الوقت الذي نحن بصدده ، امتد نفوذ تلك القبيلة المهاجرة إلى إقليم اذربيجان الفارسي وعلى منطقة واسعو حوله . وقد عثر الحفارون منذ سنوات قليلة على أثر لأحد الملوك الاسكيذيين على مقربة من مدينة «ساكيز»

---

(١) Ibid., P. 96.

وقد استطاعت مملكة الاسكيذيين أن تضم إقليم أذربيجان . وقد اعترف ملك «مناي» بسيادتهم . أما علاقاتهم مع الميديين فكانت طيبة . ولما كانت أشور تعد أورارتو مصدر خطر بالنسبة لها فيبدو أنها سعت لكسب ود الاسكيذيين حتى ليزعم البعض أن ملك الاسكيذيين خطب لنفسه أميرة أشورية .

٣ ـ الميديون Medians :

في الوقت الذي كانت فيه دولة الاسكيذيين في عنفوانها في إيران ، أخذ الميديون يوحدون بين قبائلهم التي كانت منتشرة في منطقة تمتد من جبال ديمافند حتى مدينة همذان . فلم يكن استقرار الاسكيذيين حول بحيرة أورمية حائلاً دون تطور قوة ميديا ، فلقد نجح ملك ميديا «خشاثريتا ـ فراؤرتس» Khshathrita - Phraortes في توحيد بلاده التي كانت تشغل رقعة تمتد من همذان إلى شرق «ديمافند» وتمتد جهة الجنوب حتى حدود صحراء إيران الوسطى .

وقد تمكن ملك ميديا من التحالف مع الكيمريين والمناي ، واطمأن إلى ارتباطه برباط الصداقة مع الاسكيذيين ، ثم استطاع أن يخضع الفرس الذين استقروا منذ نهاية القرن الثامن إلى الجنوب الشرقي حول بارسوماش ، وقبلوا دفع الجزية له .

وبعد ذلك طمع الميديون فيما هو أكثر من ذلك ، فقرر ملكهم غزو نينوى ومهاجمتها وكانت هذه مخاطرة أودت بأحلامه جميعاً وأدت إلى مقتله . إذ انتهزت الأسكيذيون ـ حلفاء الأشوريين ـ الفرصة لغزو ميديا ، فهاجموا الميديين في عقر دارهم وأخضعوهم لنفوذهم ويشير هيردوت إلى أن احتلالهم لها ظل قائماً على مدى ثمانية وعشرين عاماً من ٦٥٣ ـ ٦٢٥ ق . م .

وخلف «حشاثريتا» على عرش ميديا ابنه «سياكسارس» Cyaxares . ويذكر هيرودوت إلى أن السنوات التي اعترف خلالها «سياكسارس» بسيادة الاسكيذيين كانت ذات أثر بالغ في تدعيم قوته ، إذ دأب إعادة تنظيم الجيش وأنشأ تشكيلات جديدة من المشاة وحملة السهام ، كما نقل عن الأسكيذيين كثيراً من خططهم ومهارتهم في حروب الفرسان . وقد استطاع أن يدعم مركزه

السياسي بضم بعض الأقاليم الواقعة حول بحيرة أورمية إليه ثم انتصر على الاسكيذيين انتصاراً حاسماً دفعهم إلى الهجرة إلى إقليم «مناي».

وكان لهذا الانتصار الذى تمكن «سياكسارس» من تحقيقه على الاسكيذيين الأثر الكبير على الميديين. فتمكن «سياكسارس» من توطيد نفوذه، وعادت لبلاده قوتها واسترجعت سيطرتها على الفارسيين وعلى المنايين (سكان جبال الكردستان) ثم جعل أكباتانا ومكانها الأن همدان عاصمة للمملكته.

ولم يكتف «سياكسارس» بذلك، بل أراد مهاجمة بلاد الرافدين ونفذ ذلك فعلاً وتم له الاستيلاء على أشور بعد تحالفه مع ملك بابل. إذا كان حاكم بابل ويدعى «نبوبولاسر» قد شق عصا الطاعة على مولاه الأشوري. وفي عام ٦١٥ ق. م تحرك سياكسارس نحو نينوى التي قاومت الهجوم فاتجه إلى أشور في الشمال واستولى عليها، وأسرع نبوبولاسر لمقابلته وتحالفا معاً ودعما الحلف بتزويج ولي العهد البابلي نبوخذ نصر من حفيدة سياكسارس. وتفسر بعض الوثائق فشل سياكسارس في الاستيلاء على بينوى لمساعدة الاسكيذيين للأشوريين.

إلا أن سياكسارس كرر محاولته مرة ثانية وتمكن من الاستيلاء على نينوى بمساعدة حليفه البابلي عام ٦١٢ ق. م. وذهب آخرملوك أشور إلى حران إلا أنه بعد ذلك بعامين وجهت له ضربة قاسمة أطاحت بسلطان أشور إلى الأبد حيث اختفت كقوة كبرى في العالم.

وفى نفس الوقت تقريباً سقطت أورارتو تحت سيطرة الميديين، وبعد ذلك اندفع «سياكسارس» غرباً نحو ليديا، حيث استمرت الحروب بينهما مدة خمس سنوات متتالية إلى أن حدث كسوف للشمس ـ حسب رواية هيرودوت ـ ففزع القائدين المتحاربين، واعتقدا أنه نذير من السماء لهما، فوقعا معاهدة للصلح أبرماها بأن شرب كل منهما جرعة من دماء الآخر ودعماها بأن تزوج ابن

سيا كسارس ابنة الملك الليدي . وتمكن هذا الابن بعد اعتلائه العرش خلفاً لوالده من تثبيت الحدود بين الدولتين.

لقد كانت قوة ميديا في هذه المرحلة حقيقة واقعة، فنرى بابل تقيم التحصينات على حدودها الشمالية لرد خطرهم. إلا أن عمر دولة الميديين كان قصيراً فلم تستطع أن تسهم بقسط كبير في الحضارة الإنسانية. وانتهت المملكة الميدية على يد كوروش الفارسي الذي تمكن من الانتصار على الملك الميدي (استياجس) الذي اشتهر بانغماسه في الترف والملذات واتباع الشهوات وجنون الحكم، وهو الأمر الذي كان له الأثر الكبير في ابتهاج الميدين أنفسهم بانتصار كوروش على هذا الطاغية وارتضوه ملكاً عليهم. ولم يكد يرتفع صوت من بينهم محتجاً. وبعد موقعة واحدة أصبحت فارس سيدة ميديا وأخذت تعد للسيادة العالمية[1].

٤ ـ الأمبراطورية الأخمينية :

جاءت أول إشارة إلى بلاد فارس Parsua التي تقع إلى الجنوب والجنوب الغربي من بحيرة أورمية في حوليات الأشوريين من أيام شلمنصر الثالث عام ٨٣٤ ق. م. وقد استقروا في القرن السابع قبل الميلاد في بارسوماش عند سفوح جبال بختياري على نهر كارون، وهي تقع إلى الجنوب الشرقي من سوسة، في منطقة عيلامية. ولم تكن عيلام في هذه المرحلة من القوة بحيث تقف في وجه الاحتلال الجديد لأرض كانت جزءاً من كيانها الفعلي، وكان هؤلاء الفرس تحت قيادة زعيم لهم يدعى «اخمينس» Achemenes الذي يبدو أنه سلم بسيادة عيلام في أول الأمر وأسس مملكته بارسوماش الصغيرة التي دانت بالولاء لعيلام وقامت ملكة فارس في الفترة التي شب فيها النزاع بين العيلاميين والأشوريين.

وجاء بعد أخمينس ابنه تياسبس (٦٧٥ ـ ٦٤٠ ق. م)[2] الذي حمل لقب

---

(١) عبد الحميد زايد: المرجع السابق، ص ٥٨٤ ـ ٥٨٩.

(٢) Chirshman, R., op. cit., p. 119.

«ملك مدينة إنشان» والتي يرجح أنها مدينة داسجيدي سليمان Dasjidi - i Soluiman الحالية. ولقد تمكن تياسبس من الخروج على سلطان الميديين وذلك بعد خضوعهم للإسكيذيين واستغل انهيار نفوذ عيلام في توطيد أقدامه والعمل على توسيع رقعة مملكته، فقام بضم إقليم «بارسا» وعند موته كانت الدولة التي خلفها تضم: بارسوماش، وانشان، وبارسا.

وعند وفاته قسمت مملكته بين ولديه «اريارامن Ariaramne الذى حمل لقب «الملك العظيم وملك الملوك، ملك أرض بارسا» و «كوروش الأول» الذي حمل لقب «الملك العظيم لبارسوماش».

وحين ازداد سلطان ميديا فى عهد ملكها (سياكسار س) لم تسطع المملكتان الصغيرتان أن تفلتا من سيادته. وكان من نتائج المعاهدة التى أقيمت بين ميديا وبابل أن وقعت سوسة وسوسيانا ضمن أملاك بابل.

وقد تزوج قمبيز الأول ملك بارسوماش وانشان وربما بارسا، من «مدانة» ابنة استياجس مولاه ملك ميديا، وقد رفع هذا الزواج من قيمة هذا الفرع من الأسرة حتى ضم الفرعان تحت تاج واحد، وكان ثمرة هذا الزواج كوروش الأكبر - الذي جُعل من «باسار جادا» عاصمة له أقام فيها القصور والمعابد التي نقشت على بعض أعمدتها ألقابه «الملك العظيم الأخمينى».

كوروش الأكبر Cyrus (٥٥٩ - ٥٣٠ ق. م):

وعندما تولى كوروش أمر الفرس حوالى عام ٥٥٩ ق. م. كان الفرس خاضعيين للميديين إلا أن سير الأمور في هضبة إيران أخذ طريقا اخر بتولى كوروش العرش فقد كان ملكاً على قومه فى مملكة صغيرة تسمى انشان، وكان كوروش طموحاً جريئاً ذكياً جمع شمل القبائل الفارسية أولاً ثم جند أيضاً رجالاً من الفلاحين ولم يقتصر على طبقة الفرسان، وتميز ذلك الفاتح الجديد بحيوية متدفقة، فسرعان ما أحسن تنظيم وتدريب جنوده، وبخاصة المشاة الرماة الذين كانوا يبدأون المعارك فيصيبون بسهامهم من أعدائهم المقاتل، فإذا ما بدأت صفوف العدو تتخاذل أو يدب فيها الارتباك هجم الفرسان من

الجناحين فيجهزون على عدوهم . ولا شك أن الفرس تعلموا تلك الطرق من الأشوريين الذين كانوا من أعظم الجنود المحاربين فى تلك المنطقة .

وجاهد كوروش في إخضاع القبائل ذات الأصل الإيراني أو الآسيائـي التي تعيش فى شرق وجنوب شرق وشمال شرق مملكته . وأدرك نبونيد الذي تولى عرش بابل عام ٥٥٥ ق . م مدى مطامع كوروش ، فتحالف معه لاستعادة حران من الميديين الذين كانوا قد استولوا عليها وقطعوا الطريق عليه إلى سورية ، ويبدو أن استياجس ملك ميديا علم بما جرى فاستدعى كوروش إلى اكبتانا ليقدم تفسيراً عن تصرفاته ، وأبى كوروش الانصياع لرغبة جده استياجس ، ولم يسع الملك الميدي إلا إخضاع الثورة بالقوة . ودارت معركتين عنيفتين لهذا الغرض قاد الثانية منها استياجس . إلا أن الفشل حالفه فسقط في يد كوروش الذي عامله بالكثير من العطف والمجاملة واختار كوروش اكبتانا لتصبح عاصمة لدولته الموحدة بعد نصره على الميديين .

ولم يتجه كوروش حين أدرك ضرورة الدخول في معركة ضد الميديين إلى طلب المعونة من حلفائه البابليين . بل اعتمد على قواته وحدها ، تلك القوات التي ذكرنا آنفاً كيفية تكوينها وتدريبها ، واشتملت تلك القوات قبائل من أصول إيرانية وأصول غير آرية من الركن الجنوبي الشرقي لبحر قزوين حتى المحيط الهندي . ويبدو أن جمع هذه القبائل وتوحيدها تم بطريق سلمي .

ويلاحظ أن انتصار الفرس على الميديين لم يكن انتصاراً دامياً من النوع الذي كان يمارسه الأشوريون أو البابليون أو العيلاميون ضد الشعوب المغلوبة ، حتى أننا لا نشهد تخريباً حدث في ميديا . ومن ثم فإن كوروش قد اختار العاصمة الميدية اكبتانا لتكون عاصمة لدولته . وفى ظل هذه السيادة الجديدة ظل المواطنون الميديون يباشرون أعمالهم ويقومون بأعباء وظائفهم مع عدد من الفرس ولم يتغير شيء من مظاهر الحكم حتى بدا الفرس ، وكأنما يتبعون السلطان الميدى في كافة مظاهره . ومع ذلك فإن

الدولة الجديدة التي احتوت إيران وميديا كان لها من الموارد الطبيعية والموقع الجغرافي ما يكفل لها أن تصل إلى ما لم تحققه غيرها[1].

وبعد أن تحقق لكوروش النصر على الميديين عمل على أن يصل إلى ساحل البحر المتوسط الشرقي وأن يسيطر على آسيا الصغرى حيث إقليم ليديا الغني وحيث القواعد البحرية اليونانية. وفي عام ٥٤٧ ق. م كان كوروش على أهبة الاستعداد لهذا العمل فعبر دجلة بالقرب من أربلا، وقاد جيشه إلى الغرب عبر الخابور مارا بشمال سورية متجهاً إلى آسيا الصغرى. وخلال مسيرته نحو آسيا الصغرى استولى في طريقه على حران المركز التجاري الهام الذي كان يحتفظ به «نبونيد» ويحرص عليه.

ووصل كوروش في خريف عام ٥٤٧ ق. م إلى نهر الهاليس حيث دار قتال مع كرويسوس ملك ليديا ولم تؤد المعركة إلى نتائج حاسمة لكلا الطرفين، وعلى ذلك فقد عاد كرويسوس إلى عاصمته في سارديس، وبدأ يلجأ إلى أعوانه ليساعدوه ومن بين هؤلاء الذين استجابوا له وعاونوه نبونيد. إلا أن كوروش تتبعه إلى عاصمته حيث اضطر الملك الليدي إلى التحصن بعاصمته التي حاصرها كوروش ثم استولى عليها.

وهكذا تحولت ليديا إلى إقليم فارسي تحت حكم وال فارسي، كما عين أحد المواطنين ليتولى الإشراف على خزائن كرويسوس[2].

وفي عام ٥٤٧ ق. م. عرض كوروش على المدن الساحلية اليونانية - التي كانت رعايا الليديين مدة طويلة - التسليم فابت فيما عدا ميلتس التى استسلمت فوراً، ومن ثم فقد عاملها كوروش كما عامل ليديا وتناولها واحدة بعد الأخرى، إما بالغزو أو بالخديعة والرشوة ثم قسم الشاطىء إلى قسمين، وعين والياً على كل قسم: أما الإفليم الأيوني فضم إلى سارديس وأما اقليم

---

(١) Gray, G. B., "The Foundation and Extension of the persian Empire", In. C. A. H., vol., IV, The Persian Empire and the West, Cambridge, 1964, pp. 7 - 8.

(٢) Ibid, pp. 9 - 10

البحر الأسود فعرف بإقليم «أولئك الذين على البحر» ولقد كان الاستيلاء على هذه المدن الساحلية أمراً بالغ الأهمية ، وكان الاحتفاظ بها شديد الخطر فهي لم تكن تعني ثراء نتيجة التجارة فحسب ، بل أنها كانت تعنى عدة من الرجال الفنيون المدربون والجند الممتازين إلى جانب ذلك ، وكانت في الوقت نفسه مستعمرات غنية ذات أثر في حياة الأمبراطورية. ولقد التقى كوروش في هذه المدن بطبقة رأت من مصلحتها أن تهادن الفرس وهي طبقة التجار الذين رأوا في الأمبراطورية سوقاً ضخمة لتوسيع تجارتهم وزيادة مواردهم[1].

وتمكن كوروش بعد هزيمته لكرويسوس ملك ليديا من مد نفوذه نحو سورية بدون تعب. ومن الغريب أن ولى العهد البابلى لم يقم بأي مجهود لحماية المنطقة الشمالية أثناء انشغال والده نبونيد فى الصحراء العربية. وتقدم كوروش نحو هذه المنطقة وهو يعلن أنه المحرر لهم من ظلم البابليين وبهذه الطريقة انسلخت سورية وفلسطين من الأمبراطورية البابلية دون أى قتال.

وفي عام ٥٤٠ ق. م. ظفر كوروش بقبائل البدو الضاربين في الصحراء حول «تما» وبذلك أصبح موقف نبونيد حرجاً ولم يجد من يؤيده. كما أصبحت خطوط اتصاله ببابل معرضة للانقطاع في أي لحظة ، وتعرضت عاصمته الجديدة إلى خطر داهم. ولم يكن أمامه شيء يفعله غير تركها والاتجاه رأساً وبسرعة إلى بابل. وعلى ذلك تقوضت الأمبراطورية الجديدة الغربية والتي كان يعقد عليها أمالاً كبيرة بدون قتال.

ولقد دخل كوروش بابل في اكتوبر عام ٥٣٩ ق. م بدون قتال وعين عليها استراباً جديداً ، وقد ارتأى أن يقدم نفسه للبابليين بوصفه واحداً منهم ، وصاحب حق شرعي في عرشهم فأعلن ما يلي: «إنني كوروش ملك العالم ، الملك العظيم ، الملك القوي ، ملك بابل ، ملك سومر وأكد. . .».

وأعاد كورش تماثيل الآلهة إلى أماكنها في دور العبادة ، كما أمر بترميم

---

(١) نجيب ميخائيل إبراهيم: المرجع السابق ، ص ٣٧٢ - ٣٧٣.

ما يحتاج الأمر إلى ترميمه من تلك الدور. كما أعاد تماثيل آلهة سوسة إلى عيلام، وآلهة أشور إلى العاصمة القديمة وكذلك بقية الآلهة الأخرى إلى دور العبادة فى مختلف المدن الواقعة بين أشور وبابل(١).

ومما هو جدير بالذكر في هذا المجال أنه حينما دخل كوروش بابل كان بها جالية يهودية هي التي أسرها نبوخذ نصر، وليس من شك في أن هؤلاء اليهود قد عاونوا الفرس على فتح بابل، ومن أجل ذلك كافأهم كوروش بإعادتهم مرة ثانية إلى فلسطين(٢) واعتبر اليهود كوروش مخلصاً لهم لينقذهم من الذل والمهانة التي كانوا فيها(٣).

وبقى كورش نفسه في مدينة بابل أثناء شتاء عام ٥٣٩ ـ ٥٤٨ ق. م ليهيمن على ولايته الجديدة. وحينما عاد إلى اكبتانا في بداية الربيع ترك على بابل ولده قمبيز ممثلاً له وأقام في مارس عام ٥٣٨ ق. م احتفالات رأس السنة الجديدة وتلقى موافقة الآلهة على انتحال ولده لقب «ملك بابل» وعاش السنوات الثماني التالية في سيبار، مركزاً جهده في الناحية الإدارية وتأدية الطقوس الدينية. بينما عين حاكماً على بابل، شملت ولايته بابل والأراضي عبر النهر، وتشمل هذه الأخيرة سورية وفينيقية وفلسطين. وكان للملك موظف يسمى «عين الملك» يقوم كل عام بزيارته وهو في الواقع مفتش ملكي كان يعمل استعلامات كاملة عن حالة كل ولاية.

وكانت الحالة هادئة أيام كوروش إلى أن اضطربت الأمور في الشرق في بداية عام ٥٣٠ ق. م، فقرر كورش القيام بحملة ضد ماساجتاي على أقصى حدوده الشرقية. وعلى حسب العرف الذي كان سائداً في فارس قام بتعيين خليفة له قبل مغادرة البلاد، فاعترف بابنه قمبيز ملكاً على بابل، ونائباً عن الملك فى الأمبراطورية، كما عهد إليه كذلك بتجهيز حملة على مصر حتى

(١) Gray, G. B., op. cit. PP. 10 - 15.

(٢) عزرا: ٦: ٣ ـ ٥.

(٣) اشعياء: ٤٤: ٢٨، ٤٥، ٤٥. ١.

يفرغ هو من شؤون الشرق، ولكن لم يقدر له النصر: بل قتل هناك بعد فترة قصيرة ونقلت جثته إلى باسارجارا.

قمبيز Cambyses (٥٣٠ - ٥٢٢ ق. م):

بعد مقتل كوروش تولى العرش ابنه قمبيز[١] على كل الأملاك الفارسية، وكان قمبيز هو أكبر أبناء كوروش من أميرة اخمينية، وكما رأينا فقد أشركه أبوه معه في الحكم إشراكاً فعلياً في السنوات الثمانية الأخيرة من الحكم. وفي الوقت نفسه عين كوروش ابنه الثاني «بردیا» لإدارة أملاكه في الشرق. وكان وجود الأخوين بهذه الصورة أحدهما يحكم الشرق والآخر يحمل لقب ملك بابل، مما دعا إلى اضطراب الأمور بمجرد وفاة كوروش، وربما أثارت الأطماع حقد «برديا» على أخيه ورغبته في استخلاص العرش لنفسه ووجد من بعض أعوانه سنداً له في ذلك، ولم يكن قمبيز من طراز أبيه فعول على أن يقضي على الفتنة في مهدها قبل أن يستفحل أمرها فأمر بذبح أخيه سراً.

وكما ذكرنا من قبل، فقد كان كوروش يعد العدة لغزو مصر قبل مقتله وكان قد جهز حملة لهذا الغرض، ومن ثم فإن قمبيز بعد أن تم له تنظيم الأمور في الداخل والقضاء على محاولة إثارة الفتنة، خرج على رأس جيشه متجهاً إلى مصر التي تمكن من دخولها[٢].

ولقد حاول قمبيز القيام بحملة ضد القرطاجيين في غرب البحر المتوسط، إلا أنه لم يتمكن من القيام بها نظراً لرفض الفينيقيين استخدام أسطولهم في هذه الحملة ضد قرطاجة، كما أنه قد أرسل حملة ضد سيوه التي تقع على مشارف الطريق إلى برقة إلا أن عاصفة رملية ابتلعت هذا الجيش الذي يقدر بحوالي ٥٠٠٠ رجل. وتشير المصادر كذلك إلى أنه قاد بنفسه حملة إلى

---

(١) يعرف اسمه في المراجع الفارسية ك «كمبوجية» انظر:
ايرانشهر، جلد أول، ص ٢٩٨.

(٢) Gray, G. B., op. cit., pp. 19 - 20.

أثيوبيا إلى أنها منيت بالفشل ولقد أسرع بالعودة إلى بلاده بعد أن وصلته الأخبار بوجود اضطرابات داخلية هناك.

وتمثلت هذه الاضطرابات في قيام «برديا Bardiya » شقيق قمبيز الذي كان قد تركه مشرفاً على ميديا وأرمينيا وكبادوشيا بإعلان نفسه ملكاً في عام ٥٢٢ ق. م، وقد تمكن من السيطرة على بابل، حيث اعترف به بعد ذلك في جميع أنحاء الأمبراطورية. وقد ذعر قمبيز من هذه الأخبار التي وصلته وهو فى طريقه إلى فارس فمات في الطريق.

وتاريخ هذه الفترة غامض ومعقد، ولكن يمكن القول بأن برديا لم يستمر على العرش طويلاً إذ سرعان ما ادعى العرش «جوماتا Gaumata » الذي لم يدم به الحال طويلاً إذ ما لبث أن اغتاله دارا واستخلص العرش لنفسه أواخر عام ٥٢٢ ق. م[١].

دارا الأول[٢] Darius (٥٢٢ - ٤٨٦ ق. م):

قضى دارا العامين الأوليان من حكمه في القضاء على الاضطرابات التي سادت الأمبراطورية عقب وفاة قمبيز. فقد استطاع القضاء على ثورة عيلام بمجرد قيامها، كما قضى على ثورة بابل وسوسيانا وقمع بنفسه الثورة التي نشبت في ميديا وأرمينيا. وجاء بنفسه إلى مصر حيث قتل الوالى الفارس وعين آخر مكانه وأدخل بعض الاصطلاحات الإدارية في مصر.

وبعد أن تمكن دارا من إخماد الثورات وأعاد الهدوء والأمن إلى أنحاء امبراطوريته وجه اهتمامه ضد الاسكيذيين في جنوب روسيا ليحرم بلاد اليونان من استخدام أخشابها في بناء أساطيلها بعد أن حرم اليونانيين من القمح بخضوع مصر وليبيا وشواطىء البحر الأسود له. وكان استيلاؤه على المضايق يؤدي إلى منع القوافل من نقل القمح إلى بلاد اليونان من الشرق

(١) عبد الحميد زايد: المرجع السابق، ص ٦١٣.
(٢) يعرف اسمه فى الكتب الفارسية ك «داريوش». انظر. «ايرانشهر، ص ٣٠٧.

وبذلك يقضي عليها جوعاً، وربما كان يرمي إلى هدف آخر هو القضاء على فلول الرحل الذين يهددون امبراطوريته من ناحية الشرق وأن يضع يده على الطريق التجاري الذي يتم نقل الذهب بواسطته من الأورال[1]. وقد أعد حملة لهذا الغرض تكونت من سبعمائة ألف مقاتل، ورغم نتائجها المحدودة إلا أنه قد تمكن من الاستيلاء على بعض المدن الساحلية، وكان ذلك موجهاً له لوضع يده على العالم اليوناني.

ولقد حاول استغلال العداء الموجود ما بين اثنيا واسبرطة في فرض نفوذه على بلاد اليونان، وكانت أثينا تميل إلى الاعتراف بسيطرة الفرس، ولكن تطور الأمور في بلاد اليونان وحدوث العديد من الثورات بغية التخلص من الحكم الفارسي في بعض المدن اليونانية الخاضعة للفرس اضطرت الفرس إلى خوض العديد من المعارك لاستعادة مركزهم وقد تمكنوا من إخماد هذه الثورات والاستيلاء كذلك على بضعة مدن يونانية من بينها مدينة «ميلتس» و «خيوس» و «لسبوس» و «خلقدونية». ولم يبق أمام دارا إلا اليونانيين أنفسهم فأرسل إليهم حملة مكونة من ٦٠٠ سفينة، إلا أن نصف هذا الأسطول قضى عليه بسبب عاصفة اجتاحت هذه المنطقة، وحدثت مواجهة بين الأسطول الفارسي وبين الأثينيين عند ماراثون في إقليم أتيكا، تمكن الأثينيون من هزيمة الفرس، وأجبر ما تبقى من سفن دارا إلى العودة، ولم يتمكن دارا من معاودة هجومه على بلاد اليونان لانشغاله بإخماد الثورة التي نشبت في مصر، ثم وفاته عام ٤٨٦ ق. م. قبل أن يتم إخماد ثورة المصريين.

ولقد سن دارا العديد من القوانين التي اتخذت من قوانين حمورابي أساساً لها، وكانت تستهدف هذه القوانين تحقيق العدالة وحسن الإدارة في أرجاء دولته الواسعة التي اشتملت تقريباً كل مناطق الشرق الأدنى القديم، وقد طبقت هذه القوانين في بلاد الفرس نفسها، كما كانت تطبق في أنحاء الأمبراطورية إلى جانب الشرائع والقوانين المحلية. ولقد قسمت الأمبراطورية إلى عشرين إقليما وضع كل منها تحت حكم وال فارس يشغل

(١) نجيب ميخائيل إبراهيم: المرجع السابق، ص ٣٨٥ - ٣٨٦.

وظيفة «ساتراب Satrap » ، وارتبطت الأقاليم ببعضها بواسطة شبكة من طرق المواصلات يسرت التنقل في أنحاء الدولة .

وأدخل دارا العديد من الاصطلاحات الاقتصادية ومنها توحيد نظام القياس الخاص بالموازين والمكاييل ، كما عمل على إدخال العملة إلى أرجاء أمبراطوريته ، وقد صور دارا على أغلب العملة التي تبقت من عهده على هيئة ملك نحيل ملتحي وقد وضع رداء ملكياً ، وعلى رأسه تاج ، ويقبض في يمينه بحربة ، وفي يده اليسرى قوس ، وقد انتشرت العملة في جميع أنحاء الأمبراطورية الفارسية ، ومع ذلك فقد استمر نظام المبادلة موجوداً[1] .

وبموت دارا الأول انتقل العرش إلى خلفائه الذين قنعوا بما حققه أسلافهم ، وركزوا جهودهم في محاولة المحافظة على أمجاد أسلافهم دون العمل الجدي على زيادة هذه الأمجاد ، فكانت أهدافهم محدودة وطموحاتهم قليلة ، وسنتناول فيما يلي بشيء من التفصيل أحوال فارس في عهود خلفاء دارا وحتى سقوط فارس في أيدي الإسكندر المقدوني .

كسركسيس الأول[2] Xerxes (٤٨٥ - ٤٦٤ ق . م) :

خلف كسركسيس أباه دارا على العرش الفارسي رغم أنه لم يكن الابن البكر ويرجع ذلك لأن أمه كان يجري في عروقها الدماء الملكية ، بينما كانت أم الابن البكر من عامة الشعب ، وكان يشغل قبل ولايته العرش نائباً لوالده في بابل .

وفور توليه العرش عمل على إخماد ثورة المصريين التي مات أبوه قبل أن يخمدها . ولقد استعمل في القضاء عليها الكثير من أساليب العنف والقسوة . ونفس الشيء استخدمه في إخماد ثورة بابل فهدم أسوارها ودمر معابدها ، وفرض على أهلها ضرائب باهظة ، وأضاف إلى ذلك إلغاء سترابية بابل

---

(١) Ghirshman, R., op. cit., pp. 142 - 155.

(٢) يعرف اسمه في الفارسية ك : «خشايارشا» ، انظر : ايرا نشهر ، ص ٣١٠ - ٣١٢ .

وأدخلها ضمن أشور، وتخلى عن لقب «ملك بابل» وأصبح إسم «البابليين» من الأمور الممنوعة رسمياً[1].

وبعد ذلك عمل على الانتقام من اليونانيين فجهز حملة ضخمة ضدهم بقيادته واستسلمت بعض المدن اليونانية له، واستمر في تقدمه حتى استولى على أثينا، وأن ظل بعض الوطنيين يدافعون عنها وتجمع أسطول اليونانيين عند شلاميس وتمكن من هزيمة الملك الفارسي، وخلف كسركسيس وراءه بلاد اليونان تاركاً بها ثلث قواته تحت قيادة أحد قواده الذي عقد تحالفاً مع أثينا لم يقدر له النجاح بسبب عناد اليونانيين، فعاود مهاجمتها ودمر كل ما لم يدمره في حروبه السابقة معهم، مما أجبر اليونانيون إلى تشكيل حلفاً جديد التقى مع الفرس في «بلاتيا» عام ٤٧٩ ق. م، وكان النصر فيها لليونان الذين سرعان ما انضمت إليهم بعض المساعدات الأيونية وتمكنوا من إلحاق هزيمة أخرى بالفرس عام ٤٦٦ ق. م مما مكنهم من استعادة أملاكهم في آسيا الصغرى، وكان من نتيجة هذا النصر اليوناني أيضاً أن كسركسيس لم يعد يفكر في الانتقام من الإغريق بل قنع بالاستقرار في عواصمه الفارسية والاهتمام بالنواحي المعمارية. ولم يعمر كسركسيس طويلاً بعد هزيمة اليونانيين له إذ ذبح بين جدران قصره في عام ٤٦٥ ق. م.

ارتاكسركسيس الأول[2] (٤٦٤ - ٤٢٤ ق. م) Artaxerxes I :

خلف ارتاكسركسيس والده على العرش، وبدأ حكمه بداية دموية إذ قام بذبح أخوته جميعاً بعد أن قام أحدهم وهو وال «بكتريا» بالثورة ضده.

وقام المصريون بالثورة ضد الحكم الفارسي فما كان منه إلا أن أرسل العديد من الحملات التي تمكنت من إخماد ثورة المصريين ولكن إلى حين، وخاض العديد من المعارك مع اليونانيين الذي حالفهم الانتصار مما اضطر الفرس إلى تقليص نفوذهم على المدن اليونانية في أيونيا. وفي بابل فقد استمر في

(١) عبد الحميد زايد: المرجع السابق، ص ٦٣٢.

(٢) يعرف اسمه فى الفارسية ك «اردشير»، انظر، ايرانشهر، ص ٣١٤.

اتباع سياسة والده نحوها فأصبحت شؤون الإدارة قاصرة على الفارسيين كما بالغ في الضرائب المفروضة عليهم حتى أصبح الناس في حالة من البؤس لا يمكن تصورها[1].

دارا الثاني (٤٢٤ - ٤٠٤ ق. م):

خلف والده على عرش فارس، وقد استغل الصراع الدائر بين المدن اليونانية أثناء الحرب البلوبونيزية واستطاع أن يستعيد بعض المدن اليونانية ويفرض عليها قبول حاميات فارسية، وقد ثارت في عهده العديد من المناطق ومنها ميديا ومصر ولم يستطع أن يقوم بخطوة حاسمة إزاءها، حيث وافته المنية في بابل[2].

ارتاكسركسيس الثاني (٤٠٤ - ٣٥٨ ق. م):

حدث صراع بينه وبين أخيه الأصغر كوروش على العرش كان من نتيجته أن قتل أخوه كوروش الذي كان يساعده جيوش مرتزقة يونان يقدرون بعشرة آلاف جندي والذين ما لبثوا أن عادوا إلى بلادهم سيراً على الأقدام، وكان من بين قوادهم المؤرخ كسنوفون الذي سجل أخبار هذه المرحلة وقد ثارت مصر في بداية عهده وأعلنت استقلالها حيث تكونت الأسرات الثامنة والعشرين والتاسعة والعشرين والثلاثين. وأما عن بلاد اليونان فقد تمكن بما قدمه من رشاوي وما قام به من فتن ودسائس بين المدن اليونانية أن يخضع لسيطرته أيونيا وأثينا واسبرطة وأن يضعف قوى جميع المدن اليونانية حتى لم تعد واحدة تستطيع أن تقف على قدميها وبذا نجح في تحقيق فيما فشل فيه أسلافه من قبل.

وشاعت روح الثورة والتمرد ضد الحكم الفارسي في الأقاليم الغربية من الأمبراطورية فثارت قبرص وفينيقيا وسوريا وأعلنت استقلالها، وتزعمت

---

(١) Ghirshman, R., op. cit., pp. 194 - 196.

(٢) Ibid., pp. 196 - 197.

مصر الحركة ضد الأمبراطورية فتحالفت مع الولاة الخارجيين عن الحكم الفارسي، وكان ذلك في عهد الفرعون «جدحر» ثاني ملوك الأسرة الثلاثين، ووصلت الجيوش المصرية حتى الفرات، ولكن نظراً للاضطرابات الداخلية في مصر اضطر على أثرها «جدحر» إلى العودة مما عرض الحلف للانهيار وكان ذلك من حسن طالع الملك الفارسي. ولكن رغم كل ذلك كان مجد الأمبراطورية ينحدر سريعاً نحو الزوال. فقتل ارتاكسركسيس عام ٣٥٨ ق. م[١].

ارتاكسركسيس الثالث (٣٥٨ - ٣٣٨ ق. م):

بدأ عهده بسفك دماء اخوته وأفراد أسرته حتى يكون بمنأى عن المؤمرات الداخلية. وكانت هذه سياسته أيضاً تجاه الولايات. فقد أخذ الولايات الثائرة بالشدة والعنف فأحرق صيدا وتمكن من الاستيلاء على مصر فهدم الأسوار ونهب المعابد، وقد مات في عام ٣٣٨ ق. م نتيجة دس السم له فخلفه على العرش ابنه أرسس الذي لم يجلس على العرش سوى عامين حيث مات مقتولاً بواسطة السم أيضاً عام ٣٣٦ ق. م، وخلفه على العرش ابنه داريوس الثالث وذلك في نفس العام الذي تقلد فيه الإسكندر المقدوني مقاليد الحكم في بلاد اليونان حيث بدأ فتوحاته الكبرى بنفس شابه وعزيمة حديدية، في الوقت الذي كانت تذبل وتنزوي فيه الامبراطورية الفارسية. وعلى ذلك فلم يصمد الفرس طويلاً أمام الاسكندر الأكبر الذي بدأ غزوه لفارس عام ٣٣١ ق. م. واقتضى اخضاعها ثلاثة أعوام حتى سيطر عليها كلها. وبذلك قضى الإسكندر الأكبر على الأمبراطورية الفارسية حيث دخلت فارس مرحلة جديدة في تاريخها فأصبحت ضمن أملاك السلوقيين.

الإختصارات

— Acta. Arch = Acta Archaeologica.

— A. J. A. = American Journal of Archaeology.

— A. J. S. L. = American Journal of Semitic Languages and Literatures.

— A. N. E. T. = Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament.

— A. R. E. = Ancient Records of Egypt (by J. H. Breasted, 5 vols).

— A. S. A. E. = Annales du Service des Antiquites de L' Egypte.

— C. A. H. = Cambridge Ancient History.

— Iranica Antiqva = Iranica Antiqva Sous La Direction De R. Ghirshman et L. Vanden Bhrge, Leiden.

— J. E. A. = Journal of Egyptian Archaeology.

— J. N. E. S. = Journal of Near Eastern Studies.

— J. S. S. = Journal of Semitic Studies.

— R. A. = Revue D' Assyriologie et D' Archéologie Orientale.

المـــراجع

أولاً: المراجع العربية

- أحمد أمين سليم: دراسة تاريخية للحضارة المصرية القديمة أثناء عصر الأسرتين الأولى والثانية (رسالة ماجستير)، الإسكندرية، ١٩٧٧.
- أحمد أمين سليم: دراسة تاريخية لنشأة الأسرة الثالثة وتطورها السياسي والحضاري، (رسالة دكتوراه)، الإسكندرية، ١٩٨١.
- أحمد أمين سليم: دراسات في تاريخ إيران القديم وحضارتها، جـ ١، إيران منذ أقدم العصور حتى أواسط الألف الثالث قبل الميلاد، بيروت، ١٩٨٨.
- أحمد بدوي: هيرودوت يتحدث عن مصر، القاهرة، ١٩٦٦.
- أحمد فخري: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، القاهرة، ١٩٥٨.
- أحمد فخري: الأهرامات المصرية، القاهرة، ١٩٦٣.
- أحمد فخري: مصر الفرعونية، القاهرة، ١٩٧١ م.
- أحمد محمود حسين صابون: حور محب (رسالة ماجستير)، الإسكندرية، ١٩٨٠.
- رشيد سالم الناضوري: أقدم صلات حضارية بين مصر ولبنان، الإسكندرية، ١٩٦٨.
- رشيد الناضوري: المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غربي آسيا وشمال إفريقيا، الكتاب الأول، بيروت، ١٩٧٧.
- سليم حسن: مصر القديمة، جـ ٤، عهد الهكسوس وتأسيس الإمبراطورية، القاهرة، ١٩٤٨ م.
- سوزان عباس عبد اللطيف: دراسة تاريخية للعلاقات بين مصر واليونان منذ

منتصف الألف الثاني قبل الميلاد وحتى منتصف الألف الأول قبل الميلاد (رسالة دكتوراه)، الإسكندرية، ١٩٨٧ م.
- سيد الناصري: الإغريق، تاريخهم وحضارتهم، القاهرة، ١٩٨١.
- طه باقر: مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة، الجزء الثاني، بغداد، ١٩٥٦.
- عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، القاهرة، ١٩٦٦.
- عبد العزيز صالح: حضارة مصر القديمة وآثارها، الجزء الأول، القاهرة، ١٩٦٢.
- عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم، الجزء الأول، مصر والعراق، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٨٠.
- عبد الكريم عبدالله: «ملامح الوجود السامي في جنوب العراق قبل تأسيس الدولة الأكدية» مجلة سومر، العدد ٣٠، ١٩٧٤.
- محمد إبراهيم بكر: تاريخ السودان القديم، القاهرة، ١٩٧١.
- محمد أبو المحاسن عصفور: معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم منذ أقدم العصور إلى مجيء الأسكندر، بيروت، ١٩٨١.
- محمد أنور شكري: العمارة في مصر القديمة، القاهرة، ١٩٧٠.
- محمد بيومي مهران: الثورة الاجتماعية الأولى (رسالة ماجستير)، الإسكندرية، ١٩٦٦ م.
- محمد بيومي مهران: مصر والعالم الخارجي في عصر رعمسيس الثالث، (رسالة دكتوراه) الإسكندرية، ١٩٦٩ م.
- محمد بيومي مهران: حركات التحرير في مصر القديمة، الإسكندرية، ١٩٧٦.
- محمد بيومي مهران: اخناتون، عصره ودعوته، الإسكندرية، ١٩٧٩ م.
- محمد بيومي مهران: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، جـ ١، مصر، الكتاب الأول، التاريخ، الإسكندرية، ١٩٨٢ م.
- محمد بيومي مهران: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، جـ ٢، الكتاب الثاني، التاريخ، الإسكندرية، ١٩٨٤ م.

- محمد عبد اللطيف محمد علي: تاريخ العراق القديم حتى نهاية الألف الثالث ق. م، الإسكندرية، ١٩٧٧ م.
- محمد عبد اللطيف محمد علي: المراكز التجارية الأشورية في وسط آسيا الصغرى في العصر الأشوري القديم، الإسكندرية، ١٩٨٤ م.
- نجيب ميخائيل إبراهيم: مصر والشرق الأدنى القديم، جـ ٥، الشرق الأدنى القديم، القاهرة، ١٩٦٣ م.
- نجيب ميخائيل إبراهيم: مصر والشرق الأدنى القديم، جـ ١، الإسكندرية، ١٩٦٥ م.
- وهيب كامل: ديودور في مصر، القاهرة، ١٩٤٧ م.

ثانياً: المراجع المترجمة

- بلوتارخوس: إيزيس وأوزيريس، ترجمة حسن صبحي البكري ومراجعة محمد صقر خفاجة، القاهرة، ١٩٥٨ م.
- جان يويوت: مصر الفرعونية، ترجمة سعد زهران، القاهرة، ١٩٦٦ م.
- دونالد ولبر: إيران، ماضيها وحاضرها، نرجمة عبد النعيم محمد حسنين، مراجعة وتقديم أمين الشواربي، القاهرة، ١٩٥٨ م.
- صموئيل كرامر: من ألواح سومر، ترجمة طه باقر، القاهرة، ١٩٥٧ م.
- والترب. إمرى: مصر في العصر العتيق (الأسرتان الأولى والثانية) ترجمة راشد محمد نوير ومحمد علي كمال الدين، مراجعة الدكتور عبد المنعم أبو بكر، القاهرة، ١٩٦٧ م.
- ول ديورانت: قصة الحضارة، الجزء الثاني من المجلد الأول، الشرق الأدنى، ترجمة محمد بدران، القاهرة، ١٩٦١ م.

ثالثاً: المراجع الأجنبية

— Abu AL - Soof, B., (A Note on the Question of Painted Jamdat Nasr Pottery" In Sumer, vol. 23 (1967).

— Arkell, A. J., "Varia Sudanica" In J. E. A., vol. 36 (1950).

— Arkell, J., "Was King Scorpion Menes?" In Antiquity, vol. 37. (1963).

— Barguet, P., La Stele de La Famine a Sahel, Cairo, 1953.

— Barsanti, A., "Ouverture de'La Pyramide de Zaouiet - el - Aryan", In ASAE., Tom. II, 1901.

— Barsanti, A., "Fouilles de Zaouiet - el - Aryan", In ASAE, Tome 7 (1906), 8 (1907) 12 (1912).

— Barton, G. A., The Royal Inscriptions of Sumer and Akkad, New Haven, 1929.

— Baumgartel, E. J., "Predynastic Egypt", In CAH, vol. I, Part I, Cambridge, 1970.

— Bottero, J., "Syria Before 2200 B. C.," In C. A. H., vol. I, Part II, Cambridge, 1971.

– Bottero, J., "Syria at the Time of the Kings of Agade" In C. A. H., vol. I, Part II, Cambridge, 1971.

— Braidui Wood, R. J., and Howe, B., Prehistoric Investigations in Iraqi Kurdistan", In Oriental Institute of the University of Chicago, Series in Ancient Oriental Civilization, Chicago, 1960.

— Breasted, J. H., Ancient Records og Egypt, vol. I, Chicago, 1905.

— Breasted, J. H., The Dawn of Conscience, New York, 1933.

— Budge, E. A. W., The Book of the Kings, I, London, 1908.

— Bury, J. B., The Ancient Greek Historians, New York, 1958.

— Caton - Thompson, G., and Gardiner, E, W., The desert Fayum vol. I, London, 1934.

— Cerny, J., Ancient Egyptian Religion, London, 1962.

— Childe, C., New Light on the most Ancient East, London, 1964.

— Contenau, G., Ghirsh, Man R, Fouilles Du Tepe - Gigan, Pres de Neha Vend (1931 et 1932), Paris, 1945.

— Graw Ford, V. E., Sumerian Economic Texts From the First Dynasty of Isin, New Haven, 1954.

— Dabbagh, T., "Halaf Pottery" In Sumer, vol. 22 (1966).

— De Morgan, J., Ethnographic Prehistorique et Tombeau Royal de Negadah, Paris, 1897.

— Dicks, B., The Ancient Persians, How they Lived and Wor Ked, London, 1979.

— Dunand, M., Fouilles de Byblos (1933 - 1938), II, Paris, 1945.

— Edgerton, W. F., and Wilson, J. A., Historical Records of Ramsses III, Chicago, 1936.

— Edwards, I, E. S., The Pyramids of Egypt, 1965.

— Edwards, I. E. S., "The Early Dynastic Period in Egypt". In C. A. H., vol. I, Part II, Cambridge, 1971.

— Emery, W. B., Great Tombs of the Earliest Dynasties, vol. II, London, 1901.

— Emery, W. B., Hor Aha, Cairo, 1939.

— Engelbach, R., "The Advent of the Dynastic Race", In ASAE, vol. XLII, 1943.

— Erman, A., The Literature of the Ancient Egyptians, London, 1927.

— Feigin, S. I., and Landsberger, B., "The Date - List of the Babylonian King Samsuditana", In J. N. E. S., vol. 14 (1955).

— Frankfort, H., Archaeology and the Sumerian Problem, Chicago, 1932.

— Frankfort, H., The Brith of Civilization in the Near East, London, 1951.

— Frankfort, H., "The Last Predynastic Period in Babylonia" In C. A. H., vol. I, Part II, Cambridge, 1971.

— Fraser, G., A Catalogue of the Scarabs Belonging to G. Fraser, London, 1900.

— Gadd, C. J., "The Dynasty of Agade and the Gutian Invastion", In C. A. H., vol. I, Part II, Cambridge, 1971.

— Gadd, C. J., "Babylonia c 2120 - 1800 B. C.", In C. A. H., vol. I, Part II, Cambridge, 1971.

— Gadd, C. J., "Hammurabi and the end of his dynasty". In C. A. H., vol. II, Part I, Cambridge, 1973.

— Gardiner, A. H., The Admonitions of an Egyptian Sage, Leipzig, 1909.

— Gardiner, A. H., "The Egyptian Origin of the Semetic Alphabet", I. N. J. E. A., vol. 3 (1916).

— Gardiner, A. H., and Peet, T. E., and Cerny, J., The Inscriptions of Sinai, vol. I, London, 1952.

— Gardiner, A. H., The Royal Canon of Turin, Oxford, 1959.

— Gardiner, A. H., Egypt of the Pharaohs, Oxford, 1964.

— Garrod, D. A. E., "Primitive Man in Egypt, Western Asia, and Europe in Palaeolithic Times" In C. A. H., vol. I, Part I, Cambridge, 1970.

— Garstang, J., and Sethek., Mahasna and Bet Khallaf, London, 1903.

— Ghirshman, R. Fouilles De Sialk, vol. 1, Paris, 1938.

— Ghirshman, R., Perse, Proto - Iraniens, Medes, Achemenides, Paris, 1963.

— Ghirshman, R., Iran From the Earliest Times to the Islamic Conquest, Translates From French by Margard Mumrankin, (Pelican Books), London, 1978.

— Gray, G. B., "The Foundation and Extension of the Persian Empire", In C. A. H., vol. IV, Cambridge, 1964.

— Hallo, W. W., Early Mesopotamian Royal Titles, New Haven, 1957.

— Hayes, W. C., "The Middle Kingdom in Egypt", In C. A. H., vol. I, Part II, Cambridge, 1971.

— Herodotus, The Persian Wars, Translated by George Rawlinson, N. Y., 1942.
— Herz feld, E., Iran in the Ancient East, Oxford, 1941.
— Hinz, W., "Persia C. 2400 - 1800 B. C." In C. A. H., vol. I, Part II, Cambridge, 1971.
— Hole, F., Flanner, K. V., "Excavations at Ali Kosh, Iran, 1961" in Iranica Antiqua, vol. II (1962).
— Hole, F, Flannery, K. Neely, J., "Early Agriculture and Animal Husba Ndry in Deh Luran, Iran", In Current Anthropology, vol. 6. No. 1, Februaky, 1965.
— Huot, J, L., Persia, I, From the Origins to Achaemenids, Translated From the French by. H. S. B. Harrison, London, 1970.
— Hurry, J. B., Imhotep, The Vizier and Physician of King Zoser, Oxford, 1928.
— Kees, H., Ancient Egypt, London, 1961.
— King, L. W., Chronicles Concerning Early Babylonian Kings, vol. II, London, 1907.
— Kitchen, K. A., The Third Intermediate Period in Egypt, Oxford, 1973.
— Kramer, S. N., " New Lights on the Early History of the Ancient East" In A. J. A., vol. 52 (1948).
— Kramer, S. N., The Sumerians, Chicago, and London, 1970.
— Kramer, S. N., "The Death of Gilgamesh" In ANET.
— Kramer, S. N., "The Curse of Agade" In ANET.
— Kupper, J. R., Les Nomades en Mesopotamia au temps des Rois de Mari, Paris, 1957.
— Langdon, S. H., "Sumerian Origins and Racial Characteristics" In Archaeologia, 70 (1920).

— Lee mans, W. F., The Old - Babylonian Merchant, Leiden, 1950.

— Le Grain, L., Business Documents of the Third Dynasty of Ur, London, and Philadelphia, 1947.

— Lolyd, S., and Safar, F., "Tell Hassuna, Excavations by the Iraq Government Directorate General of Antiquities in 1943 and 1944" In J. N. E. S., vol. 4, (Oct. 1945).

— Lolyd, S., " Urk Pottery, Acomparative Studyin Relation to Recent Finds at Eridu" In Sumer, vol. 4 (1948).

— Mallowan, M., "The Development of Cities From AL - Ubaid to the End of Urk 5", In C. A. H., vol. I, Part I, Cambridge, 1970.

— Mc Cown, D. E., The Comparative Stratigraphy of Early Iran, Chicago - 1942.

— Meldgaard, J., Mortensen, P., Thrane, H., "Excavations at Tepe Guran, Luristan", In Acta Arch, 34 (1964).

— Mellaart, J., "The Earliest Settlements in Western Asia From the Ninth to the End of the Fifth Millennium B. C., " In C. A. H., vol. I, Part I, Cambridge, 1970.

— Mohamad Zakaria Ghoneim., The Buried Pyramid, London, 1956.

— Moscati, S., The World of The Phoenicians, London, 1973.

— Naville, E., The Temple of Deir EL Bahri, vol. II, 1896.

— Nelson, H. H., The Battle of Megiddo, Chicago, 1913.

— Oates, J., " Ur and Eridu", In Iraq, vol. 26 (1960).

— Oppenheim, A. L., "Sargon of Agade" In ANET.

— Oppenheim, A. L., "Gudea, Ensi of Lagash", In ANET.

— Oppenheim, A. L., "Naram Sin In The Cedar Moutain", In ANET.

— Petrie, W. M. F., The Royal Tombs of the First Dynasty, I, London, 1900.

— Poebel, A., "The Name of Elam in Sumerian, Akkadian, and Hebrew", In A. J. S. L., vol. 48 (1931 - 1932).

— Quibell, J. E., Hierakonpolis, vol. I, London, 1900.

— Quibell, J. E., and Green, F. W., Hierakonpolis, vol. II, London, 1902.

— Redford, D. B., History and Chronology of the Eigteenth Dynasty of Egypt, 1967.

— Saggs, H. W. F., The Greatness That Was Babylon, London, 1962.

— Schmidt, E. F., Excavations at Tepe Hissar Damghan, Philadelphia, 1937.

— Sethe, K., And Helk, W., UrKunder der 18. Dynastie, Leipzig, 1907.

— Smith, S., Early History of Assyria to 1000 B. C.,·London, 1928.

— Smith, S. M. A., "The Foundation of the Assyrian Empire" In C. A. H., vol. III, Cambridge, 1965.

— Smith, S. M. A., "The Supremacy of Assyria", In C. A. H., vol. III, Cambridge, 1965.

— Smith, S. M. A., "Sennacherib and Esarhaddon" In C. A. H., vol. III, Cambridge, 1965.

— Smithe, S. M. A., "Ashurbanipal and the Fall of Assyria", In C. A. H., vol. III, Cambridge, 1965.

— Smith, W. S., The Art and Architecture of Ancient Egypt, Harmondsworth, 1965.

— Smith, W. S., "The Old Kingdom in Egypt and the Beginning of the First Intermediate Period", In C. A. H., vol. I, Part II, Cambridge, 1971.

— Solecki, R. S., "Shanidar Cave, a Pataeolithic Site" In Sumer, vol. 8, (1952).

— Solecki, R. S., "Shanidar Cave, a Palaeolithic Site In Northern Iraq and its Relationship to the Stone Age Sequences of Iraq" In Sumer, vol. 11, (1955).

— Speiser, E. A., "The Sumerian Problem Review ed" In Hebrew Union College Annual, XXIII, I (1950 - 1951).

— Speiser, E. A., "The Legend of Sargon", In ANET.

— Thompson, R. C., "Decay and Fall of Babylonia Under Nabonidus", In C. A. H., vol. III, Cambridge, 1965.

— Thompson, R. C., "The New Babylonian Empire" In C. A. H., vol. III, Cambridge, 1965.

— Thureau - Dangin, F., "L' Inscription Bilingue B de Samsu - Iluna" In R. A., 39 (1942 - 1944).

— Tobler, A. J., Excuvations at Tepe Gawana II, Philadelphia, 1950.

— Vercoutter, J., In The Near East, The Early Civilizations, London, 1967.

— Wilson, J. A., The Culture of Ancient Egypt, Chicago, 1963.

— Wilson, J., "The Tradition of Seven Lean Year in Egypt", In ANET, 1966.

— Wiseman, D. J., "The Laws of Hammurabi Again", In J. S. S., Vol. 7 (1962).

— Wooley, L., Excavations at Ur, London, 1963.

— Wright, H. E., and Howe, B., "Preliminary Report on Soundings at Barda Balka" In Sumer, vol. 7 (1951).

— Wulsin, F. R., "Excavations at Tureng Tepe, Near Asterabad", In Bulletin American Institute For Persian Art and Archaeology, II, 1 Bis, Supplement, 1932.

فهـــرس

قائمة الأشكال

رقم الشكل		صفحة

محتويات الكتاب

الباب الأول

«تاريخ مصر القديم»

الباب الثاني

«تاريخ العراق القديم»

الباب الثالث

«تاريخ إيران القديم»